﴿ فهرس الجلد الثالث من شرح الشفاء للشهاب ﴾

الجلد الثالث

من شرح الشفاء لشهاب الدين

الخفاجي

معارف عموميه نظارت جليلهسنك ۲۵۳ نومرو وفى ۱۹ صفر سنه
۱۳۱٤ وفى ۱۸ نمور سنه ۱۳۱۲ تاريخلى رخصتنامهسنى حائزدر

درسعادت

الجلد الثالث

من شرح الشفاء لشهاب الدين الخفاجي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس ﴾ اى في ذكر معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفي منع الشمس عن سيرها للغروب كما سيأتي بيانه وهذا كان عقب قصة الاسراء وفي معناه رد الشمس الآتي في قصة علي واقتصر في الترجمة على هذا لانهما في المعنى سواء ولما سيأتي (قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر) قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا لمنكرى ذلك واثباتا له وتقريرا في نفوس المؤمنين بها اذ تشقق السموات فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في الحديث (بعثت انا والساعة كهاتين) واشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته صلى الله تعالى عليه وسلم في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل اكثر من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في آخرها الفا وحيث لم تبق الاصابة وقوله انشق القمر اى وقع شقه وجعله فلقتين في الزمن الماضي بمكة معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال المشركون له ارنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق في المستقبل اذا قامت القيمة وعبر بالماضي لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبنى على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتيام ويكذبه القرآن وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) اى دائم اومحكم من امر الحبلي اذا احكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر

له صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيحين واخبر به جماعة من الصحابة والى بيان ذلك
اشار بقوله (اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته)
ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها (واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه)
في الماضي وقال السبكي رحمه الله تعالى انه متواتر لا يجوز انكاره وردوا قول الماوردي
ان الجمهور على خلافه وتأويل ينشق بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق احد الا رآه
ولم يعتد المصنف رحمه الله تعالى بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف
من اهل السنة ومثله ليس من اهل التفسير بل من اهل التأويل عنده الا ان بعضهم
نظر في حكايته الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيريهما انه منقول
عن الحسن البصري وكذا قال ابو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم
للجمهور ومن الغريب ما حكى عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه
وخرجت من كمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ارسل ابو بكر ابن الطيب رسولا لملك
الروم بقسطنطينية وقيل له انه اجل علماء الاسلام احضر بعض بطارقته لمناظرته
فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له
وهل بينكم وبين المائدة اخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود ويونان والمجوس الذين
انكروها وهم في جواركم فافحم ولم يفه بشيء (اخبرنا الحسين بن محمد) هو ابو علي
الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته (الحافظ من كتابه) لا بقراءته عليه قال (حدثنا
القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي[٢]) السابق ترجمته وفي نسخة اخبرنا في جميع ما يأتي قال
(حدثنا المروزي) تقدم مع بيان نسبته قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وضبط نسبته
قال (حدثنا البخاري) الامام المشهور قال (حدثنا مسدد) عبد الملك بن عبد العزيز
الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كمسرهد وهو مسدد بن مسرهد بن
مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسيل بن المستورد
محدث البصرة وقال ابو نعيم لو كان في اول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم
كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان
وعشرين ومائتين قال (حدثنا يحيى) بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ اخرج له
اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة اربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمته في الميزان
(عن شعبة) بن الحجاج العتكي الحافظ امير المؤمنين في الحديث كما تقدم (وسفيان) بن
عيينة ابو محمد الهلالي الكوفي احد الاعلام الذي اخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين
ومائة كما تقدم (عن الاعمش) سليمان بن مهران السابق ترجمته (عن ابراهيم) النخعي
السابق ترجمته (عن ابي معمر) الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين (عن
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)
اي في زمانه وحيوته والعهد يأتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد

(٢) حدثنا الاصيلي نسخة

على من يقول انه سيكون بعده يوم القيمة (فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدرية من معنى انشق كقعد جلوسا او بتقدير وافترق (فرقة فوق الجبل وفرقة دونه) بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء او ابوقبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى فى مقابلتــه منفصلا عنه لاتحته كما قيل لماسيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا) انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يافلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقاله لانه وقع ليلا فى وقت الغفلة اى اشهدوا على معجزتى ونبوتى ووقوع ماطلبوه لانهم اهل بهتان وجحد وفى صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم فى كتاب اغاثة اللهفان المرات يرادبها الافعال تارة والاعيان اخرى واكثر ماتستعمل فى الافعال واما فى الاعيان فكقوله فى الحديث (انشق القمر مرتين) اى فلقتين ولماخفى هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين ويأتى مافيه عن قريب (وفى رواية مجاهد) التى رويت عن ابن مسعود فى الصحيحين (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره (وفى بعض طرق الاعمش) كما رواه احمد فى مسنده بزيادة قوله (بمنى) منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة مايمنى بها من الدم اى يراق ويقال لها المنازل ايضا ويقال نزلوا اذا اتوا منى قال النازلة اسماء ام غير نازلة قاله ابن هشــام اللخمى فى شرح المقصورة واختلفت الروايات فى محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفى اخرى رئى حراء بينهما وقيل شقة منــه على ابى قبيس واخرى على السويداء والذين طلبوا ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وابوجهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات فى محله لاتنافى بينها لان كل راء يرى القمر باذاء مكان رؤيته (ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود) بن يزيد بن قيس بن عبدالله بن علقمة بن سلامان ولم يعينه المصنف رحمه الله لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعروفين بالزهد وكثرة العبادة توفى سنة خمس وسبعين (وقال) اى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل) يعنى جبل حراء على ماتقدم (بين فرجتى القمر) اى فلقتيه وقطعتيه لبعد مابينهما وهى بضم الفاء وفتحها والضم اولى لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للمغروف والفرجة الفضاء مابين الشيئين فتجوز به عن المنفرج نفسه اذالظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة ابى عمرو مع الحجاج فى قراءته غرفة

وسماعه من العرب * وربما ضاقت النفوس من الامر * وله فرجة كحل العقال * مشهورة (ورواه) اى ماذكر (عنه) اى عن ابن مسعود كما ذكره البيهقى فى الدلائل (مسروق) بن الاجدع الهمدانى الكوفى من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفى سنة ثلاث وستين (انه) اى الشق اوابن مسعود (كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هوجد وهب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لامه وقيل عليه ان ام وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل احد من النسابين ان الاوقص يكنى بابى كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب ايضا بان ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجى ولم يقل احد ان عمرا يكنى بابى كبشة ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو الحرث بن عبدالعزى وله بنت تسمى كبشة كنى بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله تعالى عليه وسلم اجدادا من قبل ابيه وامه تكنوا بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا بغضوا احدا نسبوه لجد غامض له وفى النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان وعبدالشعرى العبور فلما خالفهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرض آلهتهم شبهوه به فى ذلك وفى القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف اوكنية عمرو والدحليمة السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى كل حال ارادوابه تنقيصه فزاده ذلك شرفا (فقال رجل منهم) اى من كفار قريش قيل انه ابو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) حين شقه اوخيل لكم شقه (فانه لايبلغ) اى لايصل شئ (من سحره ان يسحر الارض كلها) اى اهلها كلهم (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر) غير مكة (هل رأوه) اى القمر اوشقه او الامر الذى وقع وفى نسخة هل رأوا هذا (فأتوا) اى اتوا من قدم على اهل مكة من غيرها (فسئلوا) اى سئلوهم هل رأوا ذلك (فاخبروهم) لما سألوهم (انهم رأوا مثل ذلك) اى مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئى واحد وهو القمر المنشق (وحكى السمرقندى) تقدم ترجمته (عن الضحاك نحوه) اى مثل الحديث الذى ذكره اولا (وقال) اى الضحاك فيما رأوه (فقال ابوجهل) لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ماسئلوه (٢ فابعثوا الى اهل الآفاق) بالمد جمع افق بضمتين اوبضم فسكون وهوهنا بمعنى الناحية وماظهر من الفلك ومطلع الشمس كمابينه علماء الهيئة وهوالافق المرئى والافق النير المرئى له احكام اخر والمعنى ارسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسئلوا من بها (حتى ينظروا) اى يعرفوا (ارأوا ذلك ام لا) الهمزة استفهامية وفى نسخة هل رأوا وشاهدوا مثل مارآه اهل مكة ام لم يروه لانهم خيل لهم امر لم يقع وفى نسخة حتى ننظر بنونين (فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه)

(٢) هذا سحر لمحه

اى القمر حالة كونه (منشقا) والفاء فصيحة اى فسألوهم فاخبروا (فقالوا
يعنى الكفار هذا سحر مستمر) اى دائم باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية
من المرور او محكم قوى من امرار الحبل وهو شدة فتله وقال ابو عبيدة معناه باطل
وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا اشارة الى ماصدر قبله
من الآيات المتتابعة يقفو بعضها اثر بعض كما اشار اليه القاضى ولولا هذا لم يتأت
ماقالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التى وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص
وللنوع كما حققه النحاة (ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة) بن قيس بن مالك النخعى
الفقيه الكبير التابعى الجليل ولد فى حيوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى سنة
اثنين وستين والرواية عنه مشهورة فى الكتب الستة (فهؤلاء الاربعة) يعنى مجاهدا
والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث (عن عبد الله) بن مسعود
رضى الله عنه ثم ذكر له طريقا آخر فقال (وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود)
وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم يرو حديث الانشقاق
رواية مسندها فى غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره وهى مما اتفق عليه الشيخان واحمد بن
حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا مااتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع
بصحته (منهم) اى ممن رواه غير ابن مسعود واعاد ضمير الجمع نظرا لمعناه (انس وابن
عباس وابن عمر وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم رضى الله عنهم) وهذه الروايات كلها
فى الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية انس وابن عباس فى الصحيحين ورواية ابن
عمر فى صحيح مسلم والترمذى ورواية حذيفة بن اليمان فى الدلائل وغيرها ورواية
ابن مطعم بكسر العين فى مسند احمد والبيهقى ولذا قال (فقال على) كرم الله
وجهه (من رواية ابى حذيفة الارحبى) واسمه سلمة بن صهيب على الاصح نسب
لارحب حى من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء
موحدة قبل ياء النسبة وهو من الثقات المشهورين (انشق القمر ونحن مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) والجملة حالية وضمير نحن لعلى ومن كان معه لالمن تقدم
(وعن انس) خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه من مرسل الصحابة
لان الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه (سأل اهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية ٢) معجزة غير ماراوه (٢) ان يريهم آية نسخة
وفى الرواية المتقدمة انهم سألوه ان ينشق لهم القمر (فاراهم انشقاق القمر فرقتين)
بكسر الفاء وسكون الراء وفى رواية فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين
كامر (حتى رأوا حراء مابينهما) اى بين القطعتين وما زائدة للتأكيد وفى نسخة
حذفها وحراء بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر
وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله التلمسانى

و قال انه يذكر و يؤنث و يحرك ولا يحرك (٢) و هذا مما ذكره غيره من اهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابي من انهم يغلطون فى حراء ثلاث غلطات يفتحون حاؤه وهي مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شئ لا اصل له الا قلة النظر فى كتب اللغة (رواه عن انس قتادة وفى رواية بمعمر وغيره عن قتادة عنه) اى عن انس (اراهم القمر مرتين انشقاقه) بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفى تقديم مرتين فى هذه الرواية دليل على ماقلناه سابقا من ان التعدد فى الاراءة لا فى الانشقاق وانه مرتين كماذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ماقيل من ان اصل المرات فى الازمان والافعال وانها قد تكون فى الاعيان والاول اكثر وهذا من قبيل الثانى فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد وان هذا خفى على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الامرة بلا اختلاف فيه ودعوى الحافظ العراقى فى منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعواه تواتره فيها وماقيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحراء وهو على ثلاث اميال من مكة فى طريق الذاهب الى منى وانه يدل على تعدد الازمان والا لزم التناقض فى هذه الروايات وهى كلها صحيحة ولا يمكن عادة ان يكون الناس الذى رواه فى ذلك الوقت فى هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشئ فانهم اذا رأوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه خلف حراء واخرى امامه من تعدد النظر لسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كامر ولا يخفى بعدكون من ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحراء وغيره من جبال مكة ويرادبها فالذى يحرر فى الجمع بين هذه الروايات انه تباعد مابين الفلقتين جدا ليكون اظهر فى دفع الانكار فانه لو تقارب اقسام هؤلاء الجول العقول انه من غلط الحس فلما اشهدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك اشار مرة الى فلقة منه وقال اشهدوا يافلان ويا فلان ثم اراهم مرة اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر فى وسط السماء بحذاء حراء وبحذاء غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلاتعدد فى الشق ولاتدافع بين الروايات ولا يطعن فى شئ منها وهذا ان شاء الله مما لا ينبغى العدول عنه فان القول بان المرات فى الاعيان لاصحة له فى اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزأ به فعليك بالنظر الحديد وان تطرح من جنب فكره على التقليد (فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر) مؤيدا لمعجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا تقوى الحديث وصار كالمتواتر وتأويله بانه سينشق اذا قامت القيمة يأباه قوله بعده (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) كما لا يخفى على من له نظر سديد (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد)

(٢) اى ينصرف ولا ينصرف

فرواه عن ابيه عن جده وجبير الثاني روى عنه ابوداود حديثا واحدا قال البرهان ولا اعلم له تخريجا ولا توثيقا ورد بان ابن حبان ذكره في كتاب الثقات (ورواه عن ابن عباس عبيدالله بن عبدالله بن عتبة) الامام الجليل القدر احد الفقهاء السبعة وهو ثقة مأمون خرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة (ورواه عن ابن عمر مجاهد) بن جبير وقدمنا ترجمته (ورواه عن حذيفة ابو عبدالرحمن السلمي) ضم السين وفتح اللام وهو ابو عبدالرحمن بن عبدالله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفي سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الائمة الستة رحمهم الله تعالى (ومسلم ابن ابي عمران الازدي) المصري هو ابو عبدالله المعروف بالبطين نسب للازد بسكون الزاء المعجمة ويقال لها اسد بالسين ايضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حي باليمن واليهم ينتهي نسب الانصار (واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة) الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان في بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا مايقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها (والآية مصرحة) بما في الاحاديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من ان فيها ما يمنع التأويل الذي جوزه بعضهم (ولا يلتفت الى اعتراض مخذول) اصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من انكر هذا بقصد الطعن في المعجزة لامن اول الآية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه ايضا لاينبغي القول به ايضا (بانه لوكان هذا) الانشقاق (لم يخف على اهل الارض) كلهم (اذ هو شيء ظاهر لجميعهم) تعليل لقوله لم يخف (اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) اي ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه اخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول منه وليس بمعنى لغوي (فلم يروه انشق) رأى هنا بصرية وانشق حال اي وقد انشق ولايلزم ان يعرفوا انه سينشق في تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفي فيه سماعهم له من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيرصدوا ماوعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذ الثانية تعليل لعدم الالتفات ثم اجاب بجواب آخر على فرض تسليم ماذكر فقال (ولو نقل) بالبناء للمجهول (الينا) انهم رصدوه فلم يروه انشق (عمن لايجوز تمالؤهم على الكذب) اي طائفة من اهل الارض لايجوز اجتماعهم على الكذب في خبرهم (لكثرتهم) من الملأ وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على امر واحد لانهم يملأون مكان اجتماعهم (لما) اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة (كانت علينا به حجة) اي لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تأخير متعلق بحجة لتوسعهم في الظرف (اذليس القمر في حد واحد) الحد الوصف

المميز للشيء مأخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار اى ليس القمر على حال واحد (لجميع اهل الارض) اى عند جميعهم لاختلاف احواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق في تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المصنف (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين) ولهذا لو شهد اهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء (وقد يكون) مرأى القمر (من قوم بضد ماهو من مقابلتهم من اقطار الارض) جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع في بعضها والخفاء في بعض (او يحول) بالحاء المهملة اى يكون حائلا مانعا من رؤيته (بين قوم وبينه سحاب اوجبال) شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له (ولهذا) اى لكونه ليس على حال واحد في جميع اقطار الارض (نجد الكسوفات في بعض) من البلاد (دون بعض) منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضيء مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين في محله (وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية) والكسوف الجزئي كسوف جزء منه والكلي كسوف جميع جرمه نسبة للجزء والكل (وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها) اى في بعض البلاد تعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه احكامه وغيرهم لا يعرفها بل لا يقدر على تصورها وعبر بالادعاء اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علماء الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وماذكره المصنف بناء على ان الكسوف يكون في القمر فلا يرد عليه ماقيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال في عرف التخاطب وعليه مشى المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله (ذلك تقدير العزيز العليم) اى سير القمر واحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله العلي العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما يقول الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام محتومة لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع في اصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رأيناه في جميع النسخ العليم (وآية القمر كانت ليلا) اى الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال الخطابي الحكمة في ذلك ان من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله تعالى وقوعها ليلا ولو اراد وقوعها نهارا

لتكون محسوسة لكل احد فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس ان لم يؤمنوا بها فخص الله تعالى هذه الامة برحمته فجعل آية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على حال لايقتضي اهلاكها (والعادة من الناس بالليل) اى فيه (الهدو والسكون) عطف تفسير اى النوم وعدم الحركة كما قال ﴿ جعل الليل سكنا ﴾ والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها (واجياف الابواب) اى اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء واصل معناه الاسراع فى السير واستعمل فى الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند الحاجة لاسيما ليلا وهو تجوز سائغ شائع فما قيل انه لم يوجد فى كتب اللغة فلعله هنا وحف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان غلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لاداعى له ومن يغلق بابه ولايخرج من بيته لايرى القمر فكنى به عن ذلك (وقطع التصرف) بالنظر الى شئ فضلا عن رصد النجوم وكل هذا مبالغة فى ان هذا امر لايشاهد (ولايكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك) اى الا من قيد بنظر اليه وترقبه ليلا (واهتبل به) اى بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المصنف رحمه الله تعالى بالباء لانه ضمنه معنى الاعتناء (ولذلك) اى لكونه امرا لياليا فى زمان غفلة ونوم (مايكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد) مازائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمرى بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره (واكثرهم لايعلم به حتى يخبر) بالبناء للمجهول اى يخبره الناس العارفون بوقوعه (وكثيرا ما) منصوب على الظرفية او المصدرية ومازائدة للتأكيد (يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار) عجائب جمع اعجوبة وهو على ظاهره لانه قد يحدث فى الجو نور زائد على ما عهد او المراد به شهب نارية كذوات الاذناب التى تحدث فى الافق فى بعض الليالى وغير ذلك امور تذكر فى كتب الملاحم (ونجوم طوالع عظام تظهر فى الاحيان بالليل فى السماء ولا علم عند احد منها) لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات فى دائرتها وتصل الى مافوق الارض فتظهر ابتداء وهو مشاهد كثيرا مفصل فى فنه (وخرج الطحاوى) بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الراء المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الائمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوى بفتح الطاء والحاء المهملتين والف وواو بعدها ياء نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدى ثم المصرى الحنفى لا المالكى كما قيل ولد سنة ٢٣٩ وثلاثين ومائتين وتوفى ليلة الخميس مستهل ذى القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان اولا شافعيا من تلامذة المزنى ثم تحنف ... الله ... عمر

وله تآليف جليلة (في مشكل الحديث) هو كتاب جليل له في الحديث اشتهر بالآثار (عن اسماء بنت عميس) مصغر وهي زوجة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وترجمتها مشهورة وكانت اولا زوجة جعفر بن ابي طالب (من طريقين) وسندين مختلفين في روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبراني باسانيد مختلفة رجال اكثرها ثقات وهذا الحديث في رد الشمس او حبسها لعلي رضي الله تعالى عنه كما سيأتي قال ابن الجوزي انه موضوع بلاشك ورواياته مضطربة وفي رواية رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود فان الدارقطني وابن حبان قالا انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك ايضا ذكره الذهبي في الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس وتعقبه بما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وفي طريقه الثاني فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروي الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزي ولا اتهم فيه الا ابن عقدة فانه رافضي يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حجر علي ولم يكن اي علي صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزي ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة ولم يتلمح الى عدم الفائدة فيها فان صلوة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها اداء وقد ذكر ابن تيمية الحديث في كتاب رد الروافض بطرقه ومافيه واطال فيه قلت طالعته ورأيت ماذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وانشد فيه شعرا للحميري (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) مرة بالصهباء (ورأسه) الشريف (في حجر علي) حجره حالة والحجر مثلث الحاء المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة على ركبته وهو نائم (فلم يصل) علي رضي الله تعالى عنه (العصر حتى غربت الشمس) وغاب فاتته (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلي (اصليت ياعلي) بهمزة الاستفهام وفي نسخة هل صليت (فقال لا) اي لم اصلها (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك) لانه لم يزعج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته (فاردد عليه الشمس) اي اعدها لمكانها الذي غربت منه ليصلي الصلوة في وقتها يقال اردد بالفك ورد بالادغام وهو دعاء وقد سمعت ماقاله ابن الجوزي انه لافائدة فيه بعد ماصارت قضاء ويأتي مافيه (مشرقها) اي في محل شروقها وفي رواية سرقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس او منصوب على الظرفية ومعناه قوعدها او ارتفاعها على الخطاب

اوانبساطها على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى يؤدى الصلوة فى وقتها وينافيه قوله (فقالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهباء) فى القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قاله غيره فى قوله (فى خيبر) مسامحة او فيه مضاف مقدر اى فى قربها وخيبر بوزن صيقل ارض بقرب المدينة فيها قلاع وقرى كان بها مساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقوله فى الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه * لعلى حتى يتم الاداء
ثم ولت لها صرير وهذا * لفراق له الوصال دواء

(قال) اى الطحاوى (وهذان الحديثان ثابتان) رواية (ورواتهما) اى اكثرها (ثقات) جعلهما حديثين والمذكور حديث واحد تسمحا لانه روى من طريقين كما ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يرد ان الحق خلافه والذى غره كلام ابن الجوزى السابق ولم يقف على ان كتابه اكثره مردود وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطى وكذا السخاوى ان ابن الجوزى فى موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف رحمه الله تعالى واشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوى واخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبرانى فى معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقى فى التقريب ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رأسه فى حجر على فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزى فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فانها فاتته بعذر مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه فضيلة اى فضيلة فلما عادت الشمس حاز فضيلة الاداء ايضا وقد قال ابن حجر فى شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت ايضا لهذا الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعى الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد اجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر او المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافى مع انه نقل ابن حجر عن المصنف رحمه الله تعالى فى الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق حين شغل عن صلوة العصر حتى ادركها اداء وماروى انه قضاها بعد ماغربت الشمس لعله كان

فى يوم آخر وفى تفسير البغوى والكواشى والثعلبى ان الشمس ردت لسليمان ايضا وروى عن على وضمير ردوها عائد على الشمس فى الآية لعلمها وان لم يجر لها ذكر واقول ان السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابى الحسن الفضلى اورد طرقه باسانيد كثيرة وصححه بما لامزيد عليه ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التى ارسل صلى الله تعالى عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وماذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبى معجزة الاوكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان ومن غريب طرقه مارواه الطبرانى فى الكبير عن اسماء ايضا قالت اشتغل على رضى الله تعالى عنه مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياعلى اصليت العصر قال لا يارسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس فى المسجد فتكلم بكلمتين او ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ماتكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث علم منه ان الصلوة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فائدة فما اورده وارد عليه ولا حاجة الى ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال نظيره على القول باختلاف المطالع مالوصام اول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاؤه تماما ام لا (وحكى الطحاوى عن احمد بن صالح) هو ابوجعفر الطبرى الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفى سنة ثمان واربعين ومائتين وله ترجمة فى الميزان (كان يقول لاينبغى لمن سبيله العلم) اى لمن طريقته ودأبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين (التخلف عن حفظ حديث اسماء) بنت عميس الذى روته فى رد الشمس (لانه من علامات النبوة) اى من الآيات الدالة على ثبوتها لانه معجزة عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان احمد هذا من كبار ائمة الحديث الثقات ويكفى فى توثيقه ان البخارى روى عنه فى صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن فى روايته وبهذا ايضا سقط ماقاله ابن تيمية وابن الجوزى من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وماقيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضى تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبأ به بعد ما سمعت (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو ابو بكر الشيبانى الامام الثقة وقول ابى داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه

صدوق توفى سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق) محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى (لما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر قومه) من قريش بعد اسرائه (بالرفقة والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة وهى الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء اى اخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقدمها جمل اورق على مافصل واشتهر فى السير ويأتى بعضه قريبا (قالوا متى تجئ) جواب لما اى فى اى يوم تصل لمكة وسؤالهم لامتحانه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال يوم الاربعاء) بتثليث الباء والمداى تجئ يوم الاربعاء (فلما كان ذلك اليوم) بالرفع والنصب والاول اولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد (اشرفت قريش) بشين معجمة وراء مهملة اى قامت على شرف وهو المكان المرتفع وقوله (ينظرون) حال او مستأنف اى يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم فى اليوم الموعود (وقد ولى النهار) اى قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه (ولم تجئ) العير وتصل اليهم فى المكان الذى وقفوا فيه لانتظارها (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى سأل ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى تجئ العير قبل انقضائه (فزيد له فى النهار ساعة و) ذلك انه (حبست له الشمس) ساعة اى امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها فى ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق ايضا وفى سيرة مغلطاى نقلا عن الخطيب فى كتاب النجوم انها حبست لداود عليه الصلوة والسلام ايضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوى وغيره فى سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلوة والسلام حين عرض الجياد كما مر آنفا ﴿تنبيه﴾ الذى ذكرهنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ماورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشرى والبيضاوى فى اول سورة الاسراء وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من الاسراء قعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فقربه ابوجهل عدو الله وقال له مستهزأ هل استفدت من شئ قال نعم اسرى بى فى الليلة الى بيت المقدس قال واصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال اتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانقضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتنى به فقصه عليهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه اسرى به الخ قال قد صدق وانى لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السماء فسمى لذلك الصديق وكان فيهم من رأى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع

ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض امره فجيء بالمسجد الاقصى ووضع دون دار عقيل فنظره فنعته لهم فقالوا اصاب ثم قالوا له اخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على عير بنى فلان بالروحاء وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفى رحالهم قدح ماء وعطشت فشربته فسألوهم هل وجدوا ماء فى القدح قالوا نعم وهذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكب قعودا نفر فوقع وانكسر قالوا نعم وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا اخبرنا عن عدتها واحمالها وهيآتها ومن فيها قال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه آية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قضى محمد بيننا وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كى يكذبونه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق فرأوا فيها كل ما ذكره فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى مع طى لبعض الفاظه وهذا مناف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى والعجب من بعضهم اذ اورد هذا هنا ولم ينتبه لما قلنا

فوالله ماادرى احلام نائم * المت بنا امكان فى الركب يوشع

﴿لطيفة﴾ من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل على كرم الله وجهه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاضحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وانشد ارتجالا

لاتغربى ياشمس حتى ينتهى * مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك اذ اردت ثناهم * انسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

﴿فصل فى نبع الماء من بين اصابعه﴾ اى خروجه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله (وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة فيه وهو نبع ايضا وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة ورويت بطرق متعددة فى الصحيحين وغيرهما ففى بعضها انه فى قدح وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضاة وهى اناء معدة للوضوء وفى بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة فى بعضها كانوا خمس مائة وفى بعضها ثمان مائة وفى بعضها خمسمائة والف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه فى المعجزات وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية) واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان فى الكف معنى ليس فى الحجر

ولله در الابوصيرى فى قوله فى لاميته

ومنبع الماء عذبا من اصابعه * وذى اياد عليها قد جرى النيل

قالوا وهذا الماء افضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير بل من عطف الاعم على الاخص ليشمل ماكان بدعائه وتفل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن واصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا (اما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا) اى كثيرة عظيمة فوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير وفيه ايماء الى انها لاتدرك الابغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووى رحمه الله تعالى انها بلغت مرتبة التواتر (روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة) بفتح الصاد مصدر فى الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابى (منهم انس وجابر وابن مسعود) رضى الله تعالى عنهم واشار بمن التبعيضية الى انه روى عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس رضى الله تعالى عنهما لانه وقع بين الجم الغفير منهم فى الحديبية وغيرها كما قال اولا ان احاديثه كثيرة جدا فلاحاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها فى كتبهم من ائمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين لها (حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) هو ابن احمد الفاسى اللواتى نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا) القاضى (عيسى بن سهل) ضد الصعب وتقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو القاسم) حاتم بن محمد كما تقدم فى ترجمه قال (حدثنا ابو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاوانى تجعل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرء بذات يد * فالكسر يدنو لكل فخار

وقيل على المصنف رحمه الله تعالى ان الصواب ابو عبدالله بن الفخار قال ابن رشد ابو عمر الذى يروى عن ابى عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عيسى القرطبى المتوفى سنة ستين واربع مائة وبقراءته على ابى عيسى سمع الموطأ يونس بن المغيث لكن ابن ابى حاتم لم يذكر لرواية عنه وانما يروى عن عبدالله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة واربع مائة ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى سهو من وجهين اذ سماه ابو عمر وهو ابو عبدالله وفى قوله قال (حدثنا ابو عيسى) قال (حدثنا يحيى) اذا سقط راويا بين ابى عيسى ويحيى وهو عبدالله ابو مروان وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى على الصواب فى غير هذا المحل فيما مر وفيما سيأتى وابو عيسى هذا هو يحيى بن عبدالله بن يحيى بن كثير

(صاحب)

صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله فى غيرهذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتأمل قال ابو محمد القرطبي صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبدالله الخ وصوابه ابو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان ابا عيسى انما يحمل عن عبيدالله بن يحيي عن ابيه يحيي وابو عيسى هو يحيي بن عبد الله المكبر ابن يحيي سمع عم ابيه عبيد الله بالتصغير ابن يحيي وقدتقدم على الصواب فى فصل الخاتم والاحتمال ويأتى ايضا كذلك فى فصل كنيته قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة المشهور (عن اسحق بن عبدالله بن ابى طلحة) الامام المشهور الفقيه وانس عمه توفى سنة اثنين وثلاثين ومائة (عن انس بن مالك) قال فيما رواه مالك فى موطأه عنه والشيخان عنه (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و) قد (حانت صلوة العصر) بمهملة ونون اى قربت اودخل وقتها وهو مأخوذ من الحين بمعنى الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذى يتوضأ به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس ثم صار حقيقة فى مطلق الطلب (فلم يجدوه فاتى) بالبناء للمجهول (بوضوء) تقديره بماء وضوء بقرينة قوله (فوضع يده فيه) وفى مسلم بقدح زجاج (وامر الناس ان يتوضؤا منه قال) اى انس (فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس (٢) من عند آخرهم) اى جميعهم وتقدم معنى ينبع وانه بتثليث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتأدبا مع الله الذى لا يوجد المعدوم سواه واصابع جمع اصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة اصبوع قال ابن مالك رحمه الله تعالى * تثليث باصبع مع ضم همزته * والفتح والكسر والاصبوع قد كملا * وعند مثلث العين والافصح الكسر وهى ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية او الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووى انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يأت على الاصل لان الى عنده لحن عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هى هنا ابتدائية لابتداء الغاية اذ لم يسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤ كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق فتأمله * اقول سمع ايضا من آخرهم بدون عند كما فى الكشاف فى اول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كأنه مأخوذ ومبدول من آخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكأنهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووى اسهل واظهر وقد نقل انه لغة فى شرح مسلم وهى عبارة النبى صلى الله تعالى عليه

(٢) حتى توضؤا منه

وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيها (ورواه ايضا) اى كالرواية السابقة (عن انس) رضي الله عنه (قتادة) كما فى صحيح مسلم (قال) اى انس فى هذه الرواية فاتى (باناء فيه ماء) الاناء بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان آنية جمعه وليس مفردا كما يتوهم (يغمر اصابعه) بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة (اولا يكاد يغمرها) يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم فعله تسترا وتأدبا مع الله تعالى الذى لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها ابلغ من نفى الفعل الذى هو خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم (قال) اى قتادة لانس رضى الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الناس الذين توضؤا من ذلك الماء (قال زهاء) بضم الزاء المعجمة والمد ويقال ايضا لهاء بالملام اى مقدار (ثلاثمائة) رجل واصل الزهاء العدد الذى يقدر بالتخمين فقد ينقص اويزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقى وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب (وفى رواية عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (وهم بالزوراء عند السوق) الزوراء مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وثمة سوقها (ورواه) اى حديث نبع الماء (ايضا حميد) بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا فى اسمه فقيل تير وقيل تيرويه وقيل طرخان وقيل غيرذلك وهو ابو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعى اوالدارمى مات وهو قائم يصلى سنة اثنين واربعين ومائة وهو ثقة اخرج له الائمة الستة الا انه نسب للتدليس وترجمته فى الميزان (وثابت والحسن) بن ابى الحسن البصرى كما تقدم (عن انس) وتفرد البخارى عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال) كانوا (ثمانين ونحوه عن ثابت عنه) اى عن انس (وعنه ايضا) اى عن انس (وهم نحو من سبعين رجلا) وفى مسلم عنه ايضا من الستين الى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على انهما كانا قضيتين فى وقتين ووقتنا حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال ايضا (واما ابن مسعود ففى الصحيح) اى الحديث الصحيح او صحيح البخارى (عنه) اى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (من رواية علقمة) تقدم ترجمته (بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة كما ذكره النحاة وفى نسخة بينما وهى كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد يتاتى باذ واذا والاصمعى يستفصح تركهما كما هنا (وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء) اى بقية من ماء كان اوزيادة منه على حاجته وقد مر انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلبه تسترا لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواحد الموجد لكل فتأدب

بذلك معالله ولوشـاء لاوجده بدعائه وطلبه له منالله تعالى ولوشـاء لاوجده ابتداء من غير شئ (فاتى بماء) بالبنـاء للمجهول والفاء فصيحة اى فطلبوا الماء فوجده بعضهم واتى به (فصبه فى اناء) اي صبه وسكبه فى اناء آخر مكشوف وكانه اتى به فى مزادة لاتدخلهـا اليد (ثم وضع كفه فيه) اى فى الاناء الثـانى والعطف بثم لما بينهمـا من تراخ يسـير بدعائه اى فدعاالله تعالى ثم الى آخره (فجعل ينبع) بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس الاسـناد مجازيا كما قيل (من بين اصابعه صلى الله تعـالى عليه وسـلم) وهذه القصة هى المتقدمة وانما اعادها اشـارة الى تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل انهـا غيرها (وفى الصحيح) اى صحيح البخارى اوالمراد فى الحديث الصحيح له ولغيره (عن سالم بن ابى الجعد) الاشجعى الكوفى وهو من كبار التابعين الثقـات روى عن ابن عباس وغيره وتوفى سـنة مائة وله ترجمة مفصلة فى الميزان (عن جابر رضى الله تعالى عنه عطش النـاس يوم الحديبية) وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما تقدم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه) اى عنده فى مكان قريب منـه (ركوة) بتثليث الراء المهملة وكاف وواو والافصح فيـه الفتح وجمعه ركاء بالكسر والمد وهى اناء للمـاء من جلد كالابريق (فتوضأ) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها واقبل الناس نحوه) اى جاؤا له صلى الله عليه وسلم (وقالوا له ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك) جملة حالية والاستثناء متصل (فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور) اى ينبع ويرتفع لزيادته (من بين اصابعه كامثال العيون) اى كان بين كل اصبعين من اصابعه الشريفة عين ماء نابعة (وفيه) اى فى حديث سـالم هذا (فقلت) لجابر رضى الله تعالى عنـه (كم كنتم) معاشر الصحابة (قال لو كنا مائة الف لكفانا) ذلك الماء لما شاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه (كنا خمس عشر مائة) يعنى الفـا وخمس مائة رجل وهم اصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف فى عددهم وهذه رواية مشـهورة ولذا اقتصر عليهـا المصنف رحمه الله تعـالى وقيل كانوا الفا واربع مائة وصحح هـذه الرواية البيهقى وقيـل كانوا الفا وست مائة وقيل الفا وخمسمائة واربعون وقيـل وخمسة وعشرون وقيـل وثمانون وقيل وثلث مائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لاتحقيقا وتحديدا ورواية سبع مائة وهم من راويها (وروى مثله) بالبناء للمجهول اى مثل حديث سالم المذكور (عن انس عن جابر) صحح فى النسخ بدون عاطف بينهمـا فان صح هـذا فليس رواية انس عن جابر رضى الله تعـالى عنه فى الكتب السـتة كما قاله البرهان الحلبى (وفيه) اى فى هذا الحديث (انه كان بالحديبية) كما فى الرواية التى قبله (وفى رواية الوليد بن عبـادة

ابن الصامت عنه) اى عن جابر رضى الله تعالى عنه والوليد هذا ولد فى حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى فى خلافة عبدالملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث واخرج له الشيخان والترمذى وابن ماجة وهو يروى عن ابيه (فى حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (فى ذكر غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة والف وطاء مهملة وهى ثانى غزواته وهى مفصلة فى مسلم وغيره ويجوز فتح بائه ايضا وهى اسم لجبال لجهينة على ابراد من المدينة فهى بقرب الينبع وكانت فى ربيع الاول سنة اثنين وفى هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم (قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجابر ناد الوضوء) ناد امر من النداء محذوف الآخر المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بمقدر ومعمول ناد مقدر ايضا اى ناد الناس وقل لهم اعطوا او ناولوا الوضوء وهو الماء الذى يتوضأ به وفيه حث لهم عليه (وذكر الحديث بطوله) وفيه ان رجلا من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماء فى سقاء فلما اخبره انه نادى فلم يجد الماء قال له انطلق الى فلان الانصارى فانظر هل فى اشجانه من شئ قال فانطلقت اليه واخبره بماء عنده (وانه لم يجد) عند الانصارى (الاقطرة) اراد ماء قليلا جدا (فى عزلاء شجب) بالاضافة اى فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين المهملة وسكون الزاء المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منهـا وجمعه عزالى بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل وكسرها وسكون الجيم وباء موحدة ماتقدم من القرب اواعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب واصل معناه الهلاك (فاتى به) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الاولى وضميره للمذكور (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه) بفتح الغين المعجمة والميم والزاء المعجمة اى وضع يده عليه وكبسه بها والغمز هنا كالذى فى قوله

وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها اوتستقيما

والغمز بالعين الاشـارة بها معنى آخر (وتكلم بشئ لاادرى ماهو) وفى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتكلم بشئ لاادرى ماهو فكأنه سر من اسرار الله تكلم به بالسريانية ونحوها ليخفى على غيره وقد تقدم حكاية مثله فى رد الشمس المتقدم (وقال ناد بجفنة الركب) الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهى التى تشبع عشرة فما فوقها ودونها الصحفة ثم المأكلة والركب بفتح ثم سـكون اسم جمع لراكب والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع فى رواية لقتـادة والذى فى مسـلم بادجفنة فكأنه لم يكن معهم الاجفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بهـا بدليل قوله (فاتيت بها) بالبنـاء للمفعول كما قاله البرهـان وغيره وجوز البنـاء للفـاعل وقيل مفعوله محذوف اى ناد القوم ليأتوا بجفنتهم اوهى منزلة منزلة من يعقل لان الله تعالى خالق فيها ادراكا حتى ينادى هى دانى بعضها ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا مثله (فوضعتها بين يديه وذكر) جابر رضى الله تعالى عنه (ان النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده) بالسين والطاء وبهما قرئ اى وضع يده الشريفة (في الجفنة) مبسوطة ليكون ابرك (وفرق اصابعه وصب جابر عليه) ما كان في القربة من الماء (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) انبرك واطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه المأثور في سائر الافعال لالبيان انه يجزى بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال بسم الله جابر كان اوفق بما في الرواية من انه وضع يده في قعر الجفنة وقال خذ ياجابر صب على وقل بسم الله فصببت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير اذن وان المصنف رحمه الله تعالى غير الرواية ونسب لجابر مالم يقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من آداب الصحابة رضى الله تعالى عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم قرينة على ماذكر (قال) جابر رضى الله تعالى عنه (فرأيت الماء يفور) اى يزيد ويرتفع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا مافيه (من بين اصابعه) صلى الله عليه وسلم (ثم فارت الجفنة) اى فار ماؤها ففيه مضاف مقدر او الاسناد مجازى للمبالغة في فورانه (واستدارت) اى دار ماؤها لان الماء اذازاد بسرعة يرى كأنه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه لايحصل له (حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا) اى اخذ كل منهم من الماء مايكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والرى مقابل العطش وفيما رواه المصنف رحمه الله بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي بعض نسخة فارت الجفنه ثم فارت بالتكرار (فقلت هل بقى احد له حاجة) اى قال جابر فقلت الى آخره وهل هنا قيل انها نافية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (هل ترك لنا عقيل من دار) ويجوز ان تكون استفهامية وقوله (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة) الفاء فيه فصيحة اى فقال لافرفع الى آخره وحديث جابر هذا ليس في شئ من الكتب الستة غير مسلم (وهى ملاى) بوزن سكرى اى مملوءة بالماء لم ينقص شيئا مما اخذوه (وعن الشعبى) هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف رحمه الله تعالى مالكي المذهب (اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اى اتاه بعض الصحابة (باداوة) بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة والف وواو وهاء وجمعها اداوى وهى اناء صغير للماء من جلد ولذا اضافها بقوله (ماء في بعض اسفاره وقيل ما معنا يارسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة) اى صبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه اوامر بصبها (ووضع اصبعه) بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة (وسطها) بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية اى وضعه في وسط مائها وفي الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام في كتب العربية ليس هذا محله وبيناه في شرح الدرة وتقدم فيما

ما فيه الكفاية (وغمسها في الماء) تفسير لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال (وجعل الناس يجيؤن ويتوضؤن) جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة (ثم يقومون) بعد الوضوء (قال الترمذى) ابو عيسى امام اهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره (وفى الباب) اى فى هذا الباب الذى ذكر فيه معجزاته ونبع الماء (عن عمران بن حصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين اى روى عنه مثله (ومثل هذا) الامر المعجز المروى فى هذا الحديث (فى هذه المواطن) جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس (الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء اى الكثيرة الناس (والجموع الكثيرة) اى جموع الناس الكثيرة فى مثل هذه المحافل (لاتتطرق التهمة) بضم التاء الفوقية وفتح الهاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة مايتوهم ويظن فى شئ على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما فى القاموس والصحاح ولايكون الا اسما لمايتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما فى شرح المفتاح لان كمال وفيه نظر ويتطرق بمعنى يصل واصل معناه يجد طريقا (الى المحدث به) بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها (لانهم كانوا اسرع شئ الى تكذيبه) اى تكذيب المخبر عنه او الخبر لوقوعه بين ناس كثيرين لايمكن تواطئهم على الكذب (لما جبلت عليه النفوس من ذلك) اى الاسراع الى التكذيب (ولانهم) اى من حضر تلك المحافل (كانوا ممن لايسكت على باطل) فلايقرونه على ماقاله اذا كذب فيهم وهم عرفوا خلافه ولايخافون فى الله لومة لائم (وهؤلاء) المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) الحديث الذى فيه نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم (واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له) اى قالوا انه وقع فى محافل ناس لايحصون كثرة فلايمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كالجماء الغفير اى كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم احد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها فى القاموس وليس هذا محل تفصيلها (ولم ينكر احد من الناس عليهم ماحدثوا به عنهم) اى لم يقل احد ان مانقلوه من هذه المعجزة انها لااصل لها ونحوه (انهم فعلوه وشاهدوه) بفتح همزة ان بدل من ماحدثوا ومافعلوه كوضوئهم وتقديمهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وماشاهدوه من نبع الماء وتدفقه وكثرته (فصار) ماذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره (كتصديق جميعهم له) اى لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا وامرا مجمعا عليه وفى نسخة كلهم ﴿فصل ومما يشبه هذا﴾ اى من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجزاته) بيان لما او حال من اسم الاشارة (تفجير الماء ببركته) صلى الله تعالى عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح فاضافته

(للماء)

للماء اضافة مجازية من اضافة المحل الى الحال قال عزوجل (وفجرنا الارض عيونا) او التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شائع فيه وقوله ببركته اى يمنه وجوده فى مكان اخرج منه الماء والبركة الخير الدائم وهى فى الاصل من البرك وهو الموضع الذى يضمه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهو الموضع الذى يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى (رب انزلنى منزلا مباركا) اى كثير الخير وتبارك الله بمعنى تزادخيره الذى افاضه على عباده وهو لا ينصرف ولا يستعمل فى غير الله (وابتعاثه) وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجرى (بمسه ودعوته) اى بلمسه لمحله ودعائه فيه واخر هذا عن نبعه من بين اصابعه لان الاول اقوى فى المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجارى وفى بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها بذلك لما تقدم (مما روى مالك فى الموطأ) ومسلم فى صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه لان روايته له اعلى سندا عنده او لترجح روايته (عن معاذ بن جبل) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (فى قصة غزوة تبوك) بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة مبينة فى السير (وانهم) اى الجيش الذين كانوا معه صلى الله عليه وسلم (وردوا العين) تعريفها للعهد اى عينا بتبوك نزلوا عليها فى سفرهم هذا (وهى تبض) مضارع بض بزنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال (بشئ من ماء مثل الشراك) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة والف وكاف وهو سير النعل الذى يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى اخدود فى الارض كما قيل (فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع) الماء الذى غرفوه (فى شئ) من الاوانى التى كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا فى شئ حتى اجتمع ماء كثير كما توهم (ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه) ضمير فيه للشئ بمعنى الاناء او للماء وكان الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله (واعاده فيها) اى فى العين التى غرفوا منها وضمير اعاده للماء لا للوجه كما توهم (فجرت بماء كثير) اى جرى من تلك العين ماء كثير (فاستقى الناس) اى شربوا وسقوا دوابهم (قال) معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (فى حديث بن اسحق) صاحب السير فيما رواه عن معاذ فى سيرته (فانخرق) بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف اى انفجر انفجارا بشدة (من الماء ماله حس كحس الصواعق) الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو مجاز مشهور يقال لمشيه حس اى تسمع حركته والصواعق يكون معها اصوات شديدة من الصعقة

وهى الصحيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان فى رجعته صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك كما قال ابن اسحق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة (ثم قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جرى الاستقاء (يوشك) بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة وكاف مضارع اوشك وفتح شينه لغة ردية كما فى القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من غير بطؤ (يامعاذ ان طالت بك حيوة) اى ان اطال الله عمرك ورأيت هذا المكان (ان ترى) بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية (ماههنا) ما موصولة اى الذى ههنا وهو اشارة للمكان (قدملئ) بالبناء للمجهول (جنانا) منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهى البستان اى يكثر ماؤه ويخصب ارضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف منه على بعضه المراد منه اختصارا (وفى حديث البراء) بن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم (وسلمة بن الاكوع) افعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البراء فى صحيح البخارى وحديث سلمة بفتحتين فى مسلم (وحديثه) اى حديث سلمة الذى رواه مسلم (اتم) من حديث البراء كما سيأتى (فى قصة الحديبية) التى قدمناها وفيها بيعة الرضوان (وهم اربع عشرة مائة) رجل من الصحابة كما تقدم (وبئرها) اى وماء بئرها (لاتروى) بضم المثناة الفوقية (خمسين شاة) الشاة معروفة وروى اشاء بهمزة مكسورة فى اوله ومفتوحة فى آخره وهى النخلة الصغيرة (فنزحناها) اى اخرجنا جميع مافيها من الماء بطينه (فلم يترك فيها قطرة) من مائها (فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والباء الموحدة مقصور وهو فم البئر وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وروى شفاها بشين معجمة وهما بمعنى هنا (قال البراء واتى) بالبناء للمجهول (بدلو منها) اى من تلك البئر اى بماء دلو مما نزحوه منها (فبصق) اى القى ريقه (ودعا) بعد بصاقه او هو شك من الراوى هل بصق فيها او دعا الله لتكثير مائها كما اشار اليه بقوله (وقال سلمة) راوى الحديث (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر همزة اما فيهما بيان للشك فى الرواية وفى نسخة فامادعا الى آخره وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل (فجاشت) البئر اى فار ماؤها حتى ارتفع الى فمها من جاشت القدر اذا غلت (فارووا انفسهم وركابهم) اى شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الابل جمع لاواحد له من لفظه وقد علم ان حديث البراء رواه البخارى ولفظه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اربع عشرمائة والحديبية بئر فنزحناها

(فلم)

فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا اى صرفتنا ونحن وابلنا رواء ولم يحتج للمقام بها لاجل الماء وان حديث سلمة فى صحيح مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن اربع عشر مائة وعليها خمسون شاة لاترويها قال فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباء الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعانا للبيعة فى اصل الشجرة فبايعته اول الناس ثم بايع حتى اذا كان فى وسط النهار قال بايع ياسلمة فقلت قد بايعتك يارسول الله فى اول الناس قال وايضا ورآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعزل اى ليس معى سلاحا فاعطانى حجفة اودرقة ثم بايع حتى كان فى آخر الناس قال الاتبايعنى ياسلمة قلت قد بايعتك يارسول الله اول الناس واوسط الناس قال وايضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ماقدمه المصنف من ان حديث سلمة اتم لمافيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقى للشاء حين قدموا ولذكره كيفية المبايعة وماجرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى غير هذه الروايتين) كذا فى اكثر النسخ بتوحيد هذه وفى بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لايخلو من التكلف والروايتان رواية البراء ورواية سلمة (فى هذه القصة) اى قصة الحديبية (من طريق ابن شهاب) الزهرى وقد تقدمت ترجمته مرارا (فى الحديبية) تفسير للقصة (فاخرج سهما من كنانته) هى مايوضع فيه السهام لانها تكنها اى تسترها (فوضع) بالبناء للمجهول وفى بعض النسخ فوضعه اى امر بوضعه (فى قعر قليب ليس فيها ماء) القليب البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهى طوى ويذكر ويؤنث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ماء قليل والذى وضع السهم البراء وقيل ناجية على مايأتى (فروى الناس) بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية بينهما واو مكسورة اى شبعوهم ودوابهم لقوله (حتى ضربوا بعطن) هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الماء بعد شربها لتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى اقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعنى انهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقى مسندا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة البيت لايريد حربا فذكر الحديث وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايها الناس انزلوا فقالوا مابالوادى ماء ننزل عليه فاخرج سهما من كنانته اعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيه

فقعل نجش الماء حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذى نزل فى البئر خلاد الغفارى دلاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعمامة وقيل هو ناجية السلمى وكان البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه يقول انا الذى نزلت كذا فى دلائل النبوة (وعن ابى قتادة) هو الحارث بن ربعى وقيل النعمان بن ربعى وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقى ايضا فلذا عطفه فقال (وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره) لانه كان يوما شديد الحر (فدعا بالميضأة) بكسر الميم وياء منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء وهى مقصورة وزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعا بمعنى طلب مطهرة ماء الوضوء فاتى بها (فجعلها فى ضبنه) بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن يقال اضبنته اذا جعلته فى ضبنك وبه سمى العيال كما فى الغريبين والمراد انه امسكها وضمها اليه (ثم التقم فمها) اى ادخل فمها فى فيه كما تدخل اللقمة (فالله اعلم) اى قال الراوى انى لا اعلم (نفث فيها ام لا) اى انفث فى تلك الميضأة ام لا والنفث بنون وفاء وثاء مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ واقل من التفل (فشرب الناس) من تلك الميضأة (حتى رووا) اى حصل لهم الرى المزيل للعطش (وملأوا كل اناء معهم) مما فضل عن شربهم (فخيل) بالبناء للمجهول (الى انها كما اخذها منى) اى مثل ما اخذها منى لم تنقص شيئا مما كان فيها حين اخذها منى وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى) محمد بن جرير الامام المشهور (حديث ابى قتادة) المذكور (على غير ما ذكره اهل الصحيح) اى فيه مخالفة لما رواه اصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) اى بهؤلاء المذكورين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (ممدا لاهل موتة) بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهى ارض من البلقا وقرية بين تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا (عند ما بلغه قتل الامراء) ما مصدرية والامراء جمع امير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحة وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل حارث بن عمير الازدى بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله ولم يقتل رسول له قبله فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وارسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فاميركم جعفر فان قتل جعفر فاميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء دفعه لزيد واوصاهم كما ذكره اهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما اخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(فدفعت)

فدفعت الراية لخالد بن الوليد الى آخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم من اخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله (وذكر) اى ابن جرير (حديثا طويلا فيه معجزات و آيات للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكر وماشاهده من جعفر وطيرانه في الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله تعالى به وعظم قدره (وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر) ابن جرير (حديث الميضأة) السابق (قال والقوم زهاء ثلاثمائة) اى قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم آنفا (وفي كتاب مسلم انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابي قتادة) وقد رأى معه ميضأته (احفظ على) وفي نسخة علينا (ميضأتك) هذه وامسكها عندك (فانه) ضمير شان (سيكون لها نبأ) اى خبر عظيم وقصة عجيبة في امر مائها وكفايته القوم ومايظهر بها من المعجزة العظيمة (وذكر نحوه) اى مثل ماتقدم (ومن ذلك) اى من قبيل المعجزة السابقة في تفجير الماء (حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه) اى ارسلهما لجهة من الجهات (واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا) الرجلان عمران بن حصين الراوى وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه وقيل انهما على والزبير ابن العوام وفي البيهقي ان عليا خرج في نفر من اصحابه ولم يسم احد هذه المرأة الا انه وقع في السير انها اسلمت ولم يذكروا اسم المكان الا ان في الحديث انه روضة خاخ ان كانت القصة واحدة (معها بعير) قال اهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى (عليه مزادتان) المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لامن الزاد كما توهمه بعضهم فقالوا تثنية المزود (الحديث فوجداها) اى المرأة (واتيا بها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها) اى جعل ماء من مائها في اناء عنده اى وضع فيه بعض ماء المزادتين (وقال فيه) اى في الماء الموضوع في الاناء (ماشاء الله ان يقول) المراد دعاؤه وذكر اسم الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا ابهموه (ثم اعاد الماء) الذى اخذه في انائه من المزادتين فرده بعد مادعاله (في المزادتين) اللتين للمرأة (ثم فتحت عزاليهما) بيناء الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتأنيث والجمع وليس للقربة الافم واحد قيل لانها كانت تتعدد في قربهم عزلاء وان من اسفل وعزلاء وان من فوق وما كان من اسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله قد صغت قلوبكما لاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جنى على مائها لانها كانت حربية ولضرورة العطش وقد قيل ان هذه المرأة اسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم (وامر) صلى الله تعالى عليه وسلم (الناس) ان يملؤا

منه (فملئوا اسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء (حتى لم يدعوا شيئا) من اوانيهم (الاملئوه) ماء (قال عمران) بن حصين رضي الله عنه (و) انا (يخيل الى) بالبناء للمجهول (انهما لم يزدادا الا امتلاء) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ اى حال كونى وقع فى خيالى ان المزادتين بعد اخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كان عليه (ثم امر) صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوها من زادهم شيئا بدلا عما اخذ من مائها تفضلا منه فان مائها لم ينقص (فجمع) بالبناء للمفعول اى جمع الناس (للمرأة من الازواد حتى ملئوا ثوبها) وحملوه على بعيرها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم للمرأة (اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا) من فضله واختلفت الروايات هنا ففى بعضها ماذكره المصنف فقط وفى بعضها انهم ملئوا اسقيتهم وسقوا ابلهم وانه امرهم بذلك واستعماله صلى الله عليه وسلم من ماء القربة التى لكافرة لاينافى النهى منه عن استعمال اوانيهم وانهم نجس وامره بغسلها اذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم واوانيهم التى يضعون فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لايتوهم فيها ذلك (الحديث بطوله) اى اقرأ الحديث بطوله وتمامه ان اردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى انه حديث طويل مروى فى كتب الحديث كالبخارى وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها مما رأته من المعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه (وعن سلمة بن الاكوع) رضي الله تعالى عنه تقدم بيانه انه قال (قال نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى يوم من الايام (هل من وضوء) بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذى يتوضؤ به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة فى المبتدأ المقدر خبره اى هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة ووقوعه بعد الاستفهام (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة ودال مهملة اى اناء من جلد صغير (فيها نطفة) اى ماء قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنكتة واصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل لمنيه (فافرغها فى قدح) اى صبها فى اناء (فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لضمير الفاعل (ندغفقه دغفقة) مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسوره وقاف اى نصبه صبا كثيرا من قولهم عيش دغفق اى واسع (اربع عشر مائة) من الرجال واربع بالرفع خبر مبتدأ مقدر اى ونحن اربع الى آخره اوبدل من ضمير ندغفقه اوتوضأنا لانه بيان لعدد من توضأ وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الاناء ونصبه على الحالية عن احد الضمائر (وفى حديث عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذى رواه البيهقى والبزار وابن خزيمة فى مسنده بسند صحيح (فى جيش العسرة) بضم العين فسكون

السين المهملتين وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك لانهـا اتفقت في زمان كانت النفقة والزاد في غاية القلة عنـدهم ولذا لم يور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كما كانت عادته في اسفاره ولعثمان بن عفان رضي الله تعـالى عنه فيها اليد البيضاء لما جهزهم بماله كما بين في السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق (وذكر) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (مااصابهم) اى جيش العسرة (من العطش) لقلة الماء (حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه) هو مافي كرشه (فيشربه) اى يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم (فرغب ابو بكر) رضي الله تعالى عنه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والرغبة طلب مايحبه ويتعدى للمطلوب بفي فيقال رغب في كذا ولضده بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه اى تضرع وتذلل (في الدعاء) اى في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذي حل منهم (فرفع يديه) نحو السماء التي جعلها الله تعالى قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر اي ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه اي يدعوه ويناشده في سرعة اجابته (فلم يرجعهما) بفتح الياء اى لم يرد يديه من دعائه ويرجع متعد كما في قوله تعالى (فان رجعك الله) ويكون لازما ايضا (حتى قالت السماء) اى غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم قال كذا اذا تهيأله واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت السماء اذا ارعدت وغيمت وفسرها بامطرت لايناسب قوله (فانسكبت) اى انسكب ماؤها فالاسناد مجازي وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

(فملئوا مامعهم من آنية) جمع اناء كاوان وبعضهم ظنه مفردا وهو وهم كما مر والاناء معروف (وما يجاوز العسكر) في يجاوز ضمير مستتر راجع للسماء بمعنى السحاب او المطر المعلوم من السياق وهذه معجزة اخرى (وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروى عن ابيه وغيره واخرج له اربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف (ان اباطالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) اى راكب خلفه وضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير رديفه لابي طالب (بذي المجاز) بفتح الميم والجيم والف ثم زاء معجمة وذي بمعنى صاحب اى محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث

رواه ابن سعد عن اسحق بن الازرق عن عبدالله بن عون عن عمرو (عطشت وليس عندى ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم) عن الدابة التي اردف عليها (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابي طالب (اشرب) قبل هذا كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان اباطالب كافر لايستدل بقوله (والحديث في هذا الباب) اى باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء) اى دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب السقيا وايجاد الماء عند الحاجة له (وماجانسه) اى شابه الاستسقاء من السماء كما ذكرهنا وهو مأخوذ من الجنس وهو معروف

﴿ فصل ﴾ مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توءمان (ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه) النافعين عند الحاجة وبدأه بحديث رواه مسلم في صحيحه بسند صحيح وهو (حدثنا القاضى الشهيد ابوعلى رحمه الله) هو الحافظ بن سكرة وتقدمت ترجمته قال (حدثنا العذرى) قال (حدثنا الرازى) تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال (حدثنا الجلودى) تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال (حدثنا سلمة بن شبيب) ابوعبد الرحمن النيسابورى الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة سبع واربعين ومائتين قال (حدثنا الحسن بن اعين) افعل تفضيل من العين وهو الحسن بن اعين بن محمد الحرانى الثقة قال (حدثنا معقل) بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة (عن ابى زبير) محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة (عن جابر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) اى يطلب منه طعاماله ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا اسمه لانه من اهل البادية والطعام ما يؤكل وبه قوام البدن ويطلق على غيره مجازا (فاطعمه) اى اعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم يكن مأكولا فيقال اطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل اواستعارة (شطر وسق شعير) الشطرهنا بمعنى النصف وهو اصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق بعير اى حمله ثم خص وصار حقيقة عرفية فى ستين صاعا بصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا حجازية واربع مائة وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف فى قدر الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول مائه وستون رطلا وعلى

الثاني مائتان واربعون رطلا والكلام في المقادير الشرعية مفصل في كتب الفروع (فمازال يأكل منه وامرأته) بالرفع معطوف على الضمير المستتر في يأكل من غير فصل مؤكد (كاسكن انت وزوجك الجنة) وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه فصله بقوله منه وهو فصيح ايضا وقد يعطف من غير فاصل اصلا كافي قول على كرم الله وجهه كنت وابو بكر وعمر لكنه قليل (وضيفه) اى من ينزل عليه من غير اهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد يختص بالمفرد فيقال ضيف وضيفان وضيوف اى لم يزالوا يأكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص لانه لايزال يكثر ببركة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفى نسخة وضيف (حتى كاله) غاية لاكله اى استمر اكلهم منه من غير نقص شيء منه الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما يأخذه منه فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه من الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ماورد في الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه) فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد كيلوا ماتخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط ان يبقى الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من اسرار الله تعالى ينبغي كتمه (فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بتكثير ماعطاه له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته (فقال لو لم تكله لاكلتم منه) اى لاستمرا كلكم منه الى غير النهاية (ولقام بكم) اى لكفاكم مدة حيوتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه فانكحه امرأة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيء فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند يهودى في شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه (ومن ذلك) اى تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (حديث ابى طلحة المشهور) في قصته التي رواها الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصارى الصحابي رضى الله تعالى عنه توفى سنة احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته في كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث (واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع عطف على حديث (ثمانين اوسبعين رجلا) وجزم مسلم بالثمانين (من اقراص من شعير) جمع قرص وهو رغيف صغير (اتى بها انس) بن مالك وفي نسخة جاء وهو عم ابى طلحة (تحت يده اى ابطه) بكسر الهمزة والباء وتسكينها والابط ماتحت المنكب وفسره به لان اليد

تشبله وغيره والابط يذكر ويؤنث (فامربها) اى بالاقراص (ففتت) يقال فتته اذا قطعه باصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا (وقال فيها) اى في شانها بان دعا ببركتها وذكر اسماء الله عليها وقيل في بمعنى على كقوله تعالى (لاصلبنكم في جذوع النخل) (ما شاء الله ان يقول) اى ما قدره وعنه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث طويل في الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان ابا طلحة رضى الله تعالى عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك شئ فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلانى وقد علمت ان الحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعد ما اكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا واطعموا جيرانهم (وحديث جابر) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (في اطعامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم الخندق) اى قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كندة بمعنى الحفر (الف رجل) بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحديث مبتدأ خبره مقدر اى من ذلك وقوله (من صاع شعير) بالاضافة وفي نسخة من صاع من شعير وتقدم معنى الصاع (وعناق) بفتح العين وهى الانثى من اولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل هى التى قاربت الحمل ولم تحمل (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) وفي نسخة لقد اكلوا ولما كان هذا امرا غريبا خارقا للعادة اكده بالقسم لانه مظنة الانكار (حتى تركوه وانحرفوا) اى اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة اخرى غير التى كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) اى على طرف غير متمكن (وان برمتنا لتغط) البرمة بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم ميم وهاء القدر مطلقا او من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح اوكسر الغين المعجمة وبعدها طاء مهملة مشددة اى تغلى غليانا شديدا يسمع لها صوت كهدير النائم والمخنوق (كما هى) اى على حالها الاول لم ينقص منها شئ مع كثرة من اكل منها وهذا محل الشاهد (وان عجيننا ليخبز) اى انهم استمروا على خبز العجين وايصاله شيئا فشيئا لمن يأكل منه ولم ينقص ببركة النبى صلى الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك) فيهما ومعنى بارك دعا فيهما بالبركة كما مر اى الزيادة والنمو (رواه) اى روى هذا الحديث (عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون

والمد والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه فعلاء اومفعال وسعيد هذا اخرج له البخارى ومسلم وميناء علم منقول من الميناء وهى مرسى السفن وجوهر الزجاج (وايمن) بزنة افعل من اليمن وهو ايمن الحبشى المكى والد عبد الواحد بن ايمن مولى عمرة المخزومى الثقة وقال ابن حبان انه ايمن بن ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخو اسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن ام ايمن هذا قتل بحنين فقد خلط ترجمته بترجمة وتبعه التلمسانى (وعن ثابت مثله) اى مثل حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما (عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال وجيء بمثل الكف) وفى نسخة بملء الكف (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ماشاء الله) ان يقول (فاكل منه من فى البيت والحجرة والدار وكان ذلك) اى ماذكر من الثلاثة (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك وبقى بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وحديث ابى ايوب) اى ومن ذلك حديث ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه الذى رواه عنه الطبرانى والبيهقى وهو (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر) حين قدما المدينة فى الهجرة (من الطعام زهاء) اى مقدار (مايكفيهما) اى طعاما يكفى رجلين فقط وهو بيان اقاته (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم) لما اخبره بذلك ودعاه (ادع ثلاثين من اشراف الانصار) انما خصهم قيل ليتألفهم كى يسلموا فان ذلك كان فى اول الهجرة وسماهم انصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك (فدعاهم فاكلوا حتى تركوه) اى شبعوا وتركوا الطعام اوالاكل منه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ادع ستين) اى من اشراف الانصار (فكان مثل ذلك) اى اكلوا حتى تركوه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم له (ادع سبعين) فدعاهم (فاكلوا حتى تركوا) الطعام والاكل كاسا (وماخرج احد منهم) اى ممن دعاه واكل حتى شبع و(حتى اسلم وبايع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة والقه بهم وفى نسخة الاحتى اسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له (قال ابو ايوب) رضى الله تعالى عنه (فاكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) ذكر بعضا منهم وترك الباقى كأنه لكونهم لم يعلم امرهم والمذكور مائة وستون غير ابى بكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن سمرة بن جندب) تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اذ لا يتعلق غرض ببيان الآتى هنا (بقصعة) بفتح القاف وكسر القصعة (فيها لحم) مطبوخ (فتعاقبوها) اى دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة لان كلا منهم اتى على عقب بعض اى من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز (من غدوة حتى الليل) بالجر ويجوز رفعه

ونصبه (يقوم قوم ويقعد آخرون) تفسير لماقبله من تعاقب القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر فيقوم قوم ويقعدقوم آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اىّ شئ تعجب ماكان الامن هنا واشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبدالرحمن بن ابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنهما اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان فى صحيحيهما (كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبركان (ثلاثين ومائة) ومع النبى حال من اسم كان اوهما خبران اى خبر بعدخبر (وذكر فى الحديث انه عجن صاعا من طعام) روى ببناء عجن للفاعل ونصب صاعا وبنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت فى قوله (وصنعت شاة فشوى) ببناء المفعول (سواد بطنها) المراد به الكبد خاصة اوحشوها مطلقا والاول اظهر (قال) اى عبدالرحمن بن ابى بكر رضى الله تعالى عنهما (وايم الله) قسم كعهدالله وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى فهو مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل وهو اسم وقيل حرف وقيل انه فى الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل فى باب القسم ولايجر بالاضافة بعده الالفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره (مامن الثلاثين ومائة) احد (الاوقدحز له حزة) بفتح الحاء المهملة والزاء المعجمة المشددة والحز هوالقطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم (من سواد بطنها) اى كبدها كامر والحز بعينه بحسب الظاهر وهو انسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبدلهم فى تفريقها عليهم (ثم جعل منها) اى طبخ من الشاة ماجعل ملئ (قصعتين فاكلنا اجمعون) بالرفع تأكيد لاسم كان من غير ان يكون تابعا لكل كقوله لاغوينهم اجمعين (وفضل فى القصعتين) اى فضل من لحمها مقدار فى القصعتين بعد ما اكلوا حتى شبعوا وقدصرح به فى الصحيحين فيل ولوذكره المصنف رحمه الله تعالى كان اولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقى فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم وبالكسر فى الماضى وضم عين المضارع وهى شاذة اومن التداخل قال كان من الفضيلة فبالفتح والضم لاغير (فحملته على البعير) فيه اشارة لكثرة مابقى بعد اكلهم كلهم (ومن ذلك) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم مارواه ابن سعد والبيهقى وصححاه (حديث عبدالرحمن بن ابى عمرة) بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة (الانصارى عن ابيه) ابى عمرة بشير بن عمرو بن محصن الانصارى البخارى الصحابى البدرى قتل مع على كرم الله وجهه بصفين وفى اسم ابى عمرة اختلاف وابنه عبدالرحمن اخرج له اصحاب الكتب الستة الا الدارقطنى فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروى فى بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومثله) اى مثل حديث عبدالرحمن (لسلمة بن الاكوع

وابي هريرة) في مسلم (وعمر بن الخطاب) ورواه ابو يعلى بسند جيد (فذكروا) اي
هؤلاء (مخمصة) بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع
من الخمص وهو خلو البطن من الطعام اي مجاعة (اصابت الناس مع النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو او هو بمعنى الغزو نفسه
واختلف في هذه الغزوة والذي في مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة وفي دلائل النبوة انه في غزوة غطفان وفي غيره عن ابن عباس انه
في مرجعهم من الحديبية كله بعض اصحابه وقالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانحره انا
الحديث فالقصة وقعت مرتين (فدعا ببقية الازواد) اي طلب من كل رجل منهم
ان يأتي بما بقي عنده من زاده (فجاء الرجل بالحثية) بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء
المثلثة والمثناة التحتية ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثي وحثا يحثو وهي
والحفنة بالفاء والنون بمعنى وهو ما يملؤ اليدين معا وقيل بالفاء في اليدين وبالثاني
احدهما وروى بالخبنة بخاء معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة
ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول اشهر واظهر وتعريف الرجل
هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين (من الطعام) اليسير
الذي بقي عنده (وفوق ذلك) اي ازيد منه بيسير (واعلاهم) اي اكثرهم زادا وبقية
(الذي يأتي بالصاع من التمر فجمله ٢) اي وضع ما اجتمع من الازواد (على نطع) (٢) فجمعه نسخه
بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب بساط من ادم وفيه لغات اربع هذه
افصحها وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطاء (قال سلمة
فحزرته) بحاء مهملة وزاء معجمة وراء مهملة اي قدرته بطريق الحدس والتخمين
(كربضة العنز) براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بيان
الهيئة وموحدة وضاد معجمة من الربوض وهو كالجلوس في الانسان والبروك للابل
والجثوم للطير اي مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض او هو تقدير لموضع
من النطع بموضع ربوضها (ثم دعا الناس باوعيتهم) اي طلب مجيئهم ومعهم اوعيتهم
ليأخذوا مما اجتمع عنده وفي الحديث حتى ملؤا ازودتهم قال المصنف في الاكمال
كذا الرواية عن جميع شيوخنا والازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد
ايضا جاؤا باوعيتهم (فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه) مما اجتمع عنده (وبقي منه) اي
فضل منه بقية بعد ما اخذ الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث
لطوله وفيه انهم اكلوا حتى شبعوا ثم حشوا في اوعيتهم وقبله انهم لما اصابهم
الجوع قال له بعضهم لو امرتنا نحرنا نواضحنا اي ابلنا فقال افعلوا فقال عمر
رضي الله تعالى عنه ان فعلوا قل الظهر يعني ما يركب ولكن ادع بفضل ازوادهم
فجعل الرجل يجيء بكف ذرة والآخر بكف تمر والآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع

فدعا بالبركة وقال خذوا فاخذوا كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله الحديث (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه ابن ابى شيبة والطبرانى بسند جيد (امرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة) تقدم ان الصفة محل مرتفع فى الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه وكان فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعون عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من فقراء الصحابة الاغراب وغيرهم كسلمان وابى ذر قال ابو نعيم فى الحلية كانوا نيفا ومائة وفى عوارف المعارف انهم كانوا نحو الاربعمائة ونحوه فى الكشاف ولا ينافيه ما روى انه روى منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلا اردية وهؤلاء هم صفوة خلق الله هنيئا لهم وانا نتوسل الى الله تعالى بهم ان يجعلنا فى بركتهم (فتتبعتهم) اى ذهبت لكل واحد منهم فى مكان كان فيه لانهم فى النهار يتفرقون فى المدينة لان كل احد لا يخلو من حاجة يذهب لها (حتى جمعتهم) عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فوضعت) بالبناء للمجهول (بين ايدينا صحفة) بالرفع نائب الفاعل وهى اناء بين الصغير والكبير يعد للطعام (واكلنا ماشئنا وفرغنا) اى حتى شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل (وهى مثل ما وضعت) جملة حالية اى وهى مملوءة عافيها كما كانت حين وضعت بين ايدينا (الا ان فيها اثر الاصابع) اى اصابع من اكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشئ بنفسه كما لا يخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف الاسلام لان اكثرهم اغراب وقال اكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان اباهريرة منهم (وعن على بن ابى طالب) فى حديث رواه احمد والبيهقى بسند جيد (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين) رجلا وهذا كان بمكة فى ابتداء البعثة (منهم قوم) هو فى الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور (يأكلون الجذعة) بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهى من البقر والغنم ما تم له سنة وقيل انه فى البقر ما دخل فى الثالثة والمراد هنا الاول اى اقل ما يكفيهم كما يقال لمن دونهم اكلة رأس (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة آصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم اى يرويهم مافيه وفى النسخ هنا اختلاف ففى بعضها بنى عبد المطلب منهم من يأكل جذعة بنى عبد المطلب منهم قوم يأكل الجذعة وفى بعضها منهم قوم يأكل وفى بعضها منهم قوم يأكلون وهذه اقرب وفى التى قبلها قلق تما وقال التلمسانى المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا فى بعض الروايات وهى التى تدخل فى الخامسة (فصنع لهم مدا من طعام) اى طبخه وسواه (فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو) ما موصولة وهو مبتدأ خبره محذوف اى قبل الاكل والجملة صلة والمراد

انه لم ينقص كأنه ما اكل منه شيء (ثم دعا بعس) بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروى الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من اهله لهم (فشربوا) من العس (حتى رووا) اى ثم شربهم منه (وبقى كأنه لم يشرب) منه شيء وتفصيله كما فى الدلائل للبيهقى وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ الآية قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان بدأت قومى بها رأيت منهم ما اكره فصمت فجاءه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما امرك به ربك عذبك فدعا عليا رضى الله تعالى عنه واخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعدلنا عس لبن ثم اجمع بنى المطلب وهم نحو اربعين من اعمامه فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فاكلوا ثم شربوا فلما اراد ان يكلمهم قال ابولهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان فى الغد فعل مثل ذلك فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا وفى الثالثة قال لهم يابنى عبد المطلب انه لم يجئكم احد بافضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة الى آخر الحديث والذى فى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفاء ونادى يا بنى فهر يا بنى عدى ويابطون قريش حتى اجتمعوا الى آخره ولعل ذلك تكرر فخصص اولا ثم عمم (وقال انس) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما) وفى نسخة حين (ابتنى بزينب) بنت جحش ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهو افتعال من البناء وهو التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها (امره) اى امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انسا (ان يدعوله قوما سماهم) اى عينهم باسمائهم (وكل من لقيت) بتاء الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر اى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم اوفقال فدعوتهم (حتى امتلأ البيت) بالناس المراد به المنزل كله وقيل انه اراد به الصفة التى فيه كما ورد مصرحا به (والحجرة) هى بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة تخصها واصل معنى الحجرة بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عمم (وقدم اليهم تورا) بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة كالاجانة او كالقدح الذى يشرب فيه (فيه قدر مد من تمر) بيان للمد وقد تقدم تفسيره (جعل) بالبناء للمفعول (حيسا) مفعوله الثانى وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة وهو تمر خلط بسمن واقط او دقيق قال * التمر والسمن جميعا والاقط * او الدقيق الحيس لما يختلط وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف واصل معنى الحيس الخلط (فوضعه) صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للتور (قدامه)

بين يديه (وغمس ثلاث اصابعه) اى ادخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم باكله معهم والسنة ان يأكل بثلاث اصابع ففيه تعليم لهم (وجعل القوم يتغذون) بذال معجمة من الغذاء بمعجمتين وهو اعم من الغداء بالدال المهملة وفى مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما فى المقتنى (ويخرجون) من الحجرة (وبقى التور نحوا) تمييز اوحال (مما كان) قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا (وكان القوم احدا او اثنين وسبعين) رجلا وهو شك من الراوى وقيل ان هذه القصة فى بنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفية والراوى ادخل قصة فى قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشيئان من الشاة والحيس الذى لام سليم وفى قوله بقى التور تجوز اى بقى ما فيه (وفى رواية اخرى فى هذه القصة) اى قصة وليمة زينب رضى الله تعالى عنها (اومثلها) فيما ذكر من الطعام (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) اى مقدارهم (وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال) لى بعدما شبعوا (ارفع) التور من مكانه (فما ادرى حين وضعت) بضم التاء للمتكلم اى حين وضعته او بتاء التأنيث الساكنة كالتى فى قوله (كانت) بالتأنيث باعتبار انها آنية (اكثرام حين رفعت) بالوجهين وروى لترفع بدل ارفع بلام الامر والخطاب والاول اولى وافصح وهذا حديث طويل فى مسلم اختصره المصنف رحمه الله تعالى اقتصارا على محل الشاهد منه (وفى حديث جعفر) الصادق (عن ابيه محمد) الباقر (عن على) بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه جد والد محمد اعنى زين العابدين بن على بن الحسين بن على فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد رضى الله تعالى عنه قال كان عليا المذكور على الاصغر فالحديث مرسل اومعضل فهو ضعيف (ان فاطمة) الزهراء (طبخت قدرا) اى طعاما فى قدر ففيه تجوز اوهو بتقدير مضاف اى طعام قدر (لغذاء) بالمعجمة وهو كل مايؤكل فى اى وقت او بمهملة وهو مايؤكل اول النهار اى لاجل غدائهما وفى نسخة تتغذى به وفى نسخة لغدائهما (ووجهت عليا) اى ارسلته (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لجهته والمراد بيته (ليتغدى معهما) وفى نسخة معهما (فامرها) اى قال لها اغرفى من القدر (فغرفت) بالغين المعجمة (لجميع نسائه) التسع المعروفة (صحفة صحفة) منصوب كعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير معروف (ثم له ولعلى) اى ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلى (ثم لها) اى ثم غرفت لنفسها ماتتغذى به رضى الله عنها (ثم رفعت القدر) بعد ماغرفت لجميع من ذكر (وانها لتفيض) جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعد ما غرف منه بقى ممتلئا بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم وكأنها بعثت له صلى الله تعالى عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده فلم يأت وامرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار (قالت) فاطمة رضى الله تعالى عنها

(فاكانا منها) اى اكلنا كانا من طعامها والضمير للقدر لانها مؤنثة وقيل يجوز تذكيرها وتأنيثها فالمراد ان اهل فاطمة رضى الله تعالى عنها واهل بيتها اكلوا مما بقى فى القدر بعد ما فرقته (ماشاء الله) اى الذى اراده الله لنا اومدة ارادة الله تعالى ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك (وامر) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر (عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يزود اربع مائة راكب) اى يعطيهم مايكفيهم من الزاد (من احمس) بزنة احمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس وهو من الحماسة وهى الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم فى دينهم فى الجاهلية (فقال) عمر رضى الله تعالى عنه (يارسول الله ماهى الااصوع) بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز ان تبدل همزة كما فى الصحاح وهواناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه لغات صاع وسوع وصواع ويجمع على اسوع وصيعان وفى كثير من الروايات اى فى الحديث آصع بالمد والصواب اصوع انتهى وقوله والصواب اصوع غير مسلم واداجاءنهر الله بطل نهر معقل وهو مبنى على عدم صحة الاستدلال بالحديث فى العربية وهو على الاطلاق فاسد اى قال عمر رضى الله تعالى عنه ليس التمر الذى عندى يكفى فانه اصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع اربعة امداد والمد رطل وثلث اورطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم والضمير اعنى هى راجع للاصوع وان تأخر لاالو ديعة كما فى قوله تعالى ﴿ان هى الاحيوتنا الدنيا﴾ قال الزمخشرى هذا ضمير لايعلم مايعنى به الاعمابتلوه واصله ان الحيوة الاحيوتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحيوه لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله * هى النفس ماحملتها تتحمل * وهى العرب تقول ماشاءت * انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام فى شرح التسهيل لايسعه المقام (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه (اذهب) وافعل ماامرتك به ولاتبال بقلة ماعندك (فذهب) عمر (فزودهم منه) اى اعطاهم مايكفى لهم من التمر الذى عنده (وكان) اى التمر (قدر الفصيل) هو ولد الناقة الصغير (الرابض) اى البارك على الارض وهو بيان لمداره تخمينا (من التمر) بيان لمدر (وبقى بحاله) اى لم ينقص شيئا مع اعطائهم منه وهو من المعجزات (من رواية دكين) خبر مبتدأ مقدر اى وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون ورواه العزفى بالراء بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد وقيل مسعد المزنى وقيل الخثعمى وله صحبة وهذا الحديث رواه ابوداود فى الادب قال اتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام فقال ياعمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح وليس له غير هذا الحديث ولم يروه غير ابى داود

(الاحمسى) نسبة لبنى احمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين (ومن رواية جرير)
اى مثل رواية دكين ولم يخرجه (ومثله) اى مثل المروى المذكور مااخرجه
احمد والبيهقى بسند صحيح (من رواية النعمان بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف
وكسر الراء المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والراء مخففة مكسورة وهى احمسى
ايضا واحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل اد بن طابخة والنعمان
سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن
ولم يسم السابع قال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم * ولا على الذين
اذاما اتوك لتحملهم الآية (الخبر بعينه) بالرفع والنصب والباء مزيدة فى التأكيد يقال
هذا عينه وبعينه كما ذكره وتلطف القبائل متنزلا * فقلت فهذا قاتلى * بعينه
وحاجبه * وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم اولايهامهم انها الباصرة
(الا انه قال) فى هذه الرواية (اربعمائة راكب من مزينة) فزاد قوله من مزينة
وكذا رواه ابوداود فى سننه قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شئ (ومن
ذلك) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جعل القليل كثيرا (حديث جابر)
بن عبدالله الانصارى رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه البخارى (فى دين ابيه
بعد موته) اى فى قصته لمامات ابوه وعليه دين اراد اداءه لغرمائه (وكان قد بذل)
بموحدة وذال معجمة اى اعطى وهو مجاز بمعنى اراد بذله (لغرماء ابيه) جمع غريم
وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال تعالى ﴿ ان عذابها كان
غراما ﴾ (اصل ماله) اراد باصل ماله بستانا ونخلاله كان يتقوت منه والمال فى لسان
العرب لايختص بالنقود كما فى العرف وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله
(فلم يقبلوه) اما لانه لايفى بدينهم اولعدم احتياجهم اولانه لم يكن مرضيا لهم
(ولم يكن فى ثمرها) انث الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان المراد بها هنا النخيل
جمع نخل وهى تؤنث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولاحاجة لجعله راجعا لامواله المعلومة
من قوله مال ولاالى تفسيره بالفوائد مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولاوجه له
لما سمعه فى الحديث وقوله (سنتين) مثنى سنة وفى نسخة سنين بصيغة الجمع
والاول هو الصحيح (كفاف دينهم) بفتح الكاف بمعنى مايفى به ويكفيه ومنه اللهم
اجعل رزقى كفافا اى مقدار الكفاية وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة
تمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين ظرف مستقر لانه متعلق بثمر بالمعنى المصدرى
حال من ثمر (فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان امره بجذها) بفتح جيمه
وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها (وجعلها) بصيغة المصدر
(بيادر) بمثناة تحتية ودال وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذى
يوضع فيه التمر لينشف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة

ويصح ارادة كل منهما هنا والناظر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن واهل العراق يسمونه الاندر وجمعه انادر وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر (في اصولها) اي جعلها كوما كوما في اصول الثمار وهي النخل والمراد انه كومه في حديقة نخله حتى يعلم مقدارها (فمشى فيها) النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر اي في ارضها او المراد ما بها وفعل ذلك لتحصل البركة ويمحو ماديا (ودعا) الله تبارك وتعالى ان يبارك فيهما فنمت وزادت (فاوفى منه جابر غرماءه) اي اعطاهم مما في البيدر مقدار حقهم تماما من قولهم اوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه اخذه تماما وضمير غرماءه لابيه لعلمه مما تقدم او له لقيامه مقامه في اداء دينه وفي نسخة غرماء ابيه وهي ظاهرة (وفضل) اي بقي منه بعد ما ادى كل ذي حق حقه وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح افصح (مثل ما كانوا يجدون) بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الدال معجمة او مهملة اي ما كانوا يقطعونه من ثمارها (كل سنة) اي فيها (وفي رواية مثل ما اعطاهم) اي بقي مثل ما اعطى غرماء ابيه وفيه زيادة كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفي بدينهم في سنتين او سنتين (قال) اي جابر رضي الله تعالى عنه (وكان الغرماء يهود) بالصرف حيث كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة وقد ينكر وينون (فعجبوا من ذلك) اي مما رأوه من كفاية ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا الحديث قد علمت انه في البخاري وكذا في سيره واقتصر المصنف رحمه الله على محل الشاهد منه وكان ابو جابر عبد الله [illegible] استشهد [illegible] وترك عليه دينا [illegible] وله تسع بنات وكان الدين لرجل من اليهود [illegible] فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] فكال لهم [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه [illegible] هذا ما وعدناك به فلا تكن من الغافلين (وقال [illegible] رواه البيهقي مسندا (اصاب الناس مخمصة) اي [illegible] (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل) عندك (من شيء) من جنس [illegible] وشيء مبتدأ خبره مقدر كما ذكرنا ([illegible] من التمر) قليل (في المزود) بكسر الميم وهو وعاء الزاد (قال [illegible]) اي المزود او التمر (فادخل يده) الشريفة في المزود (فاخرج) منه [illegible] من القبض وهو [illegible] (فبسطها) اي [illegible] مفرقة ليعلم [illegible] (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم

بعدما دعا (ادع عشرة) من الناس فدعاهم (فاكلوا حتى شبعوا) من ذلك التمر (ثم) قال ادع (عشرة كذلك) اى فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا (حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا) وهذا يقتضى انه كان فى بعض غزواته وقد صرح به فى بعض الروايات وسيأتى (وقال) لى (خذ ماجئت به) لانه اطعمهم كلهم وبقى ماجاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه امره برفعه وان يأخذ كل ما اراد وقال له ولا تكبه ليبارك فيه كامر (وادخل يدك واقبض منه ولاتكبه فقبضت على اكثر مما جئت به) قال (فاكلت منه واطعمت) اهلى ومن اردت اطعامه (حيوة رسول الله) اى مدة حيوته (صلى الله تعالى عليه وسلم و) فى مدة حيوة (ابى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) بن عفان رضى الله تعالى عنهم (فانتهب منى) بالبناء للمجهول اى نهبه الناس واغاروا عليه فاخذوه فى زمن الفتنة (فذهب) اى عدم ولم يبق منه شئ ولولا ذلك لكفاه مدة حيوته لما فيه من البركة (وفى رواية) رواها الترمذى فى سننه وحسنها عن ابى هريرة رضى الله عنه (فقد حملت من ذلك التمر) الذى اعطانيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى جعلته محمولا معى فى اسفارى (كذا وكذا) كناية عن مقدار ماحمله (من وسق) بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كامر (فى سبيل الله) اى من اسفارى غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا اطلق فالمراد به ماذكر وفى رواية فاقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول اصبت بثلاث مصائب لم اصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودى وروى هذا الحديث بطريق آخر قريبة مما هنا (وذكرت مثل هذه الحكاية) بالبناء للمجهول وانث لانه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وفى نسخة وذكر (فى غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة) ذكره لانه ابلغ فى المعجزة لغاية قلته (ومنه) اى من تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ايضا حديث ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (حين اصابه الجوع) وعلمه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم) اى طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعنى وكن ماشيا معى فتبعه (فوجدنا لبنا فى قدح) فى بيته (قداهدى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وامره ان يدعو اهل الصفة) ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم (قال فقلت ما) موقع (هذا اللبن فيهم) ومامقداره القليل كاف لهم (كنت احق) منهم لشدة جوعى وماعلمه الرسول من حالى (ان اصيب منه شربة) اى من ذلك اللبن (اتقوى بها) اى يكون فيها تقوية لضعفى بجوعى وليس هذا انكارا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لايليق بمثله فهو اما تعجب منه لما استغربه قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لايؤاخذ بها وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولاحاجة لمثله (فدعوتهم) الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (و) بعد حضورهم (امرنى ان اسقيهم) وفى

نسخة وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم (فجعلت) اى شرعت (اعطى الرجل) منهم (فيشرب) بالنصب (حتى يروى) بفتح المثناة اى يروى عطشه (ثم يأخذه الآخر) اى فيشرب حتى يروى وهكذا (حتى روى جميعهم) اى جميع اهل الصفة (قال) ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) الذى فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذى اهداه له او هو من اقداحه صلى الله تعالى عليه وسلم صب فيه اللبن الذى جاءه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة رضى الله تعالى عنه (بقيت انا) تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله (وانت اقعد فاشرب) امره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه (فشربت ثم قال اشرب) مرة اخرى (ومازال يقولها) اى كلمة اشرب (واشرب) بالرفع اى وانا اشرب والجملة حالية (حتى قلت لا) اشرب بعد هذا نفى للشرب المأمور به واعتذر عن رده بقوله (والذى بعثك بالحق لا اجدله) اى اللبن (مسلكا) اى لم يبق فى جوفى محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تأكيدا لا فى قوله ومابعده استيناف او تعليل له (فاخذ) صلى الله عليه وسلم اى تناول من يد ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (القدح فحمد الله تعالى) على ما انعم به من الزيادة (وسمى) فقال بسم الله (وشرب الفضلة) اى ما بقى منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه فى صحيح البخارى اقتصر المصنف رحمه الله تعالى منه على محل الشاهد منه كما هو دأبه (وفى حديث خالد بن عبد العزى) الذى رواه البيهقى مسندا عنه ولم يذكره اصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة ابو خناس بخاء معجمة مضمومة ونون وآخره شين معجمة ونونه مخففة وهو خزاعى وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال الالمسانى انه خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى هاجر الى الحبشة فى المرة الثانية فمات فى الطريق وهو ابن اخى خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها (انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاه) بالنصب مفعول اجزر بمعنى اعطى والنبى بالنصب ايضا مفعول اول واجزره اعطاه جزره وهى شاه او نعجة او كبش او عنز يعطى لتجزر اى تذبح ولا تكون فى الناقة فانه يقال اجزره اوجزره اذا اعطاه جزورا لغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهرى يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها او كبشا او عنزا ولا تكون الجزرة الامن الغنم ولا يقال اجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفى القاموس هنا كلام غير مهذب وقصه خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما فى بعض الشروح هنا (وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة) لاجلهم

واطعامهم (فلا تبد عياله) بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا فرقه وقال ابن القطاع بددت الشيء فرقته وابددتهم العطاء فرقته فيهم وفي المحكم ابد الطعام بينهم اذا اعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان لكثرتهم يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم لاتكفيهم وقوله (عظما عظما) اي اذا فرقته عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لاتكفيهم لكثرتهم (وان النبي صلى الله عليه وسلم) بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه احرز الى آخره الذي هو مبتدأ مقدم خبره وهو قوله في حديث خالد (اكل من هذه الشاة) التي احرزها له خالد (وحمل فضلتها) اي ما بقي منها بعد اكلهم (في دلو خالد) هو وعاء من ادم وجلد يستقى به الماء فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره (ودعا له) اي لخالد ويجوز ان يعود للدلو (بالبركة) اي بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابي خناس (فنثر ذلك) الطعام الذي في الدلو اي رماه (لعياله) بكسر العين قال الصاغاني في التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته وذكره المطرزي في شرحه (فاكلوا وافضلوا) اي ابقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وبركة دعائه (ذكر خبره) اي خبر خالد او خبر ما ذكر من الاكل والزيادة (الدولابي) فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف وباء موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولب وهو الحافظ ابو بشر محمد بن احمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاثمائة ومولده سنة اربع وعشرين ومائتين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة وقولهم دولابي آخر وهو ابو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره (وفي حديث الآجري) بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للآجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو ابو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته (في انكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة لعلي رضي الله تعالى عنهما) اي عقده نكاحها واللام مزيدة للتقوية (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا) ان يأتي (بقصعة) مملوءة (من اربعة امداد او خمسة) من حنطة او غيرها (ويذبح جزورا) بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله اي ان يذبح او معطوف على مقدر كما اشرنا اليه او على امر بتقدير وامره ان يذبح والجزور بوزن الشكور رأس من الابل ناقة او جملا سميت بها لانها تجزر اي وهي مؤنثة سماعية وان عمت ففيها شبه تغليب فافهم (ولدعا لها) الراء الى الدعوة

لطعام

لطعام يصنع في النكاح خاصة ويجمع على ولائم وهو مستحب (قال) بلال رضي الله تعالى عنه (فاتيته بذلك) الذي امرني به من القصعة والجزور (فطعن في رأسها) ان كان الضمير للقصعة فرأسها بمعنى اعلاها وان كان للجزور فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها او مسها لتحصيل البركة فيها (ثم ادخل الناس) اي امر صلى الله تعالى عليه وسلم بدخولهم ليأكلوا (رفقة رفقة) بالنصب اي حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين (يأكلون منها) جملة مستأنفة او حال مقدرة (حتى فرغوا) اي اكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من اكلهم (وبقيت منها فضلة) اي فضل منها مازاد على اكلهم (فبرك فيها) وفي نسخة بها وبرك بتشديد الراء المهملة اي دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهو الزيادة والنمو كما مر (وامر بحملها) اي بحمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة (الى ازواجه) اي الى بيوتهن (وقال) لازواجه (كلن واطعمن من غشيكن) بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين اي كل من يأتي اليكن من غير اهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا اتاه اتيان ما قد غشيه اي ستره (وفي حديث انس) الذي رواه الشيخان مسندا (تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعض ازواجه وهي صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهباء قال انس رضي الله تعالى عنه (فصنعت امي) وكنية والدة انس (ام سليم) بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة ابي طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حيسا) وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن واقط وتمر وسمن يخلط بعضه ببعض (فجعلته) اي وضعته (في تور) بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة واسع رحراح كالصحفة القريبة القعر (فذهبت) بضم التاء وهو ضمير انس المتكلم (به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه) على الارض (وادع لي فلانا وفلانا) ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا لهما ثم عمم فقال (ومن لقيت) اي وادع كل من صادفته (فدعوتهم) اي دعوت من عينه اولا ولم يقل دعوتهما اما لان قوله فلانا فلانا ضمير كناية عمن عينه من القوم او لان الاثنين جمع على قول (ولم ادع) اي لم اترك (احدا) اي دعوته (لقيته الا دعوته) كما امرني به (وذكر) انس (انهم) اي من دعاهم (كانوا زهاء) اي مقدار (ثلاثمائة) رجل فاجتمعوا ثمة (حتى ملؤا الصفة) وهي موضع مظلل قدام البيت او دكة عالية فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة (والحجرة) وهي البيت الصغير المفرز من الدار (فقال لهم صلى الله تعالى

عليه وسلم) بعد اجتماعهم (تحلقوا) تفعل اى استديروا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام (عشرة عشرة) يسعهم مكان الطعام (ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) الموضوع وهو الطعام الذى جاءه (فدعا فيه) بالبركة (وقال ماشاء الله ان يقول) اى ماأراد الله من دعائه الذى علمه وابهمه لانه اسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التى خصه الله تعالى بها (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لى) اى لانس (ارفع) التور بما فيه (فما ادرى حين وضع) عنده قبل الاكل منه (كان) الطعام (اكثر ام حين رفع) بالبناء للمجهول وفى بعض النسخ وضعت ورفعت * واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن انس قبل هذا فاعادته هنا تقتضى ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة فى تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب بنت جحش واخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم فقال ماوقع فى الحديث من ان تكثير الطعام كان فى وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام وانما فيه انهم شبعوا من الخبز واللحم ففيه وهم من الراوى ادخل فيه قصة فى قصة فان التكثير فى قصة صفية لا فى وليمة زينب التى نزلت فيها آية الحجاب وتعقبه القرطبى بانه لاوهم فيه وانه لامانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم اكلوا وذهب منهم جمع وبقى آخرون يتحدثون فجاء انس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصنف رحمه الله هنا وقال ابن حجر ايضا لاوجه لانكاره تكثير الطعام فى حديث الخبز واللحم فان انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وماقدرها حتى تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان المصنف رحمه الله تعالى رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها اشارة الى انها صفية الا ان فيه توقفا عندى من جهة اخرى فان وليمة صفية كانت فى السفر وذكر الصفة والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لام سليم وماقيل من ان ام سليم اهدته له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لايخفى مافيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف رحمه الله تعالى فيه اضطراب يحتاج للتحرير (واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة) اى نبع الماء من بين اصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته (فى الصحيح) من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله اكثر اشارة لضعف بعضها (وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة) يعنى توافقوا على مايفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحده على حدة وتقدم ان البضع بكسر الباء من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف فى استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده فى الحديث وقوله ببضع وعشرين درجة فى فضل الصلوة وتفصيله مشهور (رواه عنه اضعافهم من التابعين ثم)

رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين (من لا يعد بعدهم) بصيغة المجهول وفى بعض النسخ من لا نعد بالنون (واكثرها) اى اكثر احاديث الفصول الثلاثة (فى قصص مشهورة) بحسب الرواية (ومجامع مشهودة) جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق * اذا جمعتنا يا جرير المحافل(٢) * والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتورية بديعية ومايقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع اومنتقل (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) اى لا ينتقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة (ولا) يمكن ان (يسكت الحاضر) فى مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام فى قوله (لها على ما انكره) منها مما خالف الواقع

﴿ فصل فى كلام الشجر ﴾ الآتى بيانه والشجر ماقام على ساق واحده شجرة وماعداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة والكلام مايتلفظ به اسم ويجيء بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يخلق الله تعالى فيه نطقا ولما كان هذا امرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل (وشهادتها له بالنبوة) من عطف الخاص على العام (واجابتها دعوته) اى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم منها ان تجيء نحوه كما سيأتى وله منها حديث رواه البيهقى والبزار والدارمى مسندا عن ابن عمر وهو ماذكره بقوله (حدثنا احمد بن محمد بن غلبون) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير فى لسان اهل المغرب (الشيخ الصالح فيما اجازنيه) عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس فى المجمل ويتعدى باللام والباء والاجازة الاذن فى الرواية عنه والكلام على انواعها ولفتها مفصل فى ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا (عن ابى عمرو الطلمنكى) بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (عن ابى بكر بن المهندس) المعروف بابن ابى طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاء وهو معرب وليس فى لغة العرب دال بعدها زاء والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفى العرف العارف باحوال البناء (عن ابى القاسم البغوى) نسبة الى بغ ويقال بغا وهى قرية بين مرو وهراة واصلها بغشور فخفف وهذا هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادى ابن بنت احمد بن منيع وليس هو البغوى المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيى السنة ومولد هذا فى رمضان سنة اربع عشر ومائتين وتوفى ليلة عيدالفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا احمد بن عمران الاخنسى) بياء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك فى بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفى فى حدود الثلاثين ومائتين وكان ببغداد وفيه كلام قال (حدثنا ابو حيان التيمى) بحاء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب

(٢) المجامع نسخه

لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وابى حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سيأتى فى كلام المصنف فى بعض النسخ وتردد فى تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب (وكان صدوقا) وثقة ردا على بعض من طعن فيه (عن مجاهد) تقدمت ترجمته (عن ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا منه) اى قرب منه من الدنو (اعرابى) نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفى النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور (فقال) له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يا اعرابى اين تريد) اى تقصد بمسيرك وسفرك هذا (قال الى اهلى) اى اريد مكانا فيه اهلى ولم يعبر به لاستلزامه زيادة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قصد بسؤاله تأنيسه وازالة لما فى نفسه من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن رآه وتوطئة لقوله (قال هل لك الى خير) اى هل تنقاد وتدعى الخير لما ... (قال وما هو) اى الخير الذى دعوتنى اليه (قال تشهدان) مخففة من الثقيلة (لا اله الا الله وحده) حال لازمة اى متوحدا منزها عما يشاركه فى ذاته وصفاته ... معبودا بحق وقوله (لا شريك له) تأكيد لوحدانيته بعد تأكيد (وان محمدا عبده ورسوله) قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء فى مدحه (قال) الاعرابى (من يشهد لك على ما تقول) من دعوى الرسالة (قال هذه السمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهى شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح واشار اليها امر بها منه وفى نسخة بعد ما تقدم فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها (وهى) اى السمرة (بشاطئ الوادى) بشين معجمة والف وطاء مهملة وهمزة ... جانب وطرف والوادى الارض الواسعة المستوية من ودى بمعنى سال لانه يسيل ... (فاقبلت) الفاء فصيحة اى فدعاها لتشهد له فاقبلت (تخد الارض) بتاء ... وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة اى تشقها ... الاخدود ... تسعى بعروقها التى فى جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك (حتى ...) صلى الله تعالى عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه (...) ... ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ... وجعل تخد الارض حالية او مستأنفة وانما كرر استشهادها ... فى قلب الاعرابى (فشهدت[٢]) له بانه رسول الله ... ولم يبين ما شهدت به لانه معلوم من السياق (ثم رجعت ...) وفى هذه القصة معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم ... ونطقا وحركة ارادية يجيء بها ويذهب وتقدم ...

(٢) انه كما قال نسخه

منطبق على كل واحدة منهما (و) فى حديث رواه البزار مسندا (عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصدر البردة المعروفة وهو ابو عبدالله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابى اسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو خراسان غازيا فى ايام معاوية او يزيد سنة اثنين او ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) اى علامة ومعجزة تدل على انه رسول الله حتى يؤمن به (فقال له قل لتلك الشجرة) مشيرا لسمرة كانت ثمة وهى تلك السمرة المذكورة فى الحديث الذى قبله او غيرها (رسول الله يدعوك) بكسر الكاف اى يطلب منك المجئ اليه والحركة نحوه (قال) اى بريدة فدعاها (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) اى مالت ميلا شديدا وتحركت فى جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله تعالى عليه وسلم (فتقطعت عروقها) المتمكنة فى مغرسها وهو اما على ظاهره او المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله (ثم جاءت تخد الارض) وتشقها (تجر عروقها) من خلفها وهذا يدل على انها لم تقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة اخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التى هى سبب حيوتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها (مغبرة) اى مسرعة فى مشيها قال الله تعالى (فالمغيرات صبحا) ومنه المغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا ومغيرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغبار وهو حال من الفاعل المستتر او من العروق ولكل منهما ذهب بعض (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قريبا منه مواجهة له (فقالت السلام عليك يارسول الله) وفيه شهادة برسالته وتوقيره ولم يذكر انه ردعليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد فى حق البشر لانه امان وليست من اهله فاقيل من انه صلى الله عليه وسلم ردعليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذليست مكلفة امر يحتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعاء بالسلامة وقيل انه هنا اسم الله اى الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله (قال الاعرابى مرها) بضم الميم امر اصله أومرها فخفف (فلترجع الى منبتها) تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فامرها (فرجعت) لمحلها (فدلت عروقها) اى ادخلتها فى الارض اصلها (فاستوت) اى انتصبت قائمة من غير ميل بها (فقال الاعرابى) لما رأى هذه المعجزة وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (ائذن لى) امر من الاذن بكسر الهمزة

الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء (اسجدلك) مجزوم فى جواب الامر او جواب شرط مقدر اى ان تأذن لى فى السجود اسجدلك فابى صلى الله عليه وسلم ذلك و (قال) له (لو امرت احدا ان يسجد لاحد) اى لو جازلى امر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) لوجوب طاعته عليها ولماله عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لايجوز لغير الله تعالى فى ملتنا وقد قيل انه كان جائزا فى الشرائع التى قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال الله تعالى ﴿ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا﴾ اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلوة والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة لآدم عليه الصلوة والسلام ثم نسخ هذا فى شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابى الاذن فى تعظيمه عليه الصلوة والسلام بذلك فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهيناعنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة (قال) الاعرابى لما نهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن السجود (فاذن لى اقبل) مجزوم فى جواب الامر (يديك ورجليك) تعظيمالك (فاذن له) فى تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه او علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر دينى كما قاله النووى فى الاذكار فان كان لامر دنيوى فهو مكروه وقد ورد فى احاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا رد على المتولى من ائمة الشافعية حيث اطلق القول بعدم جوازه (وفى الصحيح) اى الحديث الصحيح او المراد به صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث مسندا فيه (فى حديث جابر بن عبدالله الطويل) بالجر صفة الحديث وصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الى الصحراء (يقضى حاجته) لانه لم يكن فى بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط اى ذهب لاجل ذلك (فلم ير شيئا يستتر به) اى حائلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها (فاذا بشجرتين) اذا فجائية والباء زائدة اى فاجأه بغتة من غير ترقب منه اى فاذاهو فالمبتدأ مقدر هنا (فى شاطئ الوادى) بالهمزة اى طرفه وجانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما) اى توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها (فاخذ بغصن من اغصانها) اى امسك صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (فقال) للشجرة (انقادى على) اى طاوعينى وميلى على لتكون ساترة له عن الاعين (باذن الله) اى بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبى واذن الله يجوز به تجوزا مشهورا (فانقادت معه) اى طاوعته ومالت حتى سترته كما اراد وانما امسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما فى الحديث الذى قبله لان ذلك مستكان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابى وهنا لم يقصد ذلك (كالبعير المخشوش) اى

كما ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخاء وشينين معجمتين وهو الذي يوضع في انفه خشاش بكسر الخاء والبعير الذي يعسر قوده يخرق انفه ويوضع فيه شيء يذلل به فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهوخزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابي وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع في كلامهم كعكسه في قوله في الابل

لمن شجر قد اثقلتها ثمارها ٭ سفائن بر والسراب بحارها

والخشاش مأخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف وقوله (الذي يصانع قائده) صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب (وذكر) اي جابر رضي الله تعالى عنه في حديثه هذا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) اي بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي (مثل ذلك) اي مثل ما فعل بالاولى بان امسك غصنا منها حين انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة (حتى اذا كان) صلى الله تعالى عليه وسلم اي حل ووجد (بالمنصف) بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة اي حل في وسط المكان (بينهما) اي بين الشجرتين وهذا استرله (قال التئما) بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة اي انضما واجتمعا (على باذن الله فالتأمتا) بتيسيره وارادته والالتيام الاجتماع ومنه التيام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عنده من لا يغض بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لا ينافي كون هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم فان اللازم التستر باي وجه كان (وفي رواية اخرى) لحديث جابر رضي الله تعالى عنه من غير طريق مسلم (فقال) صلى الله عليه وسلم (يا جابر قل لهذه الشجرة) التي بشاطئ الوادي (يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحقي بصاحبتك) اي تحركي واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما في واد واحد او باعتبار مايئول بعد اللحوق والانضمام (حتى اجلس) لقضاء الحاجة مستترا (خلفكما فزحفت٢) بزاء معجمة وحاء مهملة وفاء وفي نسخة فرجعت براء وعين مهملتين بينهما جيم (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) اي بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضي الله تعالى عنه (فخرجت احضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة اي اسرع في العد ومن الحضر بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العد وقال احضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع

(٢) وقع في بعض النسخ فقطعت بدل فزحفت قاله ط

المزيد للمتكلم كاكرم يكرم (وجلست احدث نفسي) حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والنقبة الشريفة التي شاهدها رضي الله تعالى عنه من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما اسرع وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة في التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تأدب ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله تعالى عليه وسلم منتظرا لبعده عنه (فالتفت) اي حولت وجهي وانا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبل) اذا فجائية اي فاجأني بغتة بعد التفاتي فابصرته ومقبلا اسم فاعل من الاقبال مرفوع خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر اي جاء مقبلا والجملة خبر المبتدأ والحال مؤكدة كولى مدبرا (والشجرتان قد افترقتا) وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهي جملة اسمية حال من الضمير المستتر في قوله مقبل (فقامت كل واحدة منهما على ساق) منتصبة في منبتها مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت واذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلأ كما فصله اهل اللغة (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) يسيرة ينتظر لما اكرمه الله تعالى به من مشي الشجر لاجله (فقال برأسه) اي حركه (هكذا) وفسره بقوله (يمينا وشمالا) منصوبان على الظرفية اي في جانب اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال اي ميل رأسه الشريف في الجهتين قال في القاموس قال ابن الانباري يجيء قال لمعان تقول قال فاكل وقال فضرب وقال تكلم ومال واقبل الى آخر ما فصله وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما في الافهام وقيل انه اذن لهما في الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر (وروى اسامة بن زيد) في حديث اخرجه البيهقي في الدلائل وابو يعلى باسناد حسن عنه (نحوه) اي بمعنى الحديث الذي قبله (قال) اسامة (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى الغزاة او محلها كما مر (هل) استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به او استهجان ذكره او لانه لم يسمعه او لم يفهمه او لم يجده في اصله اي هل ترى مكانا لا تقاطعنا الحاجة واليه اشار بقوله (يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحاجة هنا كناية عن البول والغائط (قلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس) الباء سببية وما نافية اي ما فيه موضع خال بسبب كثرة الناس فيه فهو مملوء بهم (فقال هل ترى من نخل او حجارة) مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل لمن يقضي الحاجة خلفه ويكون فيه سترة ومن زائدة بعد الاستفهام (قلت ارى نخلات) جمع نخلة (متقاربات) اي قرب بعضها من بعض

وهو مناسب للستر بها للجلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهو لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا كثيرا وقرئ في الشواذ لا تكهر في لا تقهر ورأى مصرية وكونها عامية بعيد فهي صفة نخلات منصوبة (قال انطلق وقل لهن) اى للنخلات (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين) اى تجتمعن ويتزايد قربكن ليكون استرله (لمخرج رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لمكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه (وقل للحجارة مثل ذلك) اى مثل قولك للنخلات من امره صلى الله تعالى عليه وسلم لها ان تأتين لمخرجه وفي كلام اسامة لم يأمر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل او لانها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة (فقلت ذلك لهن) الفاء فصيحة اى فذهبت فقلت ما امرنى به لهن (فوالذى بعثه بالحق) قسم اى بالدين الحق (لقد رأيت النخلات يتقاربن) اى يدنو بعضها من بعض (حتى اجتمعن) فى مكان واحد (والحجارة) بالنصب (يتعاقدن) اى ينضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض (حتى صرن ركاما) بضم الراء المهملة اى بعضها فوق بعض (خلفهن) متعلق بركاما والضمير للنخلات يعنى ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفى نسخة خلفهن فالضمير للنخلات والحجارة (فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يفترقن) اى يرجع كل نخلة وحجر الى موضعه الذى كان فيه اولا (فوالذى نفسى بيده) اى الذى لاى روحى فى قبضة تصرفه وارادته ان شاء ابقاها وان شاء اماتها والنفس لها معان والمراد بها هنا الروح ونغاير بين القسمين تفننا مع مناسبة الاولى لما قسم عليه من انه رسول الله حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثانى لحاله من انه من آيات الله وحشيه لا يتكلم الا بالحق لانها فيما ذكر (لرأيتهن والحجارة) بالنصب عطفا على الضمير وهو مفعول معه والضمير للنخلات واللام فى جواب القسم (يفترقن حتى عدن الى مواضعهن) وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم فى سعى النخل والحجارة بامره من بين وخلق الله تعالى فيها قوة تسمع وتأتمر بامره والحديث طويل وفيه معجزات اخر من اتيان امرأة له صلى الله تعالى عليه وسلم بولدها صغير كان يصرع فتفل فى فمه فلم يعد له ذلك وان امه اتت له صلى الله تعالى عليه وسلم بشاة فشواها اسامة له فقال له ناولنى منها ذراعا فناوله ثم قال ذلك فناوله ثم قال فقال اسامة انها غير ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناولنى منها وكان ذلك فى سفره للحج بمحل يقال له الروحاء (وقال يعلى ابن سيابه) فى حديث صحيح رواه احمد والبيهقى والطبرانى ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع وسيابه بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية والف وموحدة يليها هاء اسم امه فيرسم ابن بالالف وابوه مرة بن مرازم وقيل مرة بن وهب الثقفى وقيل انهما اثنان وهو صحابى بصرى او كوفى وترجمته مفصلة فى الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل

الشجرة (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) بفتح الميم مصدر ميمي او اسم زمان او مكان قيل والاول اولى (وذكر نحوا من هذين الحديثين) اللذين قبله في ذهابه لقضاء حاجته وامره للشجرتين غير انه قال (وذكر فامر وديتين) تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل التي تخرج من اصول كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا (فانضمتا) اي انضمت احديهما للاخرى كالذي مر (وفي رواية اشاءتين) بفتح الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطأ وشين معجمة والف ممدودة وهمزة وتاء تأنيث مثنى اشاءة وهي من صغار النخل ايضا لكنها اكبر من الودية وهمزة الثانية منقلبة عن ياء وقيل اصلية (وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين) وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر اسلم بعد الطائف وتوفي في آخر خلافة عمر وهو الذي اسلم على عشر نسوة وفي هذه الرواية لم يعين الشجرتان (وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين) اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كافصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من امر الشجرتين (وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا) اشارة الى مامر من الاختلاف في اسم ابيه كاسمعته آنفا وان سيابة اسم امه (وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي ذكر ابن سيابة امورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الغزوة (فذكر ان طلحة اوسمرة رضي الله تعالى عنهما) بفتح المهملة وضم الميم كامر نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمى العضاة واو للشك من الراوي في تلك الشجرة (جاءت فطافت به) صلى الله تعالى عليه وسلم اي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو بمعناه يقال طاف واطاف ويطوف واستطاف بكذا اذا الم به ودار حوله واما كونه من الطوف بمعنى الغائط ويقال منه ايضا طاف واطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه اسند الى الشجرة مجازا فتكلف لاحاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة ولا يناسب قوله بعده (ثم رجعت الى منبتها) اي موضعها الاول الذي نبتت فيه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) اي تلك الشجرة (استأذنت ان تسلم علي) اي استأذنت ربها ويجوز ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من الله تعالى ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لابلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للتغوط كما قيل (وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه) الذي رواه الشيخان مسندا (آذنت) بالمد بمعنى اعلمت وفاعله شجرة الآتي

وقوله (الي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعوله و (الجن) متعلق به اى بحضورهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم واستماعهم منه القرآن (ليلة استمعوا له) منصوب على الظرفية اى فى الليلة التى استمعوا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن (شجرة) وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم عيانا فى هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة واعلمته بحضورهم واستماعهم وفى هذه القصة كلام سنفصله (وعن مجاهد عن ابن مسعود فى هذا الحديث) الذى رواه الشيخان (ان الجن قالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اجتمعوا به (من يشهد لك) بانك رسول الله (قال هذه الشجرة) ثم دعاها للشهادة فقال (تعالى ياشجرة) بفتح اللام وسكون الياء التحتية وهو امر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم عم وصار بمعنى اقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشرى وقال انه قرئ به فى الشواذ وانه لغة وعليه قول ابى فراس وهو اسير يسمع تغريد حمامة شوقته لاوطانه * ومعاهد الفه واخوانه

اقول وقد ناحت بقربى حمامة * اياجارتى هل بات حالك حالى
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * ولا خطرت منك الهموم ببالى
اتحمل محزون الفؤاد قوادم * الى غصن نائى المسافة عالى
اياجارتى ماانصف الدهر بيننا * تعالى اقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة * تردد فى جسم يعذب بالى
ايضحك مأسور ويبكى طليقه * ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعى فى الحوادث غالى

(فجاءت) امتثالا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال تعالى (تجر عروقها) لانها انجرت من محلها اخرجت عروقها التى كانت فى داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها (لها) اى لعروقها اوللشجرة نفسها (قعاقع) اى صوت قوى كصوت الرعد وهو جمع قعقعة وهى حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل يجوز ان يراد به صوت كلام جهورى لها اذ انطقها الله تعالى اوالمراد من شق الارض كما مر انها جاءت تخد الارض او صوت احتكاك اغصانها وقال الحافظ العراقى حديث مجاهد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرسل نقلا عن شيخه العلائى وابن الصلاح (وذكر) مجاهد (مثل الحديث الاول) اى مايشابهه لفظا ومعنى (او نحوه) اى قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى مايقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا لجمعه بينهما وقوله فى اول الحديث ان الشجرة اعلمته بالجن يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضى انه رآهم وخاطبهم ولا تناقض

فيه لان القصة تعددت وتحقيقها كما في كتاب آكام المرجان في احكام الجان انه صلى الله
تعالى عليه وسلم لما ايس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل
فربه نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراءته فآمنوا به واتوا قومهم منذرين كما
اخبرالله تعالى عنهم (بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الى آخره وفي هذا القصة
كما في الصحيحين لم يقرأ عليهم ولارآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين
خبر السماء تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ماحدث فربه صلى الله تعالى عليه وسلم نفر
منهم من جان تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه فلما سمعوا
قراءته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا
واخبروا قومهم وانزل الله عليه قل اوحي الي السورة كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
قال البيهقي وهذا كان في اول امره ولم يرهم واتاه مرة اخرى داعي الجن فرآهم
وقرأ عليهم كما رواه ابن مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما الذي اعلمه بهم الشجرة
وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فبأي آلاء ربكما
تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود اعلم بقصة الجن
من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشره من النبوة وابن عباس طفل
وقال السهيلي رحمه الله تعالى انهم كانوا يهود لقولهم من بعد موسى دون عيسى
كما ذكره ابن سلام واختلف في عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل
لابن مسعود هل صحب احد منكم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا
فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حراء وقال
اتاني الليلة داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وارانا آثار
نيرانهم وذكر لنا ماامرهم به من الزاد وهذه غير الليلة التي اعلمهم بها وذهب معه
ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله تعالى
عليه وسلم لاصحابه من احب منكم ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر احد
منهم غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا امرني ان اجلس فيه
ثم انطلق حتى قام يقرأ فغشيته اسودة حالت بيني وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم اتاني وفي هذه الرواية ان ابن مسعود قال
سمعتهم يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ماذكر من قصة الشجرة
وماهنا من اعلامه لهم وخروجه معه الى آخره وماروى عنه من انهم التمسوه
وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقي انها واحدة لايمكن
فيه الجمع بين الروايتين ويعينه مارواه ابو نعيم في دلائله من ان القصة كانت بالمدينة
بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال
باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه صلى الله تعالى عليه

وسلم كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والثانية فيها فلم يجدوه والثالثة كانت باعلى مكة في الجبال والثالثة ببقيع الغرقد قد حضرها ابن مسعود رضي الله عنه وخط عليه الخط والرابعة كانت مع ابن مسعود ايضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير والسادسة في بعض اسفاره مع بلال رضي الله تعالى عنه ولكل منها حديث مسند ان اردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله * اقول وفيما ذكرناه معجزات اخر منها انقياد الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم باختيارهم وهي اعظم من تسخيرهم لسليمان عليه الصلوة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له وعودها لمحله بعد خروج عروقها من منبتها وهو امر خارق للعادة وفي الحديث فوائد منها كراهة الاستنجاء بالعظم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن ذلك فيه ومنها ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء بعث للجن كموسى عليه الصلوة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم رسول ام لا فقيل منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوائد اخر لا يسعها نطاق البيان هنا (قال القاضي ابو الفضل) هو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه) وهذا فذلكة لما تقدم بقوله (فهذا ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما (وبريدة وجابر) بن عبدالله رضي الله عنهما (و) عبد الله (ابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب و) عبد الله (بن عباس) رضي الله تعالى عنهما (وغيرهم) الى قوله (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) يعني كلام الشجر (او معناها) مما يدل على ذلك (وقد رواها عنهم) اي عمن ذكر من الصحابة (من التابعين اضعافهم) لتعدد طرقهم والضعف هو المثل او المثلان (فصارت في انتشارها) اي اشتهار روايتها عنهم (من القوة حيث هي) يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حيث بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها احد من العقلاء فحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير القصة مبتدأ خبره محذوف تقديره هي معروفة مشهورة (وذكر ابن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار في غزوة الطائف) اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من ارض صنعاء وهي المذكورة في سورة ن في قوله تعالى (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) والطائف هو جبريل عليه الصلوة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطائف وهذه الغزوة كانت في السنة الثامنة من الهجرة (ليلا) متعلق بسار (وهو وسن) بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفي فقه اللغة في مراتب النوم اوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والتمض ثم التغفيف ثم الاغفاء ثم التهويم ثم الغرار ثم التهجاج وهو الهجوج يعني انه صلى الله عليه وسلم نعس وهو سائر على

دابته بحيث لا يرى ما فى طريقه (فاعترضته سدرة) اى وقع اتفاقا ان شجرة فى طريقه
تحت دابته انها بحيث كادت تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم اراد ان
لا يعدل عنها لطريق اخرى (فانفرجت له نصفين) اى انشقت وتباعد بعضها
عن بعض بحيث صار بينهما فرجة عبر فيها الراكب (حتى جاز بينهما) اى بين
النصفين (وبقيت) الشجرة شجرتين (على ساقين) قائمة (الى وقتنا) اى الى
زمن ادركه ابن فورك (وهى هناك) اى فى الارض التى فيها من الطائف (معروفة
معظمة) لانها من آثار معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن ذلك) اى
من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشجر ما ورد فى حديث رواه الدارمى وابن
ماجة والبيهقى كما قاله السيوطى وغيره (حديث انس ان جبريل عليه الصلوة والسلام
قال للنبى صلى الله عليه وسلم وراه حزينا) جملة حالية اى وقد رآه محزونا لعدم
اطاعة قومه له فى اول البعثة اذ يعرض نفسه على القبائل (اتحب ان اريك آية) اى
معجزة تزيل حزنك لانه اذا اطاع دعوته الجماد دل ذلك على ان الناس سيطيعونه ولكن
تأخيره لحكم خفية (قال نعم) احب ذلك لزوال حزنى واعلم ان الله سيفتح ويلين
قلوب قومى لاجابة دعوتى (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء
الوادى) الذى كان فيه مع جبريل (فقال) جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم
(ادع تلك الشجرة) اى مرها ان تأتى اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل
كما توهم (فدعاها) فامرها (فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم فكان
قريبا منه (ثم قال مرها فلترجع) الى مكانها الذى كانت فيه فامرها (فعادت الى مكانها)
كما كانت (وعن على) كرم الله وجهه (نحوه) قال السيوطى لم اجده من حديث على وانما هو
عن عمر رضى الله تعالى عنه (ولم يذكر جبريل) اى فى هذه الرواية (قال) عمر (اللهم ... لا
(واذكر) اى ... صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اللهم ارنى آية) اى معجزة ... ظاهرة
... اى ... دعوتى ... اللهم معناه يا الله ... فى البحر
وتقدم منه ... (لا ابالى من كذبنى بعدها) لان المعجزة قطعية لا ... انكارها
... ولا ابالى بمعنى لا اعتد ولا اعتنى ... قال ابن فارس رحمه الله
تعالى ... على اشتقاق لا ابالى فى ... قول ... الاحالة ... تعالى ...
... وردت الماء ... يزعم ... فسر ... لا ابالى ... للاستقاء فقال ... القوم
اذا ... عند ... وانحطاط ... بعض فقوله لا ابالى معناه لا اباد الى
... ولا ... (... وذكر ...) من ... ورجوعها
(وحين ...) اى ... والكفر ... (... قومه) له فى اول امره
(وطلب الآية ...) اى ... (لا له) ... تعالى عليه وسلم لا
على يقين من امره وعلمه بقدره ... (وذكر ابن اسحق) ... فى ... وابو ... اسم

والبيهقي عن ابى امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت) كما ستسمعه قريبا في الحديث الذى اذكره لك وركانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة والف تليها نون وهاء وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي الذى اسلم عام الفتح وتوفى بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنين واربعين وكان شديد البأس قويا حسيبا معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم صارعه فصرعه واما مصارعته لرجل آخر يقال له ابوجهل فلم تصح كما قاله المقدسي وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنماله بوادى اضم بالمدينة وهو من افتك الناس واشدهم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذى تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك ان يجيك مني اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الهك وادعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله تعالى عليه وسلم فصرعه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض احد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك على عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال اولا ثم دعاه ثالثة فصرعه فقال له دونكها بالاثين من غنمي تختارها فقال له لا اريد ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان اريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين واقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يدى ركانة فقال اريتني امرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فقال اكره ان تحدث نساء المدينة وصبيانها بانى اجبتك لرعب قام مني ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لي بها وانطلق فلقيه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقال له خرج الى الوادى وبه ركانة فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اليس الله عصمني وحدثه الحديث المار والحديث يقتضي جواز المصارعة الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمراهنة عليه والجواب انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب منه ذلك وانما اقره على مقالته ليريه آية يرجى بها اسلامه او انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ان تحريمه ورد الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه مرة ثالثا كما علم وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح

(وعن الحسن) في حديث رواه البيهقي مرسلا عن الحسن بن على رضي الله عنهما وقيل المراد الحسن البصري رحمه الله تعالى (انه صلى الله عليه وسلم شكى الى

به من قومه) في اوائل البعثة قبل قوة الاسلام واهله (وانهم يخوفونه) كما قال الله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك) وهو عطف تفسيري لان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور في تبليغ ما ارسل به فلا ينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم على كمال يقين من الله في رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) (وسأله آية) ومعجزة (يعلم بها ان لا مخافة عليه) ان هنا مخففة من الثقيلة واصلها انه (فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا) من اودية مكة فان (فيه شجرة فادع غصنا منها) اي غصنا وطرفا من اطرافها (يأتك) مجزوم في جواب الامر (ففعل) اي اتى الوادي ودعا الغصن كما امر (فجاء يخط الارض خطا) اي يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم يخد ويحتمل ان الطاء مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط اثر مشيه الذي يشبه خط الكتابة كقول الابوصيري

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(حتى انتصب بين يديه) اي قام عنده (فحبسه ما شاء الله) اي حبسه مدة من زمان ارادها الله قائما عنده (ثم قال له ارجع كما جئت فرجع) الى مكانه الذي كان فيه والتأم باصله (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (يارب علمت ان لا مخافة علي) بتسخير الجمادات لامتثال امري الدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه (ونحو منه) اي فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي (عن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (وقال) عمر (فيه) اي فيما رواه (ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها) اي لا اعتد واهتم به لاطمئنان قلبي وذهاب خوفي (فذكر نحوه وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي مسندا (انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى اخبرني وقل لي وهو مجاز مشهور ورأى فيه علمية او بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة (ان دعوت) ان شرطية اي امرت (هذا العذق) اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله (من هذه النخلة) وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذقا بفتح العين (اتؤمن (٢) اني رسول الله) اي اتؤمن بي وبما ارسلت به وتقر بذلك (قال نعم) اشهد بانك رسول الله (فدعاه) اي العذق بان امره بالمجيء اليه (فجعل) اي طفق وصار العذق (ينقز

(٢) اتشهد نسخه

(بفتح)

بفتح المثناه التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما في المحكم ففي الاقتصار على الضم قصور وآخره زاء معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقي وقال ان الاعرابي من بني عامر (حتى اتاه) ووصل الى مكان عنده بقربه (فقال) له (ارجع فعاد الى مكانه) الذي كان فيه (وحرجه) بالتشديد اى رواه بسند (الترمذى وقال هذا حديث صحيح) متنا وسندا ﴿ فصل ﴾ من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشتهر (في قصة حنين الجذع) الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس يقال حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى (وهزى اليك بجذع النخلة) وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوى كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قائما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما يأتي قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال المصنف رحمه الله تعالى هنا وهذا الجذع من سوار المسجد النبوى وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما يأتي في رواية جابر رضي الله تعالى عنه ولا بدع في ان يخلق الله تعالى فيه حيوة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره (ويعضد هذه الاخبار) المذكورة في الفصل الذى قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اى يقويها ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها (حديث انين الجذع) الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي تعبيره به اشارة الى انه لحقه الم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصورى في قوله

يا السنا فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا

واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي ان حقيقة الحنين في الابل فحن اذا فارقت اولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار واهلها * وحنينه ابدا لاول منزل

واما الانين فانه مما لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كانين المريض فهو من عطف الخاص على العام فتدبر (وهو) اى حديث الجذع (في نفسه) بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه (مشهور منتشر) اى شائع بين الخاص والسلف (والخبر به متواتر) لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطئهم على الكذب

(خرجه اهل الصحيح) اى رواه مسندا اصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وماوصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر رداعلى ابن الصلاح فى قوله ان التواتر لايكاد يوجد كما بينه فى شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد فى كتابه الاحاديث الصحيحة عنده (ورواه من الصحابة بضعة عشر) تقدم ان البضع من الثلاثة الى تسعة فمازاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند اهل اللغة وهو كما مر بكسر الباء وفتحها (منهم) اى من الصحابة الذين رووه مرفوعا (ابى بن كعب) كما رواه عنه الشافعى فى مسنده وابن ماجة والدارمى والبيهقى (وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه) كما رواه عنه البخارى (وانس بن مالك رضى الله تعالى عنه) كما رواه عنه الترمذى وصححه (وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما) كما رواه عنه البخارى (وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما) كما رواه عنه احمد فى مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمى والبيهقى (وسهل بن سعد) كما رواه عنه الشيخان (وابو سعيد الخدرى ٢) بالدال المهملة كما تقدم فى ترجمته رواه عنه الدارمى (وام سلمة) ام المؤمنين كما رواه عنها البيهقى (والمطلب بن ابى وداعة) بفتح الواو والدال المهملة والف وعين مهملة بعدها هاء ابن الحرث بن صبرة بن سعيد القرشى السهمى الصحابى ممن اسلم عام الفتح رواه عنه احمد والزبير بن بكار (كلهم تحدث بمعنى هذا الحديث) فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكأنه اشارة الى ان تواتره معنوى لا اصطلاحى لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه (قال الترمذى) صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته (وحديث انس صحيح) انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لانه صححه غيره حتى يساوى ما مر من رواية اهل الصحيح له اولان فى بعض رجاله شيء (وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه) فى رواية (كان المسجد) اى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة (مسقوفا) اسم مفعول من سقف البيت ونحوه اذا جعلت له سقفا وهو معروف (على جذوع نخل) جمع جذع وقد تقدم بمعنى انه له سوارى وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) اى قام للخطبة (يقوم) مستندا (الى جذع منها) وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك فى استعمالهم كقولهم كان حاتم يقرى الضيف وقال الله تعالى (وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة) وهو مما صرح به فى كتب العربية والاصول وفى وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به هنا (فلما صنع) بالبناء للمجهول وفى نسخة وضع (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (المنبر) بكسر الميم من نبره بمعنى

(٢) وفى نسخة سعد

رقى، ورقاه لانه يرتفع القائم عليه به عن غيره (سمعنا لذلك الجذع) الذى كان يستند اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبه (صوتا كصوت العشار) بكسر العين المهملة وشين معجمة والف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهى الناقة التى اتى عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها ايضا والمراد ان اخوارها حين وضعها او عقبه نزاعا لولدها اذا فقدته وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفه من ان الحنين اصلا فى النوق والتشبيه به اشدته وانه لحزنه على مفارقته صلى الله تعالى عليه وسلم كانه فى النوق كذلك ويزيده حسنا ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل (وفى رواية انس) انه صلى الله عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع (حتى ارتج المسجد) بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف اى اهله او هو على ظاهره بان تحركت حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لطف ذلك من هو فيه (لخواره) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وبعدها الف وراء مهملة بوزن فعال وهو بناء مطرد فى اسماء الاصوات والخوار فى الاصل كما قال الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه فى اصوات جميع البهائم وفى بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجأرون من جأر اذا افرط فى الدعاء [illegible] تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد اى صاح (وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به) البكاء بعد [illegible] و [illegible] والعائد محذوف اى رأوا بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يجوز على [illegible] والمرئى [illegible] ونحوها والباء بمعنى فى او [illegible] وفيه تجوز اى لالذى رأوا آثاره [illegible] اذا [illegible] [illegible] (وفى رواية المطلب) ابن ابى وداعة (واى) [illegible] (حتى [illegible] وارتعد) [illegible] لان [illegible] الصدع شق الاجسام الصلبة [illegible] والحديد فقال [illegible] فاصدع و [illegible] فتصدع ثم استعير منه [illegible] اذا فصله كقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) ومنه صداع الرأس لوجعه [illegible] الصداع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible] ويجوز [illegible] على ظاهره و [illegible] الاول قوله (حتى جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نزل عن منبره [illegible] (فوضع يده عليه فسكت) اى نزل [illegible] الله [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] (زاد غيره) اى غير المطلب وهو فى رواية ابى [illegible] (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر) [illegible] [illegible] [illegible] من الندم والمراد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] اى

غير القبر اومن ذكر (والذى نفسى بيده) قسم بالله على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده معناه بقبضة قدرته وتصرفه حيوته ومماته متى اراد (لولم التزمه) هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما فى الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه (لم يزل هكذا) اى له صراخ وجؤار (الى يوم القيمة تحزنا على) مفارقة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف (فامر به نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى امر بعض الصحابة باخذه او بدفنه (فدفن تحت المنبر) وانما امر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت فى الجنة كما سيأتى وان بعض اغصان الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض * واعلم ان سوارى المسجد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم معدودة مفصلة فى تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه اشجار وفى النجار الذى صنعه له صلى الله تعالى عليه وسلم اقوال كثيرة فقيل انه قبيصة المخزومى وقيل انه غلام للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم او باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الدارى وقيل غلام اسعد بن عبادة وقيل انه غلام امرأة انصارية وقول الكرمانى رحمه الله تعالى انه غلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لا مستند له فيه وقيل انها عائشة الانصارية وقيل هى من بنى سعد وكان وضع منبره صلى الله تعالى عليه وسلم فى السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون التاسعة لانه اسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو اول منبر فى الاسلام وكان له درجة ثلاثا ومن قال اثنتين اسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل انه كان اكثر من ثلاث وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة فى قيامه ولما حج معاوية رضى الله تعالى عنه كساه قباطى ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بنى العباس واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل فى تاريخ المدينة (كذا فى حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس) وفى بعض النسخ هنا وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت فى السقف انتهى وضمير دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده او لتأويل الجذع بالخشبة واسحق المذكور هو ابن عبدالله بن ابى طلحة الانصارى اخرج له الستة وتوفى سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره او تسمح فيه لانه قيل دفن فى يسار المنبر وروى دفن فى المسجد (وفى حديث ابى فكان اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم

(صلى)

صلى اليه) اي استقبله وجعله كالسترة للمصلي من المارين (فلما هدم) بالبناء للمجهول والهدم والهد نقض البناء ونحوه (المسجد) اى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وهدمه فى زمن عمر رضي الله تعالى عنه لان بناءه فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضي الله تعالى عنه وزاد فيه كما ذكر فى تاريخ المدينة (اخذه ابى رضي الله تعالى عنه) هذا لا ينافى ما مر من انه جعل فى السقف او دفن تحت المنبر او فى المسجد قريبا منه لجواز وضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له تحت المنبر ثم رفع فى السقف لئلا يداس بالارجل تكريما لآثار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم حين الهدم اخذه ابى تبركا به (وكان عنده الى ان اكلته الارض) ووقع فى رواية الارضة بفتحات وهى دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهى العثة وقال الامام المزنى ان هذه الرواية هى المشهورة عند المحدثين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور لانها تبلى ما يدفن فيها فاستعير له الاكل او هو بتقدير اى دابة الارض وهى تلك المتقدمة بعينها او مصدر ارض يأرض ارضا اذا اكلته الارضة وبه فسر قوله تعالى ﴿ دابة الارض تأكل منسأته ﴾ كما ذكره السيوطى ولابن عنين

يا اهل مصر وجدت ايديكم * عن بسطها بالنوال منقبضه

لما عدمت النوال عندكم * اكلت كتبي كأنني ارضه

فليس فى كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قاله القسطلانى * فان قلت هذا يخالف قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو لم التزمه بقى هكذا الى يوم القيمة وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان ﴾ قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله تعالى ﴿ حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ وان لم يقع وهذا مما لا حاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه عاق بقاءه على عدم فعله به ما فعله فاذا فعله تغير وفنى وقد علم الله بما ذكر (وعاد رفاتا) عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لامر كان عليه وهو واحد معنييه كما بين فى كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالقناة وهو ما تكسر وتفرق (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة والف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولى المتبحر فى سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو ابو اسحق لانه اذا اطلق فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كابى حامد وطاهر بن محمد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) اى دعا الجذع المذكور (الى نفسه) اى امره بان يأتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع فى غير افعال القلوب وما الحق بها كما مر وقد اورد عليه نحو قوله ﴿ وهزى اليك بجذع النخلة وصرهن اليك ﴾ وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلناه فى السوانح والمقام

يضيق عنه هنا (فجاءه يخرق الارض) اى يشقها بمشيه فيها (فالتزمه) واعتنقه (ثم امره) بالرجوع لمحله (فعاد الى مكانه) الذى كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لايقال مثلها من قبل الرأى وهو امام ثقة على ان هذا رواه الامام البيهقى فى دلائله والحافظ ابو القاسم فى تاريخه عن العباس كما فى الشرح الجديد ولو وقف عليه المصنف عزاه له (وفى حديث بريدة) علم منقول من تصغير البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحرث بن الاعرج السلمى واختلف فى كنيته فقيل هو ابو عبدالله وقيل ابو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابى اسلم حين مر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة واخرج له احمد فى مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمى كما توهم فانه تابعى روى احاديث مرسلة فظن انه صحابى وله ترجمة فى الميزان (فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) للجذع حين سمع حنينه (ان شئت) بتاء الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حيوة وادراكا (اردك الى) مكانك (الحائط الذى كنت فيه) هو فى الاصل اسم فاعل من حاطه اذا احاط به ودار عليه ثم نقل للبستان نفسه الذى فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذى كنت فيه (ينبت لك عروقك) بدل من قوله اردك او مستأنف لبيان علة الرد الى مكانه الذى نبت فيه (ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة) الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهى كالورق للنخل والثمر بمثلثة واحده ثمرة اى تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها (وان شئت) مفعوله مقدر اى غرسك فقوله (اغرسك فى الجنة) جواب الشرط مجزوم (فيأكل اولياء الله من ثمرك) معطوف على الجواب وهو مرتبط بقوله فالتزمه فى الكلام الذى قبله فخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحيوة الدنيوية والحيوة الاخروية (ثم اصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصاد مهملة وغين معجمة اى امال رأسه وقربها منه (يستمع ما يقول) اى ليسمع قوله وما يجيبه به وهو من الصغى بمعنى الميل كما علم يقال صغت الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء واصغيته اذا املته واصغيت الى فلان ملت بسمعى نحوه وحكى صغوت اليه اصغو صغوا وصغيت اصغى قاله الراغب (فقال) اى الجذع (بل تغرسنى فى الجنة) اى تصيرنى من غراس الجنة و تغرسنى بيدك (فيأكل منى) اى من ثمرى (اولياء الله واكون فى مكان لا ابلى فيه) ابلى كافنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر وهو الفناء فاختار الحيوة الباقية كسائر اهل الجنة واشجارها وابلى بفتح الهمزة وضمها خطأ (فسمعه من يليه) اى سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثانى يحتمل عوده له وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) بضم التاء للمتكلم اى اجعلك من غراس الجنة (ثم قال) صلى الله

تعالى عليه وسلم (اختار دار البقاء) وهي الجنة كما تقدم (على دار الفناء) وهي الدنيا
(فكان الحسن) البصري التابعي الامام المشهور (اذا حدث بهذا بكى وقال ياعباد الله
الخشبة) يعني الجذع (تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم تفسير
الحنين (شوقا اليه) مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا او مفعول له والاول اولى
لان قوله (لمكانه) لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه علة متداخلة
فشوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا اى الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة
قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم من معجزة موسى
عليه الصلوة والسلام في العصا واحياء عيسى عليه الصلوة والسلام للموتى لان الشوق
والكلام يستلزمان الاحياء عند الاشعرى وان قيل ان مجرد الصوت المسموع
لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة او بمعنى علو قدره
وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشرنا اليه (فانتم احق) من الجماد (ان تشتاقوا
الى لقائه) ونقل عن صاحب القاموس انه استأذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فكتب اليه بكلام قال فيه انه صح في الحديث انه صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لايحل بالمؤمن ان يمر عليه اربع سنين ولايجدد له شوق
للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لى من الشوق ماشب عمره عن الطوق
وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فما هو الا أعظم في جراب * وقد بلغت دقاقة الرقاب *
الى آخر ماقاله وقلت انا حين وقفت على ماكتبه * لم لااحن الى المختار من اضم *
والجذع حن اشتياقا بعد فرقته * انى لاعجب من خشب مسندة * ماهزها الشوق
احيانا لروضته * والشوق نزاع النفس للشيء والهيجان اليه ونقل ابن عطية
في سورة الكهف انه سمع الجوهرى الواعظ يقول كلب احب اهل الخير فانه بركتهم
وشرف محبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة تحن والكلب يحب وهذا عبرة
لاولى الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه (رواه عن جابر حفص بن عبيد الله وقال
عبيد الله بن حفص) بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص بن عبد الله بلا تصغير
قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك وهو يروى
عن جده وروى عنه اصحاب السنن وقال ابو حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده
(وايمن) الحبشى والد عبد الواحد بن ايمن مولى بن ابى عمرة المخزومى وقد وثقه
ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان حافظ في ترجمته وايمن منقول من افعل
التفضيل من اليمن وهو البركة (وابو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء
مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس
لنا ابو بصرة غير ابى نضرة واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي
وابو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدى البصرى له رواية عن ابن عباس
وغيره واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفى سنة

تسع ومائة (وابن المسيب) سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان يائه تفتح وتكسر (وسعيد بن ابي كرب) بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان (وكريب) مثله الا انه مصغر وهو ابن رشدين مولى ابن عباس (وابو صالح) وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته (ورواه عن انس بن مالك الحسن) البصري وقد تقدمت ترجمته (وثابت) البناني وقد تقدمت ترجمته (واسحق بن ابي طلحة) السابق بترجمته (ورواه عن ابن عمر نافع) ابو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفى سنة سبع عشرة ومائة واخرج له الستة (وابو حية) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه حي الكلبي الكوفي الامام الثقة والد ابي حناب يروى عن ابن عمر ولهم ابو حية آخر يروى عن علي وترجمته في الميزان (ورواه ابو نضرة) السابق ذكره قريبا (وابو الوداك) بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم الف وكاف وهو جبر بن نوف البكالي وله ترجمة في الميزان (عن ابي سعيد) الخدري رضي الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته (وعمار بن ابي عمار) مولى ابي هاشم وهو ثقة اخرج له مسلم (عن ابن عباس وابو حازم) بحاء مهملة وزاء معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة احد الاعلام اخرج له الستة (وعباس) بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة والف (ابن سهل) بن سعد الساعدي توفى سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على التسعين واخرج له اصحاب السنن (عن سهل بن سعد) ابو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره (وكثير) بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة (ابن زيد) الاسلمي ابو محمد المدني وله ترجمة في الميزان (عن المطلب) السابق ذكره وروايه كثير عنه ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان (وعبد الله بن بريدة عن ابيه) عبد الله قاضي القضاة بمرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان (والطفيل) بصيغة تصغير طفل (ابن ابي عن ابيه) ابي بن كعب وكنيته ابو بطن لعظم بطنه (قال القاضي ابو الفضل) وهو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه فهذا) يعني حديث حنين الجذع (حديث كما تراه) يعني انه علم مما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه (خرجه اهل الصحة) اي الثقات من المصنفين الذين التزموا في كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة (ورواه من الصحابة من ذكرناه) في هذا الفصل (وغيرهم من التابعين ضعفهم) بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي روى عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم (الى من لم نذكره) فاذا علمت هذا تحقق عندك قطعا بصحته لتواتره (و) من (دون) وفي نسخة وبدون (هذا العدد) الذي ذكره (يقع العلم) اي يوجد العلم وتتفق صحته فكيف به (لمن اعتنى) اي اهتم به ونقيد (بهذا الباب) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (والله المثبت) بضم الميم والمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اي توفيق الثبات وعدم

تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته (على الصواب) وهو ضد الخطأ
﴿ فصل ومثل هذا ﴾ من حنين الجذع واشتياقه ونطقه (في سائر الجمادات)
اي جميعها او بقيتها والجماد مالاروح له ومثل مرفوع خبره مابعده اوفاعل فعل
مقدراي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ماسبق من كلام الشجر وغيره واستشهد
بحديث رواه البخاري وهو مااشار اليه بقوله (حدثنا القاضي ابو عبدالله محمد بن
عيسى التميمي) تقدم بيانه وترجمته قال (حدثنا القاضي ابو عبدالله محمد بن المرابط)
بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف
ابن سعيد بن وهب المري توفي بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين واربعمائة وكان متقنا
في العلوم سمع من المهلب والداني وغيرهما قال (حدثنا المهلب ابو القاسم ٢)
والمهلب بصيغة المفعول هو ابن ابي صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه على الصحيح
كلام مشهور تقدم وسيأتي بيانه ايضا قال (حدثنا ابو الحسن القابسي) علي بن
محمد بن خلف الحافظ المعافري كما تقدم قال (حدثنا المروزي) ابو زيد كما تقدم
قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده قال (حدثنا
البخاري) صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه قال (حدثنا محمد بن المثنى) وهو محمد بن المثنى
ابوموسى العنزي الحافظ الثقة الورع توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة
في الميزان قال (حدثنا ابواحمد الزبيري) بضم الزاء المعجمة وهو محمد بن عبدالله بن الزبير
بن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني اسد توفي
سنة ثلاث ومائتين قال (حدثنا اسرائيل) بن يونس بن اسحق السبيعي الكوفي ابو يوسف
الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وستين ومائة وترجمته في الميزان (عن منصور)
ابي عتاب بن المعتمر السلمي من ائمة الكوفة (عن ابراهيم) بن زيد النخعي (عن علقمة)
بن قيس تقدم بيانه (عن عبدالله) بن مسعود (قال) اي ابن مسعود (لقد كنا) معاشر
الصحابة (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية اي في حال اكلنا مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي غير هذه الرواية) يعني رواية البخاري وهو رواية
الترمذي (عن ابن مسعود) ايضا (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيحه) اي قوله سبحان الله وهذا مما استأنس به لان معنى قوله تعالى
(وان من شئ الا يسبح بحمده) تسبيح حقيقي بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له
تذييله بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهو حديث صحيح حسن اخرجه الترمذي
عن ابن يسار ايضا من طريق آخر وفي قوله كنا الى آخره دليل على تكرره وانه وقع
مرارا عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامة للصحابة
اذ سمعوا مالم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال
لسليمان وداود عليهما الصلوة والسلام وفي الدر المنثور للسيوطي ان كل شئ يسبح

(٢) حدثنا ابو القاسم نسخه

الاالكلب والحمار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لايليق به واهل الظاهر اولوا الآية بلسان الحال كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لاتفقهون ولم يقل لاتسمعون وذكر المصنف رحمه الله هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لاطائل تحته (وقال انس) في حديث اخرجه ابن عساكر في تاريخه (اخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا) اى مقدارا بملء الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر اى ملء كف (من حصى) جمع حصاة وهي صغار الحجارة (فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفي نسخة في يده (حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) اى وضعهن وهو استعارة شائعة في الاجرام الصعبة كصببنا الصبرة من المكيل واصله في المائعات كالماء (في يد ابي بكر فسبحن) جملة حالية (ثم صبهن (في ايدينا فما سبحن) وفي قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل ابي بكر رضي الله تعالى عنه على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ماسمع تسبيحهن اوان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول اولى (وروى مثله ابوذر) رضي الله تعالى عنه رواه الطبراني والبيهقي والبزار والمثلية في مجرد تسبيح الحصى فلاينافي قوله (وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان) رضي الله تعالى عنهما ولفظ هذا الحديث عن ابي ذر في دلائل البيهقي قال كنت اتتبع خلواته صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه فجاء ابوبكر رضي الله تعالى عنه فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فسلم وجلس عن يمين ابي بكر رضي الله تعالى عنه ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن فوضعهن في يد ابي بكر رضي الله تعالى عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه الحافظ ابوالقاسم في تاريخه مسندا عن انس رضي الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفي رواية صبهن في ايدينا رجلا رجلا الى آخره وفي الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه فان كان سبحها في يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن ايضا واجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة اولان خلافته ادركها الفتنة على ان مثله لايشين مقامه رضي الله تعالى عنه مع ماله من المناقب * اقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان روايه

ابي ذر انه لم يكن ثمة غيره ومافي رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم علي رضي الله تعالى عنه وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا (وقال علي) رضي الله عنه في حديث رواه الدارمي والترمذي بسند حسن (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله) وفي بعض النسخ فما استقبلته (شجرة) اي وقعت في مقابلة وجهه قريبا منه (ولا جبل الا قال له) كل واحد منهما (السلام عليك يارسول الله) بان خلق الله تعالى فيه نطقا وان لم يكن معه حيوة لانه لاتلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حيوة ايضا وهذا كما قاله ابن اسحق رحمه الله تعالى كان في بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته (وعن جابر بن سمرة) رضي الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه مسلم (اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي) اي يقول السلام عليك يارسول الله ونحوه (قيل انه الحجر الاسود) فقد قال السهيلي وغيره روى في المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة في محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به الآن ويقولون انه الذي كان يسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه المعجزة اعظم من معجزة داود عليه الصلوة والسلام في قوله (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) لانها لم تسبح بيده وفي يد من اراده من امته وتسبيح الطعام اعظم منهما لانه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتأكيده بان وتنكيره اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ماالفائدة في ذكر حجر واحد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما اشار اليه بقوله (وعن عائشة) رضي الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه البزار في مسنده (لما استقبلني جبريل) عليه الصلوة والسلام اي نزل علي واتاني (بالرسالة جعلت) اي صرت (لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله) تشريفا له وتطمينا وانها لعموم رسالته وامر يقر به الحجر كيف ينكره البشر (وعن جابر بن عبدالله) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البيهقي (لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في ابتداء بعثته (يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) اي انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم عليه الصلوة والسلام والسجود لغير الله سبحانه وتعالى انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد التصريح به في الحديث السابق ومثله لايقال من قبل الرأي فلا حاجة الى ان يقال انه علم من باب الكشف

ويحتمل ان الراوي شاهد ذلك في حال سروره معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث العباس) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البيهقي رحمه الله تعالى عن اسيد الساعدي (اذا اشتمل عليه) الضمير للعباس رضي الله تعالى عنه اي الحديث الذي ذكر فيه انه كان في وقت اشتمل اي ضمه (صلى الله تعالى عليه وسلم) في رداءه (وبنيه) وهم عبدالله وعبيدالله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذي له شقتان فان كان له شقة واحدة فهي ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملأ وريط (ودعالهم) اي للعباس وبنيه (بالستر من النار) الستر مايمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب مايوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبه بعد التجوز في قوله (كسترة) صلى الله تعالى عليه وسلم (اياهم بملاءته) اذ قال يارب هذا عمي وصنواني وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه (فامنت) بفتح الهمزة والميم المشددة والنون اي قالت آمين طلبا لاستجابة دعائه (اسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهي العتبة ومايعلوه الداخل من الباب ومن المجاز وقعت الدمعة على اسكفة عينه اي جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه (وحوائط البيت) جمع حائط وهو معروف اي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه (آمين آمين) هو اسم فعل امر بمعنى استجب وفيه لغات اشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروي قصرها او تشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور وآمين آمين اما معمول لمقدر اي وقالت آمين او لامنت لتضمنه معنى القول وتكريرها اما على التوزيع اي قالت الاسكفة آمين والحوائط آمين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله آمين تأكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه في دلائل البيهقي وفيه انه قال للعباس ياابا الفضل لاتفارق انت وبنوك بيتك حتى آتيك فان لي بكم حاجة فانتظروه فلما اتاهم قال كيف اصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه في ملاءته وقال يارب هذا عمي وصنواني وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى آخر ماذكره المصنف رحمه الله وفي دلائل ابي نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبدالله حبر الامة ابو الخلفاء وعبيدالله وعبدالرحمن وقثم وسعيد وام حبيبة اختهم وفيهم يقول عبدالله الهلالي

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه او سهل

كستة من بطن ام الفضل * اكرم بها من كهلة وكهل

عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث اهل الكساء في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة من اهل بيته وهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلي وفاطمة

(والحسنان)

والحسنان في كساء له ويقال ان جبريل عليه الصلوة والسلام كان معهم كما قيل

افضل من تحت الفلك * خمسة رهط وملك

وقال الخالدي

اعاذ لي ان كساء التقا * كسانيه حبي لآل الكساء

وقال ابو على الضرير لمن وعده بكساء ثم اخلف

من غزل من هذا الكساء ونسج من * هل في عمان طرازه ام في عدن

ولاى وقت بعد ريح قرة * هبت وامطار الت تختزن

ام ذا كساء العز آل محمد * فالضن عن بذل له امر حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا اعظم من المشبه به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل (وعن جعفر بن محمد عن ابيه) محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطي لم اجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المصنف رحمه الله تعالى عليه (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلوة والسلام بطبق فيه رمان وعنب) المذكور في اللغة ان الطبق بمعنى الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجازا لانه على هيأته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الآخرة لم يفن لقوله (اكلها دائم) لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة اولا (فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح) اى فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله تعالى (اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الآية) ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكره مع الجماد وهو ما لا روح له مطلقا (وعن انس) بن مالك رضى الله تعالى عنه في حديث رواه احمد والبخاري والترمذي وابن ماجة (صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر الصديق وعمر وعثمان احدا) بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (انه جبل يحبنا ونحبه) واخبر انه سيكون في الجنة (فرجف) الجبل (بهم) اى تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما لهابته صلى الله تعالى عليه وسلم اوخوفه من الله تعالى او انه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه (فقال اثبت احد) بضم آخره من غير تنوين اى يا احد فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحيوة اذ فهم كلامه وامتثل امره وهو محل الشاهد في هذا الحديث اى ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال (فانما عليك نبي) يعني نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (وصديق) يعني ابا بكر رضى الله تعالى عنه (وشهيدان) يعني عمر وعثمان رضى الله عنهما لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان بالشهادة احتصارا

واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضربه برجله اى ركضه بها (ومثله) اى مثل الحديث الذى فى احد ما رواه مسلم (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى حراء) بالمد والقصر والتذكير والتأنيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه (وزاد) فى هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وابى بكر رضى الله تعالى عنهم (ومعه على وطلحة والزبير) وفى رواية سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه بدل على (وقال) فى هذه الرواية (فانما عليك نبى او صديق اوشهيد) اوهنا بمعنى الواو للتقسيم وبها عبر المصنف رحمه الله تعالى عند سياقه هذه الرواية فيما يأتى فقال اثبت انما عليك نبى وصديق وشهيد ويأتى الكلام عليها ثم واراد بذلك ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضى الله تعالى عنه قتله ابو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف فى قاتله وعلى رضى الله تعالى عنه قتله ابن ملجم الخارجى الشقى والزبير رضى الله تعالى عنه قتل بوادى السباع ظلما وطلحة رضى الله تعالى عنه اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اسكن حراء اواهدأ حراء الى آخره كما رواه مسلم والترمذى ولم يذكر سعدا كما سيأتى (والخبر) الذى رواه مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه رواه الترمذى والنسائى (فى حراء ايضا عن عثمان) بن عفان رضى الله تعالى عنه (قال) عثمان رضى الله تعالى عنه فى هذه الرواية (ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد) فى رواية عثمان (عبدالرحمن) بن عوف (وسعدا) ابن ابى وقاص (قال ونسيت الاثنين) تتمة العشرة وهما طلحة والزبير (وفى حديث) آخر رواه ابوداود والترمذى والنسائى وابن ماجة (سعيد بن زيد ايضا) ابن عمرو ابن نفيل احدالعشرة المبشرة (مثله) اى مثل حديث عثمان وفى الصحابة سعيد بن زيد انصارى اسامى وهوغيرهذا لانه لا يعرف له رواية (وذكر) فى هذه الرواية ايضا (عشرة وزاد نفسه) فيهم (وقد روى) فى حديث الهجرة المذكور فى السير ولم يسنده السيوطى هنا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش) لما خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم (قال له ثبير) بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الداهب الى منى ولهم جبال اخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمى ثبيرا من الثبور وباسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمى باسمه (اهبط يارسول الله) اى انزل من على ظهرى واذهب الى مكان آخر تختفى به عنهم ثم علل امره بالهبوط والنزول منه الى مكان آخر بقوله (فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله) بالنصب معطوف على يقتلوك وانما

خاف العذاب بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به العذاب اولانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على ارض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى حتى يوجه بان خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحوه من التخيلات التى لا وجه لها كما قيل (فقال له حراء) اسم جبل كما تقدم (الى يارسول الله) بتشديد الياء المفتوحة تقديره ايت الى اوهو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له ذلك لانه الهمه الله انه يقدره على ان ينشق له ويستتر فى جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله تعالى عليه وسلم وكان هذا قبل توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم الى غار ثور الذى اختفى فيه عند الهجرة (وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم والنسائى واحمد فى مسنده وماذكره المصنف هورواية احمد بلفظه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر) آية (وماقدروا الله حق قدره) اى ماعظموه حق تعظيمه وماعرفوه حق معرفته قيل ان بعض احبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ويقول انا الملك انا الله فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرأ (وماقدروا الله) الآية ونحومنه فى جامع الترمذى وقال الخطابى انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدماتلى الآية (يمجد الجبار نفسه) اى يعظم وينزه ذاته وروى يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفى ذكره الجبار موافقة للقرآن وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهى وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد فى القرآن ايضا وليس من قبيل قوله (تعلم مافى نفسى ولا اعلم مافى نفسك) فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقدوهم وهذا مما خفى على كثير من الفضلاء يعنى المقصود من الآية تعظيم كبريائه توفيقا لعباده على كنه ذاته فلذا قال (انا الجبار انا الجبار) وكرره للتأكيد والتهويل (انا الكبير المتعال) اى المتعالى فى عظمته عما يخطر بالعقول وحذف الياء فى الوقف وهو جائز اى انا الجليل المتكبر العلى الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه اشارة الى ان ماذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته (فرجف المنبر) اى اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى قلنا) اى قال من كان حاضرا (ليخرن عنه) اى ليقع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه اولينهد المنبر وهذا وماقبله من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم انطاق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو

محل الشاهد (وعن ابن عباس) فى حديث اخرجه الشيخان والبزار والطبرانى وابو يعلى عن جابر وابن مسعود ايضا (كان حول البيت) فى الجاهلية وقبل الفتح (ستون وثلاثمائة صنم) اتخذها قريش آلهة يعبدونها من دون الله (مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة) اى قيدت ارجلها ومكنت فى الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهرى بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد فى كثير من الروايات (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) اى مسجد مكة المشرفة (عام الفتح) اى فتح مكة (جعل) اى شرع وطفق (يشير بقضيب) وعصا كانت (فى يده اليها) اى الى الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير (ولا يمسها) بيده ولا بقضيبه لاستكراهه صلى الله تعالى عليه وسلم لها ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها (ويقول) حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف اى قائلا (جاء الحق وزهق الباطل الآية) والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت (فما اشار) بالقضيب (الى وجه صنم) اى ما هو على صورة وجه مقابل له (الا وقع) خر ساقطا (لقفاه) اى على قفاه فاللام بمعنى على كقوله * وخر صريعا لليدين وللفم * والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى فى حال من الاحوال الا حال سقوطه (ولا) اشار (لقفاه الا وقع لوجهه) اى اى جهة اشار صلى الله تعالى عليه وسلم اليها من الصنم وقع على مقابلها (حتى) سقطت كلها و (ما بقى منها صنم) قائم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده فى لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل اشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول البيت واما ما كان فى جوفه فامر باخراجه ولم يدخل صلى الله عليه وسلم البيت حتى اخرجت منه ومحيت الصور التى كانت فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه فى الصحيحين لان كلامه فى اطاعة الجمادات له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو اراد احد قلعها لم يقلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله واشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص (ومثله) اى مثل هذا الحديث وبمعناه (فى حديث ابن مسعود) الذى رواه الشيخان (وقال) اى ابن مسعود فى روايته (فجعل يطعنها) اى الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول اشهر وافصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به وهى متقاربة والذى مر فى الرواية السابقة انه اشار اليها من غير

ان يمسها بيده وما فيهما من عصا ونحوها وهذه الرواية تقتضي انه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها باشار اليهـا من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فاشار لبعض منها وطعن بعضا منها فلا تعارض في الروايات (ويقول) معطوف او حال بتقـدير وهو يقول (جاء الحق) اى الدين الحق والتوحيد او وعدالله بفتح مكة (وما يبدئ الباطل وما يعيد) الابداء الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة اخرى وما هنا جوز فيها ان تكون نافية اى ان الشرك هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفي ايضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه في الصحيحين وقدم الاول لانه اوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهي مقبولة (ومن ذلك) اى مما ذكر من امر الجمادات (حديثه) الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيراء واسمه جرجس ويقال جرجيس بباء ابن عبد القيس من نصارى تيما او بصرى وهو ممن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفي المسـئلة اختلاف ذكره البرهان في النبراس وغيره وقيـل ان بحـيراء يهودى واسمه بفتح البـاء مقصور ويروى مده وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية وهي الزهد في المأكل وغيره لشدة رهبته اى خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى (في ابتداء امره) صلى الله تعـالى عليه وسـلم اى وهو صغير السن لم يبعث (اذ خرج تاجرا) اى لاجل التجارة (مع عمه) ابى طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور وكان عمره تسع سنين وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تتركنى وليس معي احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها وميسرة هذا لم يذكر في الصحابة وقدمات قبل البعثة وفي هذه الخرجة اتى راهبا آخر وهو نسطورا وقصته مشهورة ايضا ففي كلام المصنف رحمه الله تعالى ما لا يخفى وما قيل في الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم المستتر في خرج وحمله تاجرا لمجاورته لعمه الذى خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا (وكان الراهب لا يخرج) من صومعة له كان يترهب فيهـا (الى احد) ممن يمر عليـه من ابنـاء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش في ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم (فخرج) على خلاف عادته لما نزل قريبا منـه ابو طالب والنبي صلى الله تعالى عليه وسـلم معه وابصرهم (فجعل) اى صار (يتخللهم) بفتح المثنـاة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة اى يدخل في خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما في الصحاح (حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى امسك بيده الشريفة (فقال

هذا سيد العالمين) اى اشرف المخلوقات كلهم لمارأى فيه من الصفات التى علمها من كتبهم (يبعثه الله) اى يرسله لدعوة الكافة بعد ما نبأه (رحمة للعالمين) اى لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما يسعدهم فى الدنيا والآخرة كما تقدم (فقال له) اى للراهب (اشياخ من قريش) جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع فى الشريف المتقدم على غيره (ماعلمك) بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة اى من اين عرفت هذا (فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الاخر ساجدا له) وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم باحوالهم فى السفر (ولا تسجد الالنبى) تعظيما له اذا مر بها او نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو فى حق العقلاء دون غيرهم كما مر فانهم لايتصور منهم شرك فالبحث عنه لاوجه له (وذكر القصة) الى آخرها مفصلة كما فى السير وشهرتها تغنى عن ذكرها (ثم قال) اى الراهب (فاقبل) صلى الله تعالى عليه وسلم للمنزل (وعليه غمامة تظله) دون من معه من رفقته (فلما دنا من القوم) المرافقين له الذين نزلوا قبله (وجدهم سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس) صلى الله تعالى عليه وسلم (مال الفىء اليه) اى الى جانبه الذى جلس فيه والفىء هو الظل او الظل بالغداة والفىء بالعشى لانه من فاء اذا رجع وهذا هو اصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الآخر والغمامة السحابة او البيضاء والمراد الاول وخبر بحيراء صحيح روى من طرق صحيحة الا انه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستقبلهم بحيراء وقال لهم ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبى خارج فى هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم ارأيتم امرا اراده الله هل يستطيع احد رده قالوا لا فصدهم عما ارادوه واقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا رضى الله تعالى عنهما وقال الذهبى انه حديث منكر وانما طعن فيه لان ابا بكر رضى الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث آخر والآفة فيه من رواته * والآفة الاخبار الازواتها ﴿ فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات ﴾ الآيات جمع آية وهى العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبى والضروب جمع ضرب وهو النوع (حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ قال حدثنا ابى قال حدثنا القاضى يونس) رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى اسمائهم فلا حاجة للتكرار الممل (قال حدثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاسى * تأجج نيران تذكارها

وكسر صادها خطأ وان ذكره البرهان ظنا من عنده (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران

(قال)

قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو) كذا فى النسخ وقد سقط منه راو وصوابه حدثنا احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو كما فى بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة وترجمته فى شروحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحق السبيعى وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به وترجمته فى الميزان توفى سنة تسع وخمسين ومائة (قال حدثنا مجاهد) وفى نسخة عن مجاهد (عن عائشة) ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه (قالت) عائشة (كان عندنا داجن) من المداجنة وهى لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تألف البيوت وتعلف فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التى تربى فى البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزلها الذى تسكنه وكذا فى قوله (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه) اى وقف اوربض فى مكانه لا يتحرك تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من منزله (جاء وذهب) اى مشى فى البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتياقا لرؤيته وهذا حديث صحيح رواه احمد والبزار وابو يعلى والبيهقى والدارقطنى وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لالف الحيوانات التى لا تعقل ومهابتها له وروى داجنة بالهاء وراجن بالراء وقد علم ان قر من القرار وهو السكون وعدم الحركة (وروى عن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى وروى ايضا عن عائشه رضى الله عنها وابى هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطى وليس بموضوع كما قيل (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع (من اصحابه اذجاء اعرابى) اى دخل بغتة عليهم رجل من اهل البادية غير معروف (قد صاد ضبا) جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة حيوان برى اكبر من الجرذون يبيض والاعراب تصطاده وتأكله (فقال) الاعرابى لاصحابه (من هذا) سأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ينكره اولم يعرفه (قالوا) له جوابا (نبى الله) اى هو نبى الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وليس قولك من هذا بضائره ❊ البيت يعرف من انكرت والحرم

(فقال واللات والعزى) وهما صنمان عبدا فى الجاهلية واصل اللات اللاء فحذفوا الهاء وادخلوا تاء التأنيث عوضا عنها وهو من لوى سمى به لالتوائهم فى طوافهم حولها وكان بنخلة والطائف لقريش وثقيف والعزى مؤنث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها

فخرجت منها شيطانة باشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال يا عزى كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد اهانك ثم احرقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واقسم الاعرابى يمينا لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه مابعده من قوله (لا آمنت بك) اى بانك رسول الله (او تؤمن بك هذا الضب) بنصب تؤمن اى الاان تؤمن هذا الضب او من ايمانك ايضا بعد رؤية معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك واو بمعنى الا او الى غاية لانتفاء ايمانه وهما يقتضيان نصب بعده المضارع بعد ان ويخوه وفى نسخة حتى بدل او (وطرحه) اى رمى الاعرابى الضب (بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم) اى فى مقابلته قريبا منه (فقال) صلى الله عليه وسلم (له) اى للضب (ياضب) بالضم لانه منادى مفرد (فاجابه بلسان مبين) كلامه او كلام ظاهر مفهوم (يسمعه القوم) الذين عنده (لبيك) اى اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه النحاة (وسعديك) اى مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله فى المبنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة (يازين من وافى القيامه) اى من تزين وتحسن من كل من جاء الى القيمة والموافاة الحضور والمجيء والقيمة معروفة واعما جعله زينا اى مزينا لاهلها ومن بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شائعة فى لسان عامة العرب فيقولون يازين القوم لاشرفهم واحسنهم (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للضب (من تعبد) سأله ليقر بعبوديته لله فوصفه بما يعرفه كل احد (قال اعبد (الذى فى السماء عرشه) وهو فى الاصل سرير الملك والعرش والكرسى امثلا معلوم وتحقيقه فى كتب التفسير والمراد بالسماء مايقابل الارض او جهة العلو مطلقا فلا ينافى ماورد من انه فوق السموات كما قال الله تعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ وللكلام فى هذا مقام آخر لاتحيط به ظروف الحروف (وفى الارض سلطانه) اى فى الارض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن هو بجانب ظاهر فيها والسلطان فى الاصل مصدر من التسلط والقهر (وفى البحر سبيله) اى طريقه الى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لايقدر عليه غيره كما قال الله تعالى ﴿ هو الذى يسيركم فى البر والبحر ﴾ ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيها سواه كما قال الله تعالى ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ (وفى الجنة رحمته) المخصوصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والآخرة (وفى النار عقابه) وفى نسخة عقابه فانما آمن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ليكمل ايمانه (فمن انا) اى اذا آمنت بى فمن انا (قال رسول رب العالمين) اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات

(وخاتم النبيين) فلا نبي بعدك كما تقدم (وقد افلح) وفاز بسعادة الدارين (من صدقك) واقر برسالتك (وخاب من كذبك) بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك (فاسلم الاعرابي) لما رأى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله تعالى والاقرار برسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقي وفيه ان الاعرابي من بني سليم وانه كان رآها بالصحراء لشويه ويأكله فلما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له معه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اسلامه قال لا اتبع اثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض ابغض الي منك وانت اليوم احب الي من نفسي وولدي فلما اسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي هداك ان هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلوة ولا صلوة الا بقرآن ثم علمه الصلوة والقراءة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع (ومن ذلك) اي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تسخير الحيوانات وانطاقها (قصة كلام الذئب المشهورة) التي رواها احمد والبزار والبيهقي وصححها (عن ابي سعيد الخدري) رضي الله عنه هو سعيد بن مالك الصحابي كما تقدم (بينا راع) تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع او كافة عن الاضافة فراع في محل رفع او جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو معروف وقوله (يرعى غنما له) ذكره ايان ان الغنم له فليس باجير وانه كان يرعى غنما فان الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان بن اوس وقد جرى عليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي وانه وقع مثل هذه القصة لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية في ذئب اخذ ظبيا ولابي جهل واصحابه وفي حديث آخر ان الذئب اخذ شاة منه الراعي فقال له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وان الذي كلمه الذئب اهبان بن اوس الاسلمي وقيل اهبان بن عقبة عم سلمة بن الاكوع احد اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن الاكوع وعبد السهلي انه رافع بن ربيعة وقيل هو اهبان بن عباد الخزاعي وقيل الذي كلم الذئب سلمة ابن الاكوع ويأتي بيان ذلك كله وقيل اهبان بن صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه الذئب رافع بن عميرة الطائي كلمه الذئب وهو في ضأن له يرعاها ودعاه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامره باللحوق به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

رعيت الضأن احميها زمانا * من الضبع الخفي وكل ذئب

فلما ان سمعت الذئب نادى * يبشرني باحمد من قريب

سعيت اليه قد شمرت ثوبي * عن الساقين قاصدة الركب

فالفيت النبي يقول قولا * صدوقا ليس بالقول الكذوب

فبشرني بدين الحق حتى * تبينت الشريعة للمنيب

وابصرت الضياء يضئ حولى * امامى ان سعيت وعن جنوبى
الابلغ بنى عمرو بن غوث * واخوتهم جذيلة ان احيبى
دعاء المصطفى لا شك فيه * فانك ان اجبت فلن تخيبى

وقد علم ان قصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (عرض الذئب لشاة منها) اى اتاها لاختطافها واخذها (فاخذها الراعى منه) اى ادركه وانتزعها من يده وردها (فاقعى الذئب) اى مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف فى اقعاء الكلب والذئب وللاقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء فى كتاب الصلوة (فقال) الذئب بعد اقعائه (للراعى الا) حرف استفتاح هنا (تتقى الله) اى تخافه وتحذره (حلت) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح تاء الخطاب اى فصلت وفرقت (بينى وبين رزقى) الذى رزقه الله لى (قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس) وفى نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك (فقال الذئب) مجيبا له (الا اخبرك باعجب من ذلك) اى من كلام حيوان اعجم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وتاء تأنيث مثنى حرة وهى ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة (يحدث الناس بانباء ما سبق) وفى نسخة من سبق اى الامم السابقة واحوالهم وانما جعله اعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده اعجب من نطق حيوان انطقه الله الذى انطق كل شئ وكون الامر اعجب يختلف باختلاف الاسباب والانباء جمع نبأ وهو الخبر (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بكلام الذئب وقصته معه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للراعى قم) من عندى فاذهب للحاضرين (فحدثهم) بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته (ثم قال صدق والحديث فيه قصة) لما فيه من الغرابة وانه من اشراط الساعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما حدث فى اهله) ولما لم يكن فى هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه واعتذر عنه بقوله (وفيه) اى فى نفس روايته (طول) ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا (وروى حديث الذئب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) رواه احمد والبزار والبيهقى وصححه والبغوى وابو نعيم بسند صحيح (وفى بعض الطرق) تضمين جمع طريق تجوز به عن الرواية (فقال الذئب) للراعى (انت اعجب) اى حالك اعجب من حالى فى حال كونك (واقفا على غنمك) اى مراعيا وحافظا لها (وتركت نبيا) اى وقد تركت الى آخره فالجملة حالية بتقدير قد (لم يبعث الله نبيا) من انبيائه السالفة (قط اعظم منه عندا) واجل (قدرا) ومنزلة عنده به وهو

تميز لنسبة اعظم (وقد فتحت له ابواب الجنة) بتشديد تاء فتحت وتخفيفها اى هيئت واعدت له والجملة حالية ايضا وقوله (واشرف اهلها) يدل على ان المراد انها افتحت حقيقة لينظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال مأخوذ من الشرف وهو المكان العالى (على اصحابه ينظرون قتالهم) اى ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون فى القتال كصفوف الملائكة (ومابينك وبينه الاهذا الشعب) بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعنى انه قريب منك لاعذر لك فى التخلف عنه (فتصير فى جنود الله) اذا ذهبت اليه ونصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع هذا اعجب من نطق الذى تعجبت منه (قال الراعى) للذئب لما اشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن لى بغنمى) اى اذا ذهبت اليه من يتكفل لى بحفظ غنمى حتى اجئ (قال الذئب انا ارعاها) اى احفظها واحرسها (حتى ترجع) اليها من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (فاسلم الرجل) وهو الراعى (اليه غنمه) اى سلمها للذئب وتركها عنده (ومضى) الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر) له (قصته) مع الذئب وما كلمه به وما فعله معه (واسلامه) المنعم له (ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل) كما قال له الذئب (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ماقص قصته عليه واسلم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (عد الى غنمك تجدها بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء اى تمامها وكمالها لم ينقص منها شئ من قولهم ارض وفرة لم يرع نباتها (فوجدها كذلك) اى تامة غير ناقصة (وذبح للذئب شاة منها) جزاءله على صنيعه وارشاده له (وعن اهبان بن اوس) عطف على قوله عن ابى هريرة وهو بضم همزة اهبان واوس بفتحها علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه عنه (وانه كان صاحب هذه القصة) المذكورة فى كلام الذئب (و) انه (المحدث بها ومكلم الذئب) كما فى الروض الانف وانه كان فى غزوة ذى قرد (و) روى ايضا (عن سلمة ابن عمرو بن الاكوع وانه) اى ان الاكوع لا سلمة كما قيل ويجوز فتح همزة انه وكسرها (كان صاحب هذه القصة ايضا) يعنى انها تعددت (و) كانت (سبب اسلامه) وفى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذئب فى رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو اهبان بن الاكوع وعن الواقدى هو اهبان بن اوس الاسلمى الصحابى رضى الله تعالى عنه من اسلم نزل الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذئب اهبان بن عباد بن ربيعة بن كعب بن امية بن نقطة بن خزيمة من اسلم وذكر جدى فى الملقح ان من اسمه اهبان اربعة اهبان بن الاكوع ابو عقبة واهبان بن اوس الاسلمى واهبان بن صيفى الغفارى واهبان بن عباد الخزاعى مكلم الذئب قال وقيل ان مكلم الذئب

اهبان بن اوس انتهى ولم يذكر في الرواية منهم سوى اهبان بن صيفي والحاصل ان مكلم الذئب على رواية هشام اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدي اهبان بن اوس الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان بن صيفي الغفاري انتهى ففيه اقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت فلا خلاف وليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من ابي عقبة فليحرر (بمثل حديث ابي سعيد) الخدري اي روى سبب اسلامه بمثله (وروى) عبدالله (ابن وهب) السابق ترجمته (مثل هذا) المذكور من كلام الذئب (انه جرى) اي وقع واتفق (لابي سفيان بن حرب) والد معاوية الصحابة المشهور رضي الله تعالى عنهم (وصفوان بن امية) الصحابي المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من اشد الناس عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل اسلامهما فلما اسلما صار صلى الله تعالى عليه وسلم احب اليهما من نفسهما (مع ذئب وجداه اخذ ظبيا) اي اراد اخذه فجرى خلفه في الحل ليأخذه بقرينة قوله (فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب) عنه لانه في الحرم المحرم صيده او انه افلت منه بعد اخذه (فعجبا من ذلك) اي من كون الذئب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلاء (فقال الذئب) لما سمع تعجبهما او علمه من حالهما (اعجب من ذلك) الفعل الذي صدر منه (محمد بن عبدالله) موجود (بالمدينة يدعوكم الى الجنة) بدعوته للاسلام الذي هو مقتضى لدخولها (وتدعونه الى النار) بقولكم له لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود في النار وانما كان هذا اعجب لانه مخالف لما تقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم لقدرة الله تعالى واقداره ليس بعجيب كهذا في النظر السديد والعقل السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة (فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت) بضم التاء وفتحها (هذا) اي تكلم الذئب وماقاله (بمكة) اي ذكرته لاهلها (ليتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر او جمع خالف والمراد تركها خالية من اهلها بان يسلموا جميعا ويرتحلون له صلى الله تعالى عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد في صحة رسالته صلى الله تعالى وسلم وسعادة من اتبعه او المراد بعدها واهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين اهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم اتيت الحي فوجدته خلوفا اي ليس فيه احد من الرجال بل النساء وقال اهل خوالف لانهن يخالفن الرجال والثاني من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك) اي رائحة بتغيره (وقد روى مثل هذا الخبر) الذي وقع لابي سفيان وصفوان (وانه جرى لابي جهل واصحابه) اي انهم شاهدوا مثله وتعجبوا منه ولكن الله اشقاه واشقاهم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية

كالصديق رضي الله تعالى عنه وجماعة الا انه كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور الله قلبه (لما نجب) لما ظرف متعلق بمقدر اى وقع ذلك او شرطية جوابها قوله فاذا طائر الخ فان جواب لما قد يقترن بالفاء لكنه نادر (من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن كتاب كما فى القاموس وفى بعض نسخ الذيل والصلة للصاغانى بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبى (صنمه) بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه (وانشاده) بالجر معطوف على كلام (الشعر) بالنصب مفعول المصدر (الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة الشعر وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال لابنه ياعباس اى بنى اعبد ضمارا فانه سينفعك ويضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لايضر ولاينفع ثم صاح باعلى صوته يا الهى الاعلى اهدنى للتى هى اقوم فصاح صائح من جوف الصنم

اودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل البيان من النبى محمد
وهو الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
قل للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا طائر سقط) اى خر من الجو نفة عليه (فقال) الطائر (ياعباس اتعجب من كلام ضمار) بالتنوين والصرف الا انه وقع فى الشعر غير مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره التعجب لانه كلام شيطان فى جوفه وكلام الطائر اعجب منه (ولاتعجب من نفسك ان رسول الله يدعو الى الاسلام) حذف مفعوله للتعميم اى كل احد اليه (وانت جالس) فى منزلك متخاف عن اجابة دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم التى هى السعادة العظمى (وكان ذلك) المذكور مما سمعه من الصنم والطائر (سبب اسلامه) لانه لما سمع ما ذكر نهض فى ثلاثمائة فارس من قومه وهم سليم فلما رأه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم وقال له ياعباس حدثنا بما رأيت فقص عليه القصة واسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة يتحاكمون اليه وان قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكأنه صنم آخر والقصة ونطق الاصنام واخبارها ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقعت مرارا وفيها اخبار مذكورة فى السير قيل انما تركها المصنف لان النطق المسموع منها من الجن (وعن جابر بن عبدالله) رضي الله تعالى عنهما فى حديث رواه البيهقى (عن رجل) اسمه اسلم وعن الواقدى ان اسمه اسار وهو رجل اسود كما يأتى قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس فى سيرته فى غزوة خيبر (آتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر) قوله وهو جملة حالية اى وهو صلى الله تعالى عليه

وسلم مقيم عنده امحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي تحصن بها لاالقصر كما لي ولا حدق في هذا الكلام وقيل الصغير للرجل وسعده قوله (وكان في غنم رعاها لهم) اي لاهل خيبر والطرية عمى المعية او هي تجارية لقوله واذا كنت فيهم الآية (فقال يارسول الله فكيف بالغنم) اي كيف افعل بالغنم اذا اسلمت وهي ملك غيري وانا اجير (فقال) له صلى الله عليه وسلم (احصب وجوهها) اي ارمها في وجوهها بالحصباء وهي صغار الحجارة ودقاقها وماويل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى العقل في قوله * وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لدليل * ومنه الاحصاء بمعنى العد او احد العلم والهداية لها الى اهلها هذيان لامعنى له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله عليه وسلم للرجوع لمنازل اصحابها حتى يخلص من عهدة صاحبها كما اشار اليه بقوله (فان الله سيؤدي عنك امانتك) وهي الغنم التي استلمت لك اي يوصلها وسائقها (و يردها الى اهلها) وهم اصحابها الملاكون لها فيخرج انت عن عهده صاحبها (ففعل) ما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها) وانما كان هذا لانه كان مستأمنا وفي يده امانة لاهل خيبر قبل فتحها فلذا ردها صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمين ... من عهدتها وبذا لم يحملها ... مع انه علم انها ستكون كذلك ... كان عبدا اسود رقيقا لبعض اهل خيبر فلما غزاها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع خبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود جاءه واسلم اي اظهر اسلامه فلا منافاة بينه وبين ما مر وحسن اسلامه واستشهد في تلك الغزوة ... ولم يصل صلاة قط فشهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة واخبر انه راى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا في دلائل النبوة وهذا من ... انه صلى الله تعالى عليه وسلم الظاهرة كما لايخفى (وعن انس) في حديث ... رواه احمد والبزار (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصاري) الحائط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا (وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط) اي البستان (غنم فسجدت له) صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما لما شاهدت من نور نبوته والهمها الله تعالى معرفته (فقال ابو بكر) لما راى سجودها له صلى الله تعالى عليه وسلم (نحن احق بالسجود لك منها) يعني لولا ان السجود لغير الله تعالى ... والجار الاول متعلق بالسجود والثاني ... وفي ... التقديم لك على السجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر ... لا ... عليه لضعف عمله (الحديث) وتتمته انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال انه لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد واحد المخصوص بالله ... الواحد وغيره ... كما صرحوا به وفي ذلك اشارة الى ان الغنم ... عن جنس الانس ...

مموعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلوة والسلام (وعن ابي هريرة) قال السيوطي
هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة بن مالك الانى رواه ابو نعيم وحديث
جابر رواه احمد والدارمي والبزار والبيهقي وحديث يعلى بن مرة رواه احمد والحاكم
والبيهقي رحمهم الله تعالى باسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وابو داود وحديث
عبدالله بن ابي اوفى رواه ابو نعيم والبيهقي (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا)
اى بستانا (من الانصار) كان في البستان (فسجد له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر مثله)
اى مثل الحديث الذي قبله فقالوا هذه بهيمة لاتعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق
ان نسجد لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لايصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها (و) روى (مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك)
الصحابي وهو ممن استشهد باحد لكن الذي ذكره ابن عبدالبر انه ثعلبة بن ابي مالك
القرظي وابوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بني قريظة فنسب اليهم
ثم اسلم فقول ابن مالك صوابه بن ابي مالك (وجابر بن عبدالله ويعلى بن مرة وعبدالله
بن جعفر) فحديث الجمل وسجوده روى من طرق متعددة مروية عمن ذكر والقصة
واحدة كما بينه السيوطي (قال) كل منهم اوعبدالله بن جعفر (وكان لايدخل احد
الحائط) من غير اصحاب البستان (الاشد عليه الجمل) شد عليها يعني اسرع وحمل حملة
عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا اسرع وشد عليه حمل يعني انه كان عقورا
هائجا على كل من استقربه (فلما دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه) اى على الجمل
في البستان (دعاه) وامره بالاقبال عليه (فوضع مشفره في الارض) بكسر الميم
وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة وهو في لابل كالشفة للانسان والجحفلة
للفرس والخرطوم للسباع والمنقار للطير كما نبه اهل اللغة في الفروق (وبرك بين يديه)
البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه (فخطمه) اى وضع
زمامه الذي تقاد به في انفه وعلى فيه لانه برك عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وانقاد له
منه بعدما كان لايطاق (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن عنده (مابين السماء
والارض شيء) من الحيوان والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضي
السبع (الا يعلم) وفي نسخة الاويعلم (اني رسول الله) بعلم خلقه الله فيه وتفهمه
(الاعاصي الجن والانس) اى الامن عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتي اى
معرفته بنى رسول الله جمعا وعاصي جوز ان يكون مفردا واصله عاصين فحذف
النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصيته لان
اول من عصى الله ابليس فلا يرد انهما اجتمعا بتقديم الجن في القرآن (ومثله
عن عبدالله بن ابي اوفى) هو وابوه صحابيان رضي الله تعالى عنهما شهدا المشاهد مع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذي دعاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

حين اتى اليه بصدقته وقال اللهم صل على آل ابى اوفى وحديثه مذكور فى دلائل النبوة لابى نعيم والبيهقى كما علمت ولفظه قريب مماذكره اولا (وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه) لما ابق منهم وبطش بكل من قرب منه (فاخبروه) وفى نسخة فاخبر بالبناء للمفعول (انهم ارادوا ذبحه) لانه ضعف كما سيأتى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف) وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات (وفى رواية انه شكى الى انكم اردتم ذبحه) ونحره واكثر ما يستعمل فى الابل النحر وفى غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الآخر ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام (بعد ان استعملتموه) اى اكثرتم العمل به من التحميل ونحوه (فى شاق العمل) اى فيما يشق اى يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق غير مسموع فكأنه مبنى على ان التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور فى كتب اللغة (من صغره) الى ان بلغ الكبر وعجز عن العمل (فقالوا نعم) اعترافا بما ذكر فبئس الجزاء الذى ارادوه وهذا الحديث اخرجه الطبرانى وابن ماجة فى سننه فى غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الدارى وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم ماهكذا جزاء المملوك الصالح بعنيه فابتاعه منه وارسله يرعى فى الشجر حتى قوى والحديث فيه طويل (وقد روى) بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا التفصيل الآتى لايعرف راويها (فى قصة) الناقة (العضباء) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهى اسم ناقة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف فى ناقته العضباء والقصواء والجدعاء بالمد فيهما ايضا هل هى ثلاثة او واحدة لها القاب متعددة اوائنتان فذهب الحلبى والعراقى فى منظومته الى انها واحدة ولاعضب ولاجدع اى شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب اى شق وفى البخارى ان الجدعاء هى التى هاجر عليها وقيل ان النبى هاجر عليها القصواء وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فرأى ناقة باركة فى الدار فقالت السلام عليك يانبى الله يازين القيمة يارسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليك السلام فقالت انى كنت لرجل من قريش فسال الله ان يهبنى فهربت منه فوقعت فى مفازة فكان اذا غشيني الليل احوش السباع ينادى بعضها بعضا لاتؤذوها فانها مركب محمد فاذا اصبحت رتعت نادى كل شجرة الىّ الىّ فانك مركب محمد حتى وقعت ههنا فسميت عضباء باسم صاحبها وفيه انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله ان يجعلنى مركبك فى الجنة فقال قد فعلت وقد قيل ان هذا الحديث كله فى سنده طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت عضباء وقصواء

(وجدعاء)

وجدعاء بدال مهملة وصلما ومخضرمة والكل متقاربة المعانى والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزى عن ثعلب انها كلها القاب لناقة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاجدع لها ولاعضب واختاره فى القاموس (وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كلام بمعنى التكليم مصدر والنبى منصوب به معموله (وتعريفها له بنفسها) كما سمعته آنفا (ومبادرة العشب اليها) بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان يناديها الى الى فالمراد طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف (فى المرعى) اى مكان رعيها (وتجنب الوحوش لها ٢) اى عدم اذيتها واكلها لها كامر (ونداؤهم لها انك) معدة (للحمد) ولركوبه وضميرهم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما فى قوله تعالى ﴿ رأيتهم لى ساجدين ﴾ (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ماتت) من الحزن والاسف على فراقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انها التى اشتراها ابو بكر رضى الله تعالى عنه من بنى الحريش مع اخرى بثمانمائة درهم فلما هاجرا اشتراها صلى الله تعالى عليه وسلم منه باربعمائة درهم وقد ذكر قصتها مفصلة ابو سعيد فى كتاب الشرف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نوق اخر كما بينه اصحاب السير (ذكره الاسفرائنى) رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته (وروى ابن وهب) رحمه الله تعالى وهذا الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته (ان حمام مكة) الموجود بحرمها الى الآن والحمام كل ذات طوق برى اواهلى وقيل انه مخصوص بالبرى وقيل انه كل ماعب وهدر والعب كرع الماء من غير نفس والهدر ويقال الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف (اظلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لاتصاد وقيل انها من نسل حمامتى الغار وسيأتى (يوم فتحها) اى فتح مكة (فدعا لها بالبركة) فاجاب الله دعاءه فيها وكانت محترمة لاتصاد كما تقرر (وروى عن انس) رواه عنه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم (وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة قال امر الله ليلة الغار) منصوب على الظرفية والغار غار ثور الذى اختفى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة فى القرآن غنية عن البيان (شجرة فنبتت) من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المأمور المختار وروى بسجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلى وهى بمقدار القامة ولها زهر ابيض وبها شئ شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راءة كما فى كتاب النبات قال الشاعر * ترى ودك السديف على لحاهم * كلون الراء لبده الصقيع *

(٢) عنها نسخه

(تجاه النبي صلى الله عليه وسلم) تقدم ان التجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو واصله وجاه اى فى مقابلة وجهة باب الغار (فسترته) عمن ينظره بحيث لايراه من طلبه من كفار قريش (وامر) اى الهم الله (حمامتين) ذكرا وانثى فعششتا وباضتا على تلك الشجرة (فوقفتا بفمه) اى فم الغار لان مثله لايكون الا بمكان خال من الناس وورد فى الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم اى دعالهما بالبركة فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفى حديث الاكل (سموا الله ودنوا وسمتوا) اى اذا بدأتم بالاكل فكلوا مما يليكم ودنامنكم واذا فرغتم فسمتوا اى ادعوا لمن اكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تشق الارض كما اشار اليه القائل

قامت اليه سرحة سترته من * نظر العدو باحسن الاغصان

(وفى حديث آخر) رواه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعالهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شئ فى الحرم كما تقدم (ان العنكبوت نسجت على بابه) اى على باب الغار وفمه (فلما اتى الطالبون له) صلى الله تعالى عليه وسلم الذين قصوا اثره واتبعوه ليأخذوه (ورأوا ذلك) المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار (قالوا لو كان فيه) اى فى هذا الغار (احد) من الناس (لم تكن الحمامتان) يقران (ببابه) لذى منه المرور (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم) لقربهم منه بحيث لو امعنوا النظر رأوه (فانصرفوا) راجعين تاركين الطلب وكانوا فتيان من قريش مضوا خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم سراقة القائف يقص اثره فلما انتهوا الى الغار رأوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل احد لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طأطأ احد رأسه رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى هذا معجزات ساعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا وتحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل زى
فان العنكبوت اجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وانظر الى هذا مع قولى

على غار نور عنكبوت بنسجه * لقد جاز فخرا فاق كل فخار
لذلك دود القز يهلك نفسه * وقد غار من نسج له بم الغار

وفيه معان اخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيرى فى همزيته

اخرجوه منها واواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين هى الدرع لانها تجن البدن اى تستره والحصداء المحكمة النسج كما فى كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الجانة

الحصداء اى الكثيره الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ويفسره قوله فى البردة

وقاية لله اغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(وعن عبدالله بن قرط) بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابى ثمالى وكان اميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين واخرجه اصحاب السنن واحمد فى مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبرانى وابونعيم مسندا (قرب) بالبناء للمفعول اى اتى بعض الصحابة (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) جمع بدنة وهى مايعد للنحر من الابل خاصة ولاتطلق على البقر وغيرها وان كانت فى حكمها شرعا فى الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العزفى انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال وردبانه على خلاف القياس الاان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الاان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها (خمس اوست اوسبع) الشك من الراوى (لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه) افتعال من الزلفى وهى القرب ابدلت تاؤه دالا لاجل الزاء اى تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة فى ان يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالى (بايتهن يبدأ) فى الذبح وهذه معجزة باهرة (وعن ام سلمة) فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى واسمها هند او رملة كما تقدم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية) اى كلمته بنطق سمعه السامع لابلسان الحال قالت له (يارسول الله) فالتفت اليها فاذا هى موثقة عندها اعرابى نائم (قال ماحاجتك) حتى ناديتنى (قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان) مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبى الصغير الذى ولدته امه (فى ذلك الجبل) تشير لجبل بتلك الصحراء (فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع) بنصب الافعال الثلاثة (قال اوتفعلين) اى ترجعين الى ان اطلقتك (قالت نعم فاطلقها) والاعرابى نائم لايشعر بذلك (فذهبت) وارضعتهما (ورجعت فاوثقها) وربطها كما كانت (فانتبه الاعرابى) ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (فقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها) من وثاقها (فخرجت تجرى وهى تقول اشهد ان لااله الاالله وانك رسول الله) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق اخر فلاالتفات لقول ابن كثير انه لااصل له لان فى سنده مجاهيل وانما استأذنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك لانه ملكها بالحيازة والاتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو فى قوله اوتفعلين محركة عاطفة على مقدر اى اتقولين ذلك لى وترجعين الى اواستئنافية على القولين فى مثله وفى الحديث معجزات ظاهرة (ومن هذا الباب) اى باب المعجزات باطاعة الحيوانات (ماروى) قال السيوطى

لم اقف على هذا الحديث هكذا واخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الا ان البخاري ذكره في تاريخه كما قاله المصنف فلا اعتراض عليه (من تسخير الاسد) اى تذليله وانقياده (لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو من خدمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى لقبه سفينة لانه رآه في بعض اسفاره حاملا لامتعة فقال له انما انت سفينة فاشتهر بذلك واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من اصحاب السنن وفي الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه (اذ وجهه الى معاذ) بن جبل حال كونه (باليمن) وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدى العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكوة (فلقي الاسد) في طريقه (فعرفه) اى قال له (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) فالهمه الله تعالى فهم كلامه وكف عنه (فهمهم) الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفي الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعني عليه او على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وتنحى عن الطريق) اى تأخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق اذهابا لخوفه (وذكر) اى سفينة (في منصرفه) اى انصرافه ورجوعه من اليمن (مثل ذلك) اى مثل ما وقع له في ذهابه فيكون لقيه في سفره هذا مرتين (وفي رواية اخرى عنه) اى عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تخريجه (ان سفينة تكسرت به) في بعض اسفاره (فخرج الى جزيرة فاذا الاسد) اى فاجاه بها اسد لقيه فيها والجزيرة معروفة (فقلت) للاسد (انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) اى طفق وصار (يغمزني) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاء معجمة واصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوزبه عن الدفع الخفيف بفرسة قوله (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف وهو رأس الذراع ومابين الكتف والعنق (حتى اقامني على الطريق) اى حتى اتى بى الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقي قال سفينة وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى اجمة فيها اسد فرأيته اقبل الى فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبل نحوى حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى اقامني على الطريق ثم همهم ساعة وبصبص بذنبه فظننته انه يودعني فكان آخر عهدى به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة ايضا رضي الله تعالى عنه (واخذ عليه الصلوة والسلام باذن شاة) اى امسكها واخذ المتعدى بالباء بمعنى امسك بخلاف اخذه فهو تضمين (لقوم من بني عبد القيس) اسم قبيلة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة سمى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت (ثم خلاها)

اى نحى اصبعيه عنها و تركها (فصار ذلك) اى اخذه باذنها يعنى اثره (ميسما) بكسر الميم اصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو الكى فهو اسم آلة الكى من الحديد فاطلقت على العلامة واثرها مجازا كما يطلق على العضو الذى فيه الاثر كما ورد فى الحديث (فيها) اى الشاة (ونسلها بعد) بالبناء على الضم اى بعدها اوبعد اخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لايعلم من رواه من المحدثين (وماروى عن ابراهيم بن حماد بسنده) هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف (من كلام الحمار) ونطقه له صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا بمقاله (الذى اصابه بخيبر) اى وجده بها لما فتحها (وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب) وانه من نسل ستين حمارا كلها لم يركبها الانبى وقال له كنت اتوقع ان تركبنى اذ لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودى فكنت اعتربه عمدا فكان يجيعنى ويضربنى (فسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) هو فى اكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمى وروى غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمسانى اقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه اخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعفور لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة الاترى ان يعفر بضم الياء يصرف لذلك قال فى الصحاح الاسود بن يعفر بضم الياء منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس فى اوزان الفعل يفعول وفى هذه المسئلة كلام فى شرح التسهيل * واعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذى رمى نفسه فى البئر كما سيأتى ويقال هما واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفير كان اشهب وهو مما اهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر اهداه له فروة كان يركبه وآخر اعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلى فى الروض عن ابن فورك فى كتاب الفصول قال السهيلى وزاد الحوفى فى كتاب الشامل (وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) ومعنى يوجهه يرسله الى جهة ودور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا لدقه الباب ورأوه علموا انه يطلبهم لانه يكلمهم لكنه يفهم ماامره به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخره له وفهم مراده (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمامات تردى) الحمار اى القى نفسه وطرحها (فى بئر) كانت بالمدينة معروفة لابى الهيثم بن التيهان فكانت البئر قبره والتردى تفعل من الردى وهو الهلاك وهو مخصوص بهلاك من القى نفسه يقال تردى من الجبل وفى البئر اذا سقط او القى نفسه فيها (جزعا وحزنا) على فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفقده (فمات) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حمار وانه كان يركبه وان ركوبه سنة لا كلام

فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قال ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم لا اصل له (و) مما ذكر من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجماد والبهائم ونطقها (حديث الناقة) الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع (التي شهدت) بنطق بين (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها) ومالكها الذي قيل انه سرقها فقالت (انه ما سرقها وانها ملكه) فحكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بها لان للقاضي ان يحكم بعلمه او نقول انه من خصائص الانبياء عليهم الصلوة والسلام والحديث هو ما قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة ابصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى آخره (وفي العنز) اي في حديث العنز الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر رضي الله تعالى عنه (اتى انت رسول الله) صفة العنز وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في عسكره) حال اي وهو في عسكره (وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء) اي في مكان لا ماء فيه (وهم زهاء ثلاثمائة) اي قرب عددهم تخمينا من ثلاثمائة رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يحتمل انه على ظاهره وان يكون امر بحلبها والاسناد مجازي (فاروى) بلبنها (الجند) بأجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده ومنه اروى والعسكر والجيش والجند بمعنى فيه تفنن واسناد اروى للنبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه محازا ويعده فهو مجاز ايضا ان لم نقل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعده (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (لرافع) براء وعين مهملتين بينهما الف وفاء ر بصيغة اسم الفاعل من الرفع علم صحابي كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته (املكها) اي احفظها واتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها او وجدت بارض العدو ويحتمل ان يكون معناه شدها واوثقها من ملاك الامر او ملاك العجين ونحوه (وما اراك) بمعنى لا اظنك فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبني للمفعول اي لا اظنك تملكها او تحفظها (فربطها) وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع (فوجدها قد انطلقت) اي انحل وثاقها ومضت وغابت عنه فالفاء فصيحة (رواه) اي حديث هذه العنز (ابن قانع) بقاف ونون وعين مهملة (وغيره) من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن عدي عن جماعة من الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فى سفر وكنا اربعمائة فنزلنا فى موضع ليس فيه ماء فشق ذلك علينا واعلمناه بذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فحلبها وشرب حتى روى وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما اراك تملكها فاخذتها ووتدت لها وتمت ثم قمت فى بعض الليل فلم اجدها فاخبرت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان سألنى فقال يا رافع ذهب بها الذى جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هى ككبش الفداء وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لاوجه له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذى اوهمه ذلك قوله (وفيه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لرافع لما اخبره بانطلاقها (ان الذى جاء بها هو الذى ذهب بها) يعنى الله او الملك (و) من هذا القبيل ما روى انه عليه الصلوة والسلام (قال لفرسه) لفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى الا انه مؤنث سماعى وسمع فرسه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة افراس مذكورة فى السير باسمائها ومن اين ملكها ولاداعى لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم (وقد قام الى الصلوة فى بعض اسفاره) والفرس غير مربوط ولم يأمر احدا بامساكه بل خاطب الفرس وقال له (لا تبرح) اى لا تزل من مكانك الذى اوقفتك فيه من البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت فى مكانه وبمعنى زال وهو نفى معين فاذا دخل عليه صار لنفى النفى وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة واهل اللغة (بارك الله فيك) دعاء له من البركة وقد تقدم تحقيقها ويأتى ايضا مع زيادة (حتى نفرغ من صلوتنا) وتمها وهو غاية لثباته فى مكانه (وجعله قبلته) اى جعله فى جهة قبلته ساترا ومانعا لمن عمر بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه لاحاجة لذكره هنا (فاحرك) الفرس (عضوا) من اعضائه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف (حتى صلى) اى اتم صلوته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه معجزة له عليه الصلوة والسلام ابهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده اعلمه بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض النسخ هنا زيادة وهى (وملتحق بهذا) المذكور من معجزاته او من كلام الحيوانات لان فهم انه لم يعرفها كفهم العربى كلام العجمى قريب منه ومشابه له (ماروى الواقدى) صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعى عنه دليلا على صحة مارواه وترجمته فى الميزان مفصلة وكذا فى اول سيرة ابن سيد الناس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله) جمع رسول (الى الملوك) من العرب والعجم اى ارسلهم لجهتهم وناحيتهم لما فشا الاسلام وقوى (فخرج ستة نفر منهم) اى ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل

الواحد كما ينساه فى شرح لدرة وقد صرح به الكرمانى فى شرح البخارى وهو عربى فصيح ايضا وكان ارساله لهم (فى يوم واحد) خرجوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) من غير مضى زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن ارسلوا اليه مفصل فى السير ايضا وهذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لشمول بركته لهم (والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة) رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم ﴿ خاتمة ﴾ مما يلحق بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والجمادات ما ذكر فى بعض الكتب وشاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر فى اماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين الف دينار واوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الرمل احيانا لا يكون لقدمه اثر فيه الاان هذا لم يضبط لان هذا امر عدمى لا يعرفه الامن كان حاضرا ثمة وقد ذكر هذا السبكى فى تائيته وغيره قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتقاده بوجود اثر قدمى الخليل عليه الصلوة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر وفيه يقول ابو طالب * وموطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل * وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بتأثير ضربه فى الحجر ستا اوسبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة انبى الاولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها فيؤيده وجود اثر حافر بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بها الى الآن يقال له مسجد البغلة وما ذاك الامن سره صلى الله تعالى عليه وسلم الساري فيها ليكون اوضح فى الدلالة على انه اوتى مثل ما اوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه اعلى منه ونقل المجد الشيرازى عن ابن بكار فى المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة ومسجدها انه فى غربى هذا المسجد اثرا كانه اثر مرفق يذكرانه صلى الله تعالى عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثرفيه وفى آخر اثر اصابعه انتهى وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودى فى تاريخ المدينة وقال انه مسجد بنى ظفر من الاوس شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره ابن النجار فى تاريخه ايضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقى فى سيرته ان هذا لاوجود له فى شئ من كتب الحديث وممن انكره الشيخ برهان الدين الناجى وقال السيوطى فى فتاويه لم اقف له

على اصل ولا سند ولا رأيت من خرجه فى شئ من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمى فى شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد فى شئ من التواريخ المعتمدة فلا يسوغ نسبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث احمد المتولى شارح الجامع الصغير فقال بعد ماساق ماقلناه مفصلا سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطى وقد قال فى خصائصه الصغرى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماوطئ على صخر الا واثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدرى انتهى * قلت لاسهو ولا نسيان فان السيوطى رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المعجزة وانما انكر مايؤثر بعينه فى الاماكن التى ذكروها وكذا ماقاله صاحب المواهب الا ان ما نقله السيوطى من قوله ماوطئ صلى الله تعالى عليه وسلم على صخر الا واثر فيه لا ينبغى لان الظاهر انه كان فى اول البعثة ككلام الحجر والشجر الذى تقدم واما كونه لااثر لقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابورى وغيرهما بسند ضعيف وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم الطف خلق الله واخفهم ولذا لم يؤثر مشيه فى الرمل ولا ينافيه تأثيره فى الحجارة فانما هو لبقاء اثره وتبكيت حاسديه وانهم اقسى من الحجارة الا انه وقع فى الاحياء مايقتضى خلافه لانه نقل فيه اثرا فيه ان بعض الصحابة انكر على ابى موسى رضى الله تعالى عنه دعاءه على المنبر لعمر رضى الله تعالى عنه اذ لم يذكر ابابكر رضى الله تعالى عنه فقام بين الملأ بالمسجد وقال له اين من كان قبله فشكاه لعمر رضى الله تعالى عنه فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاءه دق عليه الباب فخرج اليه وقال له ازعجتنى من وطنى فسأله عن سبب شكاية اميره منه فقص عليه القصة فبكى رضى الله تعالى عنه وقال والله ليوم وليلة لابى بكر رضى الله عنه خير من خلافتى يعنى باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشى تارة خلفه وتارة امامه وتارة يحمله يقصد بذلك اخفاء اثر اقدامه فى الرمل حتى لا يشعر به من يقص اثره * قلت وكان هذا هو مستند ابن خلدون فى مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعاء للسلاطين فى الخطبة سنة وان كان الزركشى قال فى كتاب احكام المساجد انه بدعة لا ينبغى تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوائد النفيسة الجليلة

﴿ فصل ﴾ من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى احياء الموتى وكلامهم) له صلى الله تعالى عليه وسلم واحياء مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقى هو الله وهو اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى البردة * لو ناسبت قدره آياته عظما * احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم * وقد تكلم الناس فى معنى هذا البيت واورد عليه ان من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم آية من كتاب الله

خير من محمد وآل محمد فكيف لايكون في معجزاته مايناسب مقداره في الشرف واجيب بان المراد بمعجزاته مااحدثه الله تعالى على يديه والقرآن صفة لله قديمة ومعناه انه لايعد شيئا من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا ان يكون منهـا ان كل احد لو دعا باسمه وتوسل به في احياء الموتى وقع له ذلك بان يقول اللهم اني اسألك بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تحيي صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم (وكلام الصبيان) الذين في المهد لم يصلوا لسن يتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانه ليس من شانهم الكلام واخره لانهم احياء من شانهم الكلام فهو دونه مرتبة (والمراضع) جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان تقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدأ رضاعه والاطفال كالصبيان لايؤدون مؤداه الذي قصده (وشهادتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة) اي قول من في المهد انك نبي الله ورسوله وعطفه على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام ثم شرع في اثبات ماذكره بحديث اورده ابو داود مسندا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه فقال (حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه) اي المتبحر في معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا (بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد) علم منقول من مصدر الى وهو محمد بن احمد بن رشد الامام المالكي الجليل قاضي قرطبة تولى قضاها بعد ابي القاسم بن حمدين سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم عزل سنة اربع عشرة وولي ابو القاسم وذلك في سلطنة يوسف بن تاشفين (والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) الذي تقدمت ترجمته (وغير واحد سماعا واذنا) يعني انه سمع منهم واذنوا له في الرواية عنهم (قالوا حدثنا ابو علي الحافظ) الغساني الذي تقدم قال (حدثنا ابو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال (حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى) بن محمد المعروف بابن العطار قال (حدثنا احمد بن سعيد) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابي) تقدم قال (حدثنا ابو داود) الامام صاحب السنن قال (حدثنا وهب بن بقية) الواسطي ابو محمد ويقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وروى له مسلم وابو داود والنسائي (عن خالد هو الطحان) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين فقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفي سنة تسع وتسعين ومائة وولد سنة عشر ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن محمد بن عمرو) بن علقمة وله ترجمة

في الميزان (عن ابي سلمة) احد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن ابي هريرة) رضي الله عنه (ان يهودية) من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بني النضير وقيل انها زينب اخت عبدالله بن سلام (اهدت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) اى مشوية من صلاء بالنار اذا شواه واصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ماقبلها (سمتها) اى وضعت فيها السم يقال سممته انا والعامة تقول سميته وهو خطأ كما قال السراج الوراق رحمه الله تعالى

رزقت بنتا ليتها لم تكن * في ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ماسميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد يقال اصله سممتها بثلاث ميمات ابدلت الثالثة ياء على القياس (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها واكل القوم) الذين كانوا معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم اى شرعوا في الاكل (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ارفعوا ايديكم) اى كفوها عن الاخذ منها للاكل وابعدوا ايديكم عنها واصل الرفع الاعلاء فكنى به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه (فانها اخبرتني انها مسمومة) وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شاء الله اسمعهم كلامها (فمات بشر بن البراء) بفتح الباء الموحدة والراء المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطأ وهو صحابي خزرجي شهد العقبة وبدرا قيل انه مات في الحال وقيل لم يزل مريضا حتى مات بعد سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لليهودية ماحملك على ماصنعت) من السم ووضعه حتى حصل منه ماحصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال الله تعالى (مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها) اى كلفوا ان يقوموا بحقها فلم يفعلوا فالمعنى مادعاك اصنعك هذا (قالت) الداعي انى اردت معرفة حالك واختبارك (ان كنت نبيا لم يضرك ما) وفي نسخة الذي (صنعت) من وضع السم واكلك له (وان كنت ملكا) بكسر اللام اى سلطانا (ارحت الناس منك) بموتك فلما لم يضر السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله عصمه من اذى الناس ولم يمكن احدا من قتله صلى الله تعالى عليه وسلم باى طريق كان فاما احتجم بعده كما روى هاهنا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل الاكل ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غير اهانة له صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في السم هل كان في الشاة كلها وفي الذراع زيادة على غيره لانها سألت ما احبها اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع اوكان في الذراعين فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس واما سؤالها صلى الله تعالى عليه وسلم لتقر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا نقض له (قال) اى ابو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان رواه مرسلا في محل

آخر (فامر بها) اى بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) اى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من طريق آخر فى الصحيحين (عن انس) بن مالك (وفيه) اى فيما رواه انس (قالت اردت قتلك) ان لم تكن نبيا كامر (فقال) لها (ما كان الله ليسلطك) من التسليط والسلاطة وهى التمكن من القهر والاذية كما قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم (على ذلك) اى القتل وروى على مشددا بحرف ياء المتكلم والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمسانى (فقالوا اقتلها) وفى نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفى اخرى الانقتلها (قال لا) تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية ابى هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها للبراء الا ان يقال ان البراء عفى عنها اوعلى انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل فى كتب الفقه (وكذلك روى) بالبناء للمجهول اى روى هذا الحديث (عن ابى هريرة من رواية غير ابن وهب) بن بقية شيخ ابى داود انه روى و (قال فما عرض لها) عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد اى تركها (ورواه ايضا جابر بن عبد الله) كما فى سنن ابى داود والبيهقى (وفيه) اى فيما رواه جابر (اخبرتنى به) اى بالسم الذى فيها (هذه الذراع) اى ذراع الشاة وهو مؤنث سماعى ولذا قال هذه وكذا الفخذ الآتى مؤنث (قال) جابر رضى الله تعالى عنه (ولم يعاقبها) اى لم يقتلها وفى بعض النسخ (وفى رواية الحسن) البصرى (ان فخذها) هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها مافوق الساق (كلمنى) اى قالت لى (انها) اى الشاة (مسمومة) اما لان السم عمها اوفى ذراعها فقط كامر وهذا لاينافى مامر من ان الذراع كلمه لانه لامانع من ان يكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للفخذ بناء على احد الوجهين (وفى رواية ابى سلمة بن عبد الرحمن قالت انى مسمومة وكذلك) اى مثل هذه الرواية (ذكر الخبر) السابق (ابن اسحق) فى سيرته (وقال فيه فتجاوز عنها) اى عفى عنها ولم يعاقبها فى اول الامر ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به كامر فى الجمع بين الروايتين اولم يقتلها بسببه اما لانه لا يوجب القتل اولامر آخر رآه (وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن انس انه قال فمازلت اعرفها) اى اعرف اثر الطعام الذى سمته اليهودية (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن قناة وهى لحمة فى اقصى سقف الفم تعلق على آخر اللسان واول الحلق وهى لاترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكأنه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الاقل كما فى قولهم اللهى تفتح اللها فكان لها اثر فى ظاهر فمه من تغير ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد انها اثرت فى صورته تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله فاراد بالهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث فى الصحاح وفيه كلام

فى شروحه والحاصل انهم اختلفوا فى قتلها وعن ابن شهاب انها اسلمت فتركها لاسلامها وفى الروض الانف انه تركها اولا لانه كان لاينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهاءنا والشافعى قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل منه وهو لايعلم فمات لايجب القصاص ولذا قيل انه انما قتلها سياسة اولنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذى فى البخارى ان اليهود سموها لاينافيه لانه كان بامرهم واتفاق منهم (وفى حديث) عن (ابى هريرة) رضى الله عنه الذى رواه عنه ابن سعد بسند صحيح (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه) يعنى مرضه فعبر عنه بلازمه (الذى مات فيه) اى مات متلبسا به اوفى زمنه وروى منه بدل فيه (مازالت اكلة) بضم فسكون وهى مايؤكل كالغرفة لمايغرف لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار كما قاله النحاة (خيبر) بمنع الصرف بلدة على اميال من المدينة اهلها يهود (تعادنى) بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة والف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم اى تعود الى مرة بعد مرة اخرى فى اوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ماياتى لوقت كالحمى والسم وقال السهيلى تعادنى بمعنى تعتادنى وقيل هو مايهيج بعد سنة من الم لدغ ونحوه وليس المراد بالالم نقص فى الذوق لانه لايعد مثله الم وماقيل من انه المراد مكابرة فى المحسوس لاوجه له مع انه لاينافى قوله (فالآن) مبنى على الفتح ولايستعمل بغير ال وهو الزمن الحاضر (اوان قطعت) اى الاكلة بسمها وتأثيره (ابهرى) بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب اوداخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع يموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لاينافى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) الى آخره لا لانه قبل نزول هذه الآية بل لان المراد عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة بحيث يظهر فى وقته وهذا مع انه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء اثره وانما قدر الله تعالى تأثيره فيه بعد زمان ليرزقه الله تعالى الشهادة وهذا مما لادخل للخلوق فيه ومرضه الذى مات فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى ابويعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب واورد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لد بقسط وزيت فلما افاق صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنتم ترون ان بى ذات الجنب ماكان الله تعالى ليجعل لها على سلطانا والله لايبقى احد فى البيت الالد فغفلوه واللدود دواء ذات الجنب وقد ورد ان ذات الجنب من الشيطان واجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون فى مستبطن الحشاء وهو المنفى وآخر يكون بين الاضلاع وهو المروى فى الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم (وحكى ابن اسحق ان) بكسر

الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر اصله انهم (كان المسلمون ليرون) بفتح اللام وهي لام الابتداء ويرون بضم الياء المثناة التحتية اى يجوزون ويجوز فتحها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة (مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون) بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكي الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم (اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته) كما في بعض الروايات مع ما فيه ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى مأولة عنده كما من لا تصفى كدره واليه اشار المصنف رحمه الله بقوله (وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك) الدال على خلاف ما قاله ابن سحنون (عن ابي هريرة وانس بن مالك وجابر) وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وما ذكر في الحديث الذي قبل هذا من كون آثار السم تشاهد في لهواته من تتمة القصة فلا ينافي كون الفصل معقودا لاحياء الموتى كما توهم وكذا ما ذكر في هذا الحديث (وفي رواية ابن عباس) التي رواها ابن سعد (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دفعها) اى سلم المرأة التي سمته (لاولياء بشر بن البراء فقتلوها) يعني ورثته الذين لهم دعوى القصاص (وكذلك) اى مثل ما اختلف في قتل من سمه وحكمه (قد اختلف في قتله من سحره) وفي نسخة الذي سحره وهو رجل يهودي من بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان يخيل له انه يفعل الشيء وما يفعله ثم شفاه الله تعالى منه كما سيأتي الكلام على قصته في كلام المصنف رحمه الله تعالى (وقال الواقدي وعفوه عنه) اى الساحر (اثبت) اى اقوى واصح واصل معناه اشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر (عندنا) معاشر اهل السنة والحديث (وروى عنه انه قتله) وفي الوفاء عن زيد بن ارقم قال سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل يهودي فاشتكى لذلك اياما فاتاه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال له ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها وحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام كأنما نشط من عقال فاذكر لذلك اليهودي ولا اراه في وجهه قط وقال الثعلبي انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم اما نأخذ الخبيث فنقتله فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس منه شرا بسببي وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلا في الفروع وفي السحر وجواز تعلمه كلام مشهور بيناه في غير هذا المحل (وروى الحديث) اى حديث الشاة المسمومة السابق لا حديث السحر كما توهم (البزار عن ابي سعيد) الخدري (فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده) ومدها صلى الله تعالى عليه وسلم ليتناول من لحمها (وقال)

(لمن)

لمن عنده من الصحابة (كلوا) متبركين (بسم الله فاكلنا منها فلم يضر منا احدا) وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذى تقدم وقال السيوطى نقلا عن الشيخ ابن حجر ان هذا الحديث منكر (قال القاضى ابو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (رضى الله تعالى عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح) الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته (وخرجه الائمة) فى كتبهم كاصحاب السنن (وهو حديث مشهور) بين المحدثين (واختلف ائمة اهل النظر) من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث (فى هذا الباب) اى باب خلق الله الكلام فى اجسام غير ناطقة ثم بين وجوه اختلافهم بقوله (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله فى الشاة الميتة) بالتشديد والتخفيف (او الحجر او الشجر) ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظى والنفسى بالاشتراك او بالحقيقة فى الاول والمجاز فى الثانى او بالعكس اشار الى ان المراد الاول بقوله (وحروف واصوات) اى هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام (يحدثها) اى يوجد تلك الحروف والاصوات (فيها) اى فى تلك الاجسام بلا حيوة مخلوقة فيها لعدم توقفها عليها (ويسمعها) بضم التحتية اى يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحياء (منها) اى من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كائنا (دون تغيير اشكالها) جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال الله تعالى (وآخر من شكله ازواج) اى هو مثله فى الهيئة ومنه قولهم الناس اشكال وآلاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قال الراغب فقوله (ونقلها من هيأتها) اى نقلها من هيأتها الاصلية الى هيئة اخرى لذوات الارواح والنطق (وهو) اى عدم لزوم ماذكر (مذهب الشيخ ابى الحسن) الاشعرى امام اهل السنة (والقاضى ابى بكر) الباقلانى فعندهما الحيوة ليست بشرط لخلق الكلام فى الاجسام (و) قوم (آخرون) من اهل السنة (ذهبوا الى) اشتراط ذلك والى (ايجاد الحيوة بها اولا) قبل نطقها وصدور الكلام منها (ثم الكلام بعده) اى بعد ايجاد الحيوة بها (وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابى الحسن) الاشعرى كما حكى القول الاول عنه فله قولان فى هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كامر ولا يلزم ان يكون المصنف رحمه الله تعالى ادركه وتلمذ له كما لا يخفى فى مثله (وكل) من القولين (محتمل) اسم مفعول اى جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حيوة وان ينطقه بدونها ولا تناقض على ما قررناه فى كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل احد قوليه على الكلام النفسى لاستلزامه الحيوة كاستلزام العلم لها والآخر على اللفظى لعدم استلزامه خلقه فى محل خلقها فيه و مثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه المصحف كما لا يخفى

(اذا لم تجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات) وحينئذ يحتمل انه تعالى خلق فيها حيوة ويحتمل انه انطقها بدون ذلك اذلا يشترط وجوده ولا عدمه (اذلا يستحيل) ويمتنع عقلا (وجودها) اى الحروف والاصوات (مع عدم الحيوة بمجردها) اى وحدها من غير جارحة وحيوة ونحوها (فاما اذا كانت) اى الحروف والاصوات اوهذه العبارة التى هى الكلام فالتأنيث لمراعاة الخبر فى قوله (عبارة) اى معبرا بها والظاهر الثانى (عن الكلام النفسى) الذى يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسى والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل فى علم الكلام يضيق طوق المقام عنه (فلابد من شرط الحيوة لها) لانها العلم اومستلزمة له وعلى كل حال فلابد من الحيوة فيها (اذلا يوجد كلام النفس الامن حى) اذلابدله من نفس تقوم به والنفس لاتكون الاذات حيوة واما الكلام اللفظى فلا يشترط فيه ذلك (خلافا للجبائى) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وياء نسبة الى الجباء قرية بالسواد وهو ابو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد بن حمدان بن ابان مولى عثمان بن عفان البصرى رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلاثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) اى فرق اهل السنة والمعتزلة فانه تفرد (فى احالة وجود الكلام اللفظى) اى عده محالا عقلا وعادة (والحروف والاصوات الامن حى مركب) قائم بحسب الصورة (على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات) بان يكون جسماله آلة نطق وجوف ثم لماورد عليه ما تواتر من نطق غيره قال دفعاله يلتزمه واليه اشار بقوله (والتزم ذلك) اى وجود التركيب المذكور (فى الحصا) بمهملتين جمع حصاة (والجذع والذراع) الذى نطق له صلى الله تعالى عليه وسلم لتواتره (وقال ان الله خلق فيها حيوة وخلق (٢) لها فما) اى ابدعه وميزه عن غيره من الاعضاء كما خرق سمعه وشقه اذا ابرزه وصوره (ولسانا وآلة) للكلام (امكنها) اقدرها وجعلها متمكنة بها (من الكلام) والنطق (وهذا) اى المذكور من الآلة والاعضاء دعوى بلابينة اذ (لوكان) اى ماادعاه وقع فى الخارج (لكان نقله) اى وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة (والتهمم به) تفعل من الهم اى الاهتمام والاعتناء به (اكد) بالمد واوكد بالواو بمعناه اى اقوى واشد (من التهمم بنقل تسبيحه) اى تسبيح الحصا (وحنينه) اى الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شائعا ولم ينقل انه روى له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة فى المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها (ولم ينقل احد من اهل السير) اى رواة الحديث والسير النبوية (والروايات) وفى نسخة الرواية (شيئا من ذلك) المذكور الذى ادعاه (فدل) عدم نقلهم (على سقوط دعواه) اى بطلانها (مع انه لاضرورة) داعية (اليه فى النظر) والفكر فى الامور المعقولة واما كون الله خلق ذلك

(٢) خرق نسخه

واخفاه فاوهى من دعواه (والله الموفق) للصواب (وروى وكيع) بفتح الواو والكاف المكسورة هو ابوسفيان بن الجراح بن مليح بن عدي الرواسي (رفعه) اى رواه مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن فهد بن عطية) هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفى نسخة راء مهملة قال البرهان لا اعرفه بدال ولا براء والذى فى البيهقى انه عن سمى بن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بصبى قد شب) اى كبر وصار شابا وهو (لم يتكلم قط) من طفوليته لشبابه لانه خلق اخرس (فقال) له (من انا فقال انت رسول الله) فانطقه الله معجزة له صلى الله عليه وسلم بعدما كان ابكم وذكر هذا فى الفصل الذى بعده اظهر وان كان هذا بتنزيل الابكم لمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق (وروى عن معرض بن معيقب) بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل وقيل الراء مكسورة مشددة وروى معيقب بباء وقيل معيقل بلام (رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم عجبا) اى امرا عجيبا وقع عنده وهو انه (جئ) بالبناء للمجهول اى جاء اليه بعضهم (بصبى يوم ولد) مجهول ايضا (فذكر) راويه وهو معرض (مثله) اى مثل ما مر من انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم من انا فقال له انت رسول الله (وهو) معروف فى المعجزات بانه (حديث مبارك اليمامة) وفى نسخة وكان يسمى اى ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا مؤخر فى النسخ كما سيأتى (ويعرف) ذلك الحديث (بحديث شاصونة) بشين معجمة والف وصاد مهملة وواو ساكنة ثم نون وهاء وهو (اسم راويه) اى راوى هذا الحديث وبيانه ما قاله السيوطى فى خصائصه الكبرى قال الخطيب اخبرنى على بن احمد الرزان قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابى هاشم املاء قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمى املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد ابو محمد اليمامى منصرفا من عدن سنة عشر ومائتين بقرية يقال لها الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليمامى عن ابيه عن جده حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه فى خرقة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياغلام من انا فقال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال ابى فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة سمعت هذا الحديث منه منذ ثمانون سنة ولم اسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطنى كان الكديمى يتهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بينى وبينه عقدة لا احلها الا بين يدى الجبار فانتهى اليه الخبر

فكان لايذكره الاخير وقال الخطيب ان الكديمى لما املى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الاانه قد وقع الينا من غير طريق الكديمى ثم ساقه بسنده الى آخره قال السيوطى فقد وقع روايته من طرق فهو حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع فى حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطى هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف (وفيه) اى فى هذا الحديث (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للصبى حين تكلم (صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد) مبنى على الضم اى بعد ذلك الكلام (حتى شب) اى كبر ووصل سن النطق (فكان يسمى مبارك اليمامة) لدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له بالبركة (وكانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع) بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها آخر حجه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكر فيها مايشعر بقرب اجله وانه يوادع فيها امته (وعن الحسن) البصرى وقدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطى (اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له) تصغير بنت (فى وادى كذا) لم يبينه راويه اى رماها ثمة فماتت وقيل انه وأدها على عادة الجاهلية (فانطلق) اى مشى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (معه الى الوادى) الذى ذكر له (وناداها) اى نادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنت ذلك الرجل (باسمها يافلانة اجيبينى باذن الله تعالى) اى بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يجوز به عما ذكر تجوزا مشهورا (فخرجت) حية من قبرها (وهى تقول لبيك وسعديك) اى اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد ولا يستعمل الامثنى والكلام عليه مشهور فى كتب النحو كما تقدم (فقال لها) لما اجابته (ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما) بعد استقرار الحيوة فيك رددتك عليهما (قالت لاحاجة لى فيهما) ولا اريد الرجوع اليهما (وجدت الله) وماعنده من الخير (خيرالى منهما) ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احياء الموتى وكلامهم ونطق المنفصل الصغير ايضا وقد نطق فى المهد جماعة منهم من ذكر فى هذه الاحاديث وسيأتى تمامه واعلم ان من تكلم فى المهد من الاطفال كثير عدوا منهم عيسى ابن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة بنت فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وماذكره المصنف رحمه الله وقد نظمهم السيوطى فى قوله

تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى و لاتتكلم

وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك تختم

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ايضا (وعن انس) فى حديث رواه البيهقى وابن عدى مسندا (ان شابا من الانصار توفى وامه عجوز عمياء) وهذا مما يدل على شدة حزنها الكبر سنها وعجزها المحوج لولدها (فسجيناه) بالسين المهملة والجيم اى غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض او كفناه (وعزيناها) اى صبرناها وسليناها بذكر مالها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية اهل الميت عنه وهى سنة معروفة (فقالت لهم) لما عزوها (مات ابنى) فيه استفهام مقدارى امات ابنى وانما قالته امالانها لم تعلم اولتذكر مابعده اولذهولها بالمصيبة (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت) الهجرة الانتقال من بلد الى آخر وهذا لاينافى كونها من الانصار لانها قد تسكن فى مكان بعيد هاجرت منه (اليك والى نبيك) الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والافالله معها انما كانت (رجاء ان تعينى) بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين (على كل شدة) الشدة بمعنى الصعوبة هنا اى على كل امر شاق يصعب على و يعسر تحمله لاسيما فقد الولد مع كبر السن وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها فى هجرتها لله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لالانها لاتعلم ذلك لانه ينافى توصيلها به الى الله او باعتبار القبول اوتجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب مفعول له (فلا تحملنى) بالحاء المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى لاتكلفنى لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعيرله كقوله تعالى لاتحملنا ما لاطاقة لنا به (على) بجرياء المتكلم (هذه المصيبة) يعنى موت ولدها فى هذه الحالة (فما برحنا) اى ماذهبنا من مكاننا الذى كنا فيه (حتى كشف) ولدها (الثوب عن وجهه) بعد ماغطى به (فطعم وطعمنا) اى قدم لنا طعام اكل منه ولدها واكلنا معه وذكروا انه عاش الى وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بقى بعده كما ذكره ابن ابى الصيف وفيه معجزة حيث انه احيى الميت للدعاء باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبى (وروى) الراوى له البيهقى رحمه الله تعالى (عن عبدالله بن عبيدالله الانصارى) بتصغير الثانى (كنت فيمن دفن ثابت بن قيس) اى حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الانصارى المدنى الصحابى وكان خطيب الانصار وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة (وكان قتل باليمامة) وروى له البخارى والنسائى وابو داود وكان جهورى الصوت فلما نزل ﴿يا ايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى﴾ احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسئل عن سبب ذلك فقال قد علمتم انى ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخشى ان اكون من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة وقال التلمسانى انه كان باذنه صمم

فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لايحتاج لرفع صوته وقد قال ابن حجر ان الصحابة لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كأمس وهي بلدة مسيلمة الكذاب وهي على ستة عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه اوصى بعد موته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية احد بعد موته الآخر وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر وكانت اخس درعيه فرأى رجلا ناسا في منامه فقال اوصيك بوصية فاياك ان تقول انها حلم فتضيعها انى قتلت امس فمرّبي رجل فاخذ درعى ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحلا فأت خالدا بني امير هم فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابي بكر ان على دينا للناس مقداره كذا والداين فلان وفلان وان رفيقى فلانا حر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف واخبر ابو بكر بوصيته فاجازها (فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول) اى سمعنا كلامه فهذه صفة مصدر اوالضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله الثانى على ما ذهب اليه ابو على الفارسى من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه متعد لواحد بتقدير والجملة حالية اومستأنفة وقد خطأ ابن السيد ابا على في هذه المسئلة في كتاب الحلل كما فصلناه في غير هذا المحل واخبرنا عنه (محمد رسول الله ابو بكر الصديق) مبتدأ اوخبر اى الكامل في التصديق والصدق لانه لم يرتب في صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق الناس في ذلك فلذا خص بالصديقية وتمامه (عمر الشهيد) اى المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء لان قاتله كافر مجوسى وهو ابولؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس وهوشهم (عثمان) بن عفان (البر الرحيم) ذو البر والاحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم اى ذو رحمة ورأفة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشيمه (فنظرنا اليه) لما تكلم بعد موته لتوهمنا انه عادت اليه حياته (فاذا هو ميت) اى فاجأنا بعد نظرنا كونه ميتا على حاله وانما انطقه الله الذى انطق كل شئ لتحقق حياة الشهداء وليس هذا كان عند سؤال الملكين له ان قلنا ان الشهداء يسألون وقيل غير (ورد) بالبناء للمجهول وهذا مما رواه الطبرانى وابو نعيم وابن مندة ورواه ابن ابي الدنيا عن انس ايضا (عن النعمان بن بشير) الصحابى الانصارى الخزرجى الذى وهو اول من بايع ابا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد بين الامراء بالمدينة من اليمامة والنعمان اول مولود بعد الهجرة ولد بها اربعة اشهر منها وقتل بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة اربع وستين وولاه معاوية الكوفة واليمن (ان زيد بن خارجة) هذا اصح مما وقع في بعض النسخ ابن حارثة وان كان

من بني الحارث بن الخزرج لانه زيد بن خارجة بن زيد بن ابى زهير بن مالك من بنى الحارث ابن الخزرج قال فى الاستيعاب ولم يختلفوا فى انه هو الذى تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال ابو نعيم الاصبهانى خارجة بن زيد هو الذى تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبدالبر وابن الاثير فى اسدالغابة وكذا قال الذهبى وقيل المتكلم ابوه وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزى ولم يحك فيه خلافا ولابن ابى الدنيا جزء اورده لمن تكلم بعدالموت ولم يقف عليه (خر ميتا) اى سقط من قيام فى حال كونه ميتا واصل معنى خر سقط سقوطا يسمع معه خرير وتقدم ان الخرير صوت الماء والريح ونحوه مما سقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا (فى بعض ازقة المدينة) جمع زقاق كغراب وهو الطريق (فرفع) بالبناء للمجهول اى اخذ من مكانه الذى سقط فيه (وسجى) بالبناء للمجهول اى غطى (اذ سمعوه بين العشائين) ادهما فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعنى المغرب والعشاء على التغليب (والنساء يصرخن) بالصاد المهملة والخاء المعجمة ونون النسوة (حوله تقول) مفعول ثان لقوله سمعوه او حال او هو جملة مستأنفة كما مر ومقول القول (انصتوا انصتوا) اى استمعوا وكرره للتأكيد (فحسر عن وجهه) بضم الحاء وكسر السين والراء المهملات اى كشف عنه بعد ما كان عليه غطاء (فقال) لما كشف عن وجهه (محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين) اى آخرهم بعثا كما مر (كان ذلك) المذكور من كونه رسولا ونبيا اميا خاتما للرسل (فى الكتاب الاول) اى فى جنسه من الكتب المتقدمة او اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله تعالى (ثم قال) زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده او لمن يصح ان يتوجه الخطاب اليه او مجردا من نفسه مخاطبا مأمورا ان كان قوله (صدق صدق) امرا كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما رأيناه بضبط القلم واعتمد عليه فى الشرح الجديد وقال فاعله ضمير مستتر عائد للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالامر ظاهر اى صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغ عن الله (وذكر) بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ابا بكر وعمر وعثمان) وكانه لم يذكر عليا رضى الله تعالى عنه لعدم ادراكه خلافته لانه توفى فى زمن عثمان كما ذكروه ومراده الثناء عليهم رضى الله تعالى عنهم بما فعلوه واتبعوه الدين الذى نابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه (ثم قال السلام عليك يا رسول الله) دعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم واصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدأ للدلالة على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق انواع السلام الذى يوجه للانبياء وزيادة ومعنى السلامة من النقائص والتكريم والتشريف له بما يليق بجنابه كما بينوه وجعل وصف الرسالة بالذكر لا بتباع الامة ثم الذى هو من جملتهم (ورحمة الله وبركاته)

والرحمة بمعنى الانعام والاحسان اوارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لمن اباه لورودها في حديث التشهد كما سيأتي بيانه ايضا والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب اصل البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير التي بركه واعتبروه معنى اللزوم فقيل ابتركوا في الحرب وبركات القتال مكان يلزمه الابطال وسمي محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء قال الله تعالى (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لايحس على وجه لايحصى ولا يحصر وان يقال لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة (ثم عادت كما كانت) ولم تكن عادته سبق وكمن جاز قلت المقام والمصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ولهذه الموت وانطاق من ليس من اهل النطق له وما في هذا الحديث ليس كذلك فانه من هو من امته صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل على ماقبله ومؤكد له لانه اذا كان في امته من يصدر منه مثله فكيف لايصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وفصل في [illegible] من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في ابراء المرضى) جمع مريض كقتلى وقتيل والمراد به زوال مرضهم وحصول شفاءهم واصل البرء والبراء والبرى الاعتلاء كما [illegible] ولذلك قيل برئت من المرض اذا خلصت منه (وذوي العاهات) جمع عاهة وهي الآفة ويقال عاه الزرع اذا اصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة وقد لاتخص بها فتكون الامراض مايعرض بما لم يزمن كالحميات ونحوها وتكون اتم فائدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على نقص الاعضاء كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خافيا ايضا وهذا هو المعروف (انبأنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره) [illegible] على [illegible] الاجازة قال (حدثنا ابو اسحق الحبال) [illegible] في ترجمته قال (حدثنا ابو محمد بن النحاس) [illegible] قال (حدثنا ابن الورد) عبدالله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوي سيرة ابن هشام (عن البرقي) هو ابو سعيد عبدالرحيم بن عبدالله بن عبدالرحيم بن ابي زرعة [illegible] الزهري مولاهم المعروف بابن البرقي نسبة لبرقة اسم مكان (عن ابن هشام) ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الامام الاديب النحوي صاحب السير وهو حميري معافري بصري وسكن مصر وتوفي بها سنة ثلاث عشرة ومائتين وله [illegible] الانساب وغريب اشعار السير وغيره كما ذكره ابن خلكان وفي تاريخ وفاته [illegible] (عن ابن الكائي) بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو زياد بن عبدالله [illegible] الكائي لانه دخل على امه فرآها تحت ابيه وهو صغير [illegible] وهو ابن ابي قتل

امى توفى سنه ثلاث وثمانين ومائة وروى له اصحاب السنن وترجمته فى الميزان مفصله (عن محمد بن اسحق) الامام صاحب المغازى والسير كما تقدم قال (حدثنا ابن شهاب)
محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهرى شيخ ابن اسحق الامام المشهور
كما تقدم ووقع فى بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما فى الملتقى
(وعاصم بن عمر بن قتادة) بن النعمان الظفرى الثقة امام رواة المغازى توفى سنة
تسع او سبع وعشرين او عشرين فقط ومائة اخرج له السنة وترجمته فى الميزان
(وجماعة ذكرهم) فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهرى (قصة احد بطولها) متعلق بذكرهم
والباء بمعنى فى وقصة احد غزاتها وما وقع فيها (قال وقالوا) اى الجماعة المذكورون
الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحق التى اسندها المصنف رحمه الله
عنه ورواه البيهقى ايضا (قال سعد بن ابى وقاص) الصحابى المشهور رضى الله
تعالى عنه وهذه قصة احد التى رواها بطولها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اناولنى) اى يعطينى يده وهو معنى المناولة وهذه الموالاة بمعنى اعطيته (السهم الذى
لا نصل له) بفتح النون وسكون الصاد المهملة قيل لا وهو حديده فى طرف السهم
والرمح وفى بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان والصحيح الاول
والثانى لا يصح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكأنه من تحريف
الناسخ الا ان معناه صحيح ايضا لان النضل رمى السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى به
لانه لانصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا (ويقول) رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له (ارمه) بكسر الهمزة والميم
امر من الرمى والضمير للسهم وفى الكلام مقدر اى فيرمى به ويقتل من اصابه سهمه
مع انه لانصل له وهذه لا تدل على ما ذكره وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا
ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان لم يكن محل الشاهد (وقد رمى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يومئذ) اى يوم احد (عن قوسه) يقال رمى عن قوسه وبقوسه
لا بقوسه (حتى اندقت) اى انكسرت والقوس مؤنثه سماعية واصل معنى الدق
الرض بحرم صلب (واصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان) اصابه سهم لا مجهول
اى اصابها سهم فاخرجها وادمتها ورؤى اصيب بدون تأنيث للتأويل بالعضو
او للفاصل بينهما (حتى وقعت) عينه (على وجنته) الوجنة اعلى الخد ومايلى
العين من الوجه وتطلق على الحدقة (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده)
اى اعاد حدقة عينه الى سالت لمكانها (فكانت) العين المردودة بيده صلى الله
تعالى عليه وسلم (احسن عينيه) اى اجملهما واقواها حسنا اى احسن من عينه
التى كانتا له قبل ما اصيب وردت عينه فلا يرد ان الشئ لا يكون احسن من نفسه
وقوله اصيب عينه ظاهره انما اصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروى

ان عينيه اصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما باحدهما وهو فصيح مشهور كما قال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة وروى ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فقال له من انت فقال بديهة

انا ابن الذى سالت على الخد عينه ❊ فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها ❊ فيا حسن ماعين ويا حسن ما رد

فقال عمر تلك المكارم لاقعبان من لبن ❊ شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال يارسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكنى اكره العور فردها واسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسى اختلف اهل السير فى عددها فقيل سبع وقيل ست وهى الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها والسداد ورند الرنان لصوتها والتى انكسرت باحد هى الكتوم كما فى الهدى النبوى والكلام على قسيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اين صارت وتوجيه تسميتها مذكور فى السير وشروحها (وروى قصة قتادة) المذكور فيها رد عينه وهى قصة فيها طول اقتصر المصنف منها على محل الشاهد وذكر اولها لما فيه من المعجزة ايضا (عاصم بن عمر بن قتادة) صاحب القصة (ويزيد بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ كما قاله البرهان الحلبى والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد او سقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثى الحجازى حدث عن نافع الى آخره وكذا وقع فى نسخة على الصواب (ورواها ابو سعيد الخدرى عن قتادة) رضي الله تعالى عنه وابو سعيد هو اخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان انصارى اوسى وشهد مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا واحدا وغيرها من المشاهد وكانت واقعته يوم احد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما مر هل قلعت عينه او عيناه والمشهور الاول ووقع الثانى مصرحا به فى بعض الروايات ايضا كما رواه ابو نعيم الاصبهانى ونقله السهيلى وقال الدارقطنى انه غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر فى شرح الهمزية وهى زيادة ثقة فتقبل وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف ايضا هل انفصلت اولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى بها او بهما فى كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يارسول الله انى محب للنساء وعندى امرأة احبها فاخشى ان تقذرنى فردها وادع الله لى بالجنة ففعل فكانت اقوى عينيه واحسنهما وتوفى وهو ابن خمس وستين

سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهما (و) روى البيهقى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (بصق على اثر سهم) اى جعل ريقه وما فيه على جراحة (فى وجه ابى قتادة) الحارث بن ربعى الانصارى السلمى الصحابى توفى بالمدينة وهو ابن اربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفى وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق او مستقر حال اوصفة لسهم (فى يوم ذى قرد) بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروى بضمتين كجبك وهو اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر والصوف الردئ المتجمد فسمى به لانه معاطن فيها ذلك اولكثرة طحلبه الشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال ايام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا وهى غزوة تسمى ايضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها ورده فى الهدى النبوى والقرطبى فى شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقاحا (٢) يرعى بالغابة فيها ابن ابى ذر وامرأة من غفار فاغار عليها عيينة ابن حصن الفزارى فى اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابى ذر وسبوا المرأة فركبت المرأة ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لانذر فى معصية الله ولا لاحد فيما لايملك وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونودى ياخيل الله اركبى وكان اول مانودى به فادركهم فى خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم عشرا وفروا بباقيها كما فصل فى السير (قال) ابو قتادة (فما ضرب) الجرح واثر السهم (على) اى ماآلمنى ولا اوجعنى ضربانه ولا ساطا على ضربانه من الضربان يقال ضرب الالم بمعنى الم (ولا قاح) اى سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح وتقيح والقيح صديد وهو شئ كالماء اصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذى والبيهقى (وروى النسائى) والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه والنسائى بالهمزة نسبة لنساء بلدة ويقال نسوى بالواو ايضا وابوعبدالرحمن بن احمد بن شعيب بن على بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفى سنة ثلاث وثلاثمائة على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتأخر عن الثلاثمائة من اصحاب السنن غيره (عن عثمان بن حنيف) بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر وهو اخو عباد وسهل ابنا وهب وله صحبة ورواية وروى عنه احمد واصحاب السنن وهو من الاشراف ولى سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرر هذا الحديث قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغى للقاضى ان يذكر سنده ليعلم انه صحابى لئلا يتوهم ان النسائى سمع منه ومثله سهل (ان اعمى) لم يذكروا اسمه (قال يارسول الله ادع الله لى ان يكشف عن بصرى) المعنى ان يدعوله بان يصح بصره ويزيل الله عنه العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطاء فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة

(٢) كذا فى النسخ كلها ولعل الصواب لقاح بالرفع كما لايخفى قاله مط

طلب ازالتها اوشبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه و بين المبصرات والرؤية بازالته
فيه استعارة (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرا له (انطلق
اى قم من مجلسك هذا (فتوضأ) امر بالوضوء (ثم صل ركعتين) نافلة وتسمى
صلوة الحاجة ومنه اخذ ان كل من اهمه امر ينبغى له ويستحب ان يصلى قبل
الدعاء تقربا الى الله (ثم قل اللهم) اى يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه فى غير
هذا المحل (انى اسالك) واطلب منك حاجتى هذه (واتوجه اليك) اصل معنى
التوجه المقابلة بالوجه فاريد الاخلاص فى القصد للدعاء والتوسل (بنبيك)
وفى بعض النسخ بنبى بالاضافة الى ياء المتكلم (محمد نبى الرحمة) بدل من نبيك اوعطف
بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى الى خطاب نبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم لانه واسطة فى كل مايصل من الاحسان والفيض الالهى (يامحمد انى
اتوجه بك الى ربك) اى اتوسل بك فيما طلبته من الله وهو (ان يكشف عن بصرى)
حجابه المانع له عن الرؤية وفيه مقدر اى فدعا فابصر ونداؤه صلى الله تعالى عليه وسلم
باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن فى الدعاء مأثورا مربه كما هنا لقوله تعالى
(قل اللهم الى آخره) فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل
ان نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه بحريمه اوقبل تحريمه بقوله تعالى
(لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لبس بظاهر وعدل صلى الله تعالى
عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا لامته وتواضعا وتأدبا مع الله
تعالى وهذا الحديث بسند صحيح اخرجه الترمذى والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف
وبنوه يعلمونه الناس وقد حكى فيه حكايات فيها اجابة دعاء من دعابه من غير
تأخر وقد اخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه
(اللهم شفعه) اى اقبل شفاعته (فى ٢) وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله
تعالى عليه وسلم فيه فى الدنيا برد بصره اوشفاعته له فى الآخرة اوما يشملهما وهذا
اولى ومنه علم استحباب الدعاء عقب الصلوة (وروى) بالبناء للمجهول والراوى له
الواقدى وابو نعيم عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) قال البرهان الحلبى ان
ابن ملاعب الاسنة لايعرف اسمه ولا ترجمته واما ملاعب الاسنة فهو عامر بن مالك
بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الاسنة جمع سنان
وهو حديد فى طرف الرمح يعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمى بذلك لانه فى يوم
سوبان بزنة طوفان وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة وكان اخوه طفيل
بن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فر فى ذلك اليوم فقال فيه الشاعر
فررت واسلمت ابن مالك عامرا * يلاعب اطراف الوشيج المزعزع * فسمى بذلك
ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهوابو براء عامر وذكره بعضهم فى الصحابة

(٢) وقد سقط هنا بعض العبارة طبعا قاله ...

(وقال)

وقال الذهبي الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المدحي بربيعة المعترس (اصابه استسقاء) اصل معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه واستسقى وبه سقي بكسر السين وهو ان يقع الماء الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لايكاد ينجو من اصابه منه (فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه اسلم بخلاف ابيه كما مر (فاخذ) صلى الله عليه وسلم لماقص عليه قاصده امره (بيده) الشريفة (حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء ايضا وهو ملء يده اويديه وهو من التراب هنا (فتفل) بفتح المثناة الفوقية والفاء وفي نسخة بصق (عليها) اي الحثوة من ماء فيه المبارك (ثم اعطاها) اي حثوة التراب (رسوله) الذي ارسله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذها متعجبا) مما اعطاه وان مثله لايداوي به الاستسقاء بل يزيده لان مبدأه سدة في الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين (يرى) بفتح الياء وضمها اي يظن (ان قدهزيء به) الضمير للرسول اولمرسله وهزي بالبناء للمجهول ويجوز فيه بناء الفاعل ايضا (فاتاه بها) اي بالحثوة (وهو) اي ابن ملاعب الاسنة على (شفا) بفتح الشين المعجمة والفاء مقصور اي قريب من الموت واصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر قال الله تعالى (على شفا جرف هار) ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله (فشربها فشفاه الله) تجنيس بديع اي وضعها في ماء وشربها فشفاه الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر العقيلي) بالتصغير وهو الامام الحافظ ابو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفاء الذي رتبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) حبيب بفتح الحاء المهملة وبموحدتين بينهما ياء مثناه تحتيه وقيل انه بخاء معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل الدال وقيل براء مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني وقد اضطرب فيه وفي اسمه واخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن ابي شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن امه ان خالها حبيب بن فديك حدثها ان اباه خرج به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعيناه مبيضتان فسأله ما اصابه فقال كنت اود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فاصيب بصري فلا ابصر شيئا والى بعض ماذكر من الاختلاف في اسمه اشار بقوله (ويقال فويك) بواو اوبراء بدل الدال (ان اباه ابيضت عيناه) لغشاوة غطتهما اوهو عبارة عن العمى (فكان لايبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمثلثة اي تفل ريقه

(فى عينيه فابصر) بهما وذهب عنه عماه فى ساعته (فرأيته يدخل الخيط فى الابرة) لقوة بصره وصحته (وهو ابن ثمانين سنة) وهو من يضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس فى الحديث ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه اعظم فى المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصرح به لانه معلوم (ورمى) بالبناء للمجهول (كلثوم بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو ابو رهم الغفارى الصحابى وهو من اصحاب الشجرة وشهد احدا واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح (يوم احد) لما وقع السهم فى نحره وخشى الموت من وقوع السهم (فى نحره) اى مقدم عنقه عند حبل الوريد الذى لا يعيش من جرح به (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى فى نحره ومحل جراحته (فبرأ) بفتحات وهمزة مقصورة آخره ويقال برىء ايضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت اى حصل له البرء من حينه وهذا الحديث لم يخرجوه (و) روى الطبرانى حديثا مسندا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (تفل) بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات اى بصق (على شجة عبد الله بن انيس) الشجة بفتح الشين المعجمة والجيم المشددة جراحة ضربة فى الوجه او الرأس وقد تطلق على ما فى غيرهما من الجسد والمعروف الاول وانيس مصغر بن اسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهنى الانصارى الصحابى شهد احدا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اليسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن انيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير بن انيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل فى شجته (فلم تمد) بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة اى لم يبق فيها مدة وقيح يقال امد الجرح اذا صارت فيه مدة وهى القيح كما فى الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم (وتفل فى عينى على) ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد (يوم خيبر وكان رمدا) بزنة حذر منصوب منون اى به رمد والرمد وجع العين (فاصبح بارئا) اى صار بارئا فى الحال لا انه تأخر برؤه الى وقت الصباح واصبح له معنيان هذا احدهما والحديث بتمامه فى الصحيحين وغيرهما وفى دلائل البيهقى عن بريده كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما اخذته الحمى فيمكث اليوم او اليومين لا يخرج فلما نزل خيبر اخذته فلم يخرج فاخذ ابو بكر رضى الله تعالى عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم اخذها عمر رضى الله تعالى عنه وقاتل فلما خرج واخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول

الناس لذلك فاصبح وجاء على وقد عصب عينيه فقال ادن الى وتفل فى عينيه ففتحهما واعطاه الراية وروى انه وضع رأسه فى حجره ثم بصق فى راحتيه ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به لتفضيل على مشهور وغير محتاج للبيان (و) فى صحيح البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت) من حينها والضمير للساق لانها مؤنث سماعا او للضربة وبرءها بذهاب اثر الجراحة والتحامها (و) روى عبد بن حميد فى تفسيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نفث (فى) جراحة (رجل زيد بن معاذ) اى جعل ريقه عليها (حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت) رجله او جراحتها واعترض البرهان الحلبى على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مقرورة فى السير ورواها مسلم فى الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا فى قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف فى الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الى احد اجداده والى جد اعلى له وهو خلاف الظاهر والجرح الذى فى رأسه او رجله على الشك من الراوى فى قصة كعب انما هو الحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن اخى سعد بن معاذ الاشهلى وقد سمى البخارى الذين قتلوا كعبا وسمى منهم الحارث بن اوس بن سعد بن النعمان وهو الذى تفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن اوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمسانى ان العزيزى نقل فى تفسيره فى سورة الحشر ما ذكره المصنف بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن اخى سعد بن معاذ فالمصنف لم ينقل ماقاله الا عن تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للنقول الصريحة ومثله لا يقال بسلامة الامير وكعب بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودى من بنى نبهان وقصته كما فى السير انه لما اصيب اصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد اصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى اصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى اذاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من لابن الاشرف فانه اذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة اخو بنى عبد الاشهل انا لك به يارسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع واقام ثلاثا لا يأكل الطعام ولا يشرب فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا ادرى افى به ام لا قال عليك الجهد فقال لابد ان نقول فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة ابو نائلة الاسهلى وكان اخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس وابو عبس بن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيه

وتحدث معه وناشده الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف انى جئتك لحاجة اذكرها لك فاكتمها قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد اخبرتك ان الامر سيصير الما اقول فقال انا لانحب ان تدعه حتى تنظر لم يصير شانه وانى قد جئتك استسلفك وقال الدمياطى الذى تحدث معه ابو نائلة وهو الذى نزل له كعب من حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك مانثق به قال ارهنوا ابناءكم ونساءكم قال اردت ان تفضحنا فانت اشب اهل يثرب واعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها الوفاء واراد ان لاينكر مجيئهم مسلحين ولى اصحاب جاؤا لذلك فرجع الى اصحابه وامرهم ان يأخذوا السلاح ويجتمعوا اليه فلما قفلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع فى ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به ابو نائلة وكان كعب حديث عهد بعرس فقال له امرأته انك رجل محارب لاينبغى لك الخروج فى مثل هذا الوقت وان فى الصوت لسوء وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو دعى لطعنة ليلا اجاب * والبلاء موكل بالمنطق * فقال لها انه ابو نائلة لو وجدنى نائما ما ايقظنى و برز لهم فى ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا نمشى لشعب العجوز نحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع ابو نائلة يده على رأسه ثم شمها وقال مارأيت كالليلة طيبا اعطر من هذا ثم تماشى ساعة وفعل مثل ذلك ثم اخذ بفود رأسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة اشرف عليه اهل الحصون فلما قتلوه اتوا برأسه ويقال انها اول رأس حملت فى الاسلام وقيل بل هى رأس ابى عزة الجمحى وقيل رأس عمرو بن الحمق فاصاب الحارث بن اوس سيف من اصحابه برجله فاسطأ عليهم ثم اتاهم بحامل فحملوه آخر الليل واتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المصنف على مافيه وفى هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لايجوز مما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد اجاب عنه الفقهاء وغيرهم بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التى تجوز لمصلحة واذا تأملت ماقالوه تجده يحتمل المدح وقد اذن لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وسيأتى تفصيله فى محله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وفى قوله الى الكعب نكتة يعنى ان صدمة السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكانه قصد تجنيسا لان ابن الاشرف اسمه كعب كما علمت فكانه قال جرح الى الكعب فى قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه مافيه فتأمل (و) تفث (على ساق على بن الحكم يوم الخندق) على هذا صحابى وهو اخو معاوية بن الحكم السلمى وهذا الحديث اخرجه ابو القاسم البغوى فى معجمه كما قاله السيوطى ويوم الخندق هذا كان فى غزوة الاحزاب سمى به

لان سلمان رضى الله تعالى عنه اشار على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يعمله ملوك الفرس قال الطبرى ان اول من عمله منوشهر بن ايدج بن فريدون وهم يزعمون ان فريدون ابن اسحق واكثرهم على خلافه وخندق معرب كندة ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية (اذا انكسرت) اى ساقه لانها مؤنثة وهى مابين القدم والركبة (فبرئ) اى صح وزال مابه من الكسر ويقال برئ كعلم وبرأ كضرب وآخره مهموز (مكانه) بالنصب على الظرفية اى كائنا فى مكانه ومسرجه الذى ركب عليه (ومانزل عن فرسه) الذى كان عليه لما جاءه يستشفيه قال ابو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم عن ابيه قال كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل اخى على بن الحكم فرساله الخندق فاصاب رجله جدار الخندق فدقها فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومانزل عن فرسه فمسحها له وقال بسم الله فما اذاه شئ منها وقد عد ابو حاتم البغوى فى الثقات (و) روى البيهقى فى الدلائل عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قال (اشتكى على بن ابى طالب) رضى الله تعالى عنه مرضا والمرض يسمى شكاة (فجعل يدعو) الله تعالى لما ضجر كما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمعه (اللهم اشفه او عافه) شك من الراوى فى لفظه والمعنى واحد (ثم ضربه برجله) ليقوم من مضجعه (و) قام و (مااشتكى ذلك الوجع بعد) مبنى على الضم اى بعد ضربه او دعائه اوهما ولفظ البيهقى عن عبد الله بن سلمة قال سمعت عليا رضى الله تعالى عنه يقول اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا شاك اقول اللهم ان كان اجلى قد حضر فارحنى وان كان متأخرا فاشفنى وان كان بلاء فصبرنى فضربنى برجله وقال كيف قلت فاعدت عليه فقال اللهم اشفه اوقال اللهم عافه قال على رضى الله تعالى عنه فما اشتكيت وجعى ذلك بعد (وقطع ابو جهل يوم بدر) اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان المعروف ان القاطع عكرمة بن ابى جهل لاهو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وقد نقله ابن سيد الناس عن المصنف رحمه الله (يد معوذ) بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وفتح وذال معجمة (بن عفراء) بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة ومدة اسم امه وهو من جملة شهداء بدر وهم اربعة عشر ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجارى الانصارى رضى الله تعالى عنه وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بامه هو واخواه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقى معاذ بن عفراء الى زمن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه والذى فى سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفراء قتل اباجهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه واجهضه القتال فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما اذته وضع

عليها قدمه فقطعها (فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت) كما كانت فى مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذى تفله عليها وهذا لاينافى كونه فعل الله تعالى ولاحاجة لذكر مثله (رواه ابن وهب) وقد علمت مايخالفه مما رواه ابن اسحق وصححه ابن سيد الناس والمصنف رحمه الله تعالى فى غير هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لاشك فى جلالته فما رواه يخالف ماقاله ابن اسحق لجواز كون معاذ قطعت يده ايضا وعكرمة قطع بداخيه معاذ وابو جهل نفسه قطع يد معوذ والصقها له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لايقبل مثله بمجرد الاحتمال فلاينبغى ذكره من غير تثبت (ومن روايته) اى رواية ابن وهب التى رواها ابن اسحق والبيهقى عنه كما نقله السيوطى (ايضا) كروايته الاولى (ان خبيب) بالتصغير وخاء معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل (ابن يساف) بكسر الياء آخر الحروف وسين مهملة والف وفاء ويقال اساف بهمزة مكسورة (اصيب) بالبناء للمجهول اى اصابته ضربة سيف (يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه) وكتفه (حتى مال شقه) الذى اصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى رد عضوه الى مكانه الذى كان فيه (ونفث عليه حتى صح) اى التأم وعاد كما كان فيه ويساف هو ابن عيينة بن عمرو الخزرجى شهد ابنه حبيب بدرا واحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه واسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فاتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتأم فانطلق وقتل الذى ضربه وتزوج ابنه بعد ذلك فكانت تقول لاعدمت رجلا وشحك هذا الوشاح يعنى الضربة التى فى محل الوشاح فيقول لاعدمت رجلا عجل اباك الى النار والى ذلك اشار المصنف بماذكر (و) روى ابن ابى شيبة عن ام جندب انه صلى الله عليه وسلم (اتته امرأة من خثعم) بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المرأة لانها كانت نازلة بالجبل كما نوهم (معها صبى) وهو ابنها (به بلاء) وهو مايبلى به الناس وفسره بقوله (لايتكلم) فان كان بمعنى لايقدر على الكلام فلاؤه انه كان اخرس او ابكم وان كان بمعنى انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستأنف وهذا هو المراد كما سيأتى (فاتى بماء) بالبناء للمجهول اى امر من يأتيه بماء فى اناء فاتاه به (فمضمض فاه) مضمض متعد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الماء فى الفم قد كرالفم بعده تجريدا وهو لازم ضمن معنى غسل (وغسل يديه) بذلك الماء (ثم اعطاها اياه) اى اعطى المرأة ذلك الماء الذى رده فى انائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه (وامرها بسقيه)

اى امر المرأة بان تسقى الصبي من ذلك الماء (ومسه به) مصدر مضاف للمفعول اى مسحه بالماء (ف) لمافعات ما اثرها به (برا الغلام وعقل عقلا يفضل) بزنة يقعد ويرقد (عقول الناس) اى يزيد على عقول الناس الذى من امثاله وهذا الحديث رواه احمد فى مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله ان به لمما اى جنونا يأخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعاله فثع ثعة اى تقيأ فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفى كون هذه القصة ماذكر القاضى بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلاوجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه التى رواها احمد والبيهقى وابن ابى شيبة ماشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم صدره) بيده المباركة الشريفة (فثع ثعة) بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة اى قاء مرة واحدة كذا قاله اهل اللغة وقال بعض اهل اللغة ثع بمعنى سعل وروى الحديث من طرق متعددة (فخرج من جوفه) وبطنه (مثل الجرو الاسود) بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من اولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء ايضا وهو يحتمل هنا وجمعه اجر كادل بكسر آخره وحذف الواو بعد قلبها ياء (فشفى) بالبناء للمجهول اى شفاه الله (و) فى حديث رواه البيهقى والنسائى والطيالسى مسندا مصححا فيه انه (انكفأت) بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تأنيث ساكنة اى انقلبت (القدر) التى يطبخ فيها اى وقع مافيها من طعام حار كالنار المحرقة (على ذراع محمد بن حاطب) ابن الحارث بن معمر القرشى الجمحى الصحابى الذى ولد بالحبشة وهو اول من سمى محمدا فى الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من حاطب الحطب وسمى لذلك (وهو طفل) صغير والجملة حالية وفيه تقدير اى فحرق ذراعه (فمسح عليه) اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على ذراع محمد او على محمد نفسه (ودعاله وتفل عليه) اى نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفى نسخة وتفل فيه (فبرأ لحينه) من غير بطؤ ومثله يكون فى ايام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابى ابن صحابى توفى عام اربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة (و) فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى مسندا (كانت فى كف شرحبيل) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام قال ابن السيد فى شرح ادب الكاتب عن الاصمعى شرحبيل عجمى وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند اهل اليمن ورأى اكثر البصرية خلافه بل شرحبيل كقذعميل وشراحيل كسراويل جمع سمى به او بزنة الجمع انتهى وهو عند سيبويه اسم عربى غير منصرف (الجعفى) بضم

الجيم نسبة للجحفة مكان معروف وشرحبيل صحابى ذكره الذهبى (سلعة) بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها لغات فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان هنا من فتح اراد الشجة لاوجه له فانها لغة والكل بمعنى ولاينافى كون السلعة بمعنى الشجة كما فى القاموس والسلعة المتاع الذى يباع ايضا (تمنعه) اى تلك السلعة لكونها فى داخل كفه (القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين المهملة وهو مايقاد به الفرس ونحوه (فشكاها) اصله شكى منها لضررها له (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها) اى يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحا وهو بفتح الحاء ونون كسأل يسأل (حتى رفعها) اى حتى ازالها من كفه (ولم يبق لها اثر) فى كفه يضره ويمنعه ففى قوله يطحنها استعارة (و) فى حديث رواه الطبرانى عن ابى امامة انه صلى الله عليه وسلم (سألته جارية طعاما) اى امرأة صغيرة السن او خادمة لبعض اهل المدينة (وهو يأكل) جملة حالية اى حال تناوله من طعامه (فناولها) اى اعطاها (من بين يديه) اى من طعامه صلى الله عليه وسلم الذى كان بين يديه (وكانت) الجارية (قليلة الحياء) من الناس لوقاحتها (فقالت) الجارية له صلى الله تعالى عليه وسلم (انما اريد) بسؤالى ان تناولنى (من الذى) وضعته من الطعام (فى فيك) وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب مالايخفى (فناولها مافى فيه) ولم يحرمها ويردها بعنف (ولم يكن) صلى الله عليه وسلم (يسأل) بالبناء للمفعول اى يسأله احد (شيئا فيمنعه) بالنصب فى جواب النفى (فلما استقر) الطعام الذى ناولها من فيه (فى جوفها القى) بالبناء للمفعول اى القى الله (عليها من الحياء) بالمد واما بالقصر فهو المطر (مالم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها) اى حياء لم يكن فى امرأة غيرها لشدته ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فما موصولة او موصوفة فى محل رفع نائب فاعل القى والجملة صلة او صفة بتقدير العائد اى مالم يكن به اى بسببه وذكر هذا لان قلة الحياء من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التى يصعب زوالها فمناسبة الحديث ظاهرة هنا وفى هذا الباب من امثال ماذكر احاديث كثيرة من ارادها فعليه بالنظر فى مطولات كتب الحديث ﴿ فصل فى اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ اى دعائه للناس وعليهم (وهذا) الامر المذكور هنا والاجابة وذكرها رعاية للخبر فى قوله (باب واسع جدا) بكسر الجيم منصوب على المصدرية فهو فى الاصل ضد الهزل ثم استعمل فى معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو ظاهر (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة) اى لاجل ناس استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهم او عليهم كما اشار اليه بقوله (دعا لهم وعليهم) فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه اوصل لهم بدعائه ماينفعهم واذا تعدى بعلى كان

(للضرر)

للضرر كانه انزل عليهم البلاء وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا الا ترى صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما اعاده بلفظ الافراد دون الجمع المعنوى كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثانى على الاجمال التشخيصى وقد ادرج شيئا مما عقدله هذا الفصل فى الفصل الذى قبله انتهى (متواتر على الجملة) اى متواتر تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالى وان لم تتواتر افراده (معلوم ضرورة) اى بعلم ضرورى غير محتاج لدليل (وقد جاء) اى ورد فى حديث رواه احمد بن حنبل (فى حديث حذيفة) بن اليمان الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت) اى وصلت واثرت (دعوته) المستجابة له (ولده وولد ولده) فوصل اثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه (حدثنا ابو محمد العتابى) هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم (بقراءتى عليه) من صحيح البخارى قال (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) الذى تقدمت ترجمته وتقدم وياتى انه يجوز التكنى بابى القاسم على الصحيح من ان النهى مخصوص بعصره صلى الله تعالى عليه وسلم اوبالجمع بين الاسم والكنية قال (حدثنا ابو الحسن القابسى) الحافظ السابق ترجمته قال (حدثنا ابو زيد المروزى) نسبة لمرو كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخارى قال (حدثنا عبدالله بن ابى الاسود) واسمه حميد البصرى الحافظ روى عنه البخارى وغيره وتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حرمى) بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمى بن عمارة بن ابى حفصة العتكى توفى سنة احدى ومائتين قال (حدثنا شعبة عن قتادة عن انس) رضى الله تعالى عنه تقدم تراجم هؤلاء كلهم (قال) انس رضى الله تعالى عنه (قالت امى) لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسم امه رميلة وقيل الرميصاء وهى انصارية صحابية وهى ام سليم (يارسول الله خادمك انس) بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصارى النجارى وكنيته ابو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفى عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الاسنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال النووى الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه آخر من مات بالبصرة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال ابن عبد البر لا اعلم احدا مات بعده غير ابى الطفيل وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروى عنه الفى حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا (ادع الله تعالى له) ولم تعين

الدعوة بل فوضتها له صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اللهم اكثر ماله وولده) اكثر وكثر بمعنى (وبارك له فيما آتيته) اى فيما اعطيته من المال والولد فاجاب الله تعالى دعوته حتى مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا قيل وفى هذا دليل على فضل الغنى على الفقير وارتضوا ان الغنى الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد فى الحديث القدسى (ان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر) ودعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما اوتى لم يكن فيه ضرر ولا تقصير فى الحقوق وهو غنى محمود (ومن رواية عكرمة) عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه كما اخرجه مسلم (قال انس فوالله ان مالى لكثير) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان ولدى وولد ولدى) لكثير لما مر (ليعادون اليوم) المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة والف بعدها دال مهملة مشددة وواو جماعة ونون اى يزيدون (على نحو المائة) وهو مفاعلة من العدد وروى فى الصحيحين وغيرهما ليتعادون بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد وقد وقع فى نسخ الشفاء بالروايتين ايضا وفى الاساس بنو فلان يتعادون على بنى فلان اى يزيدون انتهى كأن بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكر والخم والمعنى انهم يزيدون على مايقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق (وفى رواية) قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها (وما اعلم احدا اصاب) اى وجد عنده (من رخاء العيش) اصل الرخاء بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة (ما اصبت) اى كالذى اصبته انا (ولقد) جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم (دفنت بيدى) بالتثنية (هاتين) اشارة ليديه ليبين انه على ظاهره وحقيقته فى الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف (مائة من ولدى) ثم بين ان المراد بالولد اولاده الكبار لصلبه فقال (لا اقول) ان الولد كان (سقطا) بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن امه قبل مدة تمام حمله واوان ولادته (ولا ولد ولد) نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى مايشمل الولد الصلبى وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر اى لا اقول دفنت سقطا الى آخره والجملة مقول القول وحديث انس هذا صحيح روى من طرق مختلفة فى الفاظها اختلاف خارج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة وفى الوفاء لابن الجوزى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى دعائه له واطل حيوته وان انسا قال فاكثر الله مالى حتى ان لى كرما يحمل فى السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وفى مسلم انه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا وماهو الا انا وامى وام حرام خالتى فقالت امى يارسول الله خويدمك انس ادع الله له فدعا لى بكل خير وكان فى آخر مادعا لى اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه ايضا جاءت امى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ازرتنى بنصف خمارها

(وردى)

وردني بنصفه فقال هذا اني اتيتك به يخدمك فدعاله وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بامي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها ﴿ تنبيه ﴾ قال ابن قتيبة ان ثلاثة من اهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد صلبي انس وابو بكرة وخليفة بن بدر وفي تاريخ ابن خلكان ان تميم بن المعز بن بادس خلف مائة ذكر وستين انثى (ومنه) اى من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقي (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف) الصحابي احد العشرة المبشرين بالجنة وهو من اغنياء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وترجمته معروفة (بالبركة) اى بان يبارك الله تعالى له فيما رزقه (قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا) من مكانه بيدي (لرجوت) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان اصيب) واجد (تحته ذهبا وفتح الله عليه) اى يسر له امور الدنيا بسهولة وتقدم ان اصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال الله تعالى (فتحنا عليهم ابواب كل شيء) اى وسعنا عليهم باقبال انواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة آخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى مالا كثيرا (ومات) في سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس او ثلاث اواثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع (حفر الذهب من تركته بالفؤس) الحفر معروف وهو في الاصل اخراج تراب الارض قيل المراد به هنا قطعة لانه في صدر الاسلام لم يكن ضرب الدنانير وانما كانت تأتي من غير دارهم وتحمل الذهب والفضة سبائك وقطعا بوزن فكان عنده منها قطع كثيرة لما اريد قسمتها كسرت والتركة بفتح اوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفؤس بضم الفاء والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كؤس جمع فأس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل الفا (حتى مجلت فيه الايدي) بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفي آخره لام وتاء تأنيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما له والمجل نفر يكون في اليد من كثرة العمل حتى خرج في ايديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم (واخذت كل زوجة) واحدة من زوجاته (ثمانين الفا) لم يبين هل هي ذهب او فضة وهل هي مثاقيل اودراهم الا انه وقع التصريح في روايه انها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم (وكن) اى زوجاته التي مات عنهن ورثته (اربعا) من النسوة (وقيل) ان نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الاربع (مائة الف وقيل بل صولحت) بالبناء للمجهول (احداهن) اى صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة (لانه طلقها في مرضه) الذي مات فيه والمطلقة في مرض الموت ترث اذا مات وهي في العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة في كتب الفقه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى عليه وخالفه في ذلك الشافعي رحمه الله تعالى عليه

في احد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل في كتب الفقه وليس هذا محله (على نيف) بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس وهو كل مازاد على عقد الى ان يبلغ مافوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه (وثمانين الفا) من الدنانير (واوصى بخمسين الفا) من الدنانير كما ذكره الطبراني في الرياض النضرة قال اوصى عبدالرحمن بن عوف بخمسين الف دينار في سبيل الله واوصى بحديقته لامهات المؤمنين فبيعت باربعمائة الف واوصى لمن بقي من اهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وبالف فرس في سبيل الله وهذا كله (بعد صدقاته الفاشية) اى الظاهرة المشهورة من فشى السر اذا شاع (في حبوته وعوارفه العظيمة) جمع عارفة وهي مايعتاد من الاحسان والعطايا بجعل المعروف عارفا مبالغة وتعابيرها وهو من لطائفهم المشهورة ثم اشار الى شيء مما ذكر فقال (اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير) بكسر العين المهملة وهي الجمال التي تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال لكل ماتحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) اى جاءته مع قافلة ارسلها للتجارة (تحمل من كل شيء) اى عليها احمال من امور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفي اى من كل ماعهد حمله للتجارة (فتصدق بها) اى بالابل (وبما عليها) من طعام وغيره (باقتابها) جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الاذى (واحلاسها) جمع حلس بكسر الهاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا قليل مما ذكر في مناقب ابن عوف وصدقاته فانه لا تعد ولا تحصى وكان اهل المدينة عيالا عليه اعطاهم دائما ويقضي ديونهم ويقوم بمؤنة فقرائهم وليس هذا محل تفصيلها (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمعاوية) بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنهما (بالتمكن في البلاد) التمكن تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال مكنه ومكنت له قال الله تعالى (ولقد مكناكم في الارض) (فنال الخلافة) اى صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه ابو سعيد فيه انه قال اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب ومعاوية رضي الله تعالى عنه اسلم هو وابوه وامه هند واخوه يزيد في فتح مكة وقال معاوية انه اسلم في يوم الحديبية وكتم اسلامه عن ابويه وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنائم هوازن اربعين اوقية ولما بعث ابو بكر رضي الله تعالى عنه الجيش الى الشام سار هو واخوه يزيد معهم فاستعمله ابو بكر على دمشق ثم اقره عمر عليها ثم اقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا اطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله وجرى بينهما ماجرى في وقعة صفين مما يأتي الكلام عنه وقال صلى الله

تعالى عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد في فضائله احاديث اخر فكان في اول امره اميرا لابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل امر علي كرم الله تعالى وجهه لاجتهاد اداه لذلك فلما قتل علي واستخلف ابنه الحسن رضي الله تعالى عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم رأى ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه فرجع الى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة واتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمي ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ما كان الحق مع علي كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضي ابوبكر بن العربي لامتغلبا كما اشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة فاندفع ماقيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة او الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسيأتي الكلام على ذلك كله وكانت الخلافة عدة الحسن بعد ابيه ستة اشهر وقيل الخلافة بالمعنى اللغوي لانه خلف من قبله او الخلافة اتباع السنة (و) دعا صلى الله تعالى عليه وسلم (لسعد بن ابي وقاص) اي دعى دعاء مستجابا لسعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه كما ورد في حديث رواه الترمذي مسندا متصلا عن سعد والبيهقي عن قيس بن ابي حازم مرسلا حسنا وابو وقاص كنية ابيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري القرشي احد العشرة المبشرة بالجنة وهو اول من اراق دما في الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله بضع وسبعون او سبعون سنة وثمانون ودفن في البقيع ومناقبه مشهورة (ان يجيب الله دعوته) اي كل دعوة له (اذادعى على احد الا استجيب له) بالبناء للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال

وداع دعاياس يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

واصل معناه الاجابة قال الترمذي قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضي الله تعالى عنه ان سعدا قال يارسول الله ادع الله ان يستجيب دعائي فقال ياسعد ان الله لايستجيب دعاء احد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لااقوى الا بدعائك فقال اللهم اطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة مأثورة وقد احب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (بعز الاسلام) بان الله يعز الاسلام اي يقويه وينصره ويظهره باحد الرجلين (بعمر) رضي الله تعالى عنه (اوبابي جهل) لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما وتمرسه فيهما لاعلى التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين (فاستجيب له في عمر) بان هداه الله تعالى واعز به دينه

فسبقت له السعادة وسبقت الشقاوة لابى جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله فقتل كافرا يوم بدر فى السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز اهله والافهو دائما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر لايظهرون صلوتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما اسلم رضى الله تعالى عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الدعاء مع ابى جهل لانه لم يتعين عنده احدهما اولم يعينه لامر ما وقد روى من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم خص عمر بالدعاء فقال اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم ايد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تفرس فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى امرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله تعالى والهام منه ان اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة فى السير (قال ابن مسعود مازلنا اعزة منذ اسلم عمر) لانه اظهر ذلك وقاتلهم فى بلدهم كما فعل حمزة ايضا رضى الله تعالى عنه فكان ذلك ابتداء الظهور وكان ما كان مما لم يجل فى خواطر الامكان (و) مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة دعائه ماروواه البيهقى والحاكم وصححه عن عمر رضى الله تعالى عنه (اصاب الناس فى بعض مغازيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش فسأله عمر الدعاء) للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله (فدعا فجاءت سحابة) اى ظهرت سحابة عقب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداءه فجاءه فهى تصريحية تبعية اوتخييلية كما فى قوله (فسقتهم) اى شربوا من ماء مطرها وقوله (حاجتهم) مفعوله لتضمينه معنى اعطتهم حاجتهم وهى الماء الذى يزيل عطشهم (ثم اقلعت) اى انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من ماء قيل هذه الغزاة هى غزاة بدر المشار اليها بقوله فى سورة الانفال (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) كذا ذكره ابن الجوزى فى الوفاء وساق الحديث بتمامه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (فى الاستسقاء) اى فى دعائه وطلبه ان يسقيهم (فسقوا) بالبناء للمجهول اى سقاهم الله تعالى عقب دعائه ودام السحاب بمطر (ثم شكوا اليه المطر) من كثرته ودوامه المضر بهم (فدعا) الله بان يكف المطر ويقلع السحاب (فصحوا) اى صحت السماء وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازى وهو بفتح الحاء بزنة رموا وروى بضمها واصله صحووا فنقل وحذف (ودعا لابى قتادة) الحارث بن ربعى الصحابى وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقى فى الدلائل وبين دعاءه بقوله (افلح وجهك) الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوى وهو نيل مايطيب به حيوة الدنيا والبقاء فى عز وغنى واخروى وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به

عن الذات كما في قوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (اللهم بارك له)
اى لابي قتادة رضي الله تعالى عنه وتقدم معنى البركة (في شعره وبشره) والشعر
معروف والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكني
بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يبقى معمرا على احسن
تقويم كاملا جميع اعضائه (فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة
سنة) في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة دعائه صلى الله تعالى
عليه وسلم له وتوفي بالمدينة سنة اربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوى واخروى
وما ذكره من تمام خلقته دنيوى فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروى لان الكريم
اذا طلب منه امران فعجل باحدهما دل على انه يعطى الآخر وانما اقتصر على هذا
لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل * كما احسن الله فيما مضى * سيحسن الله
فيما بقى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للنابغة) الجعدى وهو قيس وقيل حبان
بن عبدالله بن عمر بن عدس بوزن عمر وفي الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبياني
ولكنه اذا اطلق يراد به هذا وهو احد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين
وثمانين سنة وقيل مائتين واربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما يأتي واجتمع بالنبي
صلى الله عليه وسلم واخرج له بقى بن مخلد حديثا ومدح النبي صلى الله عليه وسلم
بقصيدته الرائية وهي نحو مائة بيت في غاية البلاغة انشدها بين يديه صلى الله عليه
وسلم فدعا له بما ذكره المصنف ولما بلغ قوله فيها * بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا *
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا * قال الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شاء الله
ثم لما انشده صلى الله تعالى عليه وسلم قوله * ولا خير في علم اذا لم يكن له * بوادر تحمى
صفوه ان يكدرا * ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا *
قال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) وروى لا يفضى الله فاك بضم
اوله وسكون ثانيه وكسر الصاد تليها ياء ساكنة مضارع افضى كاعلى يعلى قال
المرزوقى في شرح الفصيح تقول العرب في الدعاء عليه فض الله فاه وفي الدعاء له
لا يفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضى الله
فاك اى لا يجعله فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله * قد ترك البرق فاه بلدا انتهى *
فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثاني على حقيقته والنابغة لقب له
لانه نبغ في الشعر اى فاق اقرانه والهاء للمبالغة كعلامة (فما سقطت له سن) ببركة
دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا زيادة
السن نقص في السن فالسن الاول العمر والثاني واحد الاسنان (وفي رواية) لحديث
النابغة المذكور (فكان احسن الناس ثغرا) بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة
وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال اثغر الغلام بتشديد المثلثة واثغر

بتشـديد المثناة ويطلق الثغر على الفم ويصح ارادته هنـا وثغرا منصوب تمييز (اذا سقطت له سن نبتت له اخرى) مكانها لئلا يخلو فمه من الاسنان (وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا) فقيل مائة واربعين وقيل مائتين واربعين وقيل مائتين وثمانين لان دعائه صلى الله عليه وسلم له بان لاتسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه واكثر اعمـار هذه الامة مابين الستين والسبعين ومازاد لايزيد غالبا على مائة وعشرين وزعم الاطباء انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي في كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفـارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في ترجمته وفي الحديث مايدل على ان مدح الشعراء للاشراف غير مكروه وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة او بدعاء وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها في بعض كتبه ولولا خوف الاطالة اوردناها هنا (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسـلم (لابن عباس) في حديث صحيح رواه الشيخان وابن عبـاس هو عبدالله بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سـائر بنيه وقوله (اللهم فقهه في الدين) معمول مقدر اى فقال اوقائلا الى آخره اى فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شـاهد فهو اخص من العلم قال تعـالى ﴿ذلك بانهم قوم لايفقهون﴾ والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقـه اذا صار فقيها وفقـه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فتخصص به كما قال تعالى ليتفقهوا في الدين انتهى (وعلمه التأويل) اى التفسـير وقد يفرق بينهما فيقـال التفسير بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوكبار الصحابة والتأويل بيـانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشيء الى الغـاية المرادة منه علما كان او فعلا فالعلم كقوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله الا الله﴾ والفعل كقوله * وللنوى قبل يوم البين تأويل * وقوله تعالى ﴿يوم يأتي تأويله﴾ اى بيان غايته المقصودة منه وقوله ﴿ذلك خير واحسن تأويلا﴾ بمعنى احسن معنى وترجمة وقيل احسن ثوابا في الآخرة فدعاؤه له صلى الله تعالى عليـه وسلم بان يعلمه الله الشريعـة المحمدية وان يهديه للوقوف على معاني كلامه فاجاب الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه في ذلك (فسمى بعد) بالبناء على الضم اى بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له اوبعد موته صلى الله تعـالى عليه وسلم (الحبر) مفعول سمى وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده واصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره اى جماله وبهاؤه اى كان الصحابة وسائر الناس يسمونه بذلك لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفى وابن عباس ابن عشر اوثلاث عشر اوخمس عشر

(سنة)

سنة على اختلاف فيه (وترجمان القرآن) ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح اوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات اخر وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه فى الدين وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم التأويل والتفسير ودعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا وروى من طرق صحيحة منها ماروى عنه انه قال اتى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوء اى ماء يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الى آخره قال ابن المنير مناسبة الدعاء لما فعله انه يدل على ذكائه لعلمه بانه يحتاج لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهى المخبرة له صلى الله تعالى عليه وسلم بما صنعه وفى رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده الشريفة على كتفه وفى رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضمه لصدره واول من لقبه بترجمان القرآن ابن مسعود وكان اعلم الناس بالفقه والفرائض واشعار العرب وايامها وكان يجلس لافادته فكان لايسأل عن شئ الاوجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى عن عمرو بن حريث (لعبد الله بن جعفر) بن ابى طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمى مدنى صحابى ولد بالحبشة وتوفى سنة تسعين او ثمانين وروى عنه احاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبد الله ولده من اسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخاء (بالبركة) اى الزيادة والنماء (فى صفقة يمينه) اى فى بيعه وشرائه ومعاملاته وسمى ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق احدهم يده بيد الآخر والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر فى الاخذ والعطاء بها تيمنا (فما اشترى شيئا الاربح فيه) اى وجد فيه ربحا وفائدة (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى فى الدلائل وابو نعيم (للمقداد) بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة ونسب انه اشتهر بابن الاسود لانه ربى فى حجره وهو صحابى مشهور توفى فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه (بالبركة) اى الزيادة فى ماله (فكان عنده غرائر من المال) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهى معروفة وقال الجوهرى اظنها معربة قال ابو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهى زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره بخبره فقال له ادخلت يدك فى الجحر قال لا والذى بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فنى آخرها حتى رأيت غرائر الورق فى بيت المقداد انتهى (ودعا

بمثله) اى بمثل مادعى للمقداد وغيره فى حديث رواه البخارى والدارقطنى واحمد فى مسنده (لعروة بن ابى الجعد) البارقى وقيل الازدى واختلف فيه فقيل عروة بن ابى الجعد وقيل ابن الجعد وهو صحابى مشهور اخرج له الستة واحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا اليه قيل من قال ابن الجعد فقد اخطأ وولاه عمر قضاء الكوفة (قال) عروة (فلقد كنت) جواب قسم مقدر (اقوم بالكناسة) بضم الكاف معناها القمامة ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته اى اقوم بمقام حقير يستبعد الكسب فى مثله وهو بعيد (فما ارجع) اى اعود من المحل الذى قمت فيه (حتى اربح اربعين الفا) مما يبيعه ويشتريه (وقال البخارى فيه) اى فى حديث عروة (فكان) عروة رضى الله تعالى عنه (لو اشترى التراب ربح فيه) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مثل هذا) اى مثل حديث عروة المذكور (لغرقدة ايضا) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه وبه سمى بقيع الغرقد وهو مقبرة اهل المدينة وغرقدة صحابى يسمى اباشبيب روى عنه ابنه (وندت له ناقة) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم وند ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها واصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال ند الرجل وليس ضميرله لغرقدة كما توهمه بعضهم (فجاء بها اعصار ريح) الاعصار بحروف مهملة ريح شديدة تثير غبارا ويرتفع الى السماء كانها عمود وهى الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا (حتى ردها) الاعصار (عليه) اى على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لايناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ماقلناه وليس من هذا ايضا كما فى الشرح الجديد ماوقع فى غزوة بنى المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله تعالى عليه وسلم ضلت ليلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة بن زيد فقال بعض المنافقين ازعم محمد انه يعلم الغيب وهو لايعلم مكان ناقته فاتاه جبريل واخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى آخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم فيه انه دعا (لام ابى هريرة) رضى الله تعالى عنهما بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة (فاسلمت) وهداها الله للاسلام وحازت شرف الصحبة واسمها اميمة بنت صبيح بن الحرث بن دوس كما ذكره ابن بشكوال وابوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين ابن الاثير فى اسد الغابة واما ابو هريرة فقد تقدم الكلام

على اسمه والخلاف فيه وكان رضي الله عنه حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته مايكره في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه وهو يبكي وقال له اني كنت ادعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهديها فقال (اللهم اهد ام ابي هريرة) فخرج مستبشرا بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اتى الباب سمعت خشف اقدامه فقالت مكانك يا ابا هريرة فسمع صبها الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا ابا هريرة اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرحا وقال ابشر يا رسول الله فقد اجيبت دعوتك وهدى الله تعالى امي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله ادع الله ان يحببني انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال (اللهم حبب عبدك هذا وامه الى عبادك وحببهم لهما) فكان لا يسمع به احد او يراه الا احبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلائله (ودعا) صلى الله عليه وسلم (لعلي) بن ابي طالب في حديث رواه البيهقي وابن ماجة بسند صحيح متصل بعلي رضي الله تعالى عنه (ان يكفى) بالبناء للمجهول اي ان يكفيه الله تعالى بفضله (الحر والقر) اي الهما وهو بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها مايعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويختص ببرد الشتاء كما يختص الحر بحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج واصله من القرار لان البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة كما قاله الراغب (فكان) علي رضي الله تعالى عنه بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (يلبس) في زمن (الشتاء ثياب الصيف) الخفيفة كالقميص الواحد (وفي) زمن (الصيف ثياب الشتاء) وهي المضربات المحشوة والثياب الثخينة (ولا يصيبه) اي لا يجد ويحس (حر ولا برد) اي الهما ويقصد باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف به غيره لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فاذا كان لا يضره شدة حر الصيف لاسيما في الحجاز ولا شدة برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم له بخيبر لما اصابه بها رمد شديد قال عبد الرحمن ابن ابي ليلى كان علي رضي الله تعالى عنه يلبس في الحر القباء المحشو الثخين ولا يبالي بشدة الحر ويخرج في البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالي فسئل عن ذلك فقال انه صلى الله عليه وسلم اعطى الراية يوم خيبر ابا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه فدعاني واعطاني الراية وكان بي رمد شكوته له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت الما لما بعد ذلك وانما دعا له برفع الحر والبرد مع ان تألمه رضي الله تعالى عنه كان من الرمد ووجع العين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان رمده كان

من زيادة الدم الذى حصل له من الحر فدعا له بدفع سبب ذلك وزاد عليه دفع الم البرد لانه ضده فربما اذاه لقوته بعدم ضده وروى يسيئه من الاساءة ويسوءه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لفاطمة ابنته) رضى الله تعالى عنها فى حديث رواه البيهقى عن عمران بن حصين (الله) مفعول دعا وفى نسخة ان الله (ان لا يجيعها) اى ان لا يجعلها متألمة من الجوع وترك الطعام واكله (قالت) فاطمة رضى الله تعالى عنها (فما جعت) بضمير المتكلم (بعد) مبنى على الضم اى بعد دعائه وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت لى ماجعت بعد ياعمران قال البيهقى بعد ماذكر الحديث هذا كان قبل نزول آية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن على لما بينهما من المناسبة مما لايخفى (وسأله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقى عنه وابن جرير من طريق الكلبى (الطفيل بن عمرو) بضم الطاء المهملة المشددة والفاء المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدى الدوسى ويقال له ذوالنور وقتل فى وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت فى ربيع الاول سنة اثنى عشرة فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى عام اليرموك فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وهو من كبار الصحابة ومن اصحاب النور وهم ستة اسيد بن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمى وقتادة بن النعمان كما يأتى والطفيل هذا والحسن بن على رضى الله تعالى عنهم ولكل منهم قصة مذكورة فى محلها (آية لقومه) مفعول سأل اى سأله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم يطيعوه فقال يارسول الله ان دوسا قد عصت وابت فادع عليها فقالوا هلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم اهد دوسا فعلم ان الله تعالى سيهديهم ببركة دعائه فطلب الطفيل منه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية يهتدوا بها (فقال اللهم نور له) الضمير للطفيل اى اجعل معه نورا يكون آية لصدقه رضى الله عنه (فسطع له نور بين عينيه) اى ظهر بين عينيه نور ساطع واصل معنى السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا (فقال) اى الطفيل لما علم بذلك النور الذى بين عينيه (يارب انى اخاف) من قومى اذا رأوا ذلك النور (ان يقولوا مثلة) خبر مبتدأ مقدر اى هو وهذا مثله بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه

ونحوه وهذا هو المراد هنا اى خشى ان يعدوه عارا لتوهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها وهو تكلف لاداعى له (فحول) ذلك النور (الى طرف سوطه) اى المشكى الى الله تعالى مايخافه وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط فى الاصل بمعنى الخلط فسمى به مايمد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف (فكان) اى سوطه (يضئ فى الليلة المظلمة) كالشمع والمصباح (فسمى) الطفيل (ذا النور) اى صاحب النور لذلك وروى الظلماء بدل المظلمة ولا اشكال فى شئ من هذا كما وهمه بعضهم واغرب منه انه قال روى صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم تكلم فى تأويله بخرافات لاينبغى تسويدها لوجه الصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبدالبر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا فى قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصيبك فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فمازالوا ينهونى ويحذرونى منه حتى قلت لهم لا ادخل المسجد الا وانا اذنى فحشوتهما كرسفا اى قطنا ودخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما قريبا منى وابى الله الا ان يسمعنى قوله فقلت فى نفسى ان هذا العجز وانا امرء ثبت لايخفى على الحسن والقبيح والله لاسمعنه فان كان رشدا اخذته اوعناء تركته فنزعت مابأذنى واسمعت له فلم اسمع باحسن واحلى مما قاله فانتظرته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يامحمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ماقلت ووقع فى نفسى انه حق فاعرض على دينك وما تأمر به وتنهى عنه فعمل فاسلمت ثم قلت يارسول الله انى راجع لدوس وانا فيهم سيد مطاع وانا داعيهم الى الاسلام فادع الله تعالى ان يجعل لى آية تكون عونا لى عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اشرفت على حاضرة دوس ولى هناك اب شيخ كبير وامرأة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عينى نور كالشهاب فقلت اللهم فى غير وجهى فانى اخشى ان يظنوه مثلة لفراق دينهم فحول فى رأس سوطى فلقد رأيتنى اسير وانه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم اتانى ابى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى فانى اسلمت واتبعت دين محمد فقال اى بنى ان دينى دينك فاسلم وحسن اسلامه ثم اتتنى صاحبتى فقلت لها كما قلت لابى فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت على فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت يارسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربوا فادع عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت اليهم واقمت بين ظهرانيهم ادعوهم الى الاسلام حتى استجاب لى منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد احد والخندق بعشرين

اوسبعين من اهل بيتي حتى فتحت مكة وارسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممه فاحرقه واقام معه حتى قبض ثم بعثه ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك في خلافه عمر رضي الله عنه كما قدم (ودعا على مصر) اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمه سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفي وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقيل ربيعة الفرس لان نزار ابوهم اوصى لمضر بالذهب وهو قديؤنث فيوصف بالحمرة وبقال ذهب حمراء واعطى ربيعة الخيل فقال لها ربيعه الخيل وكان شعارهم في الحرب العمائم والرايات الحمر وشعار اهل اليمن الصفر وبه فسر قول ابي تمام في الربيع

محمرة مصفرة فكأنها * عصب تيمن في الوغى وتمضر

ومضر ابو قريش (فاقحطوا) بالبناء للمجهول اى اصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية (حتى استعطفه قريش) اى سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطف عليهم ويرحمهم بدفع القحط عنهم وماحل بهم من البلاء (فدعا) الله (لهم) ان يمطرهم ويزيل قحطهم (فسقوا) اى سقاهم الله تعالى عز وجل وامطر ارضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فاقحطوا حتى اكلوا الجراد والدم والعظام فقال له ابو سفيان اوكعب بن مرة انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قدهلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار فما اتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه ابو نعيم في الدلائل (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (على كسرى) بكسر الكاف وقد تفتح كما مر وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من اولاد انوشروان وقيل ابرويز معناه المظفر وانوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي رحمه الله (حين مزق كتابه) الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه يحثه فيه على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافه السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا له وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتى غرق شيئا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله

وشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له ارسله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعاء بعده حين بلغه خبره بعد زمان اما لان المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما في قوله تعالى (هل اتى على الانسان حين من الدهر) او المراد حين بانه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من اجل تمزيقه كتابه ليس بشيء (ان يمزق الله ملكه) معمول دعا اى بان يمزق الى آخره باهلاكه واستئصال ملكه فغيره فمزق كل ممزق (فلم يبق له) اى لكسرى او للملك (باقية) اى نفس باقية من عقبه او هو مصدر بمعنى بقية وبقاء والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا (ولا بقيت لفارس) هو معرب پارس بالباء العجميه ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم (رياسة) اى ملك وسيادة كلية (فى اقطار الدنيا) وفى نسخة البلاد اى فى جميع نواحيها فقطع الله دابرهم واوقاهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عاقبتهم لما عصوه وتجبروا فلم يزل امره فى انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده بزمن يسير ومالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل فى التواريخ والحديث فى البخارى والكلام عليه مبسوط فى شروحه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابوداود والبيهقي انه دعا (على صبى) صغير قال ابن حبان اسم الصبى يزيد بن بهرام وقيل انه لايعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبى اظنه موضوعا لانه اشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم عليه مع رأفته به وما اجاب به البرهان الحلبى من ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ بعد احد كما قاله التقى السبكى او بعد الهجرة كما قاله غيره او هو من باب خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لايشترط فيه التكليف لايخفى ما فيه على بعده وابعد منه واغرب ماقيل ان الله اطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم على حال هذا الصبى وانه سيصير مفسدا وانه لولم يكن كذلك اضر بالناس فلذا دعا عليه كما اطلع الخضر عليه الصلوة والسلام على حال الغلام الذى قتله وانه لوعاش كان كافرا وقد قرر ائمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن احيانا كما يحكم بالظاهر وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد افرده السيوطى بجزء الفه وفيه الا انه هنا تعسف لايلتفت اليه (قطع عليه صلوته) بمروره بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وقطع الصلوة مجاز عن افسادها وقل ثوابها حتى يحتاج للاعاده والمصلى اذا صلى فى غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغى ان يكون من بعده ارتفاعا فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سترة فى هذه الصلوة او كانت ومر الصبى بينه وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان او حيوان لايقطع صلوته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه يبطلها لانه ورد فى احاديث صحيحة منها ما رواه ابوذر انه صلى الله تعالى عليه وسلم

قال اذا قام احدكم يصلي بسترة ما يضعه بين يديه مثل آخرة الرحل فاذالم يكن ذلك فانه يقطع صلوته الحمار والمرأة والكلب الاسود وخصه لانه ورد في الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه فقيل انه منسوخ وقيل انه مأول والمعنى يقطع خشوعه في صلوته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان لايشغله عن الله شئ فعله تشريعا لامته (ان يقطع الله اثره) معمول دعا اى دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الصبي بان يقطع الله اثره والاثر بفتحتين ما يؤثره عشيه وغيره ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفناء والذهاب بالكلية فيقال مابقى له عين ولا اثر كما قيل * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور * وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع اثره كما تقرر ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلهذا قيل انه كناية لامجاز كما اشار اليه بقوله (فاقعد) الصبي وصار مقعدا زمنا لايمكنه المشي ليبس اعصاب رجله التي يتحرك بها وروى ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل الآخر كما في قوله (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) اى آخرهم فلم يبق منهم احد فاستعيرهنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رأيت مقعدا بتوك يسمى يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وقد سمعت مافيه (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال (لرجل) قال البرهان الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملة ومن اعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعى العير الاشجعي (رآه يأكل بشماله كل بيمينك) ارشادا له للسنة فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله كل الى آخره مقول القول (فقال لااستطيع) اى لااقدر على الاكل بيمينى (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا استطعت) بتاء الخطاب وهو دعاء عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين (فلم يرفعها) اى يده اليمنى لانها مؤنثة سماعا اى لم يقدر بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى (الى فيه) ويحركها لانها شلت وبطل عمله بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم امره باليمين وهو سنة بالاكل والشرب لقوله اذا اكل احدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه لاعذر له وانه انما لم يمتثل امره الا لتكبره ولذا قال المصنف في شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك في اول امره ثم لما ظهر له هذه الآية تاب واخلص لله فلا اشكال فيه وماقيل من ان ترك المندوب لايقتضي استحقاق العقاب ليس بشئ لان مخالفة امره صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة بغير عذر لايجوز

(وليس)

وليس هذا الرجل جاهليا كما توهم هذا القائل وخبط وخلط هنا على عادته وليس فى قوله قال دون دعا اشارة لما توهمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الحاكم والبيهقى وابن اسحق من طرق صحيحة مسندة (لعتبة بن ابى لهب) الجهنمى عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة اولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب اسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقى واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقها فآذاه فدعا عليه بما يأتى فافترسه الاسد بالزرقاء من ارض الشام كما رواه الحاكم من حديث ابى نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهز ابو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب هنا سباع فاحذروا على انفسكم فقال ابو لهب لمن معه انكم قد عرفتم سنى وحقى قالوا اجل فقال ان محمدا دعا على ابنى فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة وافترشوا لابنى عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجاء اسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه وذهب قيل انه لم يأكله لما فيه من خبث الطوية بغض خير البرية الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة اسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذى فى نسخ الشفاء بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذى اسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابى كما فى بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفى النسخ والاصح منها (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) قال فى حيوة الحيوان الاسد سمى كلبا لانه يشبه فى بعض احواله ورفع رجله اذا بال فلما اضاف الكلب الى المعظم علم انه اعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبى والى ذلك اشار بقوله (فاكله الاسد) وفى دلائل النبوة للبيهقى كانت ام كلثوم ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية تحت عتيبة بن ابى لهب واختها رقية تحت اخيه عتبة فلما نزل (تبت يدا ابى لهب وتب) قال ابو لهب لابنيه رأسى من رأسيكما حرام ان لم تطلقا ابنتى محمد وقالت امهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتبة واتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له انى طلقت ابنتك فانى لا احبك ولا تحبنى وشق ازاره وبصق عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط الى آخره ثم خرج فى نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفى رواياتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر ولا اختلاف فى اصل القصة وقد ذكرها حسان رضى الله تعالى عنه فى شعره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لامرأة يأكلك) وفى نسخة اكلك (الاسد فاكلها) الاسد قال ابو الحاى هذه المرأة لا اعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصارية فانها اتت الى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مولى ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا اكله الاسد فقالت انا ابنة مطعم الطير ومأوى الريح ابو ليلى حيث لا اعرض شىء

عليك لتتزوجني فقال قد فعلت فرجعت الى قومها واخبرتهم الخبر فقالوا انت امرأة غيري وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نساء فيدعو عليك فرجعت وقالت له اقلني فاقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حائط بالمدينة افترسها ذئب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ (و) من ذلك (حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (المشهور) الذي رواه مسلم والبخاري (من عبد الله بن مسعود في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش) قبل الهجرة بمكة (حين وضعوا) اي حين اذ وضع بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل (السلا) بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المرأة وفي النهاية الاول اشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان نزع عنه ساعة يولد بقي حيا والاهلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للولد بعينه سلا ايضا تسمية له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه (على رقبته) الشريفة والرقبة مؤخر اصل العنق عند الكتفين (وهو ساجد) عند البيت في صلوته والجملة حالية (مع الفرث والدم) حال من السلا والفرث بالفاء وراء مهملة وثاء مثلثة هو السرجين مادام في الكرش (وسماهم) فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما اشرنا اليه وهم المستهزؤن المذكورون في الآية وكانوا سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي صرح به سياق اهل الحديث (فقال) اي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) فاجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا في الصحيحين كما مر قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي عند البيت وابو جهل واصحاب له جلوس فقال بعضهم لبعض ايكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث اشقى القوم فجاء به وانتظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سجد فجعله بين كتفيه وانا انظر فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فطرحته عنه فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذي جاء بالسلا والقاه عقبة وهو اشقاهم لمباشرته الفعل كاشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري واما استمراره صلى الله تعالى عليه وسلم في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلوة فقد اجابوا عنه باجوبة منها انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرها حتى تحقق نجاستها وكان هذا في آخر الصلوة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلوة المفروضة ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا في قليبها

فان عقبة بن ابى معيط اسر ببدر ثم قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار اكثرهم وغالبهم على مافيه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى مسندا من طرق صحيحة (على الحكم بن ابى العاص) بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشى الاموى وهو ابو مروان وعم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وهو ممن اسلم فى الفتح (وكان) اى الحكم (يختلج بوجهه) اى يحرك وجهه وبعضه كحاجبيه وعينيه (ويغمز) بعينيه اى يحركهما مشيرا بهما وهو جالس (عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه ثمة من المنافقين ونحوهم ان ماحدث به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لااصل له كما اشار اليه بقوله (اى لا) فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى فى اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين باسراره صلى الله تعالى عليه وسلم والا لماقيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم (فرآه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يختلج (فقال) له (كن كذلك) دعا عليه بان لايزال وجهه يختلج وفى نسخة كذلك كن (فلم يزل يختلج الى ان مات) بدعائه وكان موته فى خلافة عثمان قبل قتنته والقيام عليه باشهر وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان فى خلافته فكان بسبب رده واتيه ما كان ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عثمان ابابكر رضى الله تعالى عنه فى رده فقال ماكنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رده فوعدنى به فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه انى لم اسمع ذلك ولم تكن معه بينة ثم لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سأله ذلك فقال كما قال ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه فلما تولى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه فى خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضى الله تعالى عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف فى سبب نفيه فقيل انه كان يستخفى ويسمع مايسره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكبار الصحابة فى امر المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكى مشى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتعاظم فى مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروى عن عائشة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها انها قالت لمروان لما قال فى حق اخيها عبد الرحمن ماقال امالنت فاشهد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن اباك وانت فى صلبه تشير الى ماروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين

قد حل عليهم الحكم فلذا قيل * فليت عثمان لم يحكم بمودته * رضى بما حكم الصديق فى الحكم *
(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى وابن جرير موصولا عن ابن عمر
ابن الخطاب رضى الله تعالى عنهما قال بلغنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا (على محلم) بميم
مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم (ابن جثامة) بضم الجيم وتشديد
الثاء المثلثة والف وميم وهاء واسمه جثامة بن بدر بن قيس بن ربيعة الكنانى الليثى
اخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم فى سبيل الله الآية كما يأتى (فمات) اى محلم هلك
عقب دعائه عليه (لسبع) اى عند سبع او بعد سبع ليال من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم
وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلى انه مات بحمص ايام ابن الزبير وسيأتى
مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبى (فلفظته الارض) اى قذفته وطرحته واخرجته
من بطنها لعدم قبولها له وهذا مما شوهد كثيرا وورد فى الحديث سبق فى كل ارض شرار اهلها
تلفظهم ارضوهم (ثم وورى) بواو بن مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية اى ستر
وغطى وغيب فهو مجهول واراه اذا غيبه (فلفظته) الارض (مرات) فكانوا
كلما دفنوه اصبحوا رأوه فوق الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا
(فالقوه) اى القوا بدن محلم (بين صدين) مثنى صد بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال
المهملتين وهو ناحية الوادى او الشعب او الجبل (ورضموا عليه الحجارة) رضم
بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور
بعضها فوق بعض كالبناء (والصد) بالضم والفتح (جانب الوادى) وهو الارض
الواسعة وهذا احد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه الصلوة والسلام انه
بعثه فى سرية امر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما
بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته الارض
مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله
لكم عبرة فالقوه بين صوحى جبل حتى اكلته السباع قال الزبيدى الصوح الشق قال
التلمسانى والذى رواه ابن عبد البر مسندا الى القعقاع عن ابيه انه قال بعثنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية الى اضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية
الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم واخبرناه نزل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا الآية ﴾
وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمصا ومات بها فى زمن ابن الزبير
رضى الله تعالى عنهما ولهم اختلاف فى سبب نزول الآية المذكورة وفيمن نزلت على
اقوال كثيرة وقد اختلف فى محلم هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا
ام لا (وجحده) صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل بيع فرس) اى انكره وكان اشتراها

(منه)

منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل اعرابى يسمى سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابى والفرس المرتجز كما قاله الجوهرى وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب (وهى) اى هذه الفرس (التى شهدت فيها) اى بيعتها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خزيمة) بخاء وزاء معجمتين ويقال اسمه ابو خزيمة وهو صحابى مشهور قتل بصفين مع على رضى الله تعالى عنهما سنة سبع وثلاثين والمشهود له قبل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضى الله تعالى عنه (فرد الفرس) بالنصب مفعول رد (بعد) مبنى على الضم اى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو فاعل رد (على الرجل) الذى جحد البيع وهو متعلق برد وانما ردها صلى الله تعالى عليه وسلم تعففا منه وتكرما (وقال) اذ ردها (اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) اى لا تجعل له بركة فى فرسه (فاصبحت) اى الفرس (شاصية برجلها) الباء زائدة وشاصية بشين معجمة والف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء (اى رافعة) رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازى وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد فى الجيف بعد ايام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله اهل اللغة ووقوع مثله عادة لا يكون الا بعد ايام فوقوعه بسرعة من الآيات ايضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابى وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه ويزيدون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابى ان كنت مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم احضرتنا فقال بابى انت وامى انا اصدقك فى اخبار السماء افلا اصدقك فى ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابى قبل اسلامه او قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق (وهذا الباب) اى باب دعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا وروى فى احاديث كثيرة (اكثر من ان يحاط به) اى لا يمكن احد من علماء هذه الامة ان يعلم جميع دعواته صلى الله تعالى عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المصنف رحمه الله تعالى منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين وقوله اكثر من ان يحاط به كقولهم اكثر من ان تحصى ومثله كثير وتاويله مشهور فان ظاهره غير مراد اذ لا يعنى انه اكثر من الاحاطة وقد بينوه فى محله حتى افرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشئ معناها استقصاء جميع افراده ﴿ تنبيه ﴾ مر ان الدعاء معناه التضرع الى الله تعالى فى جلب ما ينفع ودفع ما يضر وقد قيل اذا كان كل شئ

بقضاء وقدر وقد جف القلم فما فائدة الدعاء واجيب بانه امر تعبدى محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعاء موقوفا عليه كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن انكر الدعاء وقال انه لافائدة فيه فقد ضل عن سواء السبيل فاعرفه ﴿ فصل فى كراماته ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم اى ما اكرمه الله تعالى سبحانه به من الامور الخارقة للعادة والكرامة اعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدى بالفعل اوبالقوة والكرامة لايشترط فيها ذلك ويكون للنبى وغيره من اولياء الله تعالى سبحانه وان غلب فى العرف جعل الكرامة للولى والمعجزة للنبى الا انها لاتختص بذلك على ماعرف وما كان منها قبل النبوة للنبى يسمى ارهاصا لانه تأسيس للنبوة ومقدمة لها (وبركاته) اى ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته من الخوارق (وانقلاب الاعيان له) اى تبدل حقيقتها وماهيتها وصورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان اعظمه فما قيل الاحسن ان يقول فى كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع عين وهى الذات (فيما لمسه) صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (اوباشره) المباشرة ان يلى الامر بنفسه فهى اعم من اللمس واللمس والمس متقاربان (اخبرنا احمد بن محمد) بن عبدالله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولانى شيخ المصنف رحمه الله توفى سنه ثمان وخمس مائة وكان فى الحديث وسائر الفنون امام عصره قال (حدثنا ابوذر الهروى) تقدم بيان ترجمته (اجازة وحدثنا القاضى ابو على سماعا) ابو على هو ابن سكرة السابق ترجمته (والقاضى ابوعبدالله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم (قالوا حدثنا ابوالوليد القاضى) الباجى الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا ابوذر) يعنى الهروى المتقدم قال (حدثنا ابومحمد) السرخسى المتقدم (وابو اسحق) المستملى المتقدم (وابوالهيثم) الكشميهنى المشهور (قالوا حدثنا الفربرى) تقدم بيانه ونعته ونسبته قال (حدثنا البخارى) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا يزيد بن زريع) بالتصغير ابو معاوية البصرى ولد سنه احدى ومائة ومات سنه ست وثمانين ومائة كذا فى النسخ هنا وصوابه حدثنا البخارى حدثنا عبدالاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع وهكذا هو فى صحيح البخارى فسقط منه راو من قلم المصنف قال حدثنا سعيد بن ابى عروبة كما تقدم وفى نسخه عن سعيد (عن قتادة) تقدمت ترجمته (عن انس بن مالك) الصحابى المشهور (ان اهل المدينة فزعوا مره) اى وقع بهم فزع بفتح الفاء والزاء المعجمه والعين المهمله قال المبرد فى الكامل الفزع فى كلام العرب على وجهين احدها الخوف والذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ يقال فزع وافزع وهو من الاضداد قال زهير * اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم *

طوال رماح لاضعاف ولا عزل * وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع) والمراد هنا الاول اى وقع خوف استصرخوا بسببه وهو اشهر معنييه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذى سمع منه الصوت ورأى الناس فى رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب (فرسا لابى طلحة) ركبها عريا من غير سرج عليه وابو طلحة هو زيد بن سهل الانصارى النجارى الصحابى البدرى وهو احد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه احاديث كثيرة وتوفى سنة اربع وثلاثين من هجرته (كان يقطف اوبه قطاف) بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء والشك فيه من الراوى قال البرهان يقطف بضم الطاء فى قولهم تقطف الدابة بمعنى تبطئ واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قاله الزمخشرى والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهرى المقطوف فى الدواب البطئ وقال ابو زيد الضيق المشى وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب فى الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف (وقال غيره) اى غير انس (يبطأ) مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطأ والبطؤ ضيق الخطا فهو قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطؤ وينسب اليه ذلك وهو مبنى للمجهول (فلما رجع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزع واتى ابا طلحة (قال) له (وجدنا فرسك بحرا) اى كالبحر فى شدة جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان فى علمه اى توسع (فكان) ذلك الفرس (بعد) مبنى على الضم اى بعد قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك ببركته (لايجارى) مبنى للمجهول مفاعلة من الجرى وهو مما يوصف به الماء والحيوان ايضا فهو تجريد شبيه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لايسبق فكانه لذلك لايجاريه احد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا (و) مما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نخس جمل جابر) بن عبد الله الانصارى الصحابى المعروف رضى الله تعالى عنهما ونخس بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه فى جنبه اونحوه بعود او نحوه وكان ذلك بمحجن فى يده الشريفة (وكان) ذلك الجمل (قد اعيى) اى تعب وقلت حركته من السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة فى الماضى وفتحها فى المضارع اى اسرع فى السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة وسرعة وفى النهاية روى كثير انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها

وانشطتها اذا حللتها وفي الحديث كانما انشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعني ان الصواب هنا انشط من المزيد واصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولا يخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا نزعها فيشبه الجمل بدلو في بئر ويشبه نخسه له حتى جد في سيره باخراجه من البئر كانه جذبه وابدا قوته التي لم تكن ظاهرة فيه (حتى كان) اي جابر او الجمل (لايملك زمامه) الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه انه لا يقدر على ضبطه وحبسه لانه لشدة نشاطه يجذبه من يده وينازعه فيه والحديث كما في الصحيحين قال جابر رضي الله تعالى عنه انه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة فابطأ به جمله وضربه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماشانك فقال له ابطأ بي جملي واعيي فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لايقدر على كفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته في الحديث وشروحه وفي ثمنه اختلاف ايضا وفيه من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولطف معاملته مع اصحابه وكرمه ما لا يخفى وهذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري (وصنع مثل ذلك) اي مثل ما صنع مع جابر رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البيهقي (بفرس جعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه جعال (الاشجعي) بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لاشجع وهي قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبدالله بن ابي الجعد قال كنت في بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في اخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشانك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله لك فيها قال فلقد رأيتني اول الناس ما املك رأسها وبعت من بطنها عدة كثيرة واليه اشار بقوله (فخفقها) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اي ضربها (بمخفقة) كانت (معه) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهاء اسم آلة من الخفق وهي الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا (وبرك عليها) بالتشديد تفعيل من البركة اي دعا مرارا بالبركة فيها (فلم يملك رأسها) اي لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له وهذا من قولهم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملاك مأخوذ من هذا وهو حقيقته (نشاطا) اي من شدة نشاطها (وباع من بطنها) اي مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع في الولد والنسل (باثني عشر الفا) وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة

تناسل فيكون ذلك ولدها وولد اولادها وفيه لف وتشر فقوله علك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الى آخره ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائي وابن عبدالبر في الاستيعاب (و) في حديث رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبدالله بن ابي طلحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ركب حمارا قطوفا) قليل السير متقارب الخطا (لسعد بن عبادة) الانصاري سعدهم المشهور (فرده) اي اعاده صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبه بعد ماركبه اومعناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما صرحوا به فعلى الاول مابعده حال وعلى الثاني مفعول ثان (هملاجا) بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من البراذين مايسرع مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان (لايساير) مبني للمجهول اي يسبق كل ماسار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما في قوله لايجارى (و) روى البيهقي انه (كانت شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما (في قلنسوة خالد بن الوليد) اي انه رضي الله تعالى عنه وضعها في داخل قلنسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو قيل هائه مايوضع على الرأس وهي معروفة ويقال قلنسية كما في الصحاح (فلم يشهد بها) اي لم يحضر (قتالا) وحربا قاتل فيه (الارزق النصر) اي الا نصره الله تعالى على اعدائه فيقتلهم اويهزمهم ببركة تلك الشعرات التي كانت في قلنسوته وجملة الارزق الى آخره حال مستثناة استثناء مفرغا من اعم الاحوال وحكى ابن العديم ان ابن ابي طاهر العلوي كان عنده اربعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض امراء حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له واهدى تلك الشعرات له فاكرمه ثم اتاه بعد ايام فعبس في وجهه ولم يلتفت اليه فسأله عن السبب فقال له قال لي فلان ان هذه الشعرات لااصل لها فسأله احضارها فاحضرت فطلب منه نارا موقدة فاتي بها فرمى شعرات منها في النار فلم تحترق بل صارت احسن مما كانت فقبل رجله وانعم عليه بنعم لاتحصى واكرمه غاية الاكرام (وفي الصحيح) اي في الحديث الصحيح اوصحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه (عن اسماء بنت ابي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما (انها) اي اسماء (اخرجت) اي اظهرت وأرت الناس (جبة) بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وهي ثوب مخيط (طيالسة) قال النووي انه روي باضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف لانه بزنة ثمانية ورواه وبجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة كانت عند اختها عائشة ام المؤمنين فلما ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمسة واربعين سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات

اعلام خضر ولذا روى جبة خضراء فوصفت بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة
خلقة وقيل انه جمع طياس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل الطيلسان كساء
اخضر يعرف بالساج وقيل الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن
الطيلسان في الشتم (وقالت) اسماء (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها)
اى كان يكثر لبس هذه الجبة لان كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكر
الاصوليون وليس بطريق الوضع كما مر (فنحن نغسلها) ونأخذ ماغسلها فنعطيه
(للمرضى فتستشفى) المرضى (بها) اى بمائها بان يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا
بآثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفاء ببركته وفى مسلم انها جبة كسروانية
نسبة لكسرى اى عجمية وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على
حل السجاف من الحرير وقيده بعضهم بان لايزيد على اربعة اصابع ولاينافى كونه
من الطيالسة ماقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه
بعضهم لماورد انه حلية قوم الدجال (وحدثنا القاضى ابوعلى) هو ابن سكرة
وقدتقدم (عن شيخه ابى القاسم بن المأمون) بن محمد بن هشام الرعينى السبتى المعروف
بابن المأمون الامام المشهور (قال كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ولاتكسر كما مر
وهى الجفنة المعروفة وتخص فى العرف بما كان من الخشب وقيدها النووى بما كانت
تسع عشرة والقائل ابن المأمون فيحتمل انهما كانت عنده وصلت اليه بطريق
من لطرق ويحتمل انها كانت بديارهم وبلادهم (من قصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
بكسر القاف كجمع حفة وجفان ويجمع على قصع ايضا وقصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم
لم يعدوها ولم يذكروا صفاتها لانه صلى الله عليه وسلم كان لايعتنى بها ولا يعدها ولا يدخرها
(فكنا نجعل فيها الماء للمرضى) جمع مريض (فيستشفون بها) اى يطلبون الشفاء
فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها لبركة اثار آثاره (واخذ جهجاه الغفارى)
جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الاخيرة الف وهاء وقيل ان صوابه
جهجا مقصور لاهاء فى آخره والغفارى بكسر الغين نسبة لغفار وهى قبيلة معروفة
واختلف فى اسم ابيه فقيل هو ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقيل ابن سعد بن حرام
وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابى مهاجرى مدنى وروى عنه احاديث
وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى بعد عثمان بن
عفان رضى الله تعالى عنه بسنة (القضيب) يعنى قضيب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الذى كان مع الخلفاء والقضيب عصى قصيرة (من يد عثمان) بن عفان
لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل اخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله
منصرفا لداره (ليكسره) اى اخذه بقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح
الناس عليه وقال ابن عبدالبر وبعض اهل السير انه كسره (على ركبته) اى انكى على

ركبته فى كسره كما هو معتاد (فصاح به الناس) ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه امر عظيم وجرأة لم يرضوها ولذا قال ابن العربى لايصح كسر العصا ممن اطاع اوعصى وهذه العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب وكذا الخلفاء بعده (فاخذته) اى اصابته ووقعت به واصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عماذكر (الاكلة) كفرحة وهوداء يصيب بعض الاعضاء فيتأكل اى يتفتت ويتقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور فى مفصلات كتب الطب والناس تقول آكلة بالمد وقدقيل انه خطأ الا ان الثعالبي انشد لبعض العرب فى كتابه ثمار القلوب

ومن انت هل انت الا امرأ * اذا صح نسلك فى باهلة
وللباهلى على خبزه * كتاب لآكله الآكلة

ولم يخطئه فيه وهو من ائمة اللغة فيصح ان تقرأ عبارة المصنف رحمه الله تعالى به الا ان تعارضه الرواية (فقطعها) اى قطع جهجاه ركبته اورجله من ذلك لئلا يسرى المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل * القطع طب كل عضو فاسد * فلاحاجة لماقيل ان ضمير الفاعل للاكلة وذكره بتأويل المرض ونحوه (ومات) الجهجاه من قطعها (قبل) تمام (الحول) اى السنة التى وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبدالبر فى الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة فى ركبته وتوفى بعد عثمان رضى الله تعالى عنه بسنة وهومناف لكلام المصنف رحمه الله تعالى من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفى الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضى الله تعالى عنه حين اخرج من المسجد ومنع من الصلوة فيه وهو ايضا مخالف لكلام ابن عبدالبر فى قوله انه اخذها وهو على المنبر وكان عثمان لماقام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلى بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج فى آخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم ابوامامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القائمين عليه الجهجاه وشافهه بما لايليق وفعل بالقضيب مافعل وفى جرأته على قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم اشكال لايخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضى الله تعالى عنه لايسوغ له مثل ذلك وعثمان رضى الله تعالى عنه كان مجتهدا متأولا فيما انكروه عليه وماهذه الاذلة عظيمة لاتليق بمن كان مؤمنا صحابيا (و) روى البيهقى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه حدثنا متصلا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (سكب من فضل وضوئه)

السكب يعني الصب وفضل وضوئه مازاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله تعالى روحه في كتابه الرمز ان الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدي والفتح اولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضأ وضوأ وتطهر طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء من اسماء الماء كالوقود ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ماتبرأ منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهما لم يحرراه انتهى ٠ماقاله شيخنا فلك هنا الفتح والضم (في بئر قباء) بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف ويجوز صرفه ايضا باعتبار المكان والفه ليست للتأنيث وقال في التبصرة انه اسم اماكن ثلاثة وينسب اليه قبائي والى قبا فرغانة قباوي والقصر لغة فيه ايضا (فانزفت) البئر اي انقطع ماؤها (بعد) مبني على الضم اي بعد ماسكب فيها فضل وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم ونزفت بفتح الزاء المعجمة ويجوز كسرها فهو مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر على الثاني فقد قصر وقدورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه الله تعالى فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها في السوانح والمصنف رحمه الله تعالى قال انه صب فضل وضوءه اي بقيته ووقع في رواية انه تفل فيها وعد هذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تفجير الماء في بئر الحديبية وبئر تبوك لانه ثمة وقع التحدي لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدي كما قيل (و) روى ابو نعيم في دلائله انه صلى الله تعالى عليه وسلم (بزق) بزاء وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه (في بئر كانت في دار انس) ابن مالك خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يكن بالمدينة) بئر من آبارها (اعذب منها) اي احلى والذ من مائها وهذا كان بين اظهر المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما اشرنا اليه (ومر) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ماء) في بعض اسفاره (فسأل عنه) اي عن اسمه (فقيل) له (اسمه بيسان) بموحدة مكسورة وقال التلمساني بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الآتي ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة والف ونون (وماؤه ملح) جملة حالية اي لاعذوبة فيه فلما سمي بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يحب صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتشاءم به فغيره لانه كان يحب الفال الحسن (فقال بل هو نعمان) بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة وبيسان موضعان احدهما بالشام وهو في حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذي مر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة ذي قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه فغير الله ماءه فاشتراه طلحة رضي الله تعالى عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض وضبط الانطاكي في حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ماتقدم وفي الشرح

الحديد انه بكسر النون فكأنه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح وماح لغة ايضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها في النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة اوردنا ذلك (وماؤه طيب) هذا من جملة مقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا تناقض كلامه (فطاب) ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه طيب (و) روى ابن ماجة في حديث آخر مسندا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (اتى) بالبناء للمجهول اى اعطاه بعض اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاءله (بدلو) مملو (من ماء زمزم) ورواه البيهقي عن وائل الحضرمي الا انه لم يقل فيه انه من ماء زمزم (فمج فيه) اى القى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فمه وريقه (فصارت) رائحته (اطيب من) رائحة (المسك) وقريب منه قصة نافع احد القراء السبعة المذكورة في شروح الشاطبية (و) من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم مارواه الطبراني عن ابي هريرة انه (اعطى الحسن والحسين لسانه) الشريف اى وضعه في فمهما (فمصاه) اى جذبا ريقه وشربا منه (وهما يبكيان) جملة حالية اى باكين (عطشا) تمييز اومفعول له والعطش حرارة تقتضى اشتهاء ما يشرب (فسكتا) فسكن عطشهما وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله وكان يتفل في افواه الصبيان الى آخره (و) في حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه (كان لام مالك) الانصارية الصحابية وهي ام سليمان بنت ملحان قيل والصواب ان يقول ام انس بن مالك وفي الصحابة ام مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان ام مالك هذه ليست ام انس وقد قالوا انه لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان ام مالك في الصحابة اثنتان ام مالك الانصارية وام مالك البهزية وهي صاحبة العكة انتهى (عكة) بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهي سفن من الجلد يوضع فيه السمن غالبا وكانها مشددة (تهدى فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) اى ترسل به له على طريق الهداية وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن قال الزبيدى السمن للبقر غالبا ويكون للمعزى ايضا وفي القاموس انه سلاء الزبد ولم يقيده (فامرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها) الامر هنا بمعناه اللغوى لان قوله لا تعصرها نهى لا امر اوهو باعتبار لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية مافيه مماقل ففيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لقلة مافيها واحتقاره وتعظيم ماقل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب (ثم دفعها) اى دفع صلى الله تعالى عليه وسلم العكة (اليها) اى الى ام مالك المهدية له (فاذا هي مملوءة سمنا) اى فاجاها بغتة ماؤها من ذلك فمملوءة بزنة المفعول مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا

وادغامها (فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو مايؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلف الفقهاء في اللحم هل يسمى اداما عرفا ام لا فلا ينافي ماورد في الحديث سيد ادام الدنيا والآخرة اللحم وقيل الادم مايصلح به الطعام (وليس عندهم شئ) يعني من الادام (فتعمد اليها) اى تقصدها وتمسكها بيدها وعمد يعمد بفتح الميم في الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس كما في شرح الفصيح للبلي (فتجد فيها سمنا) كما كانت فلا تنقص (فكانت تقيم ادمها) اى تجده قائما اى باقيا على حاله (حتى عصرتها) غاية للاقامة اى لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة وفقدته وذهبت بركته لما خالفت امره صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم الحكمة في ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله تعالى بزوال ما انعم به عليها ولم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل في بيت ام مالك وفي اسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم امر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فلما اخذتها اذا هي مملوءة فاتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت يارسول الله نزل بي شئ فقال ماذاك ياام مالك قالت رددت على هديتي فدعا بلالا وسأله عن ذلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئالك ياام مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول دبر كل صلوة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا وهذا صريح في ان ماذكر كان بركة لامعجزة بملاحظته عليه السلام كما قيل فتدبر (و) في حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم (كان يتفل) بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم عاشوراء (في افواه الصبيان) وافواه جمع فم باعتبار اصله لان اصله فوه والصبيان جمع صبي والمراد بهم الصغار الذي يرضعون ولهذا قال (المراضع) بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهي مص الثدي لاجمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لايجمع على مفاعل وادعاء انه على خلاف القياس لاحاجة اليه وفي بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم الا ان ابن عصفور قال انه شاذ وادعاء بعضهم انه ضرورة لايصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها وماقيل ان تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطأ اللهم الا ان وقع له رواية صبيان المراضع بالاضافة ولم نجده في شئ من النسخ (فيجزيهم) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاء المعجمة وهمزة اى يكفيهم واهل الاصول فسروا الاجزاء بالصحة وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق بين الاجزاء والصحة (ريقه) الشريف (الى الليل) اى فيكفيهم عن الرضاعة

النهار كله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الام الكثير (ومن كراماته) اى من كرامات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه البيهقى (بركة يده فيما لمسه) اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشئ فقوله بيده تأكيد او تجريد كنظرت بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم (وغرسه لسلمان الفارسى) اى لاجله كما سيأتى والغرس وضع اصول الشجر فى الارض لينمو وفى نسخة اوغرسه فهو شك من الراوى وسلمان هو ابوعبدالله الفارسى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من قرية يقال لها جئ من قرئ اصبهان اورام هرمز ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما اعتقه وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين وكان رضي الله تعالى عنه يعمل الخوص ويأكل منه مع ان عطاءه من بيت المال خمسة آلاف كل سنة وكان اذا اخذها تصدق بها قال النووى اتفقوا على انه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاث مائة وخمسين سنة وتوفى بالمداين ودفن بها سنة خمس اوست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فاشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه وقصته مشهورة (حين كاتبه مواليه) من اليهود وهذا ينافى ماقاله البرهان انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه وجمع الموالى ولم يكن له الامولى واحد تجوزا وقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد وله معان اخر والكتابة معلومة مفصلة فى كتب الفقه (على ثلاثمائة ودية) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهى صغار النخل (يغرسها لهم كلها تعلق) بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف اى تنبت بعد غرسها ويتم غراسها من عاقت المرأة اذا حبلت وقال بعض الشراح تؤكل ثمرتها من علق يعلق كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من بابين والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة كلها تعلق بدل مما قبله وقوله (ونطعم) اى يوجد فيها مايؤكل من ثمرها ويؤيد ان المراد بما قبله تدرك وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن يكرم (وعلى اربعين اوقية) بضم الهمزة وتشديد الياء ويقال وقية ايضا بفتح الواو وقال السعد فى شرح الكشاف الاوقية افعولة فاصلها اوقوية فاعلت اوقعلية من الاوق وهو الثقل والمراد اربعون درهما كما فى كتب اللغة وعند الاطباء وهو المتعارف الآن انها عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وقال الزمخشرى انها اثنان واربعون درهما انتهى وقيل انها سبعة مثاقيل (من ذهب) بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع فى حديث رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما فى النهاية لاوجه له اللهم الا ان يريد انها المشهورة بين العوام فلا ينافى

تصحح اهل اللغة انها كما فى القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة عشرون درهما (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من مجلسه الى محل عين لغراسها فيه (وغرسها له بيده) الشريفة تبركا (الاواحدة) منها (غرسها غيره) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرساها معا اوان كل واحد منهما غرس واحدة (فاخذت كلها) يعنى انها طلعت وادركت فهو مجاز كأنها اخذت من الارض ماقامت به ونمت كما يدل عليه الكلام (الاالنخلة الواحدة) التى غرسها غيره (فقلعها) من محلها (وردها) اى اعادها الى محلها (فاخذت) اى نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته الباهرة صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الاواحدة يدل على بطلان التوفيق بانها غرس كل واحد منهما ودية وفى بعض السير انه صلى الله تعالى عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغى ان يحمل على القصة اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما (وفى كتاب البزار) بموحدة وزاء معجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور (فاطعم النخل) اى اثمر ذلك النخل الذى غرسه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (من عامه) اى فى سنته التى غرس فيها ومن ابتدائية (الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها) واضافة العام لها حقيقية لوقوع الغراس فيه (واعطاه) اى اعطى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه (مثل بيضة الدجاجة) اى قدر حجمها لاوزنها كما قيل (من ذهب) جاءه من المغانم (بعدما ادارها على لسانه) الشريف ليحصل فيها بركته ولاحاجة الى ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولم نسمع فانه لايقال مثله بالرأى (فوزن) سلمان رضى الله تعالى عنه (منها لمواليه) اى لمن كاتبه كامر (اربعين اوقية وبقى عنده مثل ما اعطاهم) وهى اربعون اخرى وكانت فى رأى العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من نمو الاعيان قيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا بقى وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان رضى الله عنه طويلة مفصلة فى السير وحاصلها انه كان بجئ وهو قرية بفارس كان ابوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فمر سلمان برهبان فى كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه امرهم وقال هذا خير من ديننا فلما اخبر اباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الى الشام فاخبرونى به وكانوا قالوا له ان ديننا هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء الى الشام ودخل كنيسة فيها قسيس يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات فذهب لآخر بعمورية

ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فرض واشرف على الموت فقال له ان مت ما افعل قال ان ديننا هذا قديم وقد دنا زمن نبي على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم النبوة ولا يأكل الصدقة ويأكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى ارض العرب فغدروا به واسروه وباعوه من يهودي وقيل ابتاعته امرأة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها اذا برجل غريب جاء الى سيده المذكور وقال هل سمعت ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقباء الآن فلما سمع سلمان مقالته عراه نافض كالحمى ونزل يسأل الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها فلما رأى العلامات المذكورة جاء وكاتب سيده على ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى * فان قلت تقدم في الحديث انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سلمان منا اهل البيت فكيف يكون هذا وهو مكاتب وكيف اكل صلى الله تعالى عليه وسلم مما اتى به والعبد لا يملك شيئا * قلت اجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه منه مما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما مر وانما باعوه ظلما وغصبا ولو سلم فهو مولى موالاة لا مولى رق ولذا قيل صلى الله تعالى عليه وسلم ما اهداه له لانه اجرة له او اذن له سيده في دفعه لمن يريد (وفي حديث حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق) بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل (شرب) صلى الله تعالى عليه وسلم (اولها وشربت آخرها) يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب منها اولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته (فما برحت) اي لم ازل بعد ما شربت سؤره (اجد شبعها) اي يحصل عندي الشبع بزنة العنب وهو معروف (اذا جعت) اي اذا جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام (وريها) بكسر الراء وهو برد يحصل في الجوف من الماء ونحوه يغني عن الماء (اذا عطشت) اي جاء وقت الحاجة الى الشرب والضميران للشربة (وبردها اذا ظمئت) بزنة علمت بالهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظمأ وهو العطش فغاير بينهما في العبارة تفننا اي لم يفارق بعد شربها الشبع والري لبركة سؤره صلى الله تعالى عليه وسلم (و)

في حديث صحيح رواه احمد في مسنده عن ابي سعيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم (اعطى قتادة بن النعمان) بن زيد ويكنى اباعمر وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنه وهو الذي ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار (وصلى معه العشاء) جملة حالية بتقدير قد اي وقد صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العشاء (في ليلة مظلمة مطيرة) اي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى (عرجونا) بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وفتح كفردوس وبهما قرئ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لقتادة (انطلق به) اي خذ العرجون واذهب به لمنزلك (فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا) اي مقدار عشرة اذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل (فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) وهو ضد البياض والمراد جسم اسود والسواد يطلق على الجثة والشخ وفي توشيق عرى الايمان للبارزي انه كان هيئة قنفذ فاذا رأيته (فاضربه حتى يخرج) من البيت (فانه) اي السواد المرئي (الشيطان) تصور بهذه الصورة (فانطلق) قتادة (فاضاءله العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) من بيته كما اخبره به صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلوة العشاء وهاجت السماء واظلمت وبرقت فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة فقال له قتادة قال نعم يارسول الله علمت ان شاهد الصلوة قليل فاحببت ان اشهدها فقال له اذا انصرفت فأتني فلما انصرف اعطاه عرجونا وقال خذه فسضيء امامك عسرا وخلفك عسرا الحديث ويضيء جاء متعديا فعسرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة او ابليس بعينه (ومنها) اي من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم في قلب الاعيان مارواه البيهقي في حديث مسند وهو (دفعه لعكاشة) ابن محصن الصحابي المشهور وهو بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول واصله العنكبوت او بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع اصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطاء والتسليم كما يقال دفع له المال (جذل حطب) بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ اواصل من اصول الشجر ومنه المثل انا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك به الابل الجرباء فاستعير لمن يرجع لرأيه ويستشفى بهدايته في المهمات والحطب مايبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقدكان قال يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب وهم الذين لايرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجلعني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام آخر فقال مثل ماقال فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثانى كان من المنافقين ورده السهيلى بانه ورد فى رواية فقام رجل من خيار المهاجرين وايضا ورد انه انما قال لثالث ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت اولانه عرف صلى الله تعالى عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم (وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر) اى فى وقعة بدر كامر فى اطلاق اليوم على مثله (فعاد فى يده سيفا) اى صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس مناسبا هنا وبمعنى صار كافصل فى محله وقوله (صارما) اى قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة (طويل القامة) اى طويلا مستقيما (ابيض) اللون (شديد المتن) اى قوى الجرم صلبا من المتانة وهى القوة ولذا سمى الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضاء وقوامها به (فقاتل به) ببدر حتى انقضت (ثم لم يزل) السيف (عنده) اى فى ملكه وتصرفه والعند للحضرة وترد لمعان اخر منها هذا (يشهد) اى يحضر (به المواقف) اى قتال الكفرة (الى ان استشهد فى قتال اهل الردة) واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الى آخره غاية لبقائه فى يده فلا ينافيه بقاؤه عند اهله بعده كما توهم (وكان هذا السيف يقال له العون) سمى بهذا المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء وكان من عادة العرب واهل الصدر الاول انهم يسمون آلات حربهم وخيولهم باسماء كالاناسى (ودفعه) مصدر مرفوع مبتدأ خبره مقدر اى من كراماته صلى الله عليه وسلم دفعه اوهو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى (لعبدالله بن جحش يوم احد) اى فى وقعة احد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم اميمة بنت عبدالمطلب وهو من المهاجرين بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل بقطع انفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته مشهورة فى السير ورواها البيهقى مسندة (وقد ذهب سيفه) جملة حالية اومعترضة فاعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم (عسيب نخل) عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة تحتية وباء موحدة قيل وهى جريدة النخل لاخوص عليها والصواب مافى الصحاح من انه من السعف مافوق الكرب لم ينبت عليه خوص كعسيب الذنب (فرجع) اى صار العسيب وهو احد معنيى الرجوع ويكون لازما ومتعديا (سيفا) مفعول رجع قال ابن عبدالله البرفى الاستيعاب انقطع سيف عبدالله بن جحش يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد عرجون نخلة فصار فى يده سيفا يقال ان قائمه

كان منه فبقى الى ان بيع من بقاء الترك بمائتي دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية تدل على ان المسبب اصل العرجون لا الجريد كما قيل وهذه اعظم من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام فى عصاه لانها بقيت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا فى عصى متعددة وتلك عصا واحدة وفى سيرة ابن سيد الناس مثله اسلمة بن اسلم يوم بدر (ومنه) اى من هذا النوع من الكرامات والبركات (بركته) صلى الله عليه وسلم (فى درور الشاة) ودرور بدال وراثين مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درورا سال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع فى معنى الخير والنفع والشاة من الغنم واصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياه بزنة رجال جمع شاة (الحوائل) جمع حائل وهى التى لم تحمل مطلقا اوما حمل عليها فلم تحمل وقيل انها مالم تكمل سنة اوسنتين وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها ابعد من الدر (باللبن الكثير) ذكره للايضاح والتأكيد اواراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل (كقصة شاة ام معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعى اخت حبيش الصحابى المعروف بالاشعر وابو معبد اسلم ومات فى حيوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وله رواية وقال السهيلى انه لايعرف اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكثم بن ابى الجون ومنزله بقديد وقصة ام معبد مشهورة وتقدمت الاشارة اليها وافردها الحافظ العلائى بالتأليف وملخصها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ماعندى غير شاة عجفاء لالبن فيها فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت فاكفاه ومن معه وبقى فى الاناء بقية فلما جاء زوجها اخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة بولد صغير لها واسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله فى السيرة وشرحها وهو مشهور لاحاجة لذكره هنا (و) منها قصة (اعنز) جمع عنز (معاوية بن ثور) بالمثلثة بن عبادة بكسر العين بن البكاء والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفى نسخة العزفى انه معونة بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الفجيع بن البكاء والاصم بن كعب فقال يانبى الله بابى انت وامى امسح على وجه ابنى فمسح عليه واعطاه اعنزا سبعا ودعا لها بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلاء اصاب بنى البكاء فاصابتهم بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ونمت الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بنى بشر المذكور وفيه قصة الاعنز وفى ذلك يقول بشر رضى الله عنه

واناالذى مسح الرسول برأسه * ودعاله بالخير والبركات

(وشاة انس) وقصتها كقصة شاة ام معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطى في تخريجه ايضا لعدم الوقوف عليها (وغنم حليمة مرضعته) صلى الله تعالى عليه وسلم اى قصة غنمها التى رواها ابو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن لما جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم لتعرضه فى سنة كان فيها قحط اصاب ارض قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تأتى من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتى عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة هى بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها هو الحارث بن عبد العزى وقد اسلمت هى وزوجها واولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة (وشارفها) بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة المهرية وقيل انها تستعمل الذكر والانثى والمعز والمراد الاول فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف ليس فى ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما اخذت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة فقالت انى والله ارجو بركته الى آخر القصة (وشاة عبد الله بن مسعود) التى روى قصتها البيهقى وابن مسعود من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن ابى معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فقال له هل عندك لبن قال نعم لكنى مؤتمن فقال ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فاتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله واتاه ابو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابى بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه (وكانت لم ينز عليها فحل) نزا الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع والفحل الذكر فيصح فى ينز ان يكون بفتح الياء التحتية وضم الراء المعجمة مبنى للفاعل ويصح ضم اوله وفتح آخره بالبناء للمجهول وهو مبالغة فى عدم اللبن بنفى اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها (وشاة المقداد) بالجر اى قصتها التى رواها مسلم والبيهقى وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما يأتى ابن عبد يغوث الصحابى المشهور وقصته انه قال كنت انا وصاحبان لى قد بلغ منا الجهد فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاثة اعنز فقال احتلبوا منها لنا بيننا فكنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشربه فوقع فى نفسى ذات ليلة انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو على فاهلك فلم انم وقد نام صاحباى فجاء صلى الله

تعالى عليه وسلم لعادته ليكشف الاناء فلم يجد شيئا ورفع بصره الى السماء فقلت الآن يدعو على فقال اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ماسمن منها فاذاهن حفل كلها فجاءت اناء حتى علت رغوته وجئت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روى واصبت دعوته فضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم احدى سو آتك يامقداد يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت يارسول الله كان مني كذا وكذا فقال ماهذه الارحمة من الله لو كنت ايقظت صاحبك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما ابالي اذا اصبتها واصبت فضلك من اخطأت من الناس (ومن ذلك) اي من كراماته وبركاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا (تزويده اصحابه) اي اعطاءهم ما يتزودونه اي يكون زادا والزاد يشمل الماء والطعام والمراد الاول لقوله (سقاء ماء) السقاء ككساء جلد كالمرة وضع فيه الماء واللبن ونحوه وضمن تزويد معنى اعطاء ولذا نصب السقاء اوهو على التسمح وقوله سقاء ماء المراد به سقاء فيه ماء كما يشهد له مابعده (بعد ان اوكاه) اي شده بالوكاء وهو ما يربط به القربة ونحوها (ودعا فيه) اي دعا في شانه وامره وبسببه وبعد متعلق بتزويد (فلما حضرتهم الصلوة) اي دخل وقتها حتى كأنها جاءتهم وهذا يقتضي انه كان مايصلح للوضوء (نزلوا فحلوه) اي حلوا وكاءه ليستعملوا ماءه (فاذا هو لبن حليب) اي فاجأهم كونه لبنا لصا بعد ما كان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وزبدة) بباء الموحدة او بالاضافة لضمير اللبن او للسقاء بادنى ملابسة (في فمه) اي في فم ذلك السقاء والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته وانما اوكاه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه وبدل لمن لم يكن معه وفي نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقاء معهما وهذا الحديث (من رواية حماد بن سلمة) ابن دينار الامام ابوسلمة احد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه من روايته على خلاف المعتاد من اهله به في تحريره قيل بيانا لشان هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال ومسلم ممن اجله وروى عنه والمغاربة والمصنف رحمه الله تعالى من اجلهم يمشون اثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه وقال ان البخاري لم يروعنه الاعلى طريق الاستشهاد وهذا من قلة الانصاف وسلمة بفتحتين كما مر (ومسح على رأس عمير بن سعد) اي امر صلى الله تعالى عليه وسلم يده على رأسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو ابوكبشة الانصاري الصحابي وعمير من الصحابة ايضا ولا اعرف من حرث له هذه القصة منهما وقال السيوطي ان الذي رواه الزبير بن بكار في اخبار

المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفي نسخة التلمساني عمر بن سعيد وقال انه ابو يحيى النخعي الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة (وبرك) بالتشديد اي دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في عمره وصحته (فمات وهو ابن ثمانين) اي وقد بلغ سنه الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما قال الليالي حبالى قال * فمخضت المون له بيوم * اتى ولكل حاملة تمام * (فما شاب) اي ببركة مس يده الشريفة له لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم في الهرم بعني الشيب لانه من لوازمه (وروى) للبناء للمجهول نائب فاعله (مثل هذه القصص) من بركاته صلى الله عليه وسلم (عن غير واحد) اي عن كثير فنفي الوحدة كناية عن الكثرة (منهم السائب بن يزيد) بن سعد بن ثمامة بن الاسود (ومدلوك) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو تليها كاف وهو ابو سفيان الفزاري له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام واتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح رأسه فكان ما مست يده اسود وسائر رأسه ابيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقارا لان مدحه لدلالته على الصحة كامر ولكل شيء جهة مدح وجهة ذم وقد افرد ذلك الثعالبي في كتاب سماه مدح الشيء وذمه (و) روى الطبراني والبيهقي انه (كان يوجد لعتبة بن فرقد) اي كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال الماضية هو ابو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي شهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقده وولي الموصل (طيب) نائب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف اي رائحة طيب تشم من جسده ويفوح في مجلسه (غلب طيب نساء) اصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة في القوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وروى سبقت فالمراد ان رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر عندها كما روى في الدلائل والاذكار عن زوجته ام عاصم انها قالت كنا عنده اربع نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب ليكون اطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان اطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال اصابني الشرى على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلك الاخرى ثم امرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون واليه اشار بقوله (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره) وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب (وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو) اي مسح صلى الله تعالى عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى اخرج ما عليه من الدم وهذا معنى

السلت ويختص باخراج المائع والرطب الملتصق بشيء آخر يقال سلت القصعة اذا امر اصابعه على جوانبها لتنظف كما في صحاح الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعائذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عائذ بن عمرو بن هلال المزني الصحابي من اصحاب الشجرة وهو مزني وحديثه هذا رواه عنه الطبراني (وكان) عائذ (خرج يوم حنين) اي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل في السير وحنين اسم موضع قريب من الطائف بينه وبين مكة ثلاثة اميال سمي باسم حنين بن مهيلائيل لنزوله به كما مر وجملة وكان الخ حالية (ودعا له) لجهاده في سبيل الله (فكانت له غرة) بيضاء منيرة (كغرة الفرس) من اثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه فان فات سميت فرجة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلوة والسلام والفرق بينه وبين البرص ظاهر وفي نسخة ولا كغرة الفرس اي لاتشبه غرته لما فيه من النور وليس كالوضح في البدن (و) ذكر ابن الكلبي انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مسح على رأس قيس بن زيد) وهو صحابي له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه وفي بعض النسخ يزيد بياء في اوله وابوه يسمى عامرا (الجذامي) نسبة لجذام كغراب قبيلة مشهورة (ودعا له) صلى الله تعالى عليه وسلم بماذا ببقاء صحته وعافيته (فهلك) اي مات فالهلاك والموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت غير مرض لكنه ليس معنى وضعيا (وهو ابن مائة سنة ورأسه ابيض) لشيبا (وموضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت عليه يده اسود) لم تشبه بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان يدعى الاغر) اي كان يسمى بالاغر لما في وجهه من النور تقول دعوت ابني محمدا اذا سميته به (وروى) بالبناء للمجهول والذي رواه البيهقي (مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني) في مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه وبقاء اثره في وجهه وموته كما مات قيس على الحسن حالة واسمه هو وهب بن عدي بن مالك النجاري الزهري والجهني منسوب لجهينة وهي قبيلة مشهورة وقصته كما في دلائل البيهقي انه قال لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهي فمات عمرو وقد اتت عليه مائة سنة وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه ورأسه والسيالة بوزن سحابة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على وجه آخر) قال البرهان لااعرفه ولعله حريث بن سواد بن الحارث لانه روي انه مسح على وجهه فصار لا غبار يعلوه ولعله طلحة بن ام سليم فانه روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح براسه فكان كذ...

(فمازال على وجهه نور) من آثار انواره صلى الله عليه وسلم (ومسح) صلى الله عليه وسلم (وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم ويجوز فيه الصرف وعدمه وقتادة هذا صحابي له رواية وترجمة (فكان لوجهه بريق) اى لمعان وصفاء بشرة من اثر مسه وبركته الشريفة عليه (حتى كان ينظر) بالبناء للمجهول (فى وجهه) اى يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر صورة وجهه فيه لشدة صفاء بشرته (كما ينظر فى المرآة) بكسر الميم اسم آلة من الرؤية معروفة والظاهر انه مبالغة فى صفائه وحسنه وليس المراد حقيقته (ووضع) صلى الله تعالى عليه وسلم (يده على رأس حنظلة) فى حديث رواه البيهقى بطوله مسندا (ابن حذيم) قال ابن ماكولا هو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية وميم وقال انه حنيفة بن حذيم ابو حنظلة له صحبة وكذا قال الذهبى فى المشتبه والتجريد حنيفة والد حذيم ولهما صحبة ولحنظلة ابنه وذكر حذيما فقال حذيم ابن حنيفة بن حذيم الحنفى والده له فما قيل صحبة ولابنه وابن ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم اربعة لهم صحبة وقد قال ابن الجوزى لا يعلم اربعة ادركوه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ابا قحافة وابنه ابا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى ابا عتيق انتهى والصحيح ان اباعتيق تابعى وحرر عليه الذهبى فى تجريده ولو قالوا عبدالله بن الزبير وامه اسماء وابوها ابو بكر وابوه ابو قحافة كان صوابا فانه لا خلاف فى صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة اشخاص ولهم رابع ذكره العراقى فى حاشية الفيته وحنظلة مالكى وقيل حنفى وقيل سعدى هذا محصل ماقاله البرهان (وبرك عليه) بالتشديد اى دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك (فكان يؤتى) بصيغة المجهول اى يأتيه الناس (بالرجل) تعريفه للعهد الذهنى المساوى للنكرة (قد ورم وجهه) جملة حالية اى اصابه مرض ورم منه وجهه (والشاة) بالجر من المعز والضأن (قد ورم ضرعها) وهو كالثدى للانسان وهو معروف (فيضع) محل الورم من الوجه والضرع (على موضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى مسه به (فيذهب الورم) الذى كان اصابه (و) روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نضح فى وجه زينب بنت ام سلمة) بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وام سلمة هى ام المؤمنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رش بالماء ونحوه (نضحة) اى رشة (من ماء فما كان يعرف فى وجه امرأة) اى ماكان يرى وينظر فى وجه احد من النساء اويعلم بالاخبار لمن لم يرها (من الجمال) اى حسن الوجه ورونقه (مابها) اى ماكان بها من ذلك ببركة الماء الذى رشه صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهها لان ذلك الماء كان مسه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبدالبر فى الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يغتسل فنضح فى وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت

وعجزت وكانت عنــد عبــدالله بن زمعة فولدت له وكانت من افقه اهل زمانهــا واعقلهم وتقدم ان اسم امسلمة هند وقيل رملة وابوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها امها وكان اسمها برة فسماها رســول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة المباركة (على رأس صبي) كان ذلك الصبي (به عاهة) اى آفة ومرض والمراد انه كان اقرع واسم هذا الصبي لايعرف (فبرأ) بزنة ضرب وآخره مهموز وماترى بمعنى خلق فعتل اى زالت عاهته وشفى بمابه (واستوى شعره) اى نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولاغيره من الشراح (ومثله روى فى خبر المهلب بن قبالة ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على غير واحد) اى على كثير كما سر بيانه (من الصبيان المرضى) جمع مريض (والمجانين فبرؤا) اى زال مابهم من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغى ذكره فى فصل ابراء المرضى وذوى العاهات واكثر فصوله متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف (و) فى حديث لم يخرجوه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (اتاه رجل به ادرة) بضم الهمزة وسكون الدال وبالراء المهملتين وهاء وهو انتفاخ فى الخصيتين معروف (فامره ان ينضحها) اى يرش على ادرته (بماء من عين مج فيها) اى كان صلى الله عليه وسلم تفل بريقه فيها (ففعل) اى رش من مائها على ادرته (فبرأ) اى شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الماء الذى خالطه فيه وضمير فيها العين اى عين الماء لانها مؤنثة وفى بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للماء او للعين لتأويلها به والامر فيه سهل ويجوز فى الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيها او فى احد جانبيها وقد يكون بلحم يزيد فيها او ريح كما عرفه الاطباء وينضحهــا يجوز فى ضادها الفتح والكسر وفى بعض الحواشى ان الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة الخفيفة ولام وروى هلب بن قنافة وهلب بضم الهاء وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة خفيفة وفاء قال ابن عبدالبر هو الصواب ان لم يكونا قصتين وقال الطبرى هو المهلب بن يزيد ابن عدى بن قنافة ابن عدى بن عبد شمس بن عوف الطائى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه ونبت شعره فسمى الهلب لذلك (و) فى حديث روى (عن طاوس) ابن كيسان اليمانى ابو عبد الرحمن اليمانى المشهور وهو من ابناء الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القراء روى عن ابن عباس وابى هريرة وغيرهما وكان رأسا فى العلم والعمل توفى سنة ست او خمس ومائة واخرج له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج اربعين حجة وصلى الصبح بوضوء

العتمة اربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من اجل التابعين دفن بمكة رضي الله تعالى عنه (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اى لم يأته احد (باحديه مس) سيأتي تفسيره (فصك في صدره) بصاد مهملة وكاف مشددة اى ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب اواشده (الأذهب) المس عنه وبرأ مما به وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية تأتي بالواو وقد وبدونهما (والمس الجنون) واللمس والمس متقاربان الا انه يكنى به عن الجنون قال الله تعالى (كالذي يتخبطه الشيطان من المس) لانه يقال على كل ماينال الانسان من الاذى كقوله تعالى (مستهم البأساء والضراء) (و) روى احمد عن وائل بن حجر مسندا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مج) اى صب من فيه (في دلو) فيه ماء اخرج (من بئر ثم صب فيها) اى في البئر الماء الذي مج فيه ريقه (ففاح منها ريح المسك) الريح هنا بمعنى الرائحة ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في الطيب وهواتم منه واطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته (و) في حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (اخذ قبضة) بفتح القاف وضمها (من تراب) اى ملء كفه من التراب (يوم حنين) اى في وقعتها المشهورة في السير (ورمى بها) اى بترابها (في وجوه الكفار) فاصابتهم جميعا (وقال شاهت الوجوه) جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهي من الشوهة والتشويه وهو القبح قيل واول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع مثله في يوم بدر كما في السير وهو شيء اقدره الله تعالى عليه كما قال الله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) فان ايصال هذا المقدار اليسير الى اعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير (فانصرفوا) اى ولى الكفار حال كونهم (يمسحون القذا) بفتح القاف والذال المعجمة والف مقصورة وهو مايقع في العين من التراب ويكون ايضا مايقع في الماء المشروب ونحوه مما يكدره (عن اعينهم) اى يزيحونه ويزيلونه منها لتأذيهم به ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة وفي الحديث يرى احدكم القذاة في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة ولايرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونظمه بعض المتأخرين فقال ❊ واعجبا للمره مع علمه ❊ ان ليالي عمره ساريه ❊ ينظر في عين اخيه القذا ❊ ولايرى في عينه السارية ❊ وقوله فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب الى اعينهم وقال شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وسلم (و) في بعض النسخ انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرب صدر جرير بن عبد الله) البجلي الصحابي رضي الله تعالى عنه وليس هو جريرا الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة

والامن لانه مقر القلب (ودعاله وكان) جرير (ذكر له) صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لايثبت على الخيل) اى لايقر على ظهورها لعدم فروسيته (فصار) جرير رضى الله عنه حينئذ (من افرس العرب) اى اقواهم (واثبتهم) على ظهورها ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فالفاء فصيحة اى فدعاله فصار الى آخره (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) بن نفيل القرشى العدوى المدنى الصحابى (وهو صغير) وكان اتى به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه (وكان دميا) بدال مهملة بمعنى حقير واما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مراداهنا (ودعاله بالبركة) اى بالزيادة فى خلقته وسائر اموره (ففرع) بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات (الناس) اى جنسهم وفى نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم (طولا) اى فى طول قامته (وتماما) اى بان تم سائر اعضائه وكمل الله خلقته بدعائه له صلى الله تعالى عليه وسلم والى هنا انتهى مازيد فى الاصل ونقل من خط المصنف رحمه الله تعالى (وشكى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ابو هريرة) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه ومافيه من الكلام للناس (النسيان) مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثانى يتنبه صاحبه بادنى تنبه والفرق بينه وبين الخطأ انه صدور امر من غير قصد (فامره) صلى الله تعالى عليه وسلم (ببسط ثوبه) اى ماكان لابساله فى ذلك الوقت اى بان يضعه على الارض ويفرشه (وغرف بيده فيه) اى فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شئ مايضعه فى آخر وضمير فيه للثوب الذى امره صلى الله تعالى عليه وسلم ببسطه للامر الذى اراده له (ثم امره) بعد ماغرف فيه (بضمه) اى ضم ثوبه على جسده (ففعل) اى ضمه عليه حتى كانه صار بدنه ماغرف له (فمانسى شيأ بعد) بالبناء على الضم لما تقرر فى محله فى علم العربية اى لم ينس ابو هريرة شيأ مما كان يسمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه فما كان احد احفظ منى لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخارى وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص فى العرف بالمخيط منه ومافعله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغرف ونحوه بجعل المعانى المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشئ عنده اغترف منه حتى ملأ رداءه وضمه اليه حتى يحيط به ويسرى من ظاهره لباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف فى عالم الشهادة فوض اليه التصرف فى غيره ايضا وهو سر من الاسرار دقيق لايوقف عليه الا بالكشف ﴿ فصل ومن ذلك ﴾

(اى)

اى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته الباهرة (ما اطلع عليه) هو اما مبنى للمجهول من الافعال اى اطلعه الله تعالى عليه او من الافعال (٢) مبنى للفاعل بتشديد الطاء (من الغيوب) بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عنى كذا ويستعمل فى كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله (عالم الغيب والشهادة) اى ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله (يؤمنون بالغيب) اى بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلوة والسلام (وما يكون) فى المستقبل وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات (والاحاديث) الواردة (فى هذا الباب) اى فى هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيب الذى اطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول (بحر) تشبيه بليغ اى فى كثرتها كالبحر (لا يدرك قعره) بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وارضه اى لا يصل احد الى نهايته (ولا ينزف) بمعجمة وفاء مبنى للمفعول او للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى اى لا ينفد ويفنى (غمره) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدا (وهذه المعجزة) فى اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب (من جملة معجزاته) اشارة الى كثرتها فهى البحر حدث عنه ولا حرج (المعلومة) للناس (على) طريق (القطع) بتحققها بحيث لا يمكن انكارها او التردد فيها لاحد من العقلاء وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار فى بعضها كالقرآن والى هذا اشار بقوله (الواصل الينا خبرها) جاريا (على) نهج (التواتر) المشهور (لكثرة رواتها) اى رواة مجموعها (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) اى الامور المغيبة وهذا لا ينافى الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفى علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق بقوله تعالى (فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذى يبصر به فمن كان الحق بصره فاطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافى قول المرسى فى تفسيرها الا رسول او صديق او ولى ولا زيادة فيه على النص فان السلطان

(٢) قوله من الافعال لعل صوابه من الافتعال بتصحيحه

اذا قال لايدخل على اليوم الاالوزير لاينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي اذا اطلعه الله على غيبه لم يره بنور نفسه وانما رآه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الاوقد فتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالي في اماليه على الاحياء ثم قال ويحتمل ان يكون المراد بالرسول في الآية ملك الوحي الذي بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة او القاء في روع او ضرب مثل في يقظة او منام ليطلع من اراد وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الاعلى يدي رسول من ملائكته ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب انهار العلوم الغيبية في اوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة في خزائن الالوهيـة انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار القاضي في تفسيره وبقي ثمة اسرار لاتسعها الحروف ثم انه بين مااجمل بحديث رواه ابو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان رحمهم الله تعالى الشيخان لما في طريقه التي رواه منها من الزيادة فقال (حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري) المعروف (اجازة) مع روايته عنه (وقرأته على غيره) اشاره الى انه رواه من طرق متعددة قوية والقراءة والاجازة طريقان اختلف في ايهما اقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر (قال ابو بكر حدثنا ابو على التستري) علي بن احمد بن علي الامام المشهور احد رواة سنن ابي داود ونسبته لتستر بلد معروفة وسينه مهملة واعجامها لحن قال (حدثنا ابو عمر الهاشمي) وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال (حدثنا اللؤلوي) وهو ابو علي محمد بن احمد بن عمر السابق ترجمته قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المشهور كما تقدم قال (حدثنا عثمان بن ابي شيبة) ابن محمد بن ابراهيم ابو الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وترجمته في الميزان قال (حدثنا جرير) ابن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات المشهورة الثقة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة واخرج له السـتة وترجمته في الميزان وغيره (عن الاعمش) سليمان بن مهران كما تقدم ترجمته (عن ابي وائل) سفيان بن سلمه الاسدي المخضرم توفي سنة اثنين وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة اخرج له السـتة (عن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اخبره بالفتن وماسيكون وروى عنه احاديث كثيرة وكان عمر رضي الله تعالى عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لايشهدها هو لاطلاعه على المنـافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفي سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لاتقوم السـاعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن مشهور واليه اشار بقوله (قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الضمير للصحابة والمراد به انه خطبهم يوما فعبر بالقيـام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قائما اى قام ونحن عنده فالظرفية مجـازية (مقـاما) بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي فهو مفعول مطلق

(فما ترك) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقامه هذا (شيئا) مما (يكون) اى يوجد ويحدث بعده مما يهم من احوال المسلمين ومن يتولى امورهم بعده ومايكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيئا (فى مقامه ذلك) اى فى خطبته التى خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به (الى قيام الساعة) اى من اول زمنه الى آخره فقدره لدلالة المقام عليه (الاحدثه) اى الاحدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفى نسخة حدث به والفعل فى تأويل الاسم كقولهم انشدك الله الا فعلت والاستثناء متصل لدخول المحدث به فى الشئ وقيل انه منقطع بمعنى لكن (حفظه من حفظه) الضمير للحديث المفهوم من السياق (ونسيه من نسيه) اى حفظه بعض السامعين له ونسيه بعضهم (قد علمه اصحابى هؤلاء) الحاضرون عنده اوالمراد اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الزيادة فى رواية ابى داود ولم يذكرها البخارى (وانه) الضمير للشان (ليكون منه الشئ) اى يوجد شئ مما حدثنا به فى ذلك المقام فى الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه فاراه بعينى بعد ماوجد (فاعرفه فاذكره) اى اتذكره بعد مانسيته فاتذكر مااخبرنا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضاحا له (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذاغاب عنه ثم اذا رآه عرفه) فيه تقديم وتأخير اى كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسياه وهو فى مخيلته الا انه لم يذكره فاذا رآه تذكره وعرفه فليس اذامتعلقا بتذكر بل بسئ المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا (ثم قال) حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على مارواه الشيخان (مادرى انسى اصحابى) هذا الحديث (ام تناسوه) اى اظهروا نسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل بل لانه من الاسرار التى لاينبغى ان يحدث بها كل احد (والله) قسم اكدبه مابعده (ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد) بالقاف والدال المهملة ومن زائدة والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشى خلفه (فتنة) فيأتى للمحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه (الى ان تنقضى الدنيا) اى الى ان تتم وتنتهى مدتها وبخرب العالم وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (يبلغ من معه) اى يصل من معه من اتباعه والضمير للقائد (ثلاثمائة) رجل (فصاعدا الا قدسماه لنا) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باسمه واسم ابيه وقبيلته) بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روى من طريق آخر مفصلا على كلام فيه ذكره ابن الجوزى وغيره (وقال ابوذر) الصحابى المشهور فى حديث رواه احمد والطبرانى وغيرهما بسند صحيح (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذهب عنا وانتقل الى الآخرة من بين اظهرنا ولم ندع شيئا الا بينه

لنا بحيث لايخفى علينا شئ من بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا اطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيئا الا بينه لاصحابه (ومايحرك طائر جناحيه في السماء) اي في الجو وهو كناية عن بيان كل شئ (الا ذكر لنا منه علما) وفي نسخة الا ذكرنا منه علما اي تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهم في الارض وهذا تمثيل لبيان كل شئ تفصيلا تارة واجمالا اخرى (وقد خرج اهل الصحيح) اي رووا [illegible] عندهم كالشيخين واصحاب السنن والمسانيد (والائمة) [illegible] كاحمد والشافعي وابو حنيفة ومالك (ما اعلم به اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به) بيان لما (من الظهور على اعدائه) اعلامهم بقتال سوى [illegible] (وفتح مكة) الذي اخبر به قبل وقوعه ففتحه الله تعالى (و) فتح (بيت المقدس) كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم تميما الداري بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاعطى تميما اقطاعه في سنة سبع عشرة من الهجرة (و) فتح (الشام و) فتح (اليمن و) فتح (العراق) بعني ماشمل العراقين عراق العرب والعجم ولها شهرة بالعطف على مكة كمصر والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث رواه ابن [illegible] المشرقين والمغربين واصل معنى العراق شاطئ البحر [illegible] (الامن) في الممالك الاسلامية وهو [illegible] اي اعلم اصحابه بظهور الامن (حتى [illegible] المرأة) بظاء معجمة وعين مهملة [illegible] [illegible] وسكونها وهو السفر قال الله تعالى (يوم ظعنكم) [illegible] لانها مع ضعفها وشدة خوفها [illegible] (الى مكة) بكسر الحاء المهملة وسكون [illegible] يقرب الكوفة [illegible] (لا تخاف الا الله) [illegible] انها لا تخاف احدا من الناس [illegible] [illegible] [illegible] روى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (وعدناه بالنواء وهو [illegible]) وهذا [illegible] وقع وهو مقتضى السياق وفيه اشارة الى [illegible]

منها وتركت الصلوة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امسهم يزيد حتى عادوا لهما (و) اعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم (بفتح خيبر على يد) علي كرم الله تعالى وجهه (في غد يومه) اي اخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه على ما فصل في السير وقد تقدم الكلام على شيء منه (و) اعلم صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه (بما يفتح الله تعالى على امته) اي بما ييسره الله تعالى لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم (من الدنيا) بكثرة المال والعزة (ويؤتون) بالياء للمجهول اي يؤتيهم الله تعالى (من زهرتها) اي زهرة الحيوة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة (وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر) الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون وطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا جواهرهما واموالهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم اولا وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على كل ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين ارادت وضعه فشق بطنها واخرج منها فهذا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابي هريرة وغيره من طرق وهو اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد حقق الله تعالى ما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه رضي الله تعالى عنهم (وما يحدث بينهم) اي اعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بين امته (من الفتون) بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما في الكرماني جمع فتنة كما قال البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم قيل لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما في بعض النسخ لان الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشيء فانه ورد بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق المجاز اي مطلق الميل (والاختلاف) في الكلمة والآراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان احسن (والاهواء) بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل اليه واطلاقه غالبا في الامور الباطلة (وسلوك سبيل من قبلهم) من الامم اشارة لما رواه الشيحان ... من مرة لتتبعن ... شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن ... الطريق وهو ... من الضلال والابتداع والتحريف كما صرح به في الحديث (وافتراقهم) اي افتراق ... على ثلاث وسبعين فرقة) اي ... الى هذه ... على ... الا ... ملة ...

المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى بنائه كما قاله الدواني في حواشي الشمسية في قوله رتبته على مقدمة الى آخره فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد بعدول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن معنى البناء فانه يتعدى بعلى الى الساوبه فيقال بني الدار على طبقتين او يقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور على الحاء فيتعدى بعلى الى النحو المبين انتهى وهذا الحديث رواه احمد وابوداود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفاء للجلال السيوطي (الناجية منها واحدة) اى الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على امتي ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والعدو ما اقتدوه وان بني اسرائيل افترقت على سبعين او سبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ملة واحدة او فرقة واحده قالوا يارسول الله من هم اى الناجون منهم قال من كان على ما انا عليه واصحابي فمعنى الناجيه انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفي قوله ستفترق اشارة الى انه ليس في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور في الدين والاعتقاد فلا يرد ما وقع بينهم في امور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت في كتاب الملل والنحل وبه علم ان قول الله ... وهذا من جملة ما اطلعه الله عليه من المغيبات (و) في حديث رواه ... عن جابر رضي الله تعالى عنه و (انهم سيكون لهم انماط) جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط يعني ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسعون في الدنيا ... الله ... بسط الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة (و ...) ...

احدهم في حلة ويروح في اخرى) وما سيذكر من حديث ... رواه ... عن علي وحسنه والغدو بفتح معجمه ودال مهمله ... اول النهار وقال الرواح ... والحلة هي الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما فوق الآخر ... الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما فيه والمراد ... لباسهم ... عليه من التقشف كما ان قوله (وتوضع بين يديه) اى من بين يديه ... (...) بزنة قصعة وهي اناء الطعام (وترفع اخرى) اى ... اخرى اشاره الى ... وتعددها ونفاستها (وتستر بيوتهم) بالبناء للمجهول اى يستترون ... وتهم وابوابها وفي نسخة ويسترون بيوتهم (كما تستر الكعبة) هذا ... الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا ... الاول وهو اسراف وقد ورد النهى عنه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه ...

لاصحابه (فى آخر الحديث) الذى رواه الترمذى وغيره (وانتم اليوم) المراد به مطلق الزمان الحاضر (خير منكم يومئذ) اى احسن منكم حالا من حالكم الآتى الذى يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم فتفضلهم على انفسهم باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله وتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلى به (و) مما اعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه (انهم اذا مشوا المطيطاء) كما ورد فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر الا ان الذهبى قال فى ميزانه انه لم يصح والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتيه ساكنة والف ممدودة كما فى الصحاح ويقصر ايضا كما فى النهاية وهو مبنى على التصغير كالكميت وهى مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالثريا والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد اومن مطا بمطو كما بين فى كتب اللغة (وخدمتهم بنات فارس والروم) اى اتخذوا الجوارى والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم فى الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا ولانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة ارقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب بارس بالباء المعجمه ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم (رد الله بأسهم بينهم) جواب اذا والبأس معناه الخوف الشديد لامطاقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان اعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب فى قلوب اعدائه الكفرة وبقى ذلك اثره فمن اقتدى به من الخلفاء فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعداء وصار بعضهم يعادى بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما فى يد الآخر لما طرت الملوك الطلبه فصار الامر الى على (وسلط شرارهم على خيارهم) الاشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى اخيار او مخفف خير وتسليطهم عليهم والعلو عليهم بالغلبة وهو كالذى قبله وكان ابتداء ذلك بعد فتح فارس والروم و[illegible] ... جدا بهم وتسلطهم فى الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن (و) ... صلى الله تعالى عليه وسلم (و الهم الترك) كما ورد فى حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى ... الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التاء جيل ... من الناس يقال لهم بنو قنطورا وهى امة لابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام واختلف فى نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم من اولاد يافث ابن نوح عليه الصلوة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا يأجوج ومأجوج وعلى

كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقائع مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة فى التواريخ (والخزر) بضم الخاء وسكون الزاء المعجمتين وراء مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع اخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقائعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى الخزر بفتحتين ايضا وفى بعض نسخ الشفاء بخاء مضمومة وواو وزاء معجمة ساكنة وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت او النظر بمؤخرها (والروم) اى مما وقع من اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحق سموا باسم ابيهم ثم قيل رومى وروم كزنج وزنجى وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان واصل مساكنهم جهة الشمال (وذهاب كسرى) بفتح الكاف وكسرها كما مر اى ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه (وفارس) من ارض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه (حتى لا كسرى ولا فارس) اى حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيمة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان نقول انه نكر كما فى هذا الحديث لاقيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى اى لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو اثره وفيه مقدر اى لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة (بعده) اى لا يكون بعده من جنسه (وذهاب قيصر) ملك الروم بذهاب ملكه وقومه (حتى لا قيصر بعده) وهذا مما رواه الشيخان ايضا بدون فارس الا انه وقع فى رواية من غير طريقهما (وذكر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اخبر به من المغيبات التى كانت كما قال (ان الروم) اى جنسهم المعروف (ذات قرون) وفى نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة فى عصر واحد اى كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السيد اى كل ماهلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد بهم قرون شعورهم التى كانوا يطولونها ويعرفون بها الاشارة الى طول همهم (الى آخر الدهر) اى يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه حين بعثه لهم كما هو مذكور فى السير وقد تقدم ايضا وهو مشاهد الى الآن ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك فى عهده كتب لكسرى فلما قرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل * كسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد * اذاقه الله تمزيقا بتمزيق * واما قيصر فلما اتاه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع دحية قبله واجله فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ عندهم فى صندوق

من ذهب واوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال قائما مادام هذا الكتاب عندهم حتى انهم اخرجوه لابن الصائغ الحنفي لما ارسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لامر مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة وهو الى الآن عندهم ولكن الله يهدى من يشاء (و) اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه (بذهاب الامثل فالامثل من الناس) الامثل هنا بمعنى الاشرف لانه اكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفاء لترتيب التفاضل لاثباته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى حثالة لاعبرة بهم وفى الصحاح فلان امثل بنى فلان اى ادناهم للخير وهؤلاء اماثل القوم اى خيارهم اى اعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره وفى البخارى يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير او التمر لا يباليهم الله بالة اى لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة بالحاء المهملة والثاء المثلثة من كل شيء رديه (وتقارب الزمان) فى حديث رواه الترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد معجمة مفتوحة وراء مهملة مفتوحة وهو حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومقارب وهذا يكون اذا قربت الساعة فى آخر الزمان كما ورد التصريح به فى بعض الروايات واختلفوا فى معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الامن فيستلذون بعيشتهم ويكونون مسرورين ومازال الناس يصفون الايام الهنية بالقصر وللشعراء فيها مقالة ومعان لطيفة معروفة من له المام بالادب كقول ابى تمام

اعوام وصل كان ينسى طولها * ذكر النوى فكأنها ايام
ثم انبرت ايام هجر اعقبت * نحوى اسى فكأنها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها * فكأنها وكأنهم احلام

وهذا المذكور هو الذى ارتضاه الخطابى واعترض عليه الكرمانى بانه لا يناسب قوله بعده (وقبض العلم) وقال ابن حجر انما احتاج الخطابى لتأويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص فى زمنه والذى تضمنه الحديث نجده فى زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام مالم نجده فى العصر الذى قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل

كفى حزنا ان لا حياة هنية * ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذى ارتضاه النووى رحمه الله تعالى وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن اهله اقصر اعمارا من اعمار القرن الذى قبله وقال الحنفى فى شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها [illegible] قريب من الاول

وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن اوقاتهم ولا يشعرون بها * كما قلت ان الزمان مقصر ذهبت به * بركاته اذ زادت الآلام * ماذاك الا انه قد فرمن * خوف وقد جارت به الحكام * وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله (وظهور الفتن والهرج) وهي جمع فتنة وهي معروفة وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى اخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى الا ناس جهلة اذا استفتوا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح الآتي لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم امر الله تعالى عز وجل فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم في هرج ومرج (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها (ويل للعرب من شر قد اقترب) اي قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر بشير بذلك الى امر عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما وويل مبتدأ وان كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهي ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل في العربية واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد يأجوج ومأجوج لان الحديث اوله قالت زينب رضي الله تعالى عنها استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النوم محمرا وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الى آخره فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج اي السد وعقد تسعين يعني جعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه صلى الله عليه وسلم يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحسابهم المشهور ومثله كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط في شروحه (و) اعلم صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ايضا (انه زويت له الارض) بالبناء للمجهول اي جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها (فارى مشارقها ومغاربها) اي جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير في محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا واري بضم الهمزة مبني للمجهول اي اراه الله جميع ذلك ومشارقها معمول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما في قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة في جهتي المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وفي قوله (وسيبلغ) اي يصل (ملك امته)

اى سلطانهم وحكمهم اشارة اليه (مازوى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) اى الارض اوالمشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية بيانية او تبعيضية لما مر (ولذلك كان) اى وقع ماذكر من الامتداد (امتدت) مملكتهم واتسعت اوامته بمعنى انتشرت فى نواحيها (فى المشارق والمغارب مابين ارض الهند) بيان للمشارق والمغارب او بدل (اقصى المشرق) بيان لارض الهند او بدل ايضا (الى بحر طنجة) بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب (حيث لاعمارة وراءه) اى انتهت الى مكان من ذلك البحر لاعمارة بكسر العين اى ليس بعده بلاد ولاجزائر معمورة وطنجة لفظ بربرى وهى مدينة عظيمة فتحت فى الاسلام ثم استولى عليها النصارى فى سنة سبعين وثمانمأة بعد قتال عظيم فلمارأى المسلمون ان لامعين لهم ولامغيث سلموها لهم فانالله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا اكثر البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدأ ومن اراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس (وذلك) الذى امتد لهذه الامة (مالم يملكه احد من الامم) السالفة (ولم يمتد) الممالك الاسلامية (فى) جهة (الجنوب ولافى) جهة (الشمال مثل ذلك) اى مثل امتدادها فى المشرق والمغرب فما قيل فى تفسيره انه بلغ ملكها اقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه (لايزال اهل الغرب) سيأتى تفسيره مفصلا فى كلامه (ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) غاية لاستمرار ظهورهم بتأييدالله تعالى لهم واعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين اصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على مايلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوى وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا فى المشرق والمغرب ايهما افضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف لاطائل تحته قال ابن العماد فى كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل المغرب بهذا الحديث واجيب بان الثابت لاتزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتى امرالله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربى المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل اوهو متعلق بظاهرين بتضمين معنى محافظين مداومين على اقامة الحق وشعائر الدين (ذهب ابن المدينى) فى تفسير هذا الحديث وهو على بن عبدالله بن جعفر بن جريج ابو الحسن امام اهل الحديث واعلمهم به فى عصره وقال النسائى كأن الله تعالى لم يخلقه الا لهذا الشان وقال البخارى رحمه الله تعالى مااستصغرت نفسى الا بين يدى على بن المدينى الى آخره وكان من احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى لليلتين

بقيتا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخاري رحمه الله تعالى وغيره من اصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدني كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مديني في النسبة لمدينة المنصور فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المنوره ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة في الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مدني والاكثر مدني والمديني نسبة الى مدائن سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهري المديني نسبة لمدينة الرسول والمدني نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح في الكلام على المسلسل بالاوليه المديني نسبة الى مدينة اصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفي القاموس النسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدني ولمدينة المنصور واصبهان وغيرهما مديني وقال الكرماني قال الحافظ القدسي قال البخاري المديني الذي اقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدني الذي تحول عنها وكان منها انتهى (الى انهم العرب) مطلقا ووجه تسميتهم باهل الغرب بقوله (لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة (وهي الدلو) العظيمة المعروفه بذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب في الحديث الحده والشوكة وتقدم تفسيره بالشام ايضا ووجه غرب الشام لحدته وللغرب معان كثيره في كتب اللغة (وغيره) اي غير ابن المديني من علماء الحديث (يذهب الى انهم) في الحديث (اهل المغرب) بميم في اوله (وقد ورد المغرب كذا) اي بهذا اللفظ في بعض الروايات وهو مؤيد للتفسير الثاني ولا ينفيه لاحتمال انه روى (في الحديث بمعناه) فهو رواية بالمعنى ولو لا هذا لم يفسر بغيره (وفي حديث آخر) من هذا القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن احمد بن حنبل (من رواية ابي امامه) عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم) من الكفره بالجهاد في سبيل الله (حتى يأتيهم امر الله) يعني الساعه واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها او المراد انهم لا ينقطع ظهورهم كقوله عليه السلام (ان الله لا يمل حتى تملوا) كما حققه الكرماني وغيره (وهم كذلك) اي باقون على حالهم والجمله حاليه (واين يا رسول الله واين هم) من البلاد ومقرهم (قال ببيت المقدس) بالاضافه ووصفه في عبارة من كسر جعله اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب او يطهر فيه للعبادة من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشدده اسم مفعول من التقديس اي التطهير وجاء بكسر الدال المشدده اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام وهذا البيت المقدس بالوصف والاشهر الاضافه والظاهر ان الطائفة المذكورة الامراء والحكام وقيل انهم المعروفون بالزهد والعبادة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من امر بالمعروف ونهى عن المنكر

(وقال)

وقال البخاري هم اهل العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث وكل محتمل والتعميم اولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية اهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التأويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى اقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رسالة للطرسوسي ارسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل ارادكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفاء اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما (بملك بني امية) وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق آخر في سنده ضعف (وولاية معاوية) بن ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس ولقد اجاد المصنف رحمه الله تعالى اذ عبر في بني امية بالملك ولم يدخل فيهم معاويه وعبر في معاوية رضي الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما ستبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغليب والخلافة ما كان ببيعة اهل الحق لمن هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول والولاية اعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما في الحديث الآتي مع الكلام عليه (الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا) ومعاوية كما تقدم كان اولا اميرا ثم صار ملكا وهو اول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضي الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان رضي الله تعالى عنه من بني امية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا لان ابا سفيان كما علمت ابن حرب بن امية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه اول ملوك بني امية والكل وجهه وقد ورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى مناما بني امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني اميه كان الف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله امته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب الواقعة في تلك الليلة بما لا نعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف ذلك من الهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذي بصيرة (ووصاه) اي وصى عليه الصلوة والسلام معاوية اذا تملك بالعدل والرفق لما قال له (اذا ملكت فاسجح) قال معاوية رضي الله تعالى عنه فما زلت اطمع في الخلافة منذ سمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل في قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله عنه لم يكن خليفة انما كان ملكا وفي

البيهقي عن معاوية انه قال ماحملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يامعاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ماروى انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يامعاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل وروى مايقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (و) منه ايضا قوله و (اتخاذ بني امية مال الله دولا) كما ورد في حديث رواه الترمذى والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (اذا بلغ بنوابي العاص اربعين او ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا) ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو مايتداول اى يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم اول من فعل ذلك في الاسلام واول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم ثم ولي ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المورخون (و) منه ايضا (خروج ولد العباس) بعد انقراض الدولة الاموية اى ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد في حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما اخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثاني (بالرايات السود) اشارة الى ما في هذا الحديث تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدولهم وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايلياء اى بيت المقدس وفي سنده ضعف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روى تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل زوجته من طرق افردها السخاوى بتأليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بني العباس السواد في لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان الحمار آخر بني امية لما بلغت دعوة ابي مسلم الى محمد بن على الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما احس بالقتل اوصى اتباعه بالثبات على امرهم واستخلاف اخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا لحزنهم وحنا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم فلامنافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المأمون بن الرشيد في سنة احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضى فمات ولم يتم امره فكلمه العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة وليس مبدؤه كما توهمه المتأخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر
وقال ابن حبيب
عمائم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم * في جنة الخلد لباسا اخضرا
وقال ابن المزين
اطراف تيجان اتت من سندس * خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن (وملكهم) اى تملك بني العباس الخلفاء (اضعاف ماملكوا) اى اضعاف تملك بني امية واضعاف خلفائهم فان اولهم السفاح بويع في ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين ببغداد انقضت تلك السنون واهلها ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدي) في آخر الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان اسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتأليف فقيل انه عباسي وقيل انه علوي وانه تملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه تنبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام وذكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه ووصفه كما فصلوه واحواله مبسوطة في تذكرة القرطبي وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلوة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت النصر (ومانال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم) يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستترا يعود لما واهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير اى ماناله اهل بيته وماقيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له اى مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه الحاكم ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم (وقتل علي) بن ابي طالب كرم الله وجهه اى مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم قتل علي كما رواه احمد والطبراني في حديث فيه (وان اشقاها) اى اشقى الخلائق او الدنيا او الطائفة الخوارج او اشقى هذه الامة (الذي يخضب هذه) اشار به الى لحيته (من هذه) اشارة لرأسه اى يضربه على رأسه ضربة تسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما تغير الخضاب فيه

استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووى فى تهذيبه وغيره (اى لحيته من رأسه) اى من دمها وهو تفسير لمقتله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل على مشهورة لاحاجة لنا بها وكذا قصة قتل اهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا (وانه) يعنى عليا كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه (قسيم النار) ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال فى النهاية الا ان عليا رضى الله تعالى عنه قال انا قسيم النار يعنى اراد ان الناس فريقان فريق معى فهم على هدى وفريق علىّ فهم على ضلال فنصف معى فى الجنة ونصف على فى النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وماذكره على لا يقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع اذ لامجال فيه للاجتهاد ومعناه انا ومن معى قسيم لاهل النار اى مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل القسيم القاسم كالجليس والسمير وقيل ارادبهم الخوارج ومن قاتله كما فى النهايه (يدخل اولياؤه الجنة) اى من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فيرفع اولياؤه اوينصب اوتدخل بفوقية وذلك باذن من الله تعالى تكريماله على التانى لان كبار الامه لهم شفاعة ثمه كما ورد فى الحديث (و) يدخل (اعداؤه النار) لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفى الغيلانيات انه ينادى يوم القيمة ابن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيؤتى بالخلفاء رضى الله تعالى عنهم فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم اوماهو بمعناه (فكان ممن عاداه) اى اظهر العداوه له (الخوارج) وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثنى عشر الفا اصحاب صلوة وصيام وقد اخبر عنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلى رضى الله تعالى عنه معهم وقائع مدونة فى التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات فاسده واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجى (والناصبة) اى الفرقة اوالطائفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض على كرم الله وجهه ورضى الله عنه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير ذلك لكل من يكيد ويرقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفى الكشاف النصب بغض على وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج ايضا (وطائفة ممن ينتسب) بالياء التحتية وبالمثناة الفوقية وروى ينسب افتعال من النسبة (اليه) اى الى على لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطائفه (من الروافض) من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنه والجماعه (كفروه) اى نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهى حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم وقولهم لاحكم الالله وهى كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة ايضا وفى قوله

السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من بنى امية والعباسيين اظهروا عداوته وسبه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (يقتل عثمان بن عفان وهو يقرؤه) القرآن (فى) داره فى (المصحف) وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه وحسنه وهو من جملة ما اخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتى (وان الله عسى ان يلبسه قميصا) انى بعسى هنا تأدبا لعدم جزمه واستعارها الاستقبال اللازم للترجى اى سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله (وانهم يريدون خلعه) وظاهره ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه فلم يرض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله تعالى بدمه سبعين الفا فقتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه اى عثمان اصبح يحدث الناس فقال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ياعثمان افطر عندنا فاصبح صائما وقتل فى يومه (وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله) وهو السميع العليم اى يأخذ ثارك ممن قتلك وهذا رواه الطبرى فى كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبى انه موضوع وتبعه السيوطى والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الآية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار بغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع فى مصحف فانه لم يكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان ابن سرحان وقيل الاسود التجيبى وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت فى الاسلام

ومن لم يقس الدهر لم يعرف الاسى ✽ وفى غير الايام ماوعد الدهر

(و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الفتن لاتظهر مادام عمر حيا) روى البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما والشيخان عن حذيفة ولقى يوما عمر رضى الله تعالى عنه اباذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدى ياقفل الفتنة فقال له ماهذا يااباذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكرهت ان تخطى الناس فجلست فى ادبارهم فقال لاتصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما ايكم يحفظ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها ياامير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال ايفتح ام يكسر قال يكسر قال اذن لايغلق ابدا فقيل له اكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة ✽ اقول فى هذا من كنايات البلاغة

عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرأ الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سأل ليعلم هل علمه غيره ام لا وخطب خالد بن الوليد يوما فقال ان امير المؤمنين قد بعثني الى الشام وهو يهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلا اراد ان يؤثر به غيري فقال له رجل اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذي بلى او بذي بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركني واياكم اولئك الايام وبوانيه جمع بانية اي خيره وسعته والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هي الزبدة اي كانها عسل وزبد لما يجيء من اموالها وذي بلى وذي بليان يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدري موضعه فهو بذي بلى من بلى في الارض اذا ذهب اراد ان امور الناس تضيع بعد عمر رضي الله تعالى عنه (و) اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طرق وهو مما اخبر به من المغيبات (بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال للزبير اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن خالتي وعلى ديني فقال اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قابله فبرز له علي رضي الله تعالى عنه وقال ناشدتك الله اسمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وانت لي ظالم قال نعم ولكن انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله واتى برأسه كما فصله المؤرخون (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (نباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه) هي عائشة رضي الله تعالى عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء او موضع وقرية فيه الماء في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه في العقد وبعضهم يقول فيه الحوأب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج * وانا البريء من الزبير وطلحة * ومن التي نبحت كلاب الحوأب * وفي معجم البلدان اصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عائشة رضي الله تعالى عنها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يحدثن معه فقال ايتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة الى الشرق في كتيبة فكانت عائشة في وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل انها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحوأب والحوأب ايضا اسم مخلاف بالطائف قلت فيه سلمى المرادية عتيقة عائشة وقيل ايضا انها المرادة بالحديث ايضا لانها كانت مع نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدثهن به كما في المعجم والصحيح خلافه لما يأتي في بقية الحديث

(والنباح)

والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلب والتيس وقيل انه اى الحوأب سمي باسم حوأب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف فى وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله تعالى عنه لان عائشة ذهبت معه لتصالح بينه وبين على فاتفق ما اتفق فى وقعة الجمل (و) اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (انه يقتل حولها) ممن كان معها (قتلى كثيرة) قيل كانوا نحو ثلاثين الفا (وتنجو) اى تسلم هي (بعدما كادت) اى قاربت عدم النجاة (فنبحت) كلاب الحوأب (على عائشة عند خروجها الى البصرة) وهذا الحديث صحيح كما مر روى من طرق عديدة فمن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه ليت شعرى ايتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوأب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه وعدمه لمشاكلة الحوأب فكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله عنه وكانت هي وامهات المؤمنين حاجات فى ذلك العام فبايع الناس عليا واحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشى الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبهم عائشة رضي الله تعالى عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت فى هودجها على جمل يقال له عسكر وودعها امهات المؤمنين باكين فسمى ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب واناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردونى واخبرت بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المؤمنين اصلحى بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (ان عمارا) بن ياسر الصحابي المشهور (تقتله الفئة الباغية) من البغى وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغيه وروى وقاتله فى النار (فقتله اصحاب معاوية) وكان هو مع على بصفين وهو صريح فى ان الخليفة بحق هو على رضي الله عنه وان معاوية مخطئ فى اجتهاده كما فى حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سميه هو عمار رضي الله تعالى عنه كان مع على وهذا هو الذى ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب فى عدم تسليم قتلة عثمان ومعاويه رضي الله تعالى عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تأول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من اخرجه ولذا قال على كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل حمزة رضي الله تعالى عنه لما اخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن الغادية واحتز رأسه ابن جزء ودفنه على رضي الله تعالى عنه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تقدم

(لعبدالله بن الزبير) لما شرب دمامن فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويل للناس منك وويل لك من الناس) وويل هنا للتحسر والتأسف وتكون للدعاء بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له ارقه في محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ماعنده من القوة والجرأة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق جريا على المقاتلة عليه تكثر اعداؤه وحساده وينال من الناس اذى ووقع له ذلك رضي الله تعالى عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى اراق دمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في اخباره عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان (في) حق (قزمان) بقاف مضمومة وزاء معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا اعجب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما اشار اليه بقوله (وقد ابلى مع المسلمين) وابلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام والف مقصورة فعل ماض من ابلى بمعنى اختبر ويقال ابلى بلاء حسنا في الحرب اذا صبر في قتاله واجاد والجملة حالية اي ابان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد اطلع الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله (فقال فيه انه من اهل النار) فعجب الناس من ذلك فاظهره الله لهم (فقتل نفسه) لما كثرت الجراحة فيه واثخنته واختلفت الرواية في اي موطن قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن ابي هريرة فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمهما خطا وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض غزواته رأى رجلا فقال انه من اهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم اشد القتال حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه من اهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه الجراحات قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل اخرج من كنانته سهما نحر به نفسه وقيل قطع عرق في يده فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله لينصر الدين بالرجل الفاجر وامر مناديا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن اي مؤمن كامل اوقد علم منه انه منافق او انه ارتد قبيل موته والمنادي قيل انه عمر رضي الله تعالى عنه وقيل بلال وقيل عبدالرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة او بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر العمل والاتكال عليه (و) روى الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال في) حق (جماعة) من الصحابة كانوا عنده (فيهم ابو هريرة وحذيفة

(وسمرة)

وسمرة بن جندب اخركم موتا فى النار) اخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت موتا فى النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر اوبالمصدر اواخركم فاعل يموت واما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه ايهاما وتورية لان المراد انه يحترق فى الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفئوا منه فكان يعاؤ له قدر عظيم ماء يسخن ويجلس عليه ليدفأ من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات فى حريق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار فى الآخرة ثم يخرج لامر صدر منه والذى صححه السيوطى وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله (فكان بعضهم) ان بعض من قيل فى حقه ذلك مما تقدم (يسأل عن البعض) من رفقائه الذين قال صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم ما مر قال ابن حكيم الضبى كنت اذا لقيت ابا هريرة سألنى عن سمرة فاذا اخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك وقال كنا عشرة فى بيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا فى النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله (فكان سمرة آخرهم موتا هرم) بزنة علم اى كبر سنه وضعف بدنه واصابه هزال الشيخوخة (وخرف) بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة اى فسد عقله وتغير من الكبر (فاصطلى) اصله اصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد اى تدفى (بالنار) اى بنار اوقدت له (فاحترق فيها) لغفلة اهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما اخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده ليجدوا فى اعمالهم ويدوموا على الخوف والمراقبة اولانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤذن له فى ذلك وهو من الحكم الخفية قيل ان ماذكر لم ير منقولا عن غير المصنف ولم يذكر احد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان احدا من الصحابة حرق الا بشر بن ارطاة او ابن ابى ارطاة على القول بانه صحابى وقد نفى بشرا سفينة مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله البرهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر ابن قتادة انه قال (فى حنظلة) ابن ابى عامر الانصارى الصحابى المشهور (الغسيل) فعيل بمعنى مفعول من الغسل سمى بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله ابو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن اوس الليثى وهو حنظلة ابن ابى عامر الراهب الذى لقبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاسق فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة تغسله مع انه شهيد فقال (سلوا زوجة) يعنى امرأته وزوجته فانه يقال للمرأة زوج كالرجل فى الفصيح وقد يقال زوجة للفرق (عنه) اى عن حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان تغسيله

لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها كما اشار اليه بقوله (فاني رأيت الملائكة تغسله) والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد (فسألوها فقالت) انه (خرج) من بيته لاحد (جنبا) من جماع امرأته (اعجله الحال) اى محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الغسل) بضم فسكون اى عن ان يغتسل من جنابته لخوفه ان يبطئ عن حضوره معه صلى الله تعالى عليه وسلم فيفوته ذلك الوقت وفى رواية قالت كان جنبا فغسلت احدى شق رأسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته فى تلك الليلة وهى جميلة بنت ابى بن سلول المنافق (قال ابو سعيد) بن مالك بن سنان الخدرى وقد تقدم ذكره مرارا (ووجدنا رأسه) اى رأس حنظلة لما قتل (يقطر ماء) من اثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور مافى عالم الغيب وهذا مما وقع فى بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد فى المعركة لا يغسل لكنه لوكان جنبا هل يلزم تغسيله ام لا اختلف فيه فقيل يجب لانه بسبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه احمد والترمذى وهو مما نحن فيه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات (الخلافة فى قريش) ولوكان هذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع او لم يقع وقد وقع كما اخبر مدة طويلة الى انقضاء دولة بنى العباس (و) فى حديث آخر رواه البخارى (لن يزال هذا الامر) يعنى الخلافة (فى قريش ما اقاموا الدين) بيان لغايته اى ماحموا شوكة الاسلام واقاموا شعائر الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله تعالى ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه خوف السآمة والملل وفى رواية حتى يمضى فيهم اثنى عشر خليفة وما ظرفية مصدرية اى مدة امامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم والبيهقى (يكون) اى يوجد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (فى ثقيف) قبيلة معروفة (كذاب ومبير) اى مهلك يكثر القتل بغير حق من البوار فهو الهلاك قال تعالى (وكنتم قوما بورا) اى هالكين (فرأوهما) من الرأى اى رأى العلماء ان المراد فى الحديث بهما (الحجاج) بن يوسف الثقفى وهذا مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات وفى حديث اسماء رضى الله تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج ان فى ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال النووى رحمه الله اجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين الفا (و) الكذاب هو (المختار) بن ابى عبيد الثقفى بن مسعود بن عمر بن عمير ففى عبارته لف ونشر مشوش وابوه اسلم فى حياة النبى عليه السلام ولم يره فلم يعد من الصحابة والمختار هذا كان

يزعم ان جبريل عليه الصلوة والسلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية واستحوذ على الكوفة واظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم امره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسى يضاهى به تابوت بنى اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وامر الحجاج اشهر من ان يذكر (وان مسيلمة يعقره الله تعالى) اى مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كامر وهو رجل من بنى حنيفة كنيته ابو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحى بقرآن فكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بنى حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لى بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله فقال لو سألنى هذه الشظية ما اعطيتها له فرجع معهم وتحرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشركه معه فى امره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فانى قد اشركت فى الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده اظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بنى حنيفة ثمامة بن مالك رضى الله تعالى عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضى الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك * فانك فى الامر لم تشرك
كذبت على الله فى وحيه * هواك هوى الاحمق الانوك
فما فى السماء لك مصعد * ومالك فى الارض من مبرك

وكان لقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جمع جموعا سفها فجهز له ابو بكر رضى الله تعالى عنه جيشا اميرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله تعالى قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وشاركه فيه ناس والعقر اصله يستعمل فى الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلم يدك ولم يزك (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (ان فاطمة) الزهراء بنته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى الله عنها (اول اهله لحوقا) وروى لحاقا (به) اى اول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعد ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل مائة يوم وهى اصغر بناته صلى الله تعالى

عليه وسلم واحبهم اليه وهى اول من غطى نعشه من النساء فى الاسلام واول الحديث
انه صلى الله تعالى عليه وسلم سارها فى مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشئ
فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت سارنى اولا
بانه يموت فى مرضه هذا فبكيت ثم سارنى بانى اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت
دفنها على كرم الله وجهه ليلا واختلف فى محل دفنها فقيل فى قبة ولدها الحسن
قرب محرابها وروى احمد بن حنبل فى المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابالها وكفنا
وقالت انى مقبوضة فلايغسلنى ولايكشفنى احد فامتثل امرها وفيه كلام للفقهاء وانه
هل يكفى غسلها فى الحيوة عن غسل الميت ام لاالا انه يعارضه ماروى من انها امرت
فاطمه بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من خصائصها وفى اللآلى للسيوطى عن ام سلمه
قالت مرضت فاطمة فقالت يا اماه اسكبى لى غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتى
ثيابى الجدد فناولتها فلبستها فقالت قدمى الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة
ثم قالت انى اليوم مقبوضة فلا يكشفنى احد فقبضت مكانها واتى على فاخبرته
فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزى انه موضوع ورد بانه رواه الطبرانى الا انه يعارضه
ماروى بخلافه كامر والله من خصوصياتها وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرهابه
(وانذر بالردة) اى اعلم صلى الله عليه وسلم الصحابه بمن يرتد بعده ومايكون من قتالهم
وقد وقع ذلك فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه
مخوف ضدالتبشير وهو مما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وكان
ذلك بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة اشهر وستة ايام فانه بعد انتقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا اهل الحرمين والبحرين فكفى الله
امرهم ابى بكر رضى الله تعالى عنهم بعد ان قاسى منه امورا شديدة (و) مما اخبربه
صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات فى حديث رواه اصحاب الكتب الستة مسندا وفيه
(ان الخلافة) اى خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون
لمن تمسك بالسنة من قريش وهى (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) اى تحول الخلافة
وتصير (ملكا) عضوضا اى سلطنة بالقهر والتغلب من غير وجود شروطها
(فكانت) الخلافة الحقيقية (كذلك) اى كما اخبربه صلى الله تعالى عليه وسلم وتمت
المدة التى ذكرها (بمدة الحسن بن على) بن ابى طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه سنتين واربعة
اشهر وخلافة عمر رضى الله تعالى عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضى الله
تعالى عنه اثنى عشر سنة الا اياما وخلافة على رضى الله تعالى عنه اربع سنين وتسعة
اشهر واياما وفى المغرب خلافة ابى بكر سنتان وثلاثة اشهر وتسع ليال وعمر عشر
سنين وستة اشهر وخمس ليال وعثمان اثنى عشر سنة الا اثنى عشر ليلة وعلى خمس

سنين الا ثلاثة اشهر فتم المدة بعدة الحسن لما بويع فى عشر رمضان الاخير سنة اربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية فى نصف جمادى الاولى سنة احدى واربعين فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فبها تم الثلاثون كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين المهملة صيغة مبالغة وروى ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرير الخبيث والملك السلطان والخليفة امير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه خلفه فى القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (ان هذا الامر) اراد به دين الاسلام وامر الشريعة المحمدية (بدأ) بهمزة فى آخره اى ابتدأ فى اول امره او بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا (نبوة ورحمة) بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اى بدأ بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور الجاهلية وهذا فى حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم تكون) بعده (رحمة وخلافة) فى زمن الخلفاء الراشدين واخر الرحمة اولا لانها نشأت من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت (ثم تكون) بعد الخلافة (ملكا عضوضا) بفتح العين وضمها كما تقدم فى رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس يعض من رآه (ثم يكون) بالتحتية والضمير للامر (عتوا وجبرية) العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار فى الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف فى الاكراه المجرد فقيل اجبرته على كذا وسمى الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة وفى قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء اى قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذى رواه البيهقى ان الله بدأ بهذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروى بالرفع فكان تامة وروى جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة ايضا وماقيل انه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فالحال مؤكدة وقوله فى الحديث عتوا وجبروتا (وفسادا فى الامة) يلزمه عطف الشئ على نفسه وفى الكشاف معناه اشد الفساد فقيل لهم لاتمادوا فى الفساد فى حال فسادكم انتهى

وكونه اشد الفساد يحتاج الى النقل وفى الصحاح مايخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون النهى عن الجادى فى حال الفساد انتهى ملخصه وفيه بحث واعا تركناه لانه اطال فيه من غير طائل وانا اقول لايخلو مافى كلامه من الخبط فان العثو هنا بالمثناة فقط والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره فان مثله لايطلب منه النقل ومراده ان العثو ان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد لان الاصل التأسيس وقد قرره فى سورة البقرة فى امر المؤمنين بالايمان ومثله كثير (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم عن المغيبات ماأشار اليه بقوله و (اخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم (بشأن اويس) بن عامر المرادى نسبة لمراد قبيلة مشهورة (القرنى) بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهرى فى نسبته لقرن المنازل كما غلط فى فتح راء قرن المنازل كما فى القاموس وتبعه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر فى فتح البارى بالغ النووى فى حكاية الاتفاق على تخطئته فى تحريك قرن المنازل وحكى المصنف رحمه الله تعالى عن تعليق القابسى ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن قال بالتحريك اراد البلد وقال الكرمانى اويس القرنى منسوب الى قبيلة بنى قرن ولامنافاة بينه وبين ماقدمناه وفى طبقات الاولياء للشرجى انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وكان ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببرامه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم اويس بن عامر مع امداد من اهل اليمن من مراد من قرن كان به برص فبرأ منه الاموضع درهم منه لانه دعا الله تعالى ان يزيله الا لمعة اذكر بها نعمك على فمن ادركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد مابين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لايؤبه به مجهول فى اهل الارض معروف فى السماء لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيمة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر ياعمر و ياعلى اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على ابى قبيس فنادى يااهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لاندرى مااويس ولكن ابن اخ لى اخمل ذكرا واهون من ان نرفعه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضى الله تعالى عنه كأنه لايريده ثم قال اين هو فقال باراك عرفات فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل فقال راعى ابل اجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ماسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبد الله مااسمك الذى سمتك به امك قال فما تريدان منى فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله

عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله عن امة محمد خيرا واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضي الله تعالى عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل على العبادة وتوفي بصفين على ماقيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب علي رضي الله تعالى عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان في زمن عمر رضي الله تعالى عنه ومعنا اويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما رجعنا لم نجد له اثرا والاول اصح لقول ابي هريرة ان اجتماعه بعمر في السنة التي توفي فيها فكيف يكون غزا في ايامه وقيل دفن بدمشق والله اعلم انتهى وهذا هو المراد بشانه الذي اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وبما مر علمت ان اويسا لم يدفن باليمن كما توهمه بعض الناس وانه افضل التابعين وانه اتى عليا وعمر وادرك زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني وقال احمد بن حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب قال العراقي لعل احمد لم يقف على هذا الحديث اولم يصح عنده وفيه انه ذكره في مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين من التبعيضية وقال النووي افضلية اويس بشدة زهده وخشيته لله وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل افضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر (و) مما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر رضي الله عنه (بان امراء يؤخرون الصلوة عن وقتها) لفظ الحديث كيف انت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلوة عن وقتها * قلت فما تأمرني قال صل الصلوة لوقتها فان ادركتها فصل فانها لك نافلة وفي رواية والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تأخيرها عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهادة امره صلى الله تعالى عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذلا اعادة بعد خروج وقت الصلوة ولا جماعة في الصلوة المقضية والقول بان المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء لغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان اوحاكم بلدة يؤم الناس في المكتوبات اويستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني امية لانهم اول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التأخير في زمن الحجاج وانكر عليه ذلك (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات مارواه احمد والطبراني والبزار رحمهم الله تعالى انه قال (سيكون في امتي) وفي بعض النسخ في امته (ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة) ادخال النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد في حديث آخر

انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والذى ذكره المصنف رواية اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم او المراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال لمسيلمة والاسود العنسى باليمن ومن النساء لسجاح التى ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به فى الحديث كحديث فى امتى دجالون كذابون وانا خاتم النبيين لانبى بعدى ولو استقصى عدتهم بلغت ماذكر والدجال الكذاب الذى يخلط ويلبس يقال دجل امره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة (وفى حديث آخر) رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ثلاثون دجالا كذابا) عطف بيان على ماقبله (آخرهم الدجال الكذاب) الاعور الذى يظهر فى آخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفى تذكرة القرطبى فيه اقوال اخر احدها انه ابن صياد يدعى الالوهية ويظهر امورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز (كلهم يكذب على الله ورسوله) كذبه على الله قوله انه اوحى اليه وعلى رسوله قوله انه بشرنى واخبر بنبوتى كقول مسيلمة المتقدم انه اشركنى فى امره ويحتمل ان يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل على واوحى الى كذا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار والطبرانى بسند صحيح من حديث طويل فيه (يوشك) بضم اوله مضارع اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع يقال وشك واوشك (ان يكثر فيكم العجم) هم خلاف العرب مطلقا لان السنتهم عجم اى غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكامهم وامراؤهم عليهم كما فى كثير من الدول كالنوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال (يأكلون افياءكم) جمع فئ وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه و ضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل ان يراد بفيئهم مالهم الذى بايديهم سماه فيأ لانه مما افاءالله لهم بغير مشقة عليهم (ويضربون رقابكم) اى يقتلونهم بغير حق فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فانه جمع من بعد عصر النبوة كما فى غيره من خطابات الشارع ولذا جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح الجديد بما وجهناه فتركه خير من ذكره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (لاتقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) اى يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا كف وتعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع لغنم يسوقها

بعصاه يهش بهـا عليها وفيه اشارة الى ضعف النـاس وجهلهم فكأنهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا فلان اى منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا (رجل من قحطان) اى من عرب اليمن وقحطان ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظ او يقظان وكان تجبر ومنع ارزاق الناس فسمى قحطان لقحط الرزق بسببه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ايضا (خيركم) المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتى وهو المراد (قرنى) اى عصرى وزمانى الذى انا فيه والمراد اهله لقوله (ثم الذين يلونهم) اى يأتون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان (ثم الذين يلونهم) وهم تبع التابعين والقرن اهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في اعمارهم وجميع احوالهم وفي تفصيله كلام تقدم والخيريه ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل اصحابه على الانبياء عليهم الصلوة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخى في الرتب كالافضل والافضل ولا شبهة في فضل العصر وجملة اهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث امتى كالمطر لا يدرى الخير في اوله ام في آخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع النـاس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصـة وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتـان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم وهم بطر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمـان وما كان في عهده تفضـيل لعصره فيضل ويضـل (ثم يأتى بعد ذلك قوم) وروى ثم ان بعـدكم قوما (يشـهدون ولا يستشهدون) اى يؤدون الشهـادة قبـل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لا ينـافى ما ورد في الحديث ان خير الشـهود من يأتى بالشهادة قبل ان يسئلها فان هذا حمل على من كان عنده علم بامر وشـهادة فيه وصاحبها لا يدرى انهـا عنده فيخبره بما عنده ليستشهده عند حاجته ولكل مقـام مقال (ويخونون ولا يؤتمنون) هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيـانتهم حتى لا يأمنهم احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن او المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق او غصب ونحوه (وينذرون) بضم الذال المعجمة وكسرها (ولا يوفون) بما نذروه من غير عذر ومانع لهم ويقال وفى واوفى بمعنى (ويظهر فيهم السمن) اى عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة اكلهم وشربهم وترفههم وعـدم خوفهم من الله وعـدم تفكرهم في عواقب الامور وروى يأتى في آخر الزمان قوم يتسمنون وفي التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفي الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه

فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه مايشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة انشأه الله عليها لقوة نطفة ابويه وقيل المذموم منه مايكتسب دون الخلقي لانه ورد في الحديث ويل للمتسمنات يوم القيمة اى اللواتي يستعملن السمنة وهي دواء يتسمن به وروى تحلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهي السمن (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن انس رضى الله تعالى عنه (لايأتي زمان الاوالذي بعده شر منه) المستثنى جملة حالية يجوز في مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدى اتينا انسا رضى الله عنه فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لايأتي زمان الاوالذي بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم عليه الصلوة السلام وروى اشر على الاصل كاخير والمستعمل منهما خير وشر وجاءا على الاصل نادرا وفي معنى هذا الحديث ما اشتهر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابتا في احاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر مجيء عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج لابد للناس من تنفس يعني ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلاء احيانا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (هلاك امتي على يدى اغيلمة من قريش) اغيلمة تصغير اغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو في حكم المفرد وفي القاموس جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما في النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد في جمعه اغلمة ومثله اصيبية تصغير صبية كلام لاوجه له فان رد جمع القلة لجمع قلة آخر في التصغير مما لايعقل ولايسمع ولو لم يرد غير هذا دلنا على انه سمع فيه اغلمة فلا حاجة للتعسف في تأويله والمراد بهلاكهم ضياع امورهم وهلاك بعضهم (وقال ابو هريرة راويه) اى راوى هذا الحديث (لوشئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان) اى لو اردت ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل من خيار اهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة وازالت بكارة الف عذراء وكبني مروان بن الحكم وغيرهم من بني امية ولم يسمهم خوف الفتنة (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وابو داود والحاكم (بظهور القدرية) في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم الذين قالوا بان الامور كلها ليست بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانما بقدرته سموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعاله وشبههم بالمجوس لانهم اثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها اهرمن وهؤلاء لما نسبوا افعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول واما معنى القضاء والقدر فعند السلف القضاء ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشياء خيرها وشرها والقدر

ايجاده اياها على ما قضاه اولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة واما القدرية الذين انكروا القدر وان الامر انف اى مستأنف لايعلمه الله الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هم لانهم انقرضوا ولم يبق منهم احد (والرافضة) الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد فى حديث رواه البيهقى من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون فى امتى قوم فى آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروى يلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين كالظهر الفاطميون ومن بالعجم الآن منهم (وسب آخر هذه الامة اولها) اى اخبر صلى الله عليه وسلم بان من تأخر من امته سيظهر سب اولها وهذا من المغيبات ورد فى حديث رواه البغوى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا فقال لاتذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووقع من بنى امية سب على كرم الله تعالى وجهه على المنابر وادخل بعضهم فى هذا من سب بعض الاولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون العارف بالله سيدى محيى الدين بن عربى وسيدى عمر ابن الفارض ونحوهما من اولياء الله تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف فى الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على المتصدى لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا فى زمرتهم (و) اخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بقلة الانصار) بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا انصارا لانهم نصروا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وآووه وهو جمع ناصر او نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم انصارى ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار (حتى يكونوا كالملح فى الطعام) فمن ولى منكم شيئا يضر قوما فيه وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اى ان اهل الاسلام لايزالون يدخلون فيه افواجا افواجا وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الاكثر قليل فى كل جيل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح فى الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح لانهم يدبرون بينهم

كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الآن في المدينة لم يبق منهم الا اقل من القليل كما اشار اليه بقوله (فلم يزل امرهم يتبدد) المراد بامرهم مابه بقاؤهم وانتظام حالهم من املاكهم واموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون (حتى لم يبق لهم جماعة) اى لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذامات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه (و) اشار لسبب ذلك بقوله و (انهم سيلقون بعده) اى يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اثره) بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثانى شدة الاستبداد اى يلقون بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من يؤثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم في العطاء من الديوان ويقل نصيبهم من الفئ فتضيق معيشتهم وفى نفسهم شرف وحمية فيشتتوا ويتبدد امرهم قال ابن سيد الناس كان ابتداء هذا فى زمن معاوية رضى الله عنه ويجوز فى اثره ان يكون جمع آثر ككاتب وكتبة اى آثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقونى على الحوض والحديث طويل فى الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات (و) منه اخباره صلى الله عليه وسلم (بشأن الخوارج) الذين خرجوا على امير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ورضى الله عنه بالنهروان وهم نحو اربعة آلاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض الصحابة وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان (وصفتهم) بالجر عطفا على شان وهم فرق من اهل الضلال كالمحكمة الذين انكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع ابن الازرق وغيرهم مما لا حاجة لتفصيل احوالهم وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم انهم اهل صلوة وصيام يحقر احدكم صلوته فى جنب صلوته وصيامه فى جنب صيامهم الا انهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة واكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحى مغرب (و) اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمخدج الذى فيهم) وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد وروى مخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج وهو اشارة لما فى حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم فى بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل خبت وخسرت فقال عمر رضى الله عنه فقال عمر ائذن لى اضرب عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم صلوته الى آخره وآيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدى امرأة او مثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتال على لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا المدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فشقوه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدى المرأة عليه شعرات سجد

شكرا لله تعالى اذصدق نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل (وان سيماهم) بكسر السين المهملة وهي العلامة (التحليق) اى يحلقون شعور رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في النسك وهذه الاحاديث ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم حلقا حلقا وليس بشئ وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبما ذكرناه علم ان حلق جميع الرأس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم رأى صبيا حلق بعض رأسه فقال احلقوه كله اواتركوه كله قال النووى رحمه الله في شرح مسلم وهو صريح في اباحته وقال قال الفقهاء انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه (ويرى رعاء الشاء) يرى بالتحتية مبنى للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهي معروفة (رؤس الناس) ورؤس جمع رأس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس وروى ترى بالتاء الفوقية والخطاب لغير معين نحو ولوترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ويجوز رفعه ونصبه (والعراة الحفاة) العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا الحديث في الصحيحين بمعناه وبعض الفاظه فالمصنف رحمه الله تعالى رواه من طريق آخر ورواه بالمعنى (يتبارون في البنيان) اى يتناظر بعضهم بعضا في بنائه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وماقبله كناية عن توسع من لاقدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض في البناء العالى كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفي مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروى يتطاولون في البناء يعنى ان من اشراط الساعة ان اهل البادية ونحوهم ممن لالباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون وجهلة الناس واراذلهم يصير حاكما واليا عظيم الشان ولقد ظهر مااخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا المغيبات وهو الآن عيان رأى العين وكنى بكونهم رعاء الحالهم مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروى يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد (وان تلد الامة) اى الجارية المملوكة التي اتخذت سرية (ربتها) بتاء التأنيث وربت ورب بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد والمالك والمربى والمدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان اوانثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي اخبر بها

صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون امه امة من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد احوال الناس في آخر الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد حتى يشترى الرجل امه وهو لايدرى انها ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها لوطئها بشبهة قوية اورقيقا بنكاح اوزنا ويعتق ويتداول الايدى امه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على امه استطالة السيد والذى عد من الاشراط على الاول كثرة التسرى فلاينافى تسرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عارية وغيره وفى الشروح كلام مبسوط فى هذا الحديث وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسرى والسبى بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بان غايته الانحطاط لايذانه بقيام الساعة وكل شئ بلغ الحد انتهى (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو (ان قريشا والاحزاب لايغزونه ابدا) الاحزاب جمع حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد اذالمراد احزاب مخصوصون فى الغزوة المشهورة (وانه هو الذى يغزوهم) بعد اخباره بذلك فى الاحزاب وهى غزوة الخندق وبعد احد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله تعالى عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة وانى بالجملة مؤكدة الاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعد هذا الى يوم القيامة اى لا تعود مكة دار كفر ولايغزوها الكفار فلا ينافى ماوقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حدث ذى السويقتين قال الواقدى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لتسع بقين من ذى القعدة (و) مما رواه الشيخان ايضا انه صلى الله عليه وسلم (اخبر بالموتان) بضم الميم ترنة البطلان وفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو لا تفتح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفى القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان وارض لم تحى بعد وبالضم موت يقع فى الماشية ويفتح انتهى لان فعلان بفتحتين فى المصدر يختص بمايدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذجعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) وكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه بعمواس بفتحتين وهى قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو اول طاعون وقع فى الاسلام مات فيه سبعون الفا فى ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس هذه هى القرية التى بين الرملة وبيت المقدس مات فيها ابوعبيدة بن الجراح والحديث اوله عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى

الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى آخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بنى الاصفر والموتان ان خص بالماشية كما مر فهو ههنا مجاز مرسل لمطلق الموت اواستعارة ولاينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه آخر وهو شدة السرعة والمنافى له ذكر المشبه فى ذلك المجاز بعينه وقد اشار لما قلناه الشريف فى حواشى الكشاف فى قوله كان اذنى قلبه خطلاوان وهو من الفوائد النفيسة (وماوعد من سكنى البصرة) بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة اوذات حجارة والفتح اشهر وافصح وهى بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ايضا بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصرى بكسر وفتح ولايجوز الضم وهذا الحديث رواه ابوداود عن انس انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة فان انت مررت بها اودخلتها فاياك وسباخها وكلاؤها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحى للنازلين ببطحائها وظواهرها وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها وفى هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب مالا يخفى ويجوز كسر بادها ولهم بلدة بالمغرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاولى وسكنى مصدر كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها (و) من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيب ايضا فى حديث رواه الشيخان (انهم) اى امته صلى الله تعالى عليه وسلم (يغزون فى البحر) بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لم يكن ذلك فى حياته والمراد بالبحر البحر الملح لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد فى غيره الا نادرا (كالملوك على الاسرة) وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعا وتعظما ومؤخر المراكب المعدة للغزو الذى يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام المعجزة لانه لم يكن ذلك بديار العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه صلى الله تعالى عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام عندها يوما لانه محرم لهما ثم استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يارسول الله قال اناس من امتى عرضوا على يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام فرأى ذلك فقال لها مثله قال اولا ودعا لها وقال لها انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين اول ما ركبوا البحر مع معاوية رضى الله تعالى عنه فلما انصرفوا قرب لها دابة تركبها فوقعت فماتت شهيدة ثمة

واختلف في زمنه فقيل في زمن معاوية كما مر وقيل في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه امر معاوية رضي الله تعالى عنه بغزو البحر فغزاه بامر عثمان رضي الله عنه ثم لما ولي الخلافة غزاه بنفسه وفي الحديث معجزات اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن غزو امته في البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وان ام حرام من اولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك في كراهته للنساء في رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزوة اول غزوة فيه وهي فتح قبرس وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لم يأذن في ذلك اولا ثم لما ذكر له هذا الحديث امر به وجهز الاسطول كما هو مفصل في محله وليس المراد بالبحر في الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وام حرام رضي الله تعالى عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه (و) اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الدين لو كان منوطا) اي معلقا (بالثريا لناله) اي وصل اليه (رجال من ابناء فارس) اي ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي كواكب مجتمعة اختلف في عدتها كما مر وهي المنازل المشهورة وهي اي الثريا مشهورة بالعلو في السماء ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان او الشرع وما يتعلق به وهو كناية عن ان هؤلاء يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما ظهر فيهم من الاولياء والعلماء وما ظهر منهم من التصانيف التي لا تعد ولم يأت الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تجدهنا الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخاري هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله تعالى عليه وسلم وفرس جيل معروف ويقال لهم الفرس اعضاؤهم من اولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا به ويطلق على بلادهم ايضا والحديث مروي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل الله تعالى عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال اورجل من هؤلاء وفي رواية لوكان العلم وروي ايضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى ﴿ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ﴾ ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان رضي الله تعالى عنه لان المراد به الجنس اوهو بتقدير

(من)

من جنس هؤلاء (و) من ذلك مارواه مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه انه (هاجت) اى هبت (ريح) بشدة (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزواته) اى فى غزوة من غزواته وهى غزوة تبوك وهو محل من ارض الشام كاقيل وفيه نظر (فقال انها لموت منافق) اى رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد بن التابوت احد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزى انه عم قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه وذكر عنه قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه انه رأى منه مايدل على صحة اسلامه وقال الذهبى فى التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروى انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو ايضا محمول على ظاهره اوهو باعتبار مافى قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق وكان ذلك فى رجوعه منها سنة ست اواربع اوخمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لماذكر لانها تدل على غضب الله تعالى كما فى ريح عاد التى اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لاانه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين ولاحاجة الى ان يقال انها علامة لماصنعه الله تعالى وقدره و اطلع من اراد عليه والممنوع انما هو اسناده اليها وجعلها مؤثرة فيه (فلما رجعوا) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من تلك الغزوة (وجدوا ذلك) اى ما اخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك فى وقت اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه بسند صحيح (لقوم من جلسائه) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء (ضرس احدكم) اى واحد منكم ايها الحاضرون (فى النار) اى اذا كان فى جهنم (مثل احد) اى كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدهم يموت كافرا لما فى حديث آخر ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب كلما زاد زاد عذابه فكان اشد عليه وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل فى غاية البعد (قال ابوهريرة) رضى الله تعالى عنه الذى كان الخطاب له (فذهب القوم) الذين كانوا جلساءه اى ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله (يعنى) ابوهريرة بقوله ذهب القوم (ماتوا) فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس * فى الذاهبين الهالكين لنا بصائر * (وبقيت انا ورجل) منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرجال بن عنفوة والرجال براء مهملة وحاء مهملتين ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من اهل اليمامة (فقتل مرتدا) حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرجل (يوم اليمامة) اى فى حرب كان باليمامة وهى اسم ارض

معروفة شرقى الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة ايضا وقيل قتله زيد ابن الخطاب فى حرب مسيلة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بنى حنيفة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلة الشرك مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوحى ارتد وشهد له بذلك (واعلم) الصحابة رضى الله تعالى عنهم بغيب عنهم وهو ماض مبنى للفاعل بوزن اكرم وفاعله ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابوداود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كان الايدى غاث او من الغلل وهو الماء الجارى تحت النبات وكثر استعماله فى السرقة من الغنائم (خرزا) بخاء معجمة وراء مهملة وزاء معجمة واحده خرزة وهى حجارة تنظم ويتزين بها وكل جوهر (من خرز يهود) ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهودبن يعقوب اخو يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفى بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه ومامعه (فوجدت) تلك الخرز التى غلها (فى رحله) اى فى منزله ومامعه من ... وهى لاتساوى درهمين واصل الرحل مايوضع على البعير وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لايعرف اسمه (و) اعلم ايضا بما هو من الغيب (بالذى غل) اى سرق كما مر (الشملة) وهى المرة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عائر فمات فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعائر بعين وراء مهملتين اصابة من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا قتل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين اوكسرتين فمات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر السيوطى رحمه الله تعالى على الاول وانه الذى عناه المصنف وهو الظاهر والنووى فى المبهمات على الثانى والبرهان تبعه والذى اوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول فى الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام اويتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبنى على التعزير باخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون (وحديث ناقته) اى مما اعلم به صلى الله

تعالى عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذى رواه البيهقى عن عروة مرسلا (حين ضلت) ناقته وغابت عنه حتى لم يروها (وكيف تعلقت) ناقته (بالشجرة بخطامها) بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ازعم انى اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها و آمن ذلك المنافق وهو زيد اللصيب او ابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان او لا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطى فى مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفاء ووقع فى بعض النسخ وحيث هى ناقته حين ضلت وفى اخرى ومن ضلت ناقته حيث هى حين ضلت وكيف الى آخره فقال بعضهم هو مجرور عطف على الذى اومبنى على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدأ وهى مبتدأ ثان خبره محذوف اى موجودة والجملة فى محل جر باضافة حيث وانت فى غنى عن مثله (و) من المغيبات التى اعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بها ما رواه الشيخان عن على كرم الله وجهه حين اعلم (بشأن كتاب حاطب) بن ابى بلتعة الصحابى البدرى المشهور الذى ارسله (الى اهل مكة) لما تجهز النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ ففيها جارية معها مكتوب فأتونى به وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اخفى مسيره فاتوا المحل فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع ثم بدا لعلى رضى الله تعالى عنه ان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم صدق فهدد الجارية فاخرجت الكتاب من عقصتها فلما اتوا به قال عمر رضى الله تعالى عنه دعنى اضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة اهلا وما لا خشى ضياعه فاراد ان يضع فيهم يدا يقتضى حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة فى شروح السير والبخارى والكتاب كان مع امرأة تسمى ام سارة (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى حين اعلم (بقصة عمير) بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) بن امية بن

خلف (حين ساره) اى اخبر عمير صفوان سرا فى خفية لم يسمعه احد وذلك السر انه يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذيأتيه بغتة بحيث لم يشعر به احد وكان شجاعا فاتكا (وشارطه على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اشترط عليه مايعطيه ان فعل ذلك (فلما جاء عمير الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر والسر) الذى كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة (اسلم) عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن امية وهو ابن عمه فى الحجر بعد بدر فذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ليس فى العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولادين على ليس عندى قضاؤه وعيال اخشى ضياعهم لكنت اتى محمدا حتى اقتله فان لى فيهم علة ابنى اسير عنده فاغتنمها صفوان فقال على دينك اقضيه وعيالك مع عيالى اواسيهم ما بقوا فقال اكتم عنى شانى ثم شحذ سيفه اى سنه وسمه وانطلق حتى اتى المدينة واناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرآه عمر رضى الله تعالى عنه فقال هذا الكلب عدو الله ماجاء الا لشر واخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ادخله على فاقبل عمر رضى الله تعالى عنه حتى اخذ بحمالة سيفه لببه بها ثم ادخله فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ارسله ياعمر ادن منى ياعمير فدنا فقال ماجاء بك قال جئت لهذا الاسير فحسنوا فيه قال فما بال السيف فى عنقك قال قبحها الله ما اغنى شيئا قال اصدقنى ما الذى جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكر اصحاب القليب وقلت لولادين على وعيالى خرجت الى محمد حتى اقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلنى فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فو الله انى لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وتشهد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فقهوا اخاكم دينه فاقرأوه القرآن واطلقوا اسيره واما صفوان فهرب خائفا يوم الفتح ثم جاء مستأمنا فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير ابغض الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو من سادات قريش وفصحائها فتحت سيادته الاسلام وله احاديث فى السنن (و) اخبر ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقى عن عائشة بسند صحيح (بالمال الذى تركه عمه العباس) بمكة (عند ام الفضل) لبابة بنت الحارث بن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كنى العباس ابو الفضل وهى من اشراف الصحابة رضى الله تعالى عنها يقال انها اول امرأة اسلمت بعد خديجة وكان كتم ماله عندها واخفاه حتى عن اولاده كما اشار اليه قوله (بعد ان كتمه) فلما اسر يوم بدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفداء فقال

لامال لى فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما صنع المال الذى وضعته عند ام الفضل (فقال ماعلمه غيرى وغيرها فاسلم) وقيل له لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك مالك الذى افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين ماطمعوا فيه من مالى وقد قيل انه اسلم قبله ولكن كان يخفى اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لاتعد وفى بعض النسخ ام الفضيل بالتصغير وهو خطأ من الناسخ واصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفداء اسراءهم فقال العباس يارسول الله انى كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله اعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاماظاهر امرك فقدكان علينا فافد نفسك وابنى اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابى طالب وحليفك عتبة واخى بنى الحارث قال ماعندى ما يفى بالفداء قال مافعلت بالمال الذى دفنته عند ام الفضل وقلت ان اصبت فى سفرى فالمال لولدى فقال والله يارسول الله هذا شئ ماعلمه غيرى وغيرها فاحسب لى ما اصبتم اى فانه جاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون اوقية من الذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اماشئ خرجت تستعين به علينا فلانتركه لك فقال ذاك اعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله (ياايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى) الآية ومقتضى قول المصنف فاسلم انه مااسلم الاحينئذ والذى قالوه انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبدالبر قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يتقوون وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر من لقى منكم العباس فلايقتله فانه انما خرج مكرها (و) مما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه (اعلم انه سيقتل) بنفسه (ابى بن خلف) كما تقدم فجرحه بعنقه فى احد فمات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذالقيه بمكة يقول عندى فرس اعلفها كل يوم لاقتلك عليها فيقول له صلى الله تعالى عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل يقول اين محمد لانجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلوا سبيله ونظر فرجه من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم تخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له مابك من بأس فقال لو بصق على محمد لقتلنى فقتله الله فى مرجعه من احد (و) مما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال (فى عتبة ابن ابى لهب انه يأكله كلب من كلاب الله) فاكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما اضافه لله افادته الاضافة تعظيما كقوله تعالى فى المضاف واسمه

وقد تقدم ان اباالهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المصنف رحمه الله تعالى عتيبة بالتصغير الا ان من علماء الحديث من قال مثل ما قاله المصنف رحمه الله تعالى فالاعتراض غير مسلم كامر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر هذا فى فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضى انها خبرية اخبر بها عن امر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاؤه لم اشتد رعبك قال ان محمدا قال لى كذا وهو لايقول الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند من تحقق اجابته خبر معنى (و) اخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن مصارع اهل بدر) اى محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعنى من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم اهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال اهل الدار لمن بها (فكان) ما اخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مصارعهم (كما قال) لم يتجاوز احد منهم موضعه الذى عينه له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لايخفى واصل هذا الحديث كما فى صحيح مسلم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا لمصارعهم فلم يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا فى القليب ثم جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يافلان ابن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال الصحابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتكلم اجسادا لاارواح لها فقال والذى نفسى بيده ما انتم باسمع منهم لكلامى ولكنهم لايستطيعون ان يردوا (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما (فى الحسن) بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه (ان ابنى هذا) سماه ابنه مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه (سيد) اى شريف رئيس مسود فى قومه لشرف نسبه ودانه وفضله على غيره من جهات والسيد اطلاقات ويطلق على الله تعالى وعلى غيره كما تقدم تفصيله (وسيصلح الله به) اى بسببه سيقع الصلح والاصلاح (بين فئتين) عظيمتين من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن كان مع معاوية رضى الله تعالى عنهما وفى صحيح البخارى عن الحسن عن ابى بكرة قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروى من طرق وفى رواية فئتين عظيمتين قال ابن

عبدالبر رحمه الله تعالى فى الاستيعاب لما قتل على كرم الله وجهه ورضى الله عنه بايع الحسن اكثر من اربعين الفا على الموت وكانوا اطوع واحب له من ابيه فبقى نحو سبعة اشهر خليفة بالعراق وخراسان وماوراء النهر ثم سار رضى الله عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءا الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر له شرط ان لا يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق شيء كان فى ايام ابيه فاجابه معاوية رضى الله تعالى عنه لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة انفس لا اؤمنهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لا ابايعك وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل له معاوية رضى الله عنه رقا ابيض وقال اكتب فيه ماشئت وانا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية وساء ذلك اكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا مذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له قال له اخطب الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلف فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به منى او حق لى تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل (و) مما اخبر به صلى الله عليه وسلم مارواه الشيخان من قوله (لسعد) بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه مالك بن وهيب بن عبد مناف احد العشرة واصحاب الشورى ولبادره اذا اطلق لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله فى الحسن اى قال لسعد (لعلك تخلف) وفى نسخة ان تخلف بالمصدرية فى خبرها حملا لها على عسى لانها اختها فى الترجى كما قال * لعلك يوما ان تلم ملمة * وكان سعد رضى الله تعالى عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التى هاجر منها فاتاه صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله اوصى بمالى كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى آخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فنجى ان يموت ثمة وذلك فى حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام اى تبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله (حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون) قال النووى وهذا الحديث من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين بما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا اسلموا على يديه وغنموا غنائمه وضر الله به ناسا من الكفار فهدمهم وقتل منهم وسبى من المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان اميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى وقال ابن حبان

المراد به انه تولى العراق واتى بقوم ارتدوا وسجعوا سجع مسيلمة لعنه الله تعالى فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به وابى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تأويله عند بعضهم وقيل الرواية اعاهي يضربك آخرون والمصنف اراد باستعمل فعل وجعل المصنف الترجي اخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تأدبا منه وقد صرحوا بان الترجي في حق الله والرسول والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري عن انس (بقتل اهل مؤتة) بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما في القاموس وهي اسم موضع بالشام كان فيه غزوة مشهورة واضافة اهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس منهم قبل مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم والذي اتى بالخبر يعلى بن منبه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم احدها ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد ففتح الله تعالى عليهم فلما اتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال اخبرني فاخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله (يوم قتلوا) متعلق باخبر (و) بينه صلى الله عليه وسلم و (بينهم) اى المقتولين بموتة (مسيرة شهر او ازيد) ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجيء الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معركتهم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده يقتضي انه قالها من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا وكسير الجمال في القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف ايضا بطول الايام وقصرها والامر فيه سهل (وبموت النجاشي) اى اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (يوم مات) متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه استدل الشافعي على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذي ارسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم في الهدى اسوى اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها (وهو بارضه) جملة حالية والضمير للنجاشي اى والحال ان النجاشي مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود له صلى الله تعالى عليه وسلم اى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقت موت النجاشي كان بارضه اى المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان امكن ان يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلوة على الغائب كما قيل انه من خصائصه ايضا (واخبر) ايضا

صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر رواه البيهقى (فيروز) علم عجمى ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمى والديلم جيل من العجم (اذورد) اى جاء فيروز وقدم (عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم) نصبه على الظرفية اى يوم ورد عليه اويوم مات كسرى (فلما تحقق فيروز القصة) التى قصها عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره بموت كسرى الذى هو رسوله (اسلم) فآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق وحاصلها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الى آخره فلما قرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين يأتيانه فبعث قهرمانه بابويه ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب يأمره فيه بالانصراف معهما فلما اتياه قال ائتيانى غدا فلما اتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى وقت كذا فاخبر باذان بما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كان ما قال حقا فهو نبى مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شيرويه بما وقع فاسلم واسلم معه ابناء فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه فيروز وهذا ما ذكره المورخون واصحاب السير واما ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فلم يشتهر ولم ينقل احد ان من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطى نقله عن دلائل النبوة للبيهقى فقيل انه ليس فيها ذلك وفى الاستيعاب ان فيروز الديلمى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه الذى قتل الاسود العنسى وكذلك ذكر قصة فيروز على الوجه الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى الماوردى فى اعلام النبوة واطال فيها (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم (اباذر) الغفارى كما رواه احمد فى مسنده (بتطريده) اى نفيه من المدينة وقد ذكر الحريرى فى الدرة الفرق بين طرده واطرده وطرده المشدد وانه اذا قال فى النفى الامشددا كقول ابى سفيان ❊ وابن الذى طردت كل مطرد ❊ وطرده واطرده بمعنى نحاه وكثير من اهل اللغة لم يفرقوا (كما كان) اى وقع ما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بعينه (ووجده) اى وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اباذر (فى المسجد) اى مسجد المدينة (نائما فقال له) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف لك اذا اخرجت منه) اى من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم

علم ماسيجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وماىكون له لقوله تعالى وماتلك بيمينك ياموسى وانهى كيف طى اوعلى بك فى هذه الحالة (قال اسكن المسجد الحرام) يعنى مكة المشرفة (قال فاذا اخرجت منه الحديث) اى اقرأ الحديث اواذكر الحديث الذى رواه احمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينام فى المسجد وليس له مأوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرآه نائما فقال له اراك نائما فقال اين انام وهل لى بيت غيره فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام فقال له كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالشام ارض الهجرة (٢) والمحشر وارض الانبياء فاكون رجلا من اهلها قال فاذا اخرجوك من الشام قال ارجع اليه فيكون منزلى قال فكيف بك اذا اخرجوك منه الثانية قال آخذ سيفى واقاتل حتى اموت فوكزه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقانى وانت على ذلك واما تطريده رضى الله تعالى عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر اسندوا فيه لعثمان رضى الله عنه مالا اصل له والصحيح مارواه قتادة من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابى ذر اذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلعا فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما زاد بناؤها ذهب الى الشام ثم انه رضى الله عنه انكر على معاوية بعض اموره فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل الينا فنحن ارعى لحقك فقدم عليه ثم استأذنه فى الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات والذى قيل ان عثمان امر بازعاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ماحملك على ماصدر منك قال اشهد ان رسول الله قال اذا بلغ بنوا العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها قال اكثرهم لااصل له (ويعيشه وحده) اى اخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس وفى نسخة عيشة بالتاء (وموته وحده) فكان كما قال لان البيهقى روى ان ام ابى ذر لما حضرته الوفاة بكت فقال لها مايبكيك فقالت مالى لاابكى وانت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لاتبكى فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن احدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وانا ذلك الرجل فابصرى الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك ودخلوا عليه فقال انشدكم الله ان يكفنى منكم من لم يكن نقيبا ولاامير فقال غلام منهم انا اكفنك يا عم فى ردائى وثوبين فى عيبتى (٢) من غزل امى قال فكفنى فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه مسلم (ان اسرع ازواجه به لحوقا) اى اول من يموت من امهات المؤمنين بعده (اطولهن يدا) لم يقل طولاهن بالتأنيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل

(٢) المنشر نسخه

(٢) هى شئ يوضع فيه الثوب مثل الخرج وغيره مصححه

(ان يكون)

ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم بعده كن يقسن اذرعتهن اينظرن للاطول منها فلما مات زينب رضي الله تعالى عنها علمن ان المراد الثاني فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع ما فيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة (فكانت) اى اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمها ضمير عائد على ما ذكره وقوله (زينب) بالنصب خبرها وهي زينب بنت جحش ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها (لطول يدها بالصدقة) بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة عشرين اواحدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت جزيلة التي كانت تدعى ام المساكين والحديث عن عائشة من طرق قالت قلن ايتنا اسرع لحوقا بك فال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفي رواية اخذن قصبة يذرعن بها اى يقسن اذرعتهن لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت اكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما في البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فقلن له ايتنا اسرع لحوقا بك فال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي صححوه وفيه اضطراب لان اوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرماني ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية ما قيل فيه قيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد او شبهت الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضي حورهذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كان كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن وهن من اهل اللسان * اقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن اوصله لشخص له طول في يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدها او هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه وهو ايصال الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية (واخبره) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق (بقتل الحسين) ابن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء المشددة المهملة وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة (واخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده تربة) اى مقدار ملء كف من تراب اراه لبعض اصحابه واهل بيته (وقال) اذا جرحها (فيها) اى في ارض هذا التراب منها وفيها يموت نقل (مصححه) اى مصحح [illegible]

الى انه رضى الله تعالى عنه حى شهيد لان اصله محل يضطجع فيه النائم واصل الحديث
عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابنى فقال ستقتله امتك فان شئت اخبرتك
بالارض التى يقتل فيها واشار جبريل بيده الى الطف من ارض العراق واخذ تربة
حمراء فاراه اياها ولا ينافى ذلك ما جاء انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع والطف
ناحية تشتمل عليه وكان قتله فى عاشوراء وقتل معه جماعة من اهل البيت وقيل ان هذه
التربة كانت عندهم وانها فى يوم قتله يظهر عليه دم واختلف فيمن باشر قتله فاتاه الله
واخزاه وجعل سجين مأواه ولابن العربى هنا مقالة اظنه برىء منها (وقال) صلى الله
تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن عدى والبيهقى مسندا (فى زيد بن صوحان) بضم
الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة والف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر
بن الحارث العبدى اخو صعصعة وله وفادة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل
انه تابعى وقال الذهبى ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى يكثر
يا سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان معناه
اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما (يسبقه عضو) من اعضائه (الى الجنة) اى يدخل
الجنة قبله لانه قطع فى سبيل الله قبل موته ومعنى السبق ما تقدمه حقيقة ولا مانع
من ان يحفظها الله فى الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية اعضائه فى الجنة وامور الآخرة
لا تقاس على امور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع فى سبيل الله او لانه يستشهد بعد
ذلك فكنى عنه بما ذكره ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه
الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف (فقطعت
يده) الشمال كما رواه الذهبى (فى الجهاد) مرجيه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند
وقيل فى قتال المشركين وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم شهد انا ثلاثة
من التابعين بالجنة اويس القرنى وزيد بن صوحان وجندب الخير وقيل مع على
رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل وعلى هذا فاخباره عن المغيب اقوى وابلغ
فى اطلاعه على امره قبل حدوثه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم
وغيره (فى الذين كانوا معه) اى حاضرين معه وهم (على حراء) اسم جبل معروف
بقرب مكة بنحو ثلاثة اميال عنها وقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم
صرفه كما تقدم فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (اثبت) اى
لا تتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه كما فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كان على حراء وهو وابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحرك
ثم فقال اهدأ فما عليك الا نبى او صديق او شهيد وزاد بعضهم سعدا واورده

بعضهم مكان علي والمصنف رواه (انما عليك نبي وصديق وشهيد) والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب في الحديث على وفق مافي القرآن والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم في تفسيره اقوال فقال ابن المظفر انه من صدق بامر الله تعالى وبرسله بحيث لايخالجه شك في شيء وقال الكلبي رحمه الله تعالى الصديقون افاضل الصحابة واختاره البغوي وقيل من صدق بالانبياء حين عاينهم واختار الرازي انهم اول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ماعرضت الاسلام على احد الاوله كبوة الاابو بكر فله رضي الله تعالى عنه مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا اجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية تلي مرتبة النبوة وقد افرد ذلك بالتأليف الكمال ابن الزملكاني (فقتل علي وعمر وعثمان) فقتل عليا كرم الله تعالى وجهه عبدالرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضي الله تعالى عنه ابولؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان عمر رضي الله تعالى عنه لايأذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة فاستأذنه المغيرة في غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنائع ينتفع بها الناس فاذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر مائة درهم فشكى ذلك لعمر فسأله عن صنعته فاخبره فقال ماخراجك بكثير فغاظه ذلك واضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلي فاستشهد وعثمان استشهد يوم الدار في قصته المشهورة (وطلحة والزبير) اماطلحة بن عبدالله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلي وقيل كما مرانه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات منه واما الزبير رضي الله تعالى عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بما مر فقتله ابو جرموز نائما بوادي السباع كما تقدم (وطعن) بالبناء للمجهول (سعد) ابن ابي وقاص سنة خمس اواربع وخمسين وهو آخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن بمعنى اصيب بالطاعون وهو من اقسام الشهادة ايضا وان لم يكن مثل غيره من كل وجه ولذا اخره المصنف وقول بعضهم انه لم تناله الشهادة غير مناسب هنا الاان يدخله في الصديقين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في احديث رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وفتح الراء المهملتين مخففة وقاف وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو ابوسفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهوالذي خرج في طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة ويأتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي سنة اربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابه من اسمه سراقة غيره وفي هذا الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من البادية وليس مثله لما يلبسه المترفهون من ملوك العجم آية عظيمة من آيات النبوة وعزالدين (كيف بك) كيف جواب عمالهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو عليها لان كل

احد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا طرأ عليه مالم يعهد مثله و نال مالم ينله امثاله فكنى بما ذكر وفيه من البلاغة مالايخفى (اذا لبست) اى وضعت فى يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على مايع البدن من الثياب والحلل (سوارى) مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن (كسرى) تقدم انه كل من ملك العجم ويخص ببعضهم وهو كسرى الذى ادرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك (فلما اتى بهما) اى بسوارى كسرى (لعمر) ضمن اتى بصيغة المجهول معنى اوصل فعدى باللام وفى نسخة عمر بدونها (البسهما اياه) اى سراقة تحقيقا لما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز البسه اياهما وقيل وهو الاولى (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه (الحمد لله) حمدالله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة اعدائه وما فتح الله على يديه (الذى سلبهما) من يدى (كسرى والبسهما سراقة) وهو بدوى اعرابى متقشف هو من آحاد امته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل الحديث كما فى دلائل النبوة عن الحسن ان عمر رضى الله تعالى عنه لما اتى بسوارى كسرى بن هرمز وضعتا بين يديه وفى القوم سراقة وضعهما فى يده وفى فاه منكبيه فقال الحمد لله الذى جعل السوارى كسرى بن هرمز فى يدى سراقة بن مالك ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر و حمدالله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لله الملك الذى يؤتى ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فتبارك الذى بيده الملك الذى قصم من نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير من اعزه و ليس فى هذا استعمال للذهب ولبس الرجل له وهو من المحرمات لانه لا يفعله الا تحقيقا وتصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يرهما ومثله لا يعد استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكب المفسدة فيه لاجل المصلحة وهى تحقيق المعجزة فانه لا يحصل له (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى جملة اخباره عن المغيبات فى حديث رواه ابو نعيم فى الدلائل والخطيب فى تاريخه (تبنى) بالبناء للمجهول والبانى ابو جعفر الدوانيق ثانى خلفاء بنى العباس (مدينة) هى البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون اكبر من البلدة والقرية (بين دجلة) بدال مهملة مفتوحة اومكسورة من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لخفاء امره بتخليطه فى اموره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل (ودجيل) مصغر علم نهر بالاهواز حفره اردشير ابن بابك اول ملوك بنى ساسان بالمدائن عليه قرى كثيرة ومخرجه من اصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة

(وقطربل) بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف وتشدد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر (والصراة) بفتح الصاد المشددة والراء المخففة المهملتين ثم الف وهاء وهو نهر بالعراق ايضا مشهور وهو الاصح المعروف وفى بعض النسخ والهراة بهاء بدل الصاد وهى بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد (تجبى اليها) اى يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسى الممالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه السلطان بامره (خزائن الارض) اى ما كان مخزونا فى غيرها من البلاد بيدا اهاليها (يخسف بها) اى يخسف الله ارضها ودورها باهلها وقد وقع ما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من بنائها فى الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقى امر الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكره الذهبى فى ميزانه فى ترجمة عمار بن سيف الضبى الكوفى راوى هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله اعلم بامره (يعنى بغداد) اسم المدينة المشهورة ويسمى دار السلام وهو اسم اعجمى عرب وفيه لغات تقدم الكلام عليها (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الامام احمد والبيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخى ام سلمة من امها غلام سموه الوليد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبدالله فانه (سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتى من فرعون لقومه) قال الاوزاعى كانوا يرون انه الوليد بن عبدالملك ثم رأوا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبدالملك الجبار الذى كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضى الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما الا ان الثانى اشقاهما وفى هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد كما اشار اليه فى الحديث وقال ابن الجوزى ان هذا الحديث موضوع فكأنه ثبت عند المصنف رحمه الله تعالى فان موضوعات ابن الجوزى مدخولة تكلم فى كثير منها وصحح فى الشرح الجديد ان المراد انما هو الثانى المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبدالملك لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة واظهر من فسقه وولعه بالملاهى وتهاونه بالدين امورا شنيعة لاحاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله تعالى عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان فى زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طرى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (لاتقوم الساعة) اى لايأتى زمانها ويقرب اوانها (حتى تقتتل فئتان) اى طائفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة (دعواهما) فى اعتقادها ودينهما (واحدة) وهى الاسلام والدين الحق وقد وقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما

ثم سرى ذلك لكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقائع التى لاتحصى الا ان الوقعة الاولى اول مادهم اهل الاسلام من الامور المنكرة التى كانت ثلمة فى الدين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى والحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (لعمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (فى سهيل بن عمرو) ابن عبد شمس بن عبدود ابو يزيد العامرى القرشى احد خطباء قريش اسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفى بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدى توفى سنة تسع عشرة فى طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين على قتال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يارسول الله انه رجل مفوه فدعنى انتزع ثنيتيه السفليتين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان اعلم السفلى اى مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليتان يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضى الله تعالى عنه امر بديع فقال صلى الله عليه وسلم لعمر دعه (عسى ان يقوم مقاما) اى يقوم خطيبا فى مقام ينفع بخطبته ويأتى بما يمحو مقاماته الاول وقد مر ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق (يسرك ياعمر فكان كذلك) اى وقع ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقق ما اخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما (قام بمكة مقام ابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه اى مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته (يوم بلغهم) اى بلغ المسلمين بمكة (موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبهم) فى مقامه بمكة (بنحو خطبته) اى بخطبة مثل خطبة ابى بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله (وثبتهم) اى ثبت المسلمين على دينهم (وقوى بصائرهم) باعلامهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان محمد الهه فان محمدا قدمات والله حى لايموت وابو بكر رضى الله تعالى عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حىّ لايموت فتواردا على معنى واحد فى مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن اسحق والبيهقى (لخالد) ابن الوليد (حين وجهه) اى ارسله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجها (لاكيدر) بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين كمصغر اكدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوماء بالمد وهى ايلياء وهو موضع بين مكة وبرك الغامة او بين الحجاز والشام سميت بدومان ابن اسمعيل لانه كان ينزلها (انك تجده) اى تصادف اكيدر (يصيد البقر) اى بقر الوحش لانها التى تصاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه فى اربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعياء بن الحارث بن معاوية الكندى كما قاله الخطيب والماوردى وفى مختصر الشافعى انه

من كندة اوغسان وكان نصرانيا قدملك دومة واهلها فاتاه خالد رضي الله تعالى عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان فشدوا عليه فاستأسر اكيدر وقاتل اخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات نصرانيا وقال البلادري انه عاد الى دومة فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لايعد في الصحابة ايضا (فوجدت) بالبناء للمجهول (هذه الامور) المذكورة في هذا الفصل (كلها في حيوته) بعد ما اخبربها (و) وجد بعضها (بعد موته كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مطابقة لخبره وحالة له منتهية اومضمومة (الى ما اخبر به جلساءه) من الصحابة (من اسرارهم) اى ما اسروه واخفوه (وبواطنهم) اى امورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما اخبر به (واطلع عليه) عطف على ما اخبر به (من اسرار المنافقين) اى ما اسروه في انفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم اوما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لايقف عليه المؤمنون (وكفرهم) المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان (وقولهم فيه) اى في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي المؤمنين) وهو معطوف على اسرار المنافقين عطف تفسير كقول رأسهم ابن ابي لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثاني اثنين في الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ماخلا رسول الله افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه (حتى ان) بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر (كان بعضهم) اى بعض المنافقين (يقول) وفي نسخة ليقول (لصاحبه) اى من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشيء في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سرا معه (اسكت) ولاتنطق بشيء من امره ثم بين وجه امره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ماقاله فقال (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) بما يقوله في شأنه من ملك اووحي يبلغه مايقال فيه (لاخبرته حجارة البطحاء) وهي ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها مافيها من الحصباء يعني ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة ايضا لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة وامر بلالا رضي الله تعالى عنه بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وابو سفيان ابن حرب وعتاب ابن اسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب

اقد اكرم الله اسيدا اذلم يرهذا اليوم وقال الحارث اما وجد محمد مؤذنا غيرهذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان لااقول شيئا ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك به (واعلامه) بالجر معطوف على ما اخبر به وهو اشارة الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اى اعلامه الناس (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) وهو يهودى من بنى زريق وقصة سحره مشهورة في السير والتفسير (وكونه) اى السحر المذكور الذى وضعه (فى مشط) بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال لها ممشط ايضا (ومشاطة) بضم الميم وهى ما يسقط من الشعر اذا سرح وفى نسخة مشاقة بقاف بدل الطاء وهما بمعنى او الاول من الشعر والثانى من الكتان (فى جف) بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشا وفى نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البئر وهو مضاف لقوله (طلع نخلة ذكر) والطلع ما يخرج من النخل فى ظرف منطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل ثمرها المعروف (وانه) بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور (القى فى بئر ذروان) اى وضع فى هذه البئر وهى بئر بالمدينة لبنى زريق وهى بدال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان (فكان) ما اخبر به صلى الله عليه وسلم (كما قال) عليه السلام (ووجد) السحر (على تلك الصفة) التى وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحى من الله تعالى كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سحر قال اتانى رجلان فقعد احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى اى شئ قال فى مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال واين هو قال فى بئر ذروان فجاءها صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناس من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال ياعائشة كان ماءها نقاع الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقالت هلا اخرجته يارسول الله قال قد عافانى الله تعالى فكرهت ان اثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بئر ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعى هو خطأ وصوابه اروان بالهمزة انتهى وفى القاموس بئر ذروان بالمدينة وهى ذو اروان بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى وفى مسلم بئر ذى اروان قال النووى وهو صحيح والاول اجود واصح ويحتمل ان الاول مخفف منه (واعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى فى الدلائل (باكل الارضة) بفتحات دودة

﴿ تأكل ﴾

تأكل الورق وتكون فيه اذا انطبق زمانا بحيث لايمر به الهوى وهي معروفة وعلى انواع ومنها مايأكل الخشب فمن فسرها هنا بدويبة تأكل الخشب قال الله تعالى (مادلهم على موته الادابة الارض تأكل منسأته)والارض بالسكون مصدر ارض اذا كان به ارضة اضيفت لها لم يطبق الفصل وليست هي الدابة المسماة سرقة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب (مافي صحيفتهم) الاضافة للعهد اى الصحيفة المشهورة وسيأتي بيانها (التي تظاهروا بها) اى تعصبوا وتعاونوا بانفاقهم على عهود كتبوها في تلك الصحيفة كما سيأتي (على بني هاشم)وهم فخذ من قريش (وقطعوا بها رحمهم) اى قصدوا بما كتب في الصحيفة قطع رحمهم اى قرابتهم اى ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بني عمهم من بني هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع في القرابة حتى صار حقيقة فيها (وانها) اى الارضة وهو معطوف على اكل الارضة اى واعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانها (ابقت فيها) اى الصحيفة (كل اسم لله تعالى) دون غيره مما عاهدهم عليه فمحته لانه باطل وابقت اسم الله تعالى تبركا وتأدبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستأتي وتوجيهها (فوجدوها كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر به عن الغيب فهو من معجزاته وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من انها ابقت اسم الله تأدبا ومحت غيره للاشارة الى انه امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية اخرى انها لحست اسم الله تعالى وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله تعالى برئ منهم وانه لايليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرها ابن سيد الناس في سيرته فاذا صحت الروايتان اشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان في التوفيق بينهما ان لم نقل ان رواية انها لحست اسم الله اقوى والمعول انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداها في الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذلم يقع ذلك في رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور ابن عكرمة وقيل بنيض بن عامر ابن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين قهرهم ارادوا قتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا او تعتزلوا عنا جميعا في الشعب بحيث لاتقابلوننا ولاتجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها في الكعبة فكان كلما جاء اهل البادية بما باع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش واراد نقض العهد فبينماهم كذلك اذقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابي طالب ياعم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم فظنوه انه اتاهم ليسلم لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرهم بالقصة كانوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على مافصل في السير وكان ذلك مما اطلعه الله تعالى عليه من غيبه

وهذا يدعي صحة ماقاله المصنف رحمه الله تعالى وان الروايه الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم نجد مايشفي الصدور (ووصفه لكفار قريش) بعد الاسراء كما تقدم تفصيله (بيت المقدس) معمول وصف وقوله (حين كذبوه في خبر الاسراء) اى في اخباره بانه اسرى به لبيت المقدس (ونعته اياه) اى بيت المقدس (نعت من عرفه) بالنصب معمول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصنف رحمه الله تعالى غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال في غير الله تعالى ولا يقال نعت الله كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها (واعلامهم) بالجر اى اعلام الكفار (بعيرهم) بكسر العين اى قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس بمراد هنا (التى مر عليها في طريقه) للراجع من الاسراء (وانذارهم بوقت وصولها) لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا واصله التخويف والاخبار بمافيه خوف ضد البشر كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل اورق كاسر (فكان ذلك كله) اى وجد ووقع (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما اخبر به وقد قدمناه مفصلا ثمة فلا حاجة لاعادته (الى ما اخبر به من الحوادث) اى ما تقدم ينتهي او ينضم لغيره مما اخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور (التي تكون) في المستقبل (ولم تأت بعد) مبني على الضم اى لم يقع عقب اخباره بل بعده بزمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر فاذا جاء الاوان تجيء فان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتخلف (و) الى ذلك اشار بقوله (منها ماظهرت مقدماته) بكسر الدال اى علاماته المتقدمة عليه (كقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود في سننه (عمران بيت المقدس) بضم العين مصدر كالعمران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدمه معنى كونه مقدسا بمافيه وهو مبتدأ خبره (خراب يثرب) بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابة السيف وانس المراد به الاشارة فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز في النسبة الاسنادية فجعل مايقرب من الشئ ويلاصقه له كانه هو بعينه ولا نقل انه غيره فكيف اخبر به عنه (وخراب يثرب) الذي يعمر عنده بيت المقدس (خروج الملحمة) اى ظهورها والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في نهاية الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في القتل من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدى والملحمة او من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام الحوادث وآثار النجوم من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في آخر الزمان (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية)

وفي نسخة قسطنطينية بغير الف ولام وبعد النون الثانية ياء تشدد وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وهو اول من اظهر دين النصرانية ودونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر ولها سبعة اسوار وسمك سورها الكبير احدى وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة من نحاس قد قلب قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد البست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص ماعدا يده اليمين فانها مطلقة في الهوى لانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده اليسرى فيها مكرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت وكون مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة وتشديدها وحذفها وهي ست ووقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول ابي تمام

حتى التوى من نقع قسطلها على * حيطان قسطنطينية الاعصار

وهي المسماه برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت في زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح في آخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر في اخبار المهدي المنتظر والذي اوقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور في هذا الحديث كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلوة والسلام وكذا مامعه من الاشراط واليه اشار بقوله (ومن اشراط الساعة وآيات حلولها) معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي والآية بمعنى وقيل هي ماينكره الناس من صغار امورها وعلامات القيمة التي تكون في آخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره مما هو مشهور غني عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبي في تذكرته (وذكر النشر والحشر) الذي هو آخر الاشراط وآخر الدنيا اذا نفخ في الصور والنشر للميت ان يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طويت خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب (واخبار الابرار) بالجر اي مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ماورد في الحديث من اخباره عن صلحاء امته وخيارهم او اخبارهم بما يسرهم وتقر به اعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم ويبكيهم فاخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها مصدر اخبر والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب وهو التقي الصالح (والفجار) جمع فاجر وهو الفاسق

المجاهر بالمعاصى والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم وهو كثير فى الاحاديث (والجنة والنار) اى ذكر احوالهما واهلها وماسيكون فيهما (وعرصات القيمة) بفتحات جمع عرصة بسكونها وهى كل موضع واسع لابناء فيه اى بما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ماورد فى الحديث من بيان مواقف القيمة وعرصاتها ووصفها بصفاتها (وبحسب هذا الفصل) الباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره (ان يكون ديوانا) اى كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة فى كثرته كما ذكره فى اوله وانه لو الف فيه تأليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن امرا غريبا (مفردا) عن غيره من المعجزات (يشتمل) ذلك الديوان المفرد له (على اجزاء) بتميز انواعه وافراد كل نوع بباب (وحده) منفردا من بينها ثم اعتذر لعدم افراده بالتأليف بقوله (وفيما اشرنا اليه) اى ماذكره فى هذا الفصل منه وهو خبر مقدم (نكت من نكت الاحاديث التى ذكرناها) اى لطائف ودقائق نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله (كفاية) مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه اذا كان مبتدأ كان قوله كفاية مبتدأ آخر او بدل او صفة بتأويله بكافية وكله تكلف اى المقدار الذى اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتأليف (واكثرها) اى النكت المذكورة فى هذا الفصل منقول (فى الصحيح) من كتب الحديث المعتمدة (و) موجود (عند الائمة) من علماء الاثر ومشائخ المصنف وفى تعبيره بالاكثر اشارة الى ان فيه ماهو ضعيف او لم يثبت كما بيناه لك فى اثناء شرحه ﴿ فصل فى عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس ﴾ اصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك بالشئ واستعصم استمسك كانه طلب مايعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله الانبياء حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما اولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعنى ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة فى المنع عن ارتكاب المعاصى وفى الحفظ عن نيل المضرة من اعدائهم والمراد هنا المعنى الاخير كما اشار اليه بقوله (وكفايته من آذاه) اى كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد اذيته والمراد بالناس مايشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه فى تفسير المعوذتين او خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله تعالى عليه وسلم وقصدوا اذيته وقوله من اذاه من ذكر العام بعد الخاص لشمولهم صريحا واستشهاده له بقوله (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) يقتضى انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الآية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضرى

في الخصائص يرده ما روى عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج بعث معه ابو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له ياعم ان الله عصمني من الجن والانس فلا حاجة لي بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة اي عند مقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذي عن عايشة كما يأتي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الآية الى آخره اي فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين يمنين فالناس على الاول اهل مكة وعلى الثاني اعم خلاف الظاهر ثم قال اكثر المفسرين ان هذا الذي كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا لامته ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه كان لحكمة وهي كماص ان يشارك المؤمنين في المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بغضهم بهم انتهى واما العصمة عن الذنوب فسيأتي في محله والى ماقدمناه اشار في الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بمالا محصل له وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله اكلة خيبر قطعت ابهري وقالوا حكمته ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه واجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين اكله فلم يؤثر فيه فلما قضى اجله اثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحي غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولايخفى مافي كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدو له مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يظهر له اثر حال اكله ولا بعده مما يعلم عليه اعداؤه وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لايعد قتلا (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) امره بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما امر بتبليغه ثم سلاه بان لايخاف من احد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا اظهر مما في الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتأكيد قال الراغب يقال فلان بعيني اي احفظه وراعيه كقولهم هو مني بمرأى ومسمع وقوله (واصنع الفلك باعيننا) اي بحيث نرى ونحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله (وقال أليس الله بكاف عبده) فيه اثبات الكفاية الله له على ابلغ وجه لانه استفهام انكاري وفي نفي

معي و في انني اثبات بعي ان عبادي يحفظون عبيدهم فكيف لا احفظ عبدي ولما كان احد غير معين هنا اشار بقوله نقلا عن السلف انه (قيل) ان معناه (نكاف محمدا) المراد منه لان الاصابة عهدية (اعداءه المشركين) وبهذا يكون دالا على المقصود ، مصادقا لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم منه في ان حملك آلهتنا نكولك نعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله اعداءه المشركين يأباه (وقيل) في تفسير هذه الآية (عبدهم) كالقول بان المراد انه تعالى كامل مرزاق جميع عباده ويؤيده انه قرئ كاف عباده بصيغة الجمع (و) مما يدل على عصمة الله له قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويهزؤن به فهلكهم الله لما اشتدت اذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون في تفسير هذه الآية وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بمحض اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الآية وبيان هؤلاء المستهزئين وذكرهم هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الآيات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما دل عليه وذكر بعض افراده المثبت لمراده (وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد تقدمت هذه الآية وبيان معناها وانما اتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دأبه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهي اشارة الى ما كان منهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان به واعلم ان الشيخ الاكبر قال في بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا في حيوته عصم رؤياه في المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان ان يتخيل ويتمثل في صورته فهو كذاته معصوم من ان يؤديه الاحلام وعبارته كل من يرى في المنام فمثاله في خيال الرائي الملك او بعض اولياء الشيطان الا الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا في حياتهم معصومين في الوطن من القائه فعصمت عنهم حياة وموتا في حق الذين كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم الحس انتهى ثم شرع في ذكر احاديث التي رواها الترمذي عن عائشة رضي الله عنها فقال (اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي) الاندلسي المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد في وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه ورحمه والصدفي منسوب لصدف قبيلة قرية بقرب قيروان (بقراءتي عليه) لا بالاجازة (و فقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري) هو القاضي ابو بكر ابن العربي ويقال ابن عربي ايضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربي بدون ال هو شيخ محيي الدين الصوفي نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد ابن عبد الله صاحب التصانيف حديثه واتوه من كبار اصحاب ابن حزم الظاهري

وابنه ممن اخذ عن الغزالى وغيره ورحل للاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفى بفاس فى ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ونسبته لمغافر بفتح معجمة وفاء وراء مهملة وميمه مفتوحة وحكى فى اسم الحى الضم وانكره ابن السكيت حى من همدان وبلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المغافرية (قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفى) المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما فى بعض النسخ الحسن مكبرا خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو يعلى) بفتح المثناة التحتية واللام والف (البغدادى) نسبة للمدينة المعروفة قال (حدثنا ابو على السنجى) نسبة اسنج بسين مهملة مكسورة ونون وجيم وهى قرية بمرو قال (حدثنا ابو العباس المروزى) وهو محمد بن احمد بن محبوب راوى الترمذى وقد تقدم قال (حدثنا ابو عيسى الحافظ) ابن سعد الترمذى صاحب السنن امام الحديث المشهور شهرة تغنى عن ذكره قال (حدثنا عبد بن حميد) بلا اضافة العبد وقد تقدم قال (حدثنا مسلم بن ابراهيم) الازدى الفراهيدى ابو عمرو الامام الحافظ الذى اخرج له الستة توفى سنة مائتين واثنين وعشرين قال (حدثنا الحارث بن عبيد) ابو قدامة الايادى البصرى له ترجمة فى الميزان (عن سعيد الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير البصرى كما فى الكاشف للذهبى عباد وترجمته فى الميزان (عن عبد الله بن شقيق) التابعى العقيلى من كبار التابعين توفى سنة مائة او ثمان ومائة (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول اى يحرسه الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من آخر ما نزل وتقدم قول آخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفى بعض الحواشى عن ابن عرفة انهم احتجوا بها على صحة الدعاء بالعصمة لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والآية تدل على صحته فان العصمة مقوله بالتشكيك وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له من غير قصد انتهى قال شيخ والدى الشهاب ابن حجر فى شرح الارشاد اجاب فى سؤال العصمة فقال يجوز نحو قول مالك والشافعى فى الرسالة نسألك العصمة وكذا قول الشاذلى نسألك العصمة فى الحركات والسكنات وفى الحديث اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سأل التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه طالب مقام النبوة فان قصد التحصن عن افعال السوء فلا بأس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة بمعنيان احدهما الحفظ من اذية الناس والثانى حفظه فى نفسه عن ارتكاب

المعاصي وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمني من الكذب أو الزمان او اللهم احفظني من اسر الكفار واعصمني من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه ايضا اذ لا مانع ان يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب او من جميع الناس فانه امر مطلوب وقولهم انه طلب مقام النبوة كلام واه والذي اختصت به الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هؤلاء المصنفين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) بالضم وتشديد الموحدة وهي كل مرتفع من البناء او الخيمة والخباء من وبر اذا علا وليس معناه ماهو مستدير على شكل كرى كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم الحجاني في شرحه ولا يترتب عليه فائدة ههنا فلذا تركناه (فقال ايها الناس انصرفوا) من حولي واتركوا حراستي (فقد عصمني) وحفظني (ربي عز وجل) فلا حاجة لي ان يحرسني الناس (وروى) بصيغة المجهول (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا) اي اقام به زمانا (اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها) من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القائلة وهي الظهيرة وماقرب منها للاستراحة سواء نام ام لا وان كثر فيها النوم (فاتاه اعرابي) هذه فاء فصيحة اي فاختاروا له في بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه في اخره والاعرابي رجل من اهل البادية تقدم بيانه (فاخترط سيفه) اي سله واخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فمعناه سل سيفا كان معه او للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابي اخذه وسله وهو صريح ما يأتي في لفظ رواية الصحيحين واصل معنى الاختراط ازالة ما علا القضيب من ورق او قشر فشبه ازالة غمده بذلك او هو من اخترطه اذا اخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة (ثم قال) الاعرابي بعد اختراطه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك مني) الاستفهام انكاري بمعنى النفي اي لا يمنعك مني احد لاني دخلت على حين غفلة وليس معك احد يحرسك ثم والظاهر الفاء اذ لا مهلة عقب فلا بد ان يكون تراخى لينظر ما يصنع او كان اتاه من خلفه او استعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير (فقال الله) اي يمنعني الله او الله منعني وحماني (فارتعدت يد الاعرابي) وقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول اي اصابته رعدة بكسر الراء وفتحها وهي اضطراب اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال العصام انه الصواب بمعنى لارتعدت الثلاثي وهو خطأ منه فان الذي صححه ارباب اللسان ارعدت الثلاثي مبني للمفعول وثبت التعدي فيه ونقل انه من الافعال التي لم يسمع

(فيها)

فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية واللغة (وسقط سيفه) من يده لشدة ارتعاده من خوفه (وضرب) ذلك الاعرابى (برأسه الشجرة) لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها (حتى) تكسر عظم رأسه و(سال دماغه) لما كسر لحذه الذى كان فيه الدماغ (فنزلت الآية) المذكورة والله يعصمك من الناس الى آخره وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر رأسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن اى سال دما او نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد فى الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم يذكروه فى اسباب النزول واليه اشارة ما بقوله (وقد رويت هذه القصة) يعنى قصة الاعرابى (فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح او فى صحيح البخارى (وان غورث بن الحارث) وفى نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة فى المكبر ومثلثة (صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه) وهذا يخالف ما قبله فى تلك الرواية من انه ضرب برأسه الشجرة الى آخره اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافى العفو عنه (فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) لما رآه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا قائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابى فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله تعالى عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه ويروى انه شام السيف اى اغمده وفى سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا اقتله به فاقبل اليه وسيفه فى حجره فقال يا محمد اعطنى سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فخذله الله تعالى فقال يا محمد اما تخافنى وفى يدى السيف قال لا يمنعنى الله تعالى منك ورد السيف فانزل الله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم﴾ الآية وروى ان السيف سقط من يده فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال له كن خير آخذ واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس (وقد حكى مثل هذه الحكاية) وفى كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التأنيث لان المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه كقوله ﴿كما شرقت صدر القناة من الدم﴾ وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدر اى حكاية مثل هذه الى آخره كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفى بعض النسخ وقد حكيت

هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب المعنى (وانها جرت له) صلى الله عليه وسلم اى وقعت (يوم بدر) اى فى وقعة بدر يقال جرا لنا كذا اى وقع وهو مجاز من الجرى فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله (وقد انفرد من اصحابه) جملة حالية من ضمير له اى منفردا عنهم (لقضاء حاجته) كناية عن البراز مشهورة (فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله) بالنصب مفعول ذكر ومما ثلته له فى سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج ايضا (وقد روى) رواه ابن اسحق فى سيرته عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما (انه وقع له) صلى الله عليه وسلم (مثلها) اى مثل هذه الحكاية والواقعة (فى غزوة غطفان) بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهى قبيلة مشهورة غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية نحو اربع مائة وخمسين فارسا فى ربيع الاول بعد خمسة اشهر من الهجرة (بذى امر) بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذى امر وانمار اسم ذلك المكان ايضا (مع رجل) متعلق بوقع (اسمه دعثور) بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير (ابن الحارث) وهو رجل من بنى محارب وقيل انه غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس فى غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بين ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فهربوا فى رؤس الجبال وكان قبل ذلك يدعى انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة (و) روى (ان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به) اى حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعصمه الله تعالى منه (وكان) ذلك الرجل (سيدهم واشجعهم) جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك (قالوا له) جواب لما (اما كنت تقول) انكار عليه لما هرب وقد كان يقول انى اقتل محمدا (وقد امكنك) فاعله ضمير مستتر يرجع لما وامكنه الامر اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه مراسيتر اى تمكنت منه لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول فى يده (فقال انى نظرت الى رجل ابيض طويل) حال بينى وبينه و (دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) اى وقعت على ظهرى لشدة دفعه وقوته (وسقط السيف) الذى كان بيدى (من يدى فعرفت انه) اى الرجل الذى دفعنى (ملك) لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه ونحوه مما ليست من عادته (واسلمت) لما شهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحق اصابه صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره

على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا لدعثور انفرد محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتى قام على رأسه وقال من يمنعك اليوم منى فقال الله فتمثل له جبريل عليه السلام ودفع فى صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام (قيل وفيه) اى فى هذا الرجل وقصته (نزلت) هذه الآية (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم الآية) وفى سبب نزولها اقوال آخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلوة الخوف وقيل فى بنى قريظه وقيل فى بنى النضير كما سيأتى (وفى رواية الخطابى) وهو حمد او احمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل فى العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب اخى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وتآليفه جليلة مشهورة ككتاب الآثار وشرح السنن وغيره (ان غورث بن الحارث المحاربى) منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفى نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقدمر ان ابن سيد الناس قال فى غزوة ذات الرقاع فى دعثور بن الحارث ان المذكور فى غزوة ذى امر من الحديث هذا الحد والظاهر ان الحديثين واحد وقال الذهبى فى التجريد دعثور بن الحارث الغطفانى الاشبه انه غورث وقال البرهان انه ضبب عليه فهو عنده غلط وفى هامش نسخته من الشفاء عوض دعثور غورث وعليها علامة نسخة وصحت ايضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير (اراد ان يفتك بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على امر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة (فلم يشعر به) اى لم يعلمه ويحس به فى حال من الاحوال (الا وهو قائم على رأسه) المراد قيامه على رأسه وقوفه خلفه متصلا به (منتضيا) بضاد معجمة ومثناة تحتية اى مجردا وسالا (سيفه) ليضربه به فلما رآه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اكفنيه بما شئت) الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة عائدها مقدر اى بالامر والسبب الذى شئته واردته والمراد تفويض امر كفايته الى الله وتسليم امره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت وهو اقرب الى الادب من تعيين ما يدفعه عنه (ف) عقب قوله من غير مهلة (انكب لوجهه) اللام بمعنى على اى سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على كما فى قوله * فخر صريعا لليدين وللفم * وقوله (من زلخة) متعلق بانكب والزلخة بضم الزاى المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة وتاء كثيرة وروى بعضهم تخفيف لام زلخة (زلخها) بضم الزاء وتشديد اللام المكسورة وخاء مفتوحة معجمة وهاء ضمير للزلخة وقرأ بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابى وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطا وفاعله الله والمراد اوجدها الله حين سل السيف وقوله (بين كتفيه) لا ينافى تفسير الزلخة المذكور فى

مابين كتفيه من اعلى الظهر فهو تبسيس واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد عن حمله (و ندر سيفه من يده) اى من داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة متوحتين وراء مهملة اى سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف اومن بين اشياء (والزخلة وجع) يأخذ فى (الظهر) فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلق ويقال زحلوقة تلعب بها الصبيان (وقيل) اى قال غير الخطابى (فى قصته) اى قصة غورث (غيرهذا) المذكور من ارادته الفتك فانه روى انه جمع بلدا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم هربوا فى رؤس الجبال كما مر (وان) الامر والشان فضمير ه مقدر (فيه) اى فى غورث (نزلت) آية (ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه) وهى ياايها الذين آمنوا الى آخره اوقوله تعصمك من الناس (استلقى) اى نام صلى الله تعالى عليه وسلم واضطجع على الارض لامنه اعداءه واطمئنان قلبه (ثم قال من شاء فليخذلنى) بخاء و دال مضمومة معجمتين والخذلان ترك النصرة والاعانة الامر وظاهر تعبيره بمن اذه انشاء يعنى الخبر اى استغنى عن المعين والحرس لان الله حافظ وضمن لى ان لا ينصرنى احد فيصل الى ولذا استلقى على ظهره فالظاهر هيئة الامن والتبرى من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله ومكاه قيل لانه يقتضى ان هذا الآية مكية لانه ممن نشأ كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرار النزول بعيد كما قيل (وذكر عبد بن حميد) الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير فى تفسيره مرسلا (قال كانت حمالة الحطب) وهى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان بن حرب زوجة ابى لهب وسميت حمالة لانها كانت (تضع العضاة) [illegible] واحدة [illegible] وهو شجر له شوك اذا او قد كان شديد الاحتراق [illegible] القوة ومواد [illegible] يحتمل ان يكون تفسيرا للعضاة لانه [illegible] من العضا والذى كسه وان هم * شوك [illegible] يكون [illegible] يعنى مقدمه اى اصبعه حالة كونه [illegible] (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ومن يته [illegible] وغيره [illegible] فى قدمه [illegible] قبل فى تسميتها حالة الحطب [illegible] مذكورة فى التفسير [illegible] على ظاهره [illegible] عبارة عن [illegible] (كان) صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] زوجة [illegible] من الرجل [illegible] [illegible] واشى [illegible]

(والين)

واللين اى يجده صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلوة والسلام قال ابن قبل

يمشين هيل النقا لانت جوانبه * يسهال حينا وينهال الثرى حينا

(وذكر ابن اسحق) امام اهل السير وهو محمد بن اسحق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه بعضهم و ترجمته مفصلة فى الميزان وغيره (انها لما بلغها نزول) سورة (تبت يدا ابى لهب وذكرها) مصدر مرفوع معطوف على نزول (بما ذكرها الله) به (مع زوجها من الذم) بيان لما وهو ما فى السورة (اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه ابو بكر رضى الله تعالى عنه وفى يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملؤ الكف اوهو الحجر مطلقا وهو فى قوله يهود خرجوا من فهرهم بيت دراسهم كلة معربة اصلها بهر بالباء وقوله (من حجارة) بيان افهر (فلما وقفت عليهما) اى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر (لم ترالا ابا بكر واخذ الله بصرها) اى قبض وحبس نظرها (عن نبيه صلى الله عليه وسلم) اى عن رؤيته وهو جالس عندها فاخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم عن اذيتها وهذا يقتضى ان عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم (فقالت يا ابا بكر ان صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى) اى يدعى على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة او مجازا او هو منها اتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل فى حقها فى سورة تبت (والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه) جعلته لانه محل النطق بذمها فرجعت خائبة وهذا رواه البيهقى وغيره عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كما رواه ابن اسحق (و) روى ابو نعيم فى الدلائل والطبرانى بسند جيد (عن الحكم بن ابى العاص) والد مروان وهو ممن اسلم عام الفتح وتوفى فى خلافة عثمان وفى الصحابة من وافقه فى اسمه واسم ابيه ولكن الاشهور هو هذا فلذا لم يميزه المصنف (تواعدنا على النبى صلى الله عليه وسلم) اى تواعد هو وبعض الكفرة على قتله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] فى بعض الليالى وخرجوا فى الميعاد فوقفنا نرقبه (حتى اذا رأيناه) اى [illegible] صوتا) اى صيحة عظيمة (خامدا) اى [illegible] ما يحمل على ان تكون زائدة ان كان التقدير انه لم يبق احد [illegible] وان تكون نافية اذا اريد ان جميع اهل تهامة صاحوا [illegible] صيحة واحدة وقد جمعوا ليقتلونا فالمعنى انا تيقنا وجودهم [illegible] والديار [illegible] واحد ولهم هنا كلام لم يصح بالمراد وتهامة بكسر [illegible] ارض [illegible] من الهم وهو الاحماض اوشدة الحر والريح [illegible] اوس [illegible] وراء مكة من المغرب من ذات [illegible] (فوقنا تغشيا علينا) من هول تلك

الصعقة والغشي كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى (فافقنا) من ذلك الغشي (حتى قضى صلاته) اى فرغ منها واتمها (ومضى الى اهله) اى رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشيء اردناه (ثم تواعدنا) على ماقصدناه وان نعود لذلك (ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه) بقربنا وهو مار للمسجد ليصلي به كما فى المرة الاولى (جاءت الصفا والمروة) هما ربوتان مرتفعتان فى محل سعي الحجاج معروفتان والمراد بمجيئهما تحركهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (فحالت) اى الصفا والمروة (بيننا وبينه) فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفا كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وافرد ضميرها وكان الظاهر حالتا لتأويله بحالت كل واحدة منهما وفى هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (وعن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (تواعدت انا) اكد ضميره ليعطف عليه قوله (وابو جهم بن حذيفة) واسمه عامر اوعبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوى اسلم عام الفتح وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معظما فى قريش توفى فى ايام معاوية رضي الله تعالى عنه وترجمته معروفة وهوصاحب الانبجانية (ليلة) منصوب على الظرفية منون (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) منصوب على انه مفعول له اونزع الخافض اى على قتله اولقتله اوبعقدر اى واضمرنا قتله ونحوه (فجئنا منزله) ليلاخفية (فسمعنا اليه) وفى نسخة له وفى نسخة فتسمعنا اى اطلنا السماع لاتكلفناه كماقيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى اصغينا لقراءته حتى نسمعها وهو يقرؤ فى صلوة الليل (فافتتح) ابتدأ قراءته (وقرأ الحاقة ما الحاقة) حتى انتهى (الى) قوله (فهل ترى لهم من باقية) يعنى قوله تعالى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) والمراد بالحاقة ماحق وقوعه بهم من الداهية اوالساعة التى يتحقق فيها من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وما ادراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهى الصيحة اوالرجفة وعاتية شديدة العتو والعصيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم الاربعاء الى اربعاء آخر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفى اى ماترى لهم بقية اوبقاء على انه مصدر بزنة فاعلة وهوقليل فى كلامهم اونفسا باقية (فضرب ابوجهم على عضد عمر رضي الله تعالى عنه وقال) لعمر رضي الله تعالى عنه (النجاء) اى فلننج من وقوع البلاء بنا خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب اولئك رسلهم (وفرا هاربين) اى قاما من محلهما مسرعين جادين فى الهرب لخوفهما مما ذكر وهوكقوله تعالى (فتبسم ضاحكا)

(فهاربين)

فهاربين حال مؤكدة وعلى الاول هو تجريد نحوى (فكان) اى ماذكر من هذه القضية (من مقدمات اسلام عمر رضى الله تعالى عنه) لتأثيرها فى قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه فى مسند احمد بما يقرب منه وهو ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال خرجت ليلة لاتعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قدسبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجلست اعجب من تأليف القرآن وقلت والله ماهو بشاعر كما قالت قريش فقرأ (انه لقول رسول كريم* وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون) فقلت هو كاهن فقرأ (ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون*تنزيل من رب العالمين) الى آخره فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع وليس فيه انه صحب اباجهم وفى التعبير بمن التبعيضية اشارة الى ان له مقدمات اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه فى بيت اخته فى قصته المشهورة (ومنه) اى مما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من اعدائه (العبرة المشهورة) بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهو الامر العجيب الذى يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هى الحالة التى يتوصل بها من معرفة الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة واشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين (والكفاية التامة) اى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال الله تعالى عز وجل (ياايها النبى حسبك الله) (عندما اخافته قريش) تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه واخافه اذا فعل او قال مايدل على انه يهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله (واجتمعت على قتله) اى اتفقوا على ذلك الاقليل منهم لقلتهم لم يعدوا (وبيتوه) اى قصدوا قتله وايقاعه ليلا فى حمية قال الراغب التبييت قصدا لعدو ليلا ويقال لكل فعل دبر بالليل بيت قال الله تعالى (اذ يبيتون مالا يرضى من القول)وعلى هذا حديث لاصيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى ويقال هذا امر بيت بليل اى دبر فعله ليلا ليوقع غيلة على غيره (فخرج عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم من بيته) وهم لايشعرون كما رواه ابن اسحق والبيهقى (فقام على رؤسهم) اى وهو عندهم وهم نيام (وقد ضرب الله على ابصارهم) اى لم يحسوابه ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقدكانوا احاطوا بيته ليقتلوه عليه الصلوة والسلام (وذر) بذال معجمة وراء مهملة مشددة اى نثر (التراب على رؤسهم)اهانة لهم (وحاص منهم) اى نجا مما دبروه وهموا به واصل ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قريشا حين اسلم الانصار رضى الله عنهم خافوا ان تقوى امره عليه الصلوة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم فى دار الندوة واتفقوا على قتله ويبيتوه فخرج عليهم وفعل ماذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل فى السير وذكر فيها قوله (ء

الذين اجتمعوا وبيتوا بأسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطأطأت له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذي من ظهر البيت (وحمايته) اى حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بنصره من اعدائه ومنهم (عن رؤيتهم) اياه واباكر وهما (في الغار) اى غار ثور وثور اسم جبل بمنة مكة والغار كالمغار نقرة في الجبل كالبيت وسمى بثور بن عبد مناف لنزوله به ويقال له ثور الجبل وهو اسم جبل آخر خلف احد (تعاميا الله) اى بما اعده ويسره له والجار متعلق بحمايته والباء لسببية العادية (من الآيات) بيان لما اى المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته (ومن العنكبوت الذي نسج عليه) نسج سيبين في طرفه عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث ونسجها خيوط دقيقة تمدها في الهواء لصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يمر به شيء (حتى قال امية بن خلف) احد صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا ببدر وهو اسم موضع معروف (حين قالوا) اى كفرة قريش لما قصدوا اثره صلى الله تعالى عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار (ندخل الغار) لتفتيشه لاحتمال انه فيه (مالاربكم) بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وسكون الراء وهو الحاجة اى وما حاجتكم واى شيء لكم مطلوب وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة (فيه) اى في الغار (وعليه) اى على فمه او عليه نسج وروى ما ارابكم من الريبة اى ما اوقعكم في الشك فيما لا شك فيه (من نسج العنكبوت ما ارى) بضم الهمزة وفتحها اى اظن واعتقد (انه) قديم (قبل ان يولد محمد) اى قبل وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا في مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل

القى على الجن خالقه حجرتين ‪*‬ فيهن ان بيت ما بيت

حتى انسج بين من حالة الكلى ‪*‬ لمن داودفيه العنكبوت

وقال الابوصيرى رحمه الله تعالى

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ‪*‬ من الدروع وعن عال من الاطم

(ووقفت حمامتان) ذكرا وانثى على فمه بيضتين فيه وهذا مذكور الا ويجئ حال من الناس ووقفت بالتاء وروى بالعين المهملة من وقوع ذكر ذلك وروي بدله بحذف (على فم الغار) اى مصاحبه (فقالت قريش لو كان فيه) اى في الغار (احد لما كان هنالك الحمام) لعرفته أنه وفي نسجه دلالة وهو اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله امر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وجاء مكان ذلك وفي المواهب ان الحمامتين باضتا في اسفل الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخلاه تكسر البيض وزال النسج وروي انهم كما ... فيه شجرة فنفرة

تسمى شجر الرا وهي شجرة مقدار القامة لها زهر وشيء كالقطن يحشى به الوسائد كأمر أمرها الله بان تنبت لتسترها لما اقبل فتيان قريش باسيافهم حتى اتوا الغار فلما رأوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال ابو بكر لو نظر احدهم الى قدميه رآنا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة اثرها فانتهى للغار فلما رآهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامته لانه احب اليه من نفسه وكل شيء ولسع ابو بكر في هذه الليلة غير مرة فمزق ثوبه وجعله في الشقوق التي في الغار وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واقام فيه ثلاثة ايام ثم خرج منه فلقيه سراقة [illegible] ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله (وقصته) صلى الله عليه وسلم اي ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم والشين وروى فتح شينه ايضا وفي بعض النسخ جعشم بتقديم الشين كما في المقتفى وفيه [illegible] وقصته في الصحيحين وهي مشهورة فانهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلا عظيما وهوان لكل من قتله او اتى به ديته فلما خرج من الغار رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو مرحلة من توجه اليه [illegible] فركب فرسه ادركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوائم فرسه الى ابطها في الارض لدعائه عليه كما يأتي بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين فهو صحابي مدلجي حجازي كناني وهو الذي [illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لبس سواري كسرى لما رأى ذراعيه دقيقتين [illegible] في حديثه [illegible] المقدم وقوله (حين الهجرة) اي في وقت هجرته من مكة الى المدينة [illegible] ان سراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد والهجرة ترك الوطن [illegible] بكسر الهاء [illegible] وقد تضم (وقد جعلت قريش) جملة حالية [illegible] ما يعطى [illegible] تجعل ما (فيه) اي في شان رسول الله والاخبار [illegible] (الجعائل) جمع جعيلة وهي الجعل [illegible] الجيم [illegible] جعال ككتاب وجعل بزنة قفل ومعناه [illegible] كما قاله الماوردي في الاعلام ([illegible]) [illegible] اي اسلم سراقة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقال انذرته [illegible] ويكون الانذار بمعنى التخويف ايضا وكيفية [illegible] وقال له اي رأيت اسودة [illegible] هؤلاء ثم اخرج بعد [illegible] وكان [illegible] رحمه الله تعالى بقوله (وركب فرسه

واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه) اى غاصت فى الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة فى آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة اهل اللغة وفى القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشئ رسب والارض بهم سيوخا انتهى وثاخت فى تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره فى فصله وقد تحرف على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينافى هذا والذى ينافى ان يفسره غاصت وهو غلط فاحش منه وقوائم الفرس رجلاها ويداها (فخر عنها) اى سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليه لما لحقه كما مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتؤنث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق رضى الله تعالى عنه له قصيدة قص فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها * من مدلج قابس فى منصب وارى
يردى به مشرف الاقطار معتزم * كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى
فقال كروا فقلنا ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق البارى
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه * فانظر الى اربع فى الارض غوار
فهيل لما رأى ارساغ مهرته * قد سخن فى الارض لم تحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسى * وتأخذوا موثقى فى نصح اسرارى

(واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهى قداح اى سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعضها لا تفعل ويضعونها فى متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها زلما يتفاءلون به فيفعلون او يتركون وهو معنى الاستقسام اى طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل اى خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل اعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام اخر اى سهام كانت فى الكعبة مكتوب عليها النوازل وهى التى استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التى كانوا يقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفاءلون بها والصحيح الاول (فخرج له) اى لسراقة (مايكره) اى مالم يرده لانه اتى ليرده صلى الله تعالى عليه وسلم وابا بكر ويأخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم يتبعه (ثم ركب) فرسه ثانيا بعد ما سقط عنها وساخت قوائمها (ودنا) اى قرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سائر بغرو

(حتى اذا سمع قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت) له لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه (و) كان (ابو بكر يلتفت) وراءه لخوفه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او ليرى مايصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له في الغار لاتحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر (فقال) ابو بكر (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (اتينا) بالبناء للمجهول اى اتانا العدو وادركنا من طلبنا منهم (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتحزن) وتخف ممن اتانا (ان الله معنا) اى مصاحبا لنا بتأييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعداء فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن ابي بكر رضى الله تعالى عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهي النبي صلى تعالى عليه وسلم عنه لانه امر طبيعي ولاسيما اقوله له في الغار فان المحب ظنين وضنين بمحبوبه لاسيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ماتحتاج خرذيل البيان فانه تطويل بغير طائل (فساخت) قوائم فرس سراقة مرة (ثانية) بعد المرة الاولى (الى ركبتيها) تثنية ركبة هى مانبا من يديها ورجليها (وخر عنها) اى وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها (وزجرها) اى صاح عليها (فنهضت) اى قامت وخلصت قوائمها من الارض (ولقوائمها مثل الدخن) اى غبار مرتفع في الجو كأنه دخان كما ورد التصريح به في السير قال ابن سيدالناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثاثة هو الغبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفي رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار (فناداهم) اى نادى سراقة رسول الله وابا بكر الصديق وعامر بن فهيرة رفيقهما (بالامان) اى رفع صوته به قائلا لهم الامان كما يفعله الناس والمراد تأمينهم منه وانهم لايلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعداء او طلب منهم والمراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد التصريح بالامانين في سيرة ابن اسحق والى الثاني اشار بقوله (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) اى امر بكتابته له فالاسناد مجازى لقوله (كتبه) اى كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفي روايه ابن اسحق فكتب لي كتابا في عظم او رقعة او خرقة ثم القاه الي فاخذته ثم جعلته في كنانتي ثم رجعت (ابن فهيرة) مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضى الله تعالى عنه وهو من مولدى الازد مملوك للطفيل فاشتراه ابو بكر رضى الله تعالى عنه منه واعتقه واسلم وكان يرعى غنم لابي بكر رضى الله تعالى عنه ويجيء بهما كل ليلة في الغار باللبن ينفسيانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملائكة دفنته

وقيل رفعته الى السماء (وقيل) كتبه (ابو بكر رضى الله تعالى عنه) وجمع بينهما
بان ابن فهيرة كتبه اولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة ابى بكر رضى الله تعالى
عنه لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب تزيد على الاربعين
مذكورة فى المفصلات وافردهم ابن ابى الحديد بتأليف مستقل (واخبرهم) اى
اخبر سراقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابا بكر رضى الله تعالى عنه وابن فهيرة
(بالاخبار) اى باخبار قريش وماجرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم
الجعائل ان لمن اتى بهم او قتلهم ديتهم كما مر (وامره النبى صلى الله عليه وسلم) اى امر
سراقة (ان لايترك احدا) من قريش اى لايدع احدا ويمكنهم ان جاوزهم حتى (يلحق بهم)
اى يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لم ارهم ونحوه ولو كذبا اذ قد يجوز عند الضرورة
والحاجة وقد يجب وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه فقال يانبى الله مرنى بما شئت
قال تقعد مكانك لاتتركن احدا يلحق بنا قال فكان اول النهار جاهدا على رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له (فانصرف) اى رجع سراقة
عنهم حال كونه (يقول للناس) جملة حالية مضارعية لاتقترن بواو فى الفصيح اى قائلا
للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب طالبهم بقوله (كفيتم ماههنا)
معناه ارجعوا كفيتم الطلب فانى لم اجدهم وماموصولة ويحتمل ان تكون نافية اى ماههنا
احد وان كان المراد النبى ورفيقه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما تخافون من الخوف والى
كلا الوجهين ذهب الشراح وفى شرح الحديد حجة على ما اورده ابن سعد
رضى الله تعالى عنه انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم نظرى بالطريق وبالاثر
وقد استبرأت لكم فلم ار شيئا فرجعوا (وقيل بل قال لهم) اى للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وابى بكر رضى الله تعالى عنه ولم يذكر ابن فهيرة لانه تابع لهما
لاعبرة به فيهما (اراكما دعوتما على) فى ان كادت الارض تبلعنى (فادعوا لى) بالسلامة
فدعوا له (فنجا) اى ذهب امنا سالما (ووقع فى نفسه) اى خطر بباله ووقر فى قلبه
واعتقد بما شاهده (ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ظهوره على اعدائه
وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شأنه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحق
وقال ابو جهل لما بلغه ما فى سراقة فلامه فى تركهم وانشده

بنى مدلج انى اخاف سفيهكم * سراقة يستغوى بنصر محمد
عليكم به ان لايفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

فاجابه سراقة بقوله

ابا حكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا * نبى وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكف الناس عنه فاننى * ارى امره يوما ستبدو معالمه

كذا في سيرة مغلطاي رحمه الله تعالى (وفي خبر آخر) يتعلق بما لحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه (ان راعيا) من رعاة الغنم في البرية (عرف خبرهما) اي خبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بوقوفه على مكانهما في الغار (فخرج) الراعي من محله (يشتد) اي يسرع في مشيه قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما اسرع لاجل ان (يعلم قريشا) يخبرها ومكانهما (فلما ورد الى مكة) اي جاءها من محله الذي رعى فيه الغنم واصل الورود المجيء للماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه (ضرب) بالبناء للمجهول اي ضرب الله (على قلبه) اي منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى (وضربنا على آذانهم) وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض ليضرب اوتادها واصله ايقاع شيء على شيء كما قاله الراغب فايس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل (فمايدري) ويعرف (مايصنع) ويقول (وانسي) مجهول ايضا (ما خرج له) اي ماجاء له من مكانه الذي خرج منه (حتى رجع الى موضعه) الذي جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية (و) في دلائل ابي نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم (جاءه فيما ذكر ابن اسحق) في سيرته (وغيره ابوجهل) عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله تعالى وهو فاعل جاء وقوله (بصخرة) متعلق به اي حجر كبير (وهو) اي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد (ساجد وقريش ينظرون) له مايصنع وكان ذهب (ليطرحها) اي ليرمي الصخرة (عليه) وفي نسخة هنا وقدكان حلف ان رآه ساجدا ليدمغنه اي ليضربه بها ضربة تكسر رأسه وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة احد الشجاج التي ذكرها الفقهاء في الجنايات (فلزقت) الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولزق بلام وزاء معجمة لغة في لصق بالصاد بمعنى التصق (ويبست يداه الى عنقه) اي تشنجت بحيث لايمكنه تحريكها (واقبل) اي انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه (يرجع) اي راجعا (القهقرى) ومعناه (الى خلفه) موليا عن وجهه وفي العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع (ثم سأله) اي سأل ابوجهل لعنه الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعوله ففعل) اي دعاله صلى الله تعالى عليه وسلم لكرمه وحلمه (فانطلقت يداه) اي عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان) ابوجهل (تواعدمع قريش بذلك) اي بطرح الصخرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اذارآه يصلي (وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه) اي ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه وهي احد الشجاج يقال دمغه اذا اصاب دماغه فقتله وهذا مقدم في بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح الياء وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول (فسألوه) اي سأل قريش اباجهل (عن شانه) اي

امره ومامنعه عماقصده (فذكر) لهم (انه) اى الشان اوابوجهل (عرض لى) اى له كما فى نسخة ففيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال (دونه) ظرف اى حال بينى وبينه (فحل) اى جمل عظيم هائج وهو مخصوص بالبعير الذكر (مارأيت مثله) فى عظمته وشدته (قط) اى فى جميع الزمان الماضى وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة (هم بى) اى عزم على الحملة على والهجوم وقوله (ان يأكلنى) بدل اشتمال من ضمير المتكلم اى هم بأكلى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لما سمع مقالته لهم (ذاك جبريل) تمثل له بصورة فحل (لودنا) اى قرب ابوجهل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالصخرة التى اراد طرحها (لاخذه) واكله واهلكه اخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما فى دلائل البيهقى والسير ان اباجهل قال يامعشر قريش ان هذا الرجل قدابى الا ماترون من عيب ديننا وشتم ابائنا وآلهتنا وتسفيه احلامنا وانى اعاهد الله لاجلسن غدا عندالحجر بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فامنعونى وليصنع بعد ذلك بنوا عبد مناف مابدا لهم فقالوا والله لانسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا فى انديتهم ينتظرون ماهو فاعل فلما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فعل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وله وقائع مثل هذه حماه الله منها وعصمه (وذكر السمرقندى) امام الحنفية المشهور وقدتقدمت ترجمته (ان رجلا من بنى المغيرة) بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم جد ابى جهل وهذا الرجل قال البرهان لااعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه ابوجهل (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) اى غطاه وغشاه حتى لم يره لانه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه قوله (فلم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه) باسمه فعرف مكانهم واتاهم ثم رآهم بعد ذلك بشهادة حتى وتحتمل انه عمى وذهب بصره (وذكر) السمرقندى (ان فى هاتين القصتين) اى قصة ابى جهل وقصة هذا الرجل (نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الآيتين) يعنى (فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون قال) البغوى فى تفسير هذه الآية نزلت فى ابى جهل ورفيقه المخزومى حين حلف ان رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضخن رأسه وذكر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى غير قوله انه حال بينه وبينه فحل وقال المخزومى انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى فاعماه الله الى آخر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وفى تفسير القرطبى انها نزلت فى ابى جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر قصة ابى جهل وان صاحبه الذى هوالوليد بن المغيرة وانه الذى اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى ادوه فقال لئلات والله لاشدخن رأسه وانه رجع وقال بعد ما اخر

مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بيني وبينه فحل لودنوت منه اكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الآية فقيل انه معارض لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا ابو جهل واما كونه من بني المغيرة اومخزوميا فلامنافاة فيه لان كلا نسبه الى احد جديه كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة مع غيره اواقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وماحال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الآية تعزير لتصميم اهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لامنافاة بينه وبين ماقبله لصدق هذا على ماقبله ومن هذا علم مافي كلام البيضاوي من سؤال يجاب كما بيناه في حواشيه (ومن ذلك) اي حفظ الله وعصمته (ماذكره ابن اسحق) امام اهل السير في سيرته (وغيره) كالكلبي في تفسيره (في قصته) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذخرج الى بني قريظة) بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة (في اصحابه) اي في جماعة منهم ابوبكر وغيره (فجلس) مستندا (الى جدار بعض آطامهم) بالمد والطاء المهملة جمع اطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر (فانبعث) مطاوع بعثه فانبعث اي توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا اسرع واندفع (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة وهو من بني قريظة قتل كافرا (احدهم) اي بني قريظة (ليطرح) من فوق الجدار (عليه) صلى الله عليه وسلم (رحى) يقتله بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا ان تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لاتفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلوة والسلام بذلك (فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة) وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم (واعلمهم بقصتهم) اي اخبر بني قريظة في نقض عهدهم واصحابه بعد انصرافه اوقبله وقد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير وسيأتي ايضا في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بني النضير ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري لحلف بينهم وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ماجئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهو ابه كما مر وقال ابن الملقن انه روى ان بني النضير

لما تواصروا القوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى مافيه (وقد قيل ان قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم فى هذه القصة نزلت) وحمل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبى صلى الله عليه وسلم وحده لان مايصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت فى الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيفه اذ وجده صلى الله تعالى عليه وسلم وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة فى بنى قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع ووقع فى بعض التفاسير فتأمله فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه (وحكى السمرقندى انه) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة اليه (خرج) من المدينة (الى بنى النضير) بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر (يستعين) بهم (فى عقل الكلابيين) مثنى كلابى رجل منسوب لبنى كلاب وهى قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لايليق كما اشار اليه القائل

قدعقلنا والعقل اى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها بفناء اهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله تعالى عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه فى الدية لما سيأتى (اللذين قتلهما عمرو بن امية) وفى نسخة الكلابى بالافراد وقتل مفرد ايضا وعمرو بن امية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن امية ابن خويلد بن عبدالله بن اياس الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبعثه فى اموره وهو الذى ذهب للنجاشى بكتابه فاجابه واسلم وزوجه ام حبيبة اسلم بعد احد وشهد بئر معونة ومات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وهو الذى قتل الكلابى فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هى الموافقة لما فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدى احد نقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فالقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو الضمرى وحده اووصاحب له على اختلاف فى الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بينهم وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما وكان عمرو لايعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطأ فقدم قومهما على النبى صلى الله تعالى

(عليه)

عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبنى النضير هو وابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم يستعينهم في العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة في الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتي لك بما سألت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك بقوله (فقال له) اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه (حيي) بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة (ابن اخطب) بزنة افعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة ويجوز في حاء حيي الكسر وهو من يهود بني النضير ومن رؤسائهم واله صفية ام المؤمنين (اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ماسألتنا) من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم في الاصل المأكول فتجوزبه عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له اي عطية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابي بكر وعمر) وزاد ابو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحق في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي ولا منافاة بين الروايات (وتوامر) بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر اي نظر كل امر الآخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وآمره وقيل الواو لغة العامة (حيي معهم) اي مع بني النضير اي تشاوروا واتفقوا (على قتله) صلى الله تعالى عليه وسلم بالقاء الحجر عليه (فاعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) الذي ارادوه قبل وقوعه (فقام) من تحت الجدار بسرعة (كانه يريد حاجة) اي اراهم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها كثيرا (حتى دخل المدينة) ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لؤى * حريق بالبويرة مستطير * فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا مالهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله تعالى عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما رايتهم القوه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذه جبريل عليه الصلوة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول (وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة) كما رواه مسلم والنسائي اي رووه بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن

ابى هريرة وهذا احسن مما فى بعض النسخ وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير اى وذكره اهل الحديث وعلى هذا فقوله عن ابى هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو (ان اباجهل وعد قريشا لئن رأى محمدا) جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ماوعدهم به وقوله (يصلى) جملة حالية (ليطأن رقبته) اى يدوس على عنقه الشريف برجله حاشاه الله (فلما صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمسجد الحرام (اعلموه) اى اعلمه قريش به (فاقبل) متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن اعزه الله (فلما قرب منه ولى) ورجع عن مقصده حال كونه (ناكصا على عقبيه) اى متأخرا راجعا للخلف والعقب مؤخر القدم (متقيا بيديه) اى مادا يديه كمن يدفع امرا يتقيه وفى بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه فهى حال متداخلة اومترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير اوعن شر يخاف عاقبته كما هنا الا انه قيل ان الثانى نادر وذهب الجوهرى وصاحب النهاية الا انه يختص بالاول وفى القاموس نكص عن الامر نكا كا عنه واحجم وعلى عقبه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه اوهو فى الشر نادر انتهى وفى نفوذ السهم (٢) فيما فى الجوهرى من الوهم كون النكوص مخصوصا بماذكر غير ثابت فى اللغة وقوله ﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه﴾ لادليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر ليس رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقدمر الكلام عليه ايضا فى اعجاز القرآن فتأمله (فسئل) اى سأل قريش اباجهل (عن ذلك) اى عن رجوعه كذلك وماسببه (فقال) مجيبا لهم (لما دنوت منه اشرفت) اى اطلعت قريبا منى (على خندق) حفير (مملوء نارا كدت اهوى) اى اقع واسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) اى امرا مخوفا عظيما لازمه ماذكر ومن غيره كالفحل الذى اراد اهلاكه (وخفق اجنحة) اى اجنحة ضرب بعضها بعضا لها اصوات هائلة (قدملأت الارض) مدى كل شئ وهى اجنحة الملائكة التى ارسلت لحمايته ونصره صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (فقال عليه الصلوة والسلام تلك الملائكة لودنا) اى قرب منه لايقاع مقصده (لاختطفته الملائكة) (عضوا عضوا) اى مزقته وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتأويل ممزقا متفرقا كبوبته بابا بابا كما فصله النحاة (ثم انزل الله) وحيه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى شأن ذلك فيه (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة) يعنى (ان الى ربك الرجعى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخره) وقدمر ماذكر قوله (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة الى قوله كلا لاتطعه واسجد واقترب) والمراد بالانسان ابوجهل ونحوه محمد حديث قبل هذه القصة فى صحيح مسلم فالذى

(يأتى)

(٢) نفوذ السهم اسم كتاب للصفدى مصححه

ينبغي نقلها منه دون التفاسير وهو امر سهل لاينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الاية في التفاسير فلاحاجة لذكره (وروى) الراوي له ابو نعيم في الدلائل (ان شيبة ابن عثمان الحجبي) بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصاري اولانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد اولاده الى الان اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين واخرج له البخاري واحمد في مسنده وابو داود وترجمته معروفة وما في بعض النسخ الجمحي بميم غلط من الناسخ (ادركه) صلى الله تعالى عليه وسلم اي لحق به ووصل اليه (يوم حنين) في غزوتها وهو واد قريب من الطائف معروف (وكان) قبل ذلك (حمزة) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيد الشهداء (قد قتل اباه) عثمان بن ابي طلحة (وعمه) طلحة بن ابي طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللواء اخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المروي في السيران الذي قتل طلحة علي بن ابي طالب فلما اخذ اللواء اخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبي في تجريده ان الذي قتل اباشيبة علي ايضا وهو مخالف لما قاله المصنف رحمه الله تعالى كما قاله البرهان الحلبي وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بدا سحره اي رئته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المصنف رحمه الله تعالى وكلام غيره (فقال) اي شيبة لما ادركه (اليوم) المراد الوقت الحاضر (ادرك ثاري) بمثلثة وراء مهملة بينهما الف وبهمز وهي الاصل وهو طلب الدم واخذ حق من قتله (من محمد) لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه (فلما اختلط الناس) في القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم (اتاه من خلفه) بحيث لا يراه (ورفع سيفه) بيده (ليصبه عليه) اي ليضربه برقبته وياخذ ثاره ويشفي غليله ممن كان سببا لقتل ابيه وعمه واصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالالة كالسيف قال الله تعالى ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ ووجهه ان السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده (قال) شيبة (فلما دنوت منه) اي قصدت ذلك (ارتفع الي) اي علا وصعد لي من جانبه (شواظ) اي لهب (من نار) والشواظ اللهب خالصا واللهب لادخان له ولايخالطه غيره او خالصه شيء آخر وقيل هو

الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان مؤكد لان اللهب لايكون الامن النار (اسرع) في ارتفاعه (من البرق فوليت هاربا) خوفا من ان يحرقني (واحس بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي علم رجوعي عنه (فدعاني) لجئته (فوضع يده على صدري وهوا بغض الخلق الي) لانه اسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه (فارفعها) اي يده عن صدري (الا وهو احب الخلق الي) فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد واثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم احبه (وقال لي ادن) من العدو اومني (وقاتل) في سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله تعالى عليه وسلم له (فتقدمت امامه بين يديه (اضرب بسيفي) كل من لقيته من الكفار (واقيه بنفسي) اي اجعلها وقاية له صلى الله تعالى عليه وسلم مانعة عنه (ولو لقيت تلك الساعة) التي قاتلت فيها (ابي لاوقعت به) سيفي وقتلته وفي بعض النسخ (دونه) وانما خص المبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى اعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل ابيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة وكان صالحا ذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار لحنين ليقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزدد في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله مابقلبه حتى صار احب اليه من نفسه واهله وابيه فلما رجع ودخل خباءه فدخلت عليه كغيري حبا لرؤية وجهه فقال لي ياشيب الذي اراد الله بك خير مما اردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره فقلت اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك (وعن فضالة ابن عمرو) عن ابن اسحق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام وابوه عمرو ويقال عمير بالتصغير ابن الملوح الليثي والتصغير اصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس (قال اردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح) اي فتح مكة (وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة) الهمزة للنداء وفي نسخة فضالة بدون همزة وحرف النداء مقدر فيه قيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدأ محذوف تقديره انت فضاله فقال نعم تصديقا له والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما يختلج في صدره اواجابة لندائه اواعلام له بانه فضاله كما قيل تكلف لايخفى (قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك) حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب (قلت

لاشئ) اى لم يخطر بقلبي شئ مما ظننته (فضحك فاستغفر لى) اى دعالى بان يغفر الله لى ماخطر بقلبى (ووضع يده على صدرى) لذهب الله مافيه من الضلال وماعزم عليه من الاوهام (فسكن قلبى) اى اطمأن وذهب مافيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة (فوالله مارفعها) اى رفع يده عن صدره (حتى ماخلق الله شيئا احب الى منه) وحديثه كما فى سيرة ابن اسحق وابن سيد الناس انه اراد قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف عام الفتح وذكر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى ثم قال فرجعت الى اهلى ومررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت اقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والاسلام
او مارأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
ورأيت دين الله اضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثى هذا هو ابن وهب بن بجرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهرانى فانه تابعى غيره ومن ظنه هذا فقد اخطأ (ومن مشهور ذلك) اى عصمة الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مارواه ابن اسحق والبيهقى بلاسند وابو نعيم فى الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) العامرى وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بنى عامر فى الجاهلية مات كافرا بالاتفاق (واربد بن قيس) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو اخو لبيد بن ربيعة الصحابى لامه وكان شاعرا منافقا ومات على الكفر ايضا (حين وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ودخل الناس فى الاسلام افواجا قدمت عليه وفود الناس افواجا فوفد عليه اربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وغيرهما (وكان عامر قال له) اى لاربد (انا اشغل عنك وجه محمد) اى الهيه حتى نبطش به (فاضربه انت) خصه بسره لما بينهما من الصداقة فامتثل امره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما امره به (فلم يره) اى لم ير عامر اربد (فعل شيئا) مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويلهيه (فلما كلمه) اى كلم عامر اربد (فى ذلك) اى فى الامر الذى اتفقا عليه بان قال له مالك لم تفعل مااتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذر اليه (قال له والله ماهممت ان اضربه) اى اضرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف (الا وجدتك بينى وبينه) اى ارى جسدك حائلا بينى وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لو ضربت ضربت صاحبه (افاضربك) انكار له اى كيف اضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا فى قومه فقالوا له ياعامر ان العرب افواجا للاسلام ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال انى آليت لا انتهى

حتى تابع العرب عقبي افاتبع فتى من قريش ثم قدم هو واربد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ماقصه المصنف رحمه الله تعالى فخرجوا راجعين لبلادهم وفي الدلائل انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خالني يامحمد فقال لاحتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجلا تواعدا منه بان يغزو المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع اصابه طاعون في عنقه فمات في بيت امرأة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية يعني اخس موتة في اخس قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع اصحابه لقومهم فقالوا لاربد ماوراك يااربد فقال لاشئ لقد دعانا لعبادة شئ ولقد وددت انه عندى الآن فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة احرقتهما فهلك كافرا كما مر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عامرا قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المسجد مع اصحابه وكان من اجمل الناس الا انه كان اعور فجعل الناس ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان يرد الله تعالى به خيرا يهده فقام وقال يامحمد مالى ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ماعليهم فقال اتجعل لى الامر من بعدك قال ذلك ليس الى انما هو لله يجعله حيث شيئا قال اتجعلنى على الوبر وانت على المدر اى حكم البادية وحكم المدن قال لاقال فما تجعل لى قال اجعل لك اعنة الخيل الغازية في سبيل الله قال او ليس لى اعنة الخيل اليوم فقم معى اكلمك فقام صلى الله تعالى عليه وسلم معه وكان عامر وصى اربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروى ان الغدة كانت في ركبته ورويت القصة على وجوه اخر هذه محصلها كما في السير وكتب التفسير غير ان البغوى والقرطبي في التفسير ذكرا ان اربد دار خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضى انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان اربد ابن ربيعة والمصنف رحمه الله تعالى قال انه ابن قيس ولامنافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي اربد نزل قوله تعالى ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما مر وفي التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية روى عنه ابو امامة كما ذكره المستغفرى ونقله البرهان الحلبي وفيه نظر (ومن عصمته) اى حفظه الله تعالى له (ان كثيرا من اليهود والكهنة) جمع كاهن وهو الذى يخبر عن المغيبات ومايقع في المستقبل بما يتلقاه او يعرفه بفراسته ويسمى الثاني عرافا (انذروا به) اى اخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه (وعينوه لقريش) اى بينوا ذاته الشريفة لهم (واخبروهم بسطوته بهم) اى انه

﴿ يغزوهم ﴾

يغزوهم ويقاتلهم (وحضوهم على قتله) اى حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا امنه (فعصمه الله عز وجل) بان حفظه ومنعه من كيدهم مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان بين اظهرهم بمفرده (حتى بلغ) الله تعالى بلطفه وحفظه له (فيه امره) بان نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله تعالى بالغ امره وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى اقصى الامد والمنتهى مكانا او زمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى (ومن ذلك) اى عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم وصيانته ما رواه الشيخان وهو (نصره بالرعب) اى بالقاء الخوف منه فى قلوب اعدائه ومن لم يتبعه (مسيرة شهر) اى فى مكان بعيد عنه اقل ما يقطع مسافته فى شهر اى فى ثلاثين يوما (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى انه ثابت بهذا اللفظ فى الحديث الصحيح كما تقدم وهو فى الصحيحين وفى مسند احمد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدائه اكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله تعالى قال ان ذلك لامته من بعده ايضا ويؤيده ان فى مسند احمد الرعب يسعى بين يدى امتى شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر ﴿ فصل ﴾ مما اكرمه الله تعالى به صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن معجزاته) اى اموره الخارقة للعادة التى عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتاء المعجزة للمبالغة كهاء علامه اولتأنيث لان المراد الآية والعلامة او الخصلة المعجزة (الباهرة) اى البالغة او الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ اواستعارة مصرحة (ما جمعه الله له من العلوم والمعارف) جمع معرفة لامعروف كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثانى بالامور الجزئية اوبما سبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانيه ويجوز ان تكون تبعيضية والاول اظهر (وخصه به) اى جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص امته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التأليف والتصنيف الذى لم يكن لامة من الامم مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفى الجمع الاصل كلام مفصل فى حواشى المطول لاحاجة لنا به هنا (من الاطلاع) اى الوقوف والعلم وهو بيان لما (على جميع مصالح الدنيا والدين) متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به امر المعاش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم فى الدارين ولا ينافى هذا اى اطلاعه على مصالحهما قصة بدر فى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم الفداء وكان الاولى به ما رآه عمر رضى الله تعالى عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تأبير النخل فلم يثمر فى ذلك العام فقال انتم اعلم بامور دنياكم مى اما الاول فانه كان له حالات واطوار منها

مايغلب عليه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصر نظره على تفويض الامر لله والتوجه للعام بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضي الله تعالى عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وماقيل من انه صلى الله عليه وسلم نحى امره فى ذلك على الظن دون الجزم والانبياء قد يظنون فى امور الدنيا المجردة عن الآخرة ماالامر على خلافه ليس بشيء وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله تعالى وعليه وسلم بالمشاهدة وتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقي الامر كما كان فقد يقال انه كما وجدني والحكم بالدليل اقوى عنه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسي اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوائد فى ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولم يصبروا ولوصبروا كان خيرا لهم بان يمتثلوا ويصبروا سنين فاكثر فلو فعلوه كفوا ذلك لانه اعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو فى غاية الحسن لمن تأمله وسيأتي تتمته ان شاء الله تعالى (ومعرفته) صلى الله عليه وسلم (بامور شرائعه) التى شرعها الله تعالى له ولعباده على لسانه جمع شريعة وهى فى الاصل طريق مسلوكة ومورده مايباح نقلت لوضع الهى موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة (وقوانين دينه) جمع قانون وهى لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها احكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر فى محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين فقد خص عما يخص به بشر قبله فيكون الثاني غير الاول فاموقع قوله ومعرفته الى آخره لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه (وسياسة عباده) اى القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربي من ساسه يسوسه اذا دبر امره ومن قال انه معرب من سه يسا اى ثلاثة قوانين فقد اخطأ ولها معنى آخر عند الفقهاء وربما تجعل مقابله للشرع ولا يصح ذلك هنا وفى القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا امرتها ونهيتها (ومصالح امته) المراد امة الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن امورهم وقضاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم (و) معرفة (ماكان فى الامم قبله) مما وقع لهم وجرى بينهم (من الاختلاف) اى مخالفة بعضهم لبعض وماجرى لهم من النعم والنقم التى لا يعلمها الا القليل من اهل الكتاب وعلمائهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم امي نشأ فى امة امية ولم يرحل للبلاد النائية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه احسن بيان وقرره احسن تقرير (وقصص

الانبياء والرسل) من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة او بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه (والجبابرة) جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار فى صفة الانسان الذى يجبر نقصه بادعاء منزلة من التعالى لايستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله تعالى (وخاب كل جبار عنيد) ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى (وما انت عليهم بجبار) انتهى وقد تقدم ما فيه الكفاية (والقرون الماضية) قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه واصله الزمان ثم اطلق على اهله قيل يجوز ان يراد الامم التى هلكت ولم يبق منها احد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه (من لدن آدم الى زمنه) لدن ظرف زمان مبنى ومعرب فى لغة قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة اى احاط علمه بذلك واخبر به امته (وحفظ شرائعهم وكتبهم) ولم يقرأ ولم يكتب (ووعى سيرهم) الوعى الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهى حالة الانسان غريزية اومكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال الله تعالى (سنعيدها سيرتها الاولى) اى الى حالتها الاولى اى حفظه وجمعه فى ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه (وسرد انبائهم) اى سوق اخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها (وايام الله فيهم) اى وقائعهم التى قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقائع والحروب كايام العرب وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولاوجه له (وصفات اعيانهم) اى كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع فى الاسراء من ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وصفات ذواتهم (واختلاف آرائهم) جمع رأى اى عقائدهم ونحوها (والمعرفة بمددهم) جمع مدة وهى مقدار من الزمن اى كم كانت مدة كل امة ومدة ملكهم وملوكهم وانبيائهم (واعمارهم) جمع عمر بضم العين وفتحها وهى مدة الحيوة (وحكم) جمع حكمة وهو قول الصواب المتضمن للنصيحة اى موعظة (حكمائهم) جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة فى عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم (ومحاجة كل امة من الكفرة) اى ذكر حجته وبرهانه وما حاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ماقدمناه (ومعارضته) اى مخالفته ورده (كل فرقة) وطائفة (من الكتابيين) اى اهل الكتاب والمراد به التورية والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابى بياء النسبة (بما فى كتبهم) متعلق بمعارضة وجمعها لاشتمالها على ما فى غيرها ولان الجمع باعتبار المعنى كثير (واعلامهم باسرارها) اى دقائق معناها التى لم يطلعوا عليها (ومخبآت علومها واخبارهم) بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها اى ما خفى عليهم منها (بما كتموه) اى اخفوه كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة رجم الزانى

المشهورة (من ذلك) الاعلام ومامعه (وغيروه) بتحريف لفظه وتأويله بغير معناه (الى الاحتواء) اى الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجمع السابق اول الفصل لتضمنه معنى ضم اوالى بمعنى مع (على لغات العرب) جميعها من غير قومه (وغريب الفاظ فرقها) جمع فرقة وهى الطائفة المتفرقة (والاحاطة بضروب فصاحتها (٢)) تركيبا وافرادا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم (وامثالها) جمع مثل وهوكلام شبه مضربه بمورده (وحكمها) اى جوامع كلمها فى النصائح فان العرب معروفة بذلك وحكماء العرب وحكمهم مشهورة (ومعانى اشعارها) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها (والتخصيص) اى تخصيص الله اياه بنطقه (بجوامع كلام العرب) اى الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة وقد يراد به القرآن وليس بمراد ومفرده جامعة (الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة) الامثال المتقدمة امثال صادرة ممن قبله وهذه امثال ابتدعها صلى الله تعالى وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتى تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر اوبدل مما قبله اومتعلق به بعد تقييده والى فيها بمعنى اللام لان العامل الواحد لايتعدى بحرفين بمعنى واحد فاذكر الاعلى هذه الوجوه كما قرروه فى قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا) وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا طبعه وصاغه وانها صادرة كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتقرير المعانى فى النفوس وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه فى الكشاف (والحكم البينة) اى الظاهرة فى نفسها المظهرة لامور بديعة ومعان لطيفة (لتقريب التفهيم للغامض) اى المعنى الخفى الدقيق وهو فى الاصل المكان المنخفض فاستعير للمذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثانى بالفهيم وقوله (والتبيين للمشكل) اى اظهار ماالتبس وان كان غيرغامض واصل معنى الاشكال كونه غيرمتميز عن اشكاله واشباهه وهومتعلق وراجع للحكم البينة (الى تمهيد) اى بسطه وتوطئته له وبيان مقدمات (قواعد الشرع) اى اساسه وقضاياه واصوله الكلية المحمدى الذى جاءه بوحى من الله (الذى لاتناقض فيه) اى لاتخالف بين قضاياه واحكامه لاحكامه ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولاتخاذل) بخاء وذال معجمتين ولام فاعل من الخذلان وهوترك نصرة من يستحق نصرته وهواستعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه متناسبة متعاضدة كما ان القرآن يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع متفقة على انه لايخذل اخاه اذا ظلم لاقتضاء قواعد الشرع استواء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل فى جريان احكامه عليه من غير فرق بين صغير

(٢) والحفظ لايامها نسخه

وكبير لم يأت بشئ يعتد به (مع اشتمال شريعته) وتضمنها واحتوائها (على محاسن الاخلاق) اى على بيانها للناس وحث الناس على التحلى بها وقد ورد فى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغير ولذا ورد فى الشرع النهى عن الاخلاق الردية والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد (ومحامد الآداب) جمع محمدة وهو مايحمد فعله والآداب بالمد جمع ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تأديبى وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الآداب المحمودة وفسر الادب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل (وكل شئ مستحسن) عند ارباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق (مفضل) بزنة اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة كما قاله اومفضل على غيره اوفصله للناس تفصيلا (لم ينكر منه ملحد) اى عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل فخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ولايبطله انتهى (ذو عقل سليم) مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه عن العدول عن الحق (شيئا) مفعول ينكر (الا من جهة الخذلان) تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمرادبه عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله تعالى بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام يعنى لاينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله ثم ترقى عما ذكره فاضرب اضرابا انتقاليا اوابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال (بل كل جاحد) اى منكر (له) اى لما ذكر مما قدمه (وكافر) بما جاء به (من الجاهلية) اى اهلها (به اذا سمع مايدعو) صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق (اليه) من الحق المبين (صوبه) اى اعتقد انه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تأباها العقول السليمة والطباع المستقيمة (واستحسنه) اى عرف حسنه واعترف به (دون طلب اقامة برهان) وحجة (عليه) اى على ما اتى به لظهور حقيقته كنازع على علم كعبدالله بن ابى سلول وغيره مما ذكر فى كتب الحديث والسير (ثم ما احل لهم من الطيبات) اى اشتمال شريعته على ماجعله حلالا للناس مما حرمه غيره كبنى اسرائيل الذين حرموا كل ذى ظفر من البقر والغنم لحومهما الا ماحملت ظهورهما اوالحوايا (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعى الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة فى ذلك بالطباع السليمة (و) اشتمال شريعته على ما (صان به انفسهم)

من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو فى لعرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو المراد واختلف فى معناه الحقيقى انه فقيل هو ما يمدح به المرء او يذم سواء وصف به دون اسلافه ام لا وفى الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفى حديث اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم ففسر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعى يقال هو طيب العرض اى الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير (واموالهم) فمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله (من المعاقبات) بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس (والحدود) كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر (عاجلا) اى فى الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود (والتخويف بالنار آجلا) فى الآخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفى بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار اى نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب فى الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة ام لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد فى الحديث من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ادرى الحدود كفارة لاهلها ام لا فقيل الاول اصح وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ وقوله (مما لا يعلم) بالبناء للمجهول اى لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من اول الفصل الى هنا (ولا تقوم به حملة) اى يحفظه ويتقنه كما هو حقه وبه فسر القيوم بل (ولا ببعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) اى لازم دراسة الكتب واجتهد فيها (والعكوف على الكتب) السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشئ وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف الشرعى وهذا تأييد لانه منحة الهية خصه الله تعالى بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه فاعرفه فانه فى غاية الظهور (ومثاقفة بعض هذا) الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما فى القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما فى بعض النسخ من انه بالفاء مفاعلة من النفث وهو تفل الريق من الساحر والراقى ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع فى الدقة وكانه المراد اى والدقيق فى بعض هذه الامور وقوله مما لا يعلم الى هنا ساقط من اكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح (الى الاحتواء) اى مع اشتمالها او مضموما الى الاشتمال (على ضروب العلم) اى انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها وتكون بمعنى المثل ايضا (وفنون المعارف) اى اقسام

المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها مايتعلق بالشرائع والآخرة فهو من عطف المتغايرين لا من غيره على انه تفنن والفرق بين العلم والمعرفة مشهور (كالطب) اى معرفة مايتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الناس به كما فى طب النبوى وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان فى اللغة وهو مثلث الطاء مشدد الباء (والعبارة) بكسر العين المهملة اى تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف الباء والناس يشددونها وقدانكره بعض اهل اللغة الا انه سمع فى بيت انشده المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل وهو قوله

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

كما فى الكشاف ووقع فى بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم اقف عليه (والفرائض) جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرائض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم الفقه افرد بالتأليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرائضى (والحساب) هو علم يتعلق بالعدد ولا بتناء الفرائض عليه فى الاكثر قرنه به (والنسب) اى معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرذلك من العلم) وانواعه (مما اتخذ اهل هذه المعارف) لوقال اهله كان اظهر واشمل واخصر (كلامه صلى الله عليه وسلم فيها) اى فى هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير للشريعة اى فى شريعته وهو خلاف الظاهر (قدوة واصولا) اى ادلة مثبتة لها اوقواعد وضوابط يرجعون اليها فى الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم (فى علمهم) اى علومهم التى دونوها فى هذه الفنون (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن ماجة عن انس رضى الله تعالى عنه (الرؤيا) اى مايرى فى المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال فى غيره رؤية بالتاء ورأيا (لاول عابر) متعلق بمقدر اى مصادفة وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها واول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكنوها والرؤيا لاول عابر اى فسروها بمايناسب الفاظها كما اذا قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما فى النهاية وهى عند اهل السنة امر يلقيه الله تعالى فى قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح فى النوم تفارق البدن وتتصل بالملأ الاعلى فيلقى اليها مايفيضه على ذهن النائم فمنه مايقع بعينه ومنه مايأول بغيره ومنها اضغاث احلام ودعابة الشيطان لاتأويل له ومن هذا القبيل ماهو من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيئا اسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه

كلام الاطباء وانكار هذا القسم لاوجهله ايضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها واقسامها مبسوط فى محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام اهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا رأى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال ماقال لك قال قال اراه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضى الامر (و) قوله و(هى على رجل طائر) رواه ابو داود والترمذى عن ابى ذر رضى الله عنه وصححه يؤيده بل يعينه واول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت فلايحدث بها الا حبيبا اولبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير اوشر قدر لصاحبها فكأنها بصدد وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها مالايخفى فان الطائر يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع فى بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر اذاقص وقع ولا ادرى هل هى رواية بالمعنى تطرقا اورواية وفيه تورية فى القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا اى ذكرها للعابر فوقع يحتمل لمعنيين ايضا من الوقوع والسقوط وقد نظمه بعض المتأخرين فقال * رؤيا اذا قصصتها * وافت كبدر قد طلع * على جناح الطائر * فهو اذاقص وقع * وهذا الحديث روى من طرق اختلف العدد فيها فروى سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزأ والاخير من رواية البخارى وجعلها جزأ من النبوة لان رؤياهم وحى صادق فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اوحى اليه احدى وعشرين سنة ستة منها منام والباقى وحى يقظة على انواع بينوها وجاءت امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت رأيت ان جذع السقف من بيتى وقع وعندى ولدا عور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم رأتها بعد ذلك فقصتها على ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال بموت زوجك وتلدين فاجرا لانها فى زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت فسقوطه مجيئه قال * فاسقط علينا كسقوط الندا * بالليل لاناه ولاآمر واول العور بالبراغض بصره عن المحرمات وفى وقت كلامها لابى بكر رضى الله تعالى عنه كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشأم به فالمنام واحد اختلف تأويله بحسب الحال وامثاله كثيرة (وقوله) صلى الله عليه وسلم (الرؤيا ثلاث) انواع (رؤيا حق) بالاضافة والتوصيف والظاهر الثانى وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية اى رؤيا هى حق فالمعنى واحد (ورؤيا يحدث بها المرء نفسه) المراد انها خواطر تخطر بالبال لامور مفاضة من عالم المثال والملك بشبه من يحاور غيره فى خلوة لما يورده عليها من الامانى والاوهام وهو فى معنى

التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعني انه رأى في منامه ماكان في فكره قبله وهو من اضغاث الاحلام (ورؤيا تحزين من الشيطان) بان يلقي له مايكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله تعالى من شره ويتفل عن يساره او يصلي ركعتين ان اتبه ولايحدث به احدا قال السيوطي رحمه الله في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان رأى احدكم مايكره فليقم فليصل ولايحدث بها الناس قال واحب القيد واكره الغل والقيد ثبات في الدين فلاادري اهو في الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا في ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الى آخره فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطي اعتمده وكذا المصنف رحمه الله تعالى فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان وخامسا وهو مايهم به المرء في يقظه وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو مايعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشيء لانه راجع لما ذكر اوما في معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقه مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت (وقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة مسندا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتتفتح الازهار ويرق النسيم فتعتدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال اهل التعبير اصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا قربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة لما في الحديث في ايامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم او لغير ذلك وذهب كل لترجيح احد الوجهين لورود مايؤيده وقوله لم تكد الى آخره نفي للكذب بابلغ وجه برهاني لان مالايقرب من الوقوع ابلغ مما لايقع فليس نفيها اثباتا ولااثباتها نفيا كما توهم والقربة واجيب عنه

كما فصله النحاة وشهرته تغنى عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه اقوى وعقله اتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحى عوضوا المبشرات (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الدارقطنى وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له (اصل كل داء) اى مرض وتغير مزاج (البردة) بموحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهى والتخمة الاكثار من الطعام حتى لا تقدر المعدة على هضمه سميت بها لبرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية اخلاطه والمراد بكونه اصلا للدائه انه منشؤه ومبدؤه فى الغالب

فان الداء اكثر ماتراه * يكون من الطعام او الشراب

(وماروى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى له الطبرانى فى الاوسط كما يأتى بيانه والمصنف لم يثبته (فى حديث ابى هريرة من قوله) صلى الله عليه وسلم (المعدة) بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر (حوض البدن) تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقى منه وقيل شبهها بعروق الشجر والبدن بفروعها وهو مكدر لما فى الحوض من الصفاء والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله (والعروق اليها واردة) جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان للماء مفرد اوجمع وارد فشبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق تنقسم الى شريانات واردة كما ذكره اهل التشريح (فان كان هذا حديثا) خبر كان وقوله (لا اصححه) اى لا احكم بصحته خبرما الموصولة قبل وروى حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب اولى (لضعفه وكونه موضوعا) بالجر ترق من ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدأ خبره (تكلم عليه) الامام ابو الحسن (الدارقطنى) نسبة لدار القطن محلة ببغداد ولا يرد على المصنف رحمه الله تعالى انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك فى ذكره مع بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبرانى فى الاوسط عن الزهرى عن ابى هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهرى الا زيد بن ابى انيسة تفرد به الرهاوى وقوله تكلم الى آخره اى بحث فى سنده وكونه مرفوعا وقال فى كتاب العلل اختلف فيه عن الزهرى فرواه ابو قرة الراوى عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن ابى هريرة وكلا الروايتين عن ابى هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن ابجر وقيل انه من كلام الحارث بن كلدة وعن ابن منبه مايقرب منه وذكر ابن ابى الدنيا انه اجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية والحكماء على ان رأس الحكمة الصمت وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت الازمة داء والمعدة دواء وعودوا كل بدن ما اعتاده (وقوله) صلى الله تعالى

(عليه)

عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (خير ماتداويتم به السعوط) بفتح السين وضم العين وواو وطاء مهملات وكذا كل مايداوى به فانه على فعول بالفتح وهو مايجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات (واللدود) بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو مايجعل في احد شقي الفم ويتغرغر به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالبا وهما في الاصل اسمان لمرضين في الرأس واعلى الحلق ويسمى الثاني نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وامرهم بما ذكر وهو العود الهندي يحك في الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو مأخوذ من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه مرض خفي لايعرفه اكثر الاطباء قديما فضلا عن زماننا وفي الهدي النبوي لابن القيم من هذا النوع مافيه شفاء للصدور (والحجامة) وهي مص الدم بآلة معروفة في الرأس وبين الكتفين وهي في مؤخر الدماغ تورث النسيان وهي دواء للشقيقة في الرأس مع انه مرض مزمن وورد فيها احاديث منها انه صلى الله تعالى عليه وسلم مامر ليلة الاسراء بملأ من الملائكة الاقالوا له مر امتك بالحجامة (والمشي) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا سمي به لان صاحبه يكثر المشي للخلاء وفي الحديث لوكان شيء فيه شفاء من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه (وخير الحجامه) اي انفعها بعد نصف الشهر (يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) في الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وابوداود عن ابي هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر اوذكر لحذف المميز ونهي عن الحجامة في يوم الاربعاء والسبت والاحد وروى عن ابن حنبل انه كره الحجامة في هذه الايام وانما كانت الحجامة في النصف الاخير والربع الثالث من الشهر انفع لان الاخلاط تهيج في اوله وتسكن بعده لهبوط القمر فالاستفراغ فيه اقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي ان يكون في الساعة الثانية اوالثالثة ولايكون عقب حمام ولاجوع ولاشبع ولافي الصوم (وفي العود الهندي سبعة اشفية ٢) والمراد بالعود الهندي العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع امراض الكبد والربع والسبعة علمت بالوحي وماعداها بالتجربة (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه (ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) شبه البطن بالوعاء الذي فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشرية في البطن محققة لانه يضر ويورث

(٢) منها ذات الجنب نسخه

الكسل المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقديرية (فان كان لابد) اى ان لزم واصل معنى البد المفارقة يقال لابد من كذا ولامحالة اى لامفارقة ولاتحول فاريد به لازمه (فثلث) من البطن (للطعام وثلث للشراب وثلث) يكون خاليا (للنفس) اى لدخوله وخروجه وهذا ايماء الى انه لاينبغى ملؤه بتمامه وان يكون مافيه اقل من ملء ثلثيه وهذا بعض حديث رواه ابن ماجة والترمذى وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث الى آخره وجعله من طبه لانه بين مبدأ الصحة والمرض ومقدار مايكفى البدن ويحاتوهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض اهل الكتاب ليس فى كتابكم الطب فقال له بعضهم قوله تعالى (كلوا واشربوا ولاتسرفوا) فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر مايتعلق بعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب ولم يراع فى اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال (وقوله) عليه السلام فى حديث رواه الترمذى عن فروة واحمد عن ابن عباس مسندا (وقد سئل عن سبأ) بهمزة فى آخره يجوز ابدالها الفا وعلى همزه يصرف ولايصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفى مسماه (اهو رجل ام امرأة ام) هو اسم (ارض) كان يسكنها وينزل بها (فقال) هو اسم (رجل) سمى باسمه ارض وهى مدينة بلقيس باليمن فلاخلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه اريد به قبيلته فان اريد به الارض فباعتبار البقعة (ولد عشرة) من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة (تيامن منهم ستة) اى سكن اليمن فتوالدمنا كثرهم ونسبوا اليه وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علماء النسب واهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة (وتشأم اربعة) اى سكنوا الشأم بالهمزة وقد عدو تبدل الفا وهو من الفرات الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدى فى تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون وافخاذ ليس هذا محل تفصيلها (الحديث بطوله) بالنصب اى اذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر على بعض منه يكفى فيما اراده وترك الباقى اطوله والغنى عنه واختلف فى وجه تسمية الشأم شاما فقيل لانها فى جانب اليسار ويقال له شامى كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشأمة لشامات حمر وسود فيها (وكذلك) اى مثل ماتقدم من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب (جوابه) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة (فى نسب قضاعة) فى حديث رواه احمد وابو يعلى والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حى

من اليمن لقب به لانفصاله عن النــاس لان القضاعة ماينفصل عن اصل الحائط وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من اسماء الفهد اوكلب الماء (وغير ذلك) المذكــور (مما اضطرت) بالبنــاء للمفعول وهو لغة القرآن الفصحى او الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال الله تعالى * امن يجيب المضطر اذا دعاه (العرب على) اى مع (شغلها) بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والاول هنــا اولى اى اشتغالهــا وتقيدها (بالنسب) اى بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط انسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا (الى سؤاله) صلى الله تعــالى عليه وسلم (عما اختلفوا فيه) لخفائه عليهم (من ذلك) اى معرفة ذلك اى مشكل انسابهم ومعرفة ماشكل عليهم مما حل امرهم ضبطه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لايعتنى به ولايشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته بالانساب وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم (و) قوله (قوله) مبتداؤ اى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار (حمير) وهم قوم من العرب بوزن درهم بن سنان بن يشجب (رأس العرب) اى منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الرأس من الجسد (ونابها) وهو سن كبير خلف الرباعية اى هم عمدتهم ومن اشدهم وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل (ومذحج) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطى سميا باسم اكمة ولدتهما امهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال الجوهرى اسلية فوزنه فعال ووهم فيه عما فصل فى كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله (هامتها) اى رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء وهى لحمة بين الرأس والعنق اورأس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما فى الشرف وتخصيص كل بفضله مع الفرق فى المعبر فان الرأس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج الكل منهما فى اساغة الطعام الذى هو مادة الحيوة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة اشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان فى حمير مع الشرف شدة وقهر وفى مذحج لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ او المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى حديثه المشهور امن هامها ام من لهازمها اى اشرافها او اوســاطها يدل على تفضيل حمير (والازد) بهمزة مفتوحة وزاء معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين افصح كما فى القاموس ابو حى باليمن منه الانصار ويقــال الازد شنوة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث (كاهلها) بوزن فاعل وهو مابين الدق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل والحمل وقيــل مابين كتفيه اوموضع العنق فى الصلب (وجمجمتها) بضم الجيمين

وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهى عظام الرأس وتطلق على الرأس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح ونقل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفاء فهم لهم الفضل بما ونتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم (وهمدان) بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة (غاربها) هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف (وذروتها) بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اى اعلاها وسنامها ففيه من المعرفة بانساب العرب ومنازلها فى الشرف والاحاطة باحوالها مالايهتدى له سواه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اراد بالذروة اعلى السنام وان مخايل الضعف والنكارة لائحة على هذا الحديث لتكريره ذكر الرأس بالفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت اما انكاره من جهة الرواية فسلم واما من جهة تكراره المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلاوجه للاستدلال به وهو عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابى بكرة فى خطبة حجة الوداع ولفظ قوله فى جميع ماوقع هنا بالجر رواية عن المصنف وان جاز رفع بعضها (ان الزمان قد استدار) اى عاد لما كان عليه كالدائرة التى يرجع انتهاؤها الى ابتدائها (كهيئته يوم خلق الله السموات والارض) وتمة الحديث السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب منفرد بين جمادى وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعا للنسئ وتغيير الشهور الذى كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اباهم بعض الاشهر الحرم وهم يحاربون فيشق عليهم الترك فيجعلونه وينقلونه من شهر الى آخر ويستمر نقله من شهر لآخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فوافق حجة ابى بكر العام الثانى من حجة ذى القعدة فلما حج صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع وافق حجه شهر ذى الحجة المشروع فوقف كما هو الآن فخطب واعلمهم ان حجه فى هذا الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لدور الشهور فى الجاهلية وانما هو امر شرعه الله وقدره فى الازل وامره به نسخا لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لايبدل ويدور دور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما فى علم الله وقضائه قديما وهو معنى قوله يوم خلق الله الخ فنسى النسئ ونسخ وكانوا اذا ارادوا ذلك يقوم رجل من بنى كنانة لانهم اهل غارات على جمل بالموسم وينادى باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم يحج صلى الله تعالى عليه وسلم قبله وارسل ابا بكر رضى الله تعالى عنه بالعهد ليظهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس فى الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل

بشرف شمس النبوة وقال الصدر القونوى فى شرح الاربعين حديثا له ان فى هذا الحديث اسرارا الٓهية لايطلع عليها الا بعض الكمل ثم قال ان النوع الانسانى اوجد بالامر الالٓهى فى اول دور السنبلة ومدته سبعة آلاف سنة بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فى الالف الاخير منها الجامع بين احكام السنبلة والميزان المختص بالآخرة والبروج تمازج بالقرب فامتزج فى زمان بعثته الدنيا بالآخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور احكام الآخرة من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لامساس له به ولا ينبغى ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه عليه الصلوة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (فى الحوض) اى فى شان حوضه الذى يكون يوم القيمة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لانظمأ بعدها (زواياه سواء) جمع زاوية وهو مايحصل من تلاقى خطين من داخله وسواء بمعنى متساوية وهذا يقتضى انه مربع متساوى الاضلاع مستقيمها فانه لاتتساوى زواياه الا اذا استقامت اضلاعه وهذا امر مبنى على المساحة ودقائق الهندسة وذكر ابن ابى الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء وان منه قوله تعالى (الى ظل ذى ثلاث شعب) فقال انه ايماء الى انه ليس بظل لان المثلث لاظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال وهذا لاينافى ماورد فيه من ان مسافته مابين ايله وصنعا ومسافة شهر وغير ذلك كما مر لا لانه اعلم باحواله شيئا بعد شئ كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما فى المثل كلا جانبى هرشى اليه طريق (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما (فى حديث الذكر) وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال خصلتان لايحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون فهى مائة باللسان والف وخمسمائة فى الميزان فاذا اوى الى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فلك مائة باللسان والف فى الميزان فايكم يعمل فى اليوم الفين وخمسمائة سيئة الى آخر الحديث (وان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان) اى اذا جرت على اللسان وذكرت فى دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها ثلاثون مضروبة فى خمسمائة (والف وخمسمائة فى الميزان) التى توزن به الاعمال والوزن اما لصحفها اولها نفسها بجعل الاعراض احساما

وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة اجرها فان الحسنة بعشر امثالها كما ورد به النص وهو اقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال من المصنف رحمه الله تعالى على معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحدة ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وقال السيوطى فى رسالة سماها المنحة فى السبحة انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عند بعض الصحابيات نوى تعدبه الذكر فاقرها عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن ابى رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا (وهو فى موضع) جملة حالية وفى نسخة ومر بموضع (نعم موضع الحمام هذا) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا تمثيل لما لم يذكره فان فيه الاخبار بمحال البناء ومهاب الهوى ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله تعالى * نعم دار المتقين (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن ابى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) القبلة تطلق على المسجد كما فى قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة) فى احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة اهل المدينة لانهم المخاطبون اوعلى من هى فى جنوبه اوشماله والتبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة اوجهتها فبحث طويل مفصل فى التفسير وكتب الفقه لايسعه هذا المقام والشاهد فى الحديث انه يدل على علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ذكره ابن الاثير فى النهاية ولم يخرجه السيوطى لانه لم يقف عليه (لعيينة) ابن حصن الفزارى ويكنى اباماك واسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهوالذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين (او الاقرع بن حابس) بن عفان بن محمد بن سفيان بن مجاشع التيمى واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع فى رأسه وهو من المؤلفة ايضا وكان شجاعا فارسا شريفا فى قومه فى الجاهلية والاسلام اسلم وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وفد بنى تميم وهو الذى نزل فيه (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) وقصته مذكورة فى السير والشك فى المقول له من الراوى وقال ابن الاثير انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال انا اعلم بالخيل منك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انا افرس بالخيل

(منك)

منك) اى ابصر واعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له لست كذلك لما يعلمه من انه اعرابى جافى (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) وكان له كتبة عديدة كما مر والمقول له منهم قيل انه معاوية رضى الله تعالى عنه وقد عد البرهان فى حاشيته هنا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقى وقال ان شيخه الجمال الانصارى افردهم بتأليف قات وقد وقفت انا ايضا على تأليف لابن ابى الحديد فيهم وكأنه لم يقف عليه ولم نفصلهم هنا لان له مقاما آخر وكان المداوم على الكتابة له صلى الله تعالى عليه وسلم زيد ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (ضع القلم على اذنك) لم يعينها والمراد اليمين (فانه) اى وضعه كذلك (اذكر) اى اكثر ذكرا بكسر الذال وضمها وهو ضد النسيان (للممل) اسم فاعل اصله المملل وجوز فيه ان يكون اسم مفعول ايضا اى مايذكر ويملى واملل واملى بمعنى وهو القاء مايكتب على الكاتب وبهما ورد القرآن قال الله تعالى (فليملل الذى عليه الحق) وقال الله تعالى (فهى تملى عليه) والاصل امللت فقلب تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى (واملى لهم ان كيدى متين) فمعناه امهلهم (هذا) اى خذ هذا اواذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير والرسم يخالفه وهى كلمة مستعملة فى الانتقال والتخلص من كلام لآخر اوما يتممه وهى كذلك فى القرآن وكلام العرب اى معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتابة واحوالها (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم) امى من امة امية لايكتب ولايحسب فهو من معجزاته لانه (كان لايكتب) كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك فى اول امره وانه كتب بعد ذلك فى الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر فى تخريج احاديث الرافعى وقد تقدم بيانه فى غير ماموضع (ولكنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اوتى) بالبناء للمجهول للعلم بان المؤتى له هو الله تعالى (علم كل شئ حتى قد وردت آثار) جمع اثر وهو مايؤثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة اوالتابعين رضى الله تعالى عنهم (بمعرفته حروف الخط) اى كيفية رسمها (وحسن تصويرها) اى صورتها المستحسنة عند اهلها ومن مارسها (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم لكاتبه (لاتمد بسم الله الرحمن الرحيم) اى لاتجعل السين مدة طويلة من غير بيان لسناتها فانه يلبس صورتها وفى نسخة لاتمدوا (رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وابن شعبان هو محمد ابن القاسم بن شعبان بن اسحق المصرى المالكى توفى سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة فى الميزان وقال السيوطى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه لاتمد بسم الله الرحمن الرحيم لم اجده وللديلمى من حديث انس

رضى الله تعالى عنه اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (وقوله) صلى الله عليه وسلم (فى الحديث الآخر الذى يروى) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله (عن معاوية) بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه احد كتبته صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم وفى نسخة الذى يروى معاوية اى يرويه عنه صلى الله عليه وسلم ويروى مبنى للفاعل على هذا (انه كان يكتب بين يديه) اى عنده وفى مجلسه (فقال له الق الدواة) الق امر بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقاء الساكنين يقال لاق الدواة يليقها ليقة وليقا والاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى اى اصلح مدادها من قولهم لاق به اذا الصقه ومنه يليق بك كذا ولا يليق اى يناسب واشتهر استعمال ذلك فيما يجعل فى الدواة من حرير اوليد اونحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة اخذ المداد فى القلم الذى قد يفسد الخط (وحرف القلم) اى اجعل قطه محرفا فانه اعون على تصوير السنات ويكون تحريفه من جهة اليمين (وانصب الباء) اى اجعلها مستقيمة اوطولها قليلا لانها عوض عن الف اسم (وفرق السين) اى اجعلها سننها منفصلا بعضها من بعض (ولا تعور الميم) اى لا تجعل دائرتها مطموسة كالعين العوراء وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة (وحسن الله) اى كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه (ومد الرحمن) لم يبينوا معنى المد فيه فهو بمعنى مدما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا او المراد ارسم الفا بعده ويبعده مخالفة رسم المصحف العثمانى (وجود الرحيم) اى حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين ويختص فى العرف بتحسين الخط وفى عرف القراء تحسين التلفظ بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس (وهذا) اى معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدأ خبره قوله الآتى فلا يبعد والفاء زائدة اوهو خبر مقدر اى محقق ونحوه والفاء فى جواب الشرط (وان لم تصح الرواية انه عليه الصلوة والسلام كتب) بيده الشريفة اشاره الى ماقاله الباجى من انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية كما تقدم وانه لا يضر فى كونه اميا لانه كان فى بدء امره لامر انقضى بانقضاء سببه فهو معجزة اخرى له صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا يبعد) عقلا (ان يرزق علم هذا) اى علم الخط من غير تعليم (ويمنع الكتابة والقراءة) من المصحف قيل ولا يبعد ان يقع منه الكتابة والقراءة فى وقت معجزة اخرى له بشهادة ما فى البخارى رحمه الله تعالى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ الكتاب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله فى عمرة القضاء وانه قال لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه امح رسول الله لما اباها بعض المشركين فقال والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا

ما قاضي عليه محمد بن عبدالله اقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجي انكرها عليه اهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجلس له فحاجه علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقرآن وكونه عد من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فاجاب بانه صرح به في حديث البخاري رحمه الله تعالى والتجوز خلاف الاصل وفي القرآن ما يشير اليه لان قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لاتنافي كون اميته معجزة في اول امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخاري (واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب) جميعها قبائل وبطونا وكل احد لايعرف ولاينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق (وحفظ معاني اشعارها) وان كان لايقول الشعر ولاينشده وان انشده نادرا غيروزنه في اكثر احواله الا انه كان ترد عليه شعراء العرب الملقون بمدائح يمدحونه بها وتنشد بين يديه فيصغي لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيره من فصحائهم الا ترى كعبا لما انشده قصيدته وقال فيها

قنواء في حريتها للبصير بها * عتق مبين وفي الخدين تسهيل

قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم الحريان العينان فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة

له حريان يعرف العتق فيهما * كسامعتي مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظائر لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفي ذكره الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم اتم معرفة ولم يتلبس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر مسنون كغيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطي في شرح منظومة المعاني والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال بعض الشافعية بحرمتها هل كان يحسنهما اولا فقيل بكل من القولين كما في الروضة والحفظ يتعلق بالمعاني والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال فهم معاني اشعارها كان اظهر (فامر مشهور قد نبهنا على بعضه في اول الكتاب) في فصل فصاحته كما تقدم (وكذلك) اي مثل معرفته للغات العرب (حفظه لكثير من لغات الامم) غير العرب وهذا ترق في معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية (كقوله في الحديث) الذي رواه البخاري عن ام خالد (سنه سنه) قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لام خالد بن سعيد بن العاص امها اميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهي صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهي صغيرة ولذا تلطف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقاله لها لانه اتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها والبسها لها وقال لها ذلك كما فصله البخاري وفيها لغات سنة سنة كما ذكر وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها

وانكر بعضهم تخفيفها وروى كسر سين سنا فقول الكرمانى انها عربية واصلها حسنه فخففت بحذف الحاء كقوله كفا بالسيف شا اى شاهدا تأباه هذه الروايات وان الحذف من الاسماء فى غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الاول (وهى) اى سنه بمعنى (حسنة) انها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنة لفظا (بالحبشية) اى بلغة الحبشة وهم جيل معروفون (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق فى حديث الفتن المقدم (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم (وهو القتل بها) اى بلغة الحبشة فعربه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن قرقول فى المطالع فسر فى الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والافهى عربية صحيحة واصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيمة والعبارة فى الهرج كهجر الى انتهى وهو ورد لما قاله المصنف رحمه الله تعالى ولمن توهم ان تفسيره مروى فى الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لاوجه له لانه يقضى انه فارسى ولم يقله احد وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم فى هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد نظرف القائل * اتى زمن الربيع فهاج قوم * الى الصهباء فى هرج ومرج (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث ابى هريرة) الذى رواه ابن ماجة عنه (اشكنب درد) وفى بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف رحمه الله تعالى بما يأتى وفى الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء فيقال شكنبة بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهمله ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسيأتى مافيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجة وضبطت به الرواية عنه فانه قزوينى اعلم بلغته وثقة فى الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه لايناسب قوله (اى وجع البطن) فانه لو صح ذلك قال اى وجع بطن وفسره غيره بوجع بطنك وهو انسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذى رواه ابن ماجة شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو اصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفى سننه قال ابو هريرة هجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان فى الصلوة شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطى وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى علم

القراآت وله تأليف مشهورة رحمه الله تعالى وروى اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمسانى ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمى فلعله اراد ستره ولذا ورد انه قال ثم فسره لى وذكر البرهان بعضا مما تقدم وقال انه فى بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد على ماقدمناه وقوله (بالفارسية) اى باللغة الفارسية نسبة لفارس ابن كومرث وكومرث ابن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه آدم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم بالفارسية لفظ سور فى حديث جابر وهو الدعوة للطعام وبالعربية العرس (الى غير ذلك) اى مضموما ماذكر من معرفته باللغات او من معارفه التى لاتحصر (مما لايعلم بعض هذا) وفى نسخة بعضه فضلا عن كله (ولايقوم به) اى يوفى حقه كله (ولابعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) اى عالجه واجتهد فى حفظه ودراسته وتلقيه من اهله وفى نسخة الدروس (والعكوف على الكتب) اى ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لها ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروى فيه احاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروته وانه يورث النفاق وانه لسان اهل النار ويدل لعدم الكراهة احاديث كحديث الفارسية الدرية لسان اهل الجنة فى الجنة (ومثافنة اهلها) مفاعله من ثفن بمثلثة وفاء ونون اى جالسهم ولازمهم وهو ابلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ماغلظ لطول مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعنى جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم فى ادبه وقال التلمسانى هى المثفنة من ثافنه اعتنه وروى مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفى بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة اى مباحثة ونظر فى الدقائق التى كنفثات السحر وفيه نظر وفى بعض الشروح مالا معنى له هنا (عمره) منصوب على الظرفية متعلق بجميع ماقبله اى فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يتركه طرفة عين (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى امى) منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم يتعلم وهو مبرأ من كل عيب او الى امة العرب لانهم معروفون بذلك كما مر وقال الشاعر عمى خالى وابى امى فقوله (لم يكتب ولم يقرأ) صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى تأدبا يعنى لم اصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به بقوله إنا اوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وماقبله فلا يقال انه ترك ادب فان مثله لايقال له يارجل كما لاينادى باسمه فلله در المصنف ماابعد مرماه (ولا عرف بصحبة من هذه) اى الكتابة والقراءة (صفته) حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة فى حقه معجزة وفى حق غيره نقص كما قال * كفاك بالعلم فى الامى

معجزة * (ولا نشأ) اى لم يكن من اول نشأته وبدء امره الى بعثته (بين قوم لهم علم) اى معرفة بشيء من العلوم لانهم من الجاهلية (ولا قراءة لشيء من هذه الامور) اى الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا اهل كتاب (ولا عرف هو) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل) مبنى على الضم اى قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر (بشيء منها) اى بما ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله (قال الله) وفى نسخة عز وجل (وما كنت تتلو من قبله) اى القرآن وماعلمك الله (من كتاب ولا تخطه بيمينك) اى بيدك اليمنى التى يكتب بها وهو تأكيد وتصوير وبين الله تعالى علة ذلك بقوله (اذا لارتاب المبطلون) اى شكوا وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه ثم بين حال قومه فى عدم ماذكر بقوله (انما كانت غاية معارف العرب) اى ماانتهى اليه علمهم (النسب) اى معرفة انساب قبائلهم الى اجدادهم (واخبار اوائلها) اى ماوقع لآبائهم واسلافهم من الحروب والوقائع (والشعر) اى حفظ شعر من قبلهم من القصائد والقطعات والابيات (والبيان) ليس المراد به علم البيان المعروف لانه امر حدث كانوا فى غنى عنه بالسليقة ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم ايضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمائر وعنى به الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور الذى كانوا يذكرونه فى محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعنى بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحرا (وانما حصل ذلك لهم) اى معرفة النسب ومابعده (بعد التفرغ لعلم ذلك) اى مع ذلك لم يكن علمهم بماذكر الا بمزاولة واكتساب وصرف زمان لكسبه حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان رواية ونحوه (والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه) بالسؤال عنه والحفظ له ولم يعهد منه اعتناء بذلك فى اول امره (وهذا الفن) اى النوع الذى كانت العرب تعرفه وتعتنى به (نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اقل قليل بالنسبة لماظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة او كلجين الماء (ولا سبيل الى جحد الملحد) اى لايمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة لتفسير قوله تعالى (اذا لارتاب المبطلون) (لشيء مما ذكرناه) من معارفه متعلق بجحد واللام زائدة للتقوية (ولا وجد الكفرة حيلة) يبدونها تلبيسا (فى دفع مانصصناه) مما تقدم تفصيله (الاقولهم اساطير الاولين) استثناء متصل لانه مما احتالوا به على بعض ضعفاء العقول او منقطع لانه لاحيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة او جمع استار جمع سطرا او اسطير او اسطور اى هى احاديث مما سطره من قبله واكاذيب (و) قالوا (انما يعلمه بشر) اى هو مما تلقاه من غيره وتعلمه (فرد الله قولهم) المذكور وابطله (بقوله لسان الذين يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين) اى لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمى فكيف يمكن تعليمه او التعلم منه ومعنى يلحدون

(يميلون)

يعلون عن الحق بخفائهم هذه (ثم ماقالوه) من انه يعلمه رجل اعجمي وفي نسخة قالوه بهاء الضمير (مكابرة العيان) بكسر العين ولا تقع فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير دليل واصل معناه هجوم السارق نهارا اى معاندة في المحسوس لاتفيد (فان الذى نسبوا تعليمه) له صلى الله تعالى عليه وسلم بزعمهم الباطل (اليه) متعلق بنسبوا اى اسندوه له (اماسلمان) الفارسي الصحابي المشهور رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (اوالعبد الرومى) وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومى وكان ممن قرأ الكتب ثم اسلم وسيأتى تفصيل قصته (و) قصة (سلمان انما) اسلم و (عرفه) بالمدينة (بعد الهجرة) وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه (و) بعد (نزول الكثير من القرآن) حتى هذه الاية (و) بعد (ظهور) وفي نسخة نزول (مالايتعد) لكثرته (من الايات) القرآنية اوالعلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم (واما) العبد (الرومى فكان اسلم) قبل الهجرة (و) لكنه (كان يقرؤ على النبي صلى الله عليه وسلم) ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه (واختلف) بالبناء للمجهول اى اختلف المحدثون (في اسمه) كما سيأتي في كلامه فقيل انه يامام اويعيش اوجبرا ويسار امايامام فبوحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة لااصل له ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم ويعيش بأتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبي في الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله تعالى (انما يعلمه بشر) وجبر يأتى ايضا انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم اقف عليه في الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسيأتى تتمة لهذا في محله (وقيل بل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) اضراب عن اسلامه وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف (عند المروة) مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول في ايهما كان يجلس عند الآخر فالاضراب انتقالى اوابطالى (وكلاهما) اى سلمان والغلام الرومى (اعجمى اللسان) اى لسان كل منهما فيه عجمة (وهم) اى الطاعنون فيه بماذكر واسناد التعلم له (الفصحاء اللد) جمع الد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد ايضا من اللدد وهو العناد وفي الحديث ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم (و) هم (الخطباء) جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولايشترط فيه ان يكون سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل (اللسن) بضم اللام وسكون السين جمع لسن كحذر وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل جمع السن فلااسهاب فيه كما قيل (قد عجزوا) بفتح الجيم كسرها (عن معارضة ماأتى به) اى مقابلته بكلام يحكيه (والاتيان بمثله) عطف تفسير

مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم (بل) عجزوا كلهم (عن فهم وصفه) ومعرفة كنه بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحس يكذبهم والفصاحة تنادى على فصاحتهم (وصورة تأليفه) اى عجزوا عن فهم صورة تأليفه ونظمه المعجز فانه لايشبه كلام البشر والتأليف اخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفى اكثر النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين وهو فى الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفى بعض النسخ (ونظمه) وهو وماقبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول اقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التى هى كالجواهر وما بعد بل ترق فى العجز ومغايرته لماقبله ظاهرة لاتحتاج لتوجيه الاعند عدم الفهم (فكيف) هى الاستفهام عن الحال والوصف المبهم ويرادبها التعجب نحو قوله تعالى (كيف تكفرون بالله)وقوله (بالعجمى) متعلق بمقدر اى كيف الظن بالعجمى وهذا تركيب سائغ فى كلامهم تقول كيف بك اذا جاء الشتاء (الكن) من اللكنة وهى عدم افصاح اللسان وبيان النطق (نعم) بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام ايضا فى لغة وهى كلمة تقع فى جواب الكلام الموجب وقد تقع فى ابتداء الكلام كما هنا فكأنها جواب سؤال مقدر وفى غيرجواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول جحدر * نعم وارى الهلال كما تراه * كما سيأتى وقال بعضهم انها زائدة فى مثله وفيه كلام لم يحضرنى الآن (وقد كان سلمان) الفارسى رضى الله عنه (او بلعام) وهو بفتح الباء الموحدة على ماتقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم ايضا وهو اسم الغلام (الرومى او يعيش) بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع (اوجبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة وهو عبد لعامر بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمى قيل ان سيده كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول لاوالله بل هو يعلمنى ويهدينى (اويسار) بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور منى (على اختلافهم فى اسمه) كما تقدم (بين اظهرهم) خبر كان اى مقيما بينهم معروفا ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لانهم ادعاه الهم ظهر وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع فى الاقامة بين قوم مخالطهم (يكلمونهم مدى اعمارهم) اى فى جميع مدة اعمارهم يخالطهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لايعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم واصل معنى المدى الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما فى النهاية وذكر الماوردى ان غلامين نصرانيين من عين التمر احدهما يسار والآخر جبر كانوا يسندون لهما ماذكر وقيل غير ذلك (فهل حكى عن واحد منهم) اى من الكفرة (شئ من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضمير منهم لسلمان رضى الله تعالى عنه والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفى نسخة من مثل ما كان يجئ به صلى الله

تعالى عليه وسلم (وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك) الذى جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذى قبله (ومامنع العدو حينئذ) اى حين حضورهم معه (على كثرة عدده) بفتح العين اى اى مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه (ودؤب طلبه) بدال مهملة وهمزة وواو موحدة مصدر بوزن القعود من الدأب وهو الجد والتعب يقال ادأبه اذا اتعبه ثم صار بمعنى العادة المستمرة عن ذلك وصار حقيقة فيه (وقوة حسده) بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على الطلب ويحثهم (ان يجلس الى هذا) الذى زعموا انه يأتيه (فيأخذ عنه) اى يتلقى بتعلمه منه (ايضا) اى كما تعلم منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على زعمهم الفاسد (مايعارض به) ماجاء به (ويتمام منه مايحتج به) اى يجعله حجة ودليلا (على شغبه) اى لجاجة فى خصومته وعناده وتهيج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه فاقية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما فى القاموس وغيره وتسكن ايضا وهى اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريرى لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ماقاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته (كفعل النضر بن الحارث) وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ماوقع جلس النضر بين قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال فداينكم باحسن مماجاءبه محمد وهو الذى نزل فيه (ومن قال سانزل مثل ماانزل الله) الآية ثم انه لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى اظفره الله عليه فقتله كما ذكر فى السير (بما كان يتخرق به) متعلق بفعل وتخرق بمعنى تكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى به اخذوها من الخراف وهى خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية ميمها زائدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها كما فى قولهم تمسكن ويتخرق بضم التحتيه وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف (من اخبار كتبه) التى كان يأتى بها ويقصها عليهم (ولاغاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه) ولاخرج من بلده الى بلاد بعيدة فاقام بها اقامة يحتمل انه لقى بها من يعلم منه وهذا معطوف على قوله ولاعرف الخ ولايضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين (ولاكثرت اختلافاته) اى رواحه ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا اى يسافر ويذهب اليها لاتها مخالفة لمقره المعروف (الى بلاد اهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى مايأتى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له ذلك مرة او مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه ولم يقم عند غيرهم حين سافر الى

الشام كما يأتي (فيقال انه استمد منهم) اى طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب بتلقيه اشيء مما كان يتلوه على قريش (بل لم يزل) مقيما عندهم (بين اظهرهم) في وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم (يرعى) ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية اى يلاحظ ويحفظ فهو بمرأى منهم ومسمع لايخفى امره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي وهو المناسب لقوله (في صغره) اى وهو طفل (وشبابه) اى بعد مابلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول انف من جعله صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو اقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون في الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم (على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم) بعد ماشب وبلغ اوبعدما وجد وعرف حاله (الا في سفرة) واحدة (اوسفرتين) الى بلاد الشام مرة مع ابي طالب ورده من الطريق باشارة بحيراء الراهب كامر ومرة في تجارة لام المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن اهل بلدته ابدا سفرا واقامة ولم يتردد المصنف رحمه الله تعالى في السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين كما في السير فكان ينبغي ان يقول الا في سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه ابوطالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلاوجه للاعتراض عليه ومثله لايخفى واما ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبني سعد فلايعد مثله سفرا لاسيما والمراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف الى بني عبدياليل فانه لقربه لايعد سفرا واهلها جهلة اهل شرك لاعلم عندهم يعلمونه له وقوله (لم يطل فيهما) اى في جنس السفرة (مكثه) اى اقامته وهو بفتح الميم وضمها (مدة تحتمل فيها) اى في المدة (تعليم القليل) وأقله من علم وغيره (فكيف الكثير) الذي كانو ايعرفونه منه وهو استفهام انكاري ختمه بطريق برهاني مما اكده واثبت مدعاه هوله (بل كان في سفره في صحبة قومه) لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين (ورفاقة) بضم اوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والسفر من الرفق لان كلا منهما يرفق بصاحبه (عشيرته) اى قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط قال في القاموس عشيرة الرجل بنوابيه الادنون اوقبيلته (لم يغب عنهم) ويفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم (ولاخالف حاله) التي نشأ عليها وعرف بها (مدة مقامه) بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة (بمكة) الى ان هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله تعالى عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله (من تعليم) بيان لمقدر في قوة المذكور لعلمه مما قبله اى ماخالفه لامر

آخر من تعليم الى آخره وليست من زائدة فى الفاعل ومحله رفع كما قيل (واختلاف) اى مجيء وذهاب واصله مجيء القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد فى المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار (الى حبر) بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود (اومنجم) اى عالم بالنجوم واحكامها (اوقس) بفتح القاف كما فى القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد فى المثلثات رئيس علماء النصارى (اوكاهن) وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم منه من انواع الناس ثم ترقى فى ابطال ماقالوه فقال (بل لوكان هذا) اى لوفرض خلاف ماذكر من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب واختلاطا (٢) القسيسين والاحبار (بعد) مبنى على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لابعد مكثه بين اظهرهم يرعى فى صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تأمل كلامه (كله لكان مجيء ماأتى به) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى معجز القرآن) الذى لايشبه شيئا من كلام البشر (قاطعا لكل عذر) اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا ايماء الى انهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال (ومدحضا) اى مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق فيه استعارة مكنية لتشبيههم عن زلت قدمه لمشيه فى اوحال الشرك (لكل حجة) تشبثوا بها وهى اوهى من بيت العنكبوت وفى نسخة لكل شبهة (ومجليا) بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الحاء المعجمة والظاهر ما قدمناه اى موضحا وكاشفا ومزيلا ومبعدا (لكل امر) غيهب تخيلوه وتلبيس احتالوا به ﴿فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم﴾ التى خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام وسائر الخلق (وكراماته) التى اكرمه الله تعالى وشرفه بها (وباهر آياته) اى ظاهر آيات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتناء (و) قوله (انباؤه) بفتح الهمزة جمع نبأ وهو الخبر اى اخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم (مع الملائكة والجن وامداد الله له الملائكة) بكسر الهمزة مصدر امده امدادا من المد قال الراغب امددت الجيش بمدد والانسان بطعام واكثر ماجاء الامداد فى المحبوب والمد فى المكروه نحو امددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى اى ارسال الله الملائكة عليهم الصلوة والسلام مددا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعانة كما سيأتى (وطاعة الجن له) بانقيادهم واسلامهم لاامدادهم ولذا خالف فى العبارة بينهم وبين الملائكة (ورؤية كثير من اصحابه لهم) اى للملائكة والجن كما سيأتى ولاوجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدأ بما يثبت ماقاله من القرآن فقال (قال الله تعالى وان تظاهرا) اى تتعاونا (عليه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمايسوءه (فان الله هو مولاه) اى ناصره ومعينه

(٢) اختلاطا نسخه

(وجبريل وصالح المؤمنين) ابوبكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه (الآية) اى والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعائشة امى المؤمنين والآية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط فى محله وقد تقدم فى اول الكتاب بعض منه (وقال الله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم) بنصرى وتأييدى (فثبتوا الذين آمنوا) بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على اعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر اعداؤه المشركون وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره (وقال) فى وقعة بدر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون غوثه واعانته (فاستجاب لكم) اجاب دعاءكم وانجز وعده لكم (انى ممدكم الآيتين) اى اقرأها الى آخرها اى انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين اى متتابعين (وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) اى امالناهم واوصلناهم اليك والنفر مادون العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وقد ذكر هؤلاء النفر وعددهم واسماءهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للجن ولاشبهة فيه ولاخلاف عند من يعتد به (حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه بسماعى عليه) تقدم بيانه وبيان السماع وروايته قال (حدثنا ابو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبدالغافر الفارسى) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال (حدثنا مسلم) القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبيدالله بن معاذ) ابوعمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة توفى سنة مائتين وسبع وثلاثين واخرج له اصحاب السنن قال (حدثنا ابى) معاذ بن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة واليه انتهى علم الحديث توفى سنة مائة وستة وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا سليمان الشيبانى) ابن اخى سليمان فيروز او خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى الحافظ الثقة توفى سنة ثمان وثلاثين اواحدى اواثنين واربعين وقول الواقدى وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط واخرج له الائمة الستة (سمع زر) بكسر الزاى المعجمة وتشديد الراء المهملة (بن حبيش) بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو ابو مريم الاسدى ادرك وسمع عليا وعمر رضى الله تعالى عنهما وعاش مائة وعشرين سنة وتوفى سنة اثنين وثمانين واخرج له الستة (عن عبدالله) ابن مسعود الصحابى المشهور وهذا التفسير الآتى اخرجه مسلم والترمذى والنسائى موقوفا والذى ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذى انه حسن صحيح ولفظه (قال) اى الله سبحانه وتعالى

(لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع (رأى جبريل في صورته) الاصلية التي خلق عليها (له ستمائة جناح) اللام جواب قسم مقدر اى رأى الآية الكبرى من آيات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث اكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه رأى ربه وهو قول الاكثر فقد رآه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعري والنووي وما نقل عن عائشة رضي الله تعالى عنها من انكاره فقيل ان الذي قالته كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجلي الم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى) فقالت انا اول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم اره على صورته غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفي رؤيته لربه وانه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه رأى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي ان تكون اجنحته تزيد على ذلك فان الملائكة اجسام مجردة قابلة للتشكل (والخبر) اى الحديث الصحيح المسند (في محادثته) صلى الله تعالى عليه وسلم (مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة) اعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة او انزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده (وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور) وفي نسخة وصورة بعضهم وفي نسخة وعظم صورهن وحديث الاسراء ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والانبياء مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته الملائكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبائك في اخبار الملائك فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة اى الفقر وقالوا ما قصه الله من قوله تعالى (مالهذا الرسول يأكل الطعام) الآية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له رب العزة يقرؤك السلام ويقول لك (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام) الى آخره فبينما جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهي العدسة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك يا جبريل فقال فتح باب من ابواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان

خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقرؤك السلام ومعه سفط من نور يتلألأ ويقول لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال اصبت اصاب الله بك ويرون ان هذه الآية انزلها رضوان (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) اقول ومن هذا علم انه لم ينزل بالقرآن الاجبريل غير هذه الآية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو ملك الجنان وتخييره دون بت باعطائها علم منه ان جبريل ان الله اراد له صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو ارقى من ذلك في الجنة وانه لم يرض عجوز الدنيا الفانية ان تكون له ولو اراد خلافه اتاه ملائكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلوة والسلام لا يقول شيئا برأيه ولا يفعل الا ما يؤمر به فافهم (وقد آهم) اى الملائكة (يحضرته) اى في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مثلث الحاء مصدر حضر يحضر اذا جاء وقدموتجوزون فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تأمر بكذا كالمقام كما يكتبه اصحاب الترسل (جماعة من اصحابه في مواطن) جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا لمطلق المكان مجازا مرسلا (مختلفة) اى متعددة واصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة الملائكة عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ (فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان) والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في اول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه (ورأى ابن عباس واسامة) بن زيد (وغيرهما) من الصحابة كعائشة رضي الله تعالى عنها وام سلمة وعمر وحارثة (عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورة دحية) بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما وكان من اجمل الناس واحلاهم ولذا كان جبريل عليه الصلوة والسلام يأتي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته رضي الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس باسم الجن وتمثل الملك مع عظم جثته الاصلية بصورة صغيرة ليس بافناء بعض اجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة قابلة للتشكل والتضام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول ايضا فلا ينقلب حقيقة اذا تمثل رجلا تأنيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة تقدر بها على التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبح يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية على

التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام فى كتب الاصول والحكمة وبعض اهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله فى صورة دحية بتقدير مضاف اى فى مثل صورة دحية وماقيل من انه تمثل لتمكنه منها واستقراره فيها استقرار المظروف فى ظرفه تكلف لاحاجة اليه لان مثله للتحول والاحاطة بمدظرفا حقيقة فى العرف ورؤية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما له مرتين رواها الترمذى ورؤية اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد لم اقف عليها من قصور النظر (ورأى سعد) بن ابى وقاص فى حديث رواه الشيخان (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب (فى صورة رجلين عليهما ثياب) تسميتهما وقع فى الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة احد وقد قاتلا معه صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووى فى شرح مسلم هذا مما اكرمه الله به وفيه رد لمن قال ان الملائكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا هو الصواب وقال القرطبى فى تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله المؤمنين باحد ان صبروا وثبتوا ان يمدهم بالملائكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبى صلى الله عليه وسلم ملكا يقاتلان عنه دائما وفى الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لاتختص بالانبياء عليهم الصلوة والسلام فيراهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم والاولياء (ومثله عن غير واحد) اى روى مثل مافى هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة (وسمع بعضهم) اى بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين (زجر الملائكة) زجرها حثها (خيلها) على الجرى بصوت (يوم بدر) اى وقعتها حين القتال وهذا رواه ابونعيم والبيهقى عن ابن عباس ان رجلا من غفار قال قدمت انا وابن عم لى ونحن مشركان وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن كذلك اذدنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فمات ابن عمى من خوفه وكدت اهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم وروى حيزون بالنون والصحيح الاول (وبعضهم رأى تطاير الرؤس) اى سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره وهذا رواه البيهقى عن سهل بن حنيف وابى واقد الليثى (من الكفار) فى يوم بدر (ولا يرون الضارب) لانه ملك خفى عنهم وبعضهم رآه وعرفه وقد روى كلاهما فى احاديث ذكروها ويجوز ان يقال ان التطاير استعارة شبهت بطائر وحمام طار من برج بدنه بنفسه كانه ليس جزء منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب قال ابوداود المازنى انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى وكانوا يعرفون قتل الملائكة بان بهم سمة نار ونحوه (ورأى ابو سفيان بن الحارث) بن عبدالمطلب قبل اسلامه (يومئذ) اى يوم بدر (رجالا بيضا) وجوههم وابدانهم (على خيل بلق) اى فيها بياض ولون آخر (بين السماء والارض

مايقوم لها شئ) اى لايمكن ان يقاوم شدتها وقتالها شئ غيرهم قل او كثر لما رآه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائى لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقى وهو مخالف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا وهو هكذا فى تخريج السيوطى لاحاديث هذا الكتاب وفى الشرح الجديد انه رواه ابن اسحق فى سيرته ونقله فى حديث طويل فى هلاك ابى لهب والمهدة فيه عليه (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) باكفها والذى رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولامنافاة بينهما فان المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام امان والمصافحة تسليم يده له فهو امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابى الخزاعى رضى الله تعالى عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا افضل من نزل البصرة وتوفى فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة فى الكتب المعتمدة واما السلام ففى صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضى الله تعالى عنه قال له كانت الملائكة تسلم على حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام على ثم تركت الكى فعادوا وقال له اكتمه مادمت حيا قال النووى رحمه الله تعالى كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفى العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكى ليس محرما وان قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره كما ورد فى المثل آخر الدواء الكى وروى انه كان يسمع فى داره السلام عليه من غير ان يرى اهل الدار المسلم كما ذكره الترمذى وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة رضى الله تعالى عنهم لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بالطريق الاولى اوهو استطراد (وأرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البيهقى مرسلا عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما وراى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين اولهما (لحمزة) بن عبد المطلب عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة لحمزة رضى الله تعالى عنه باللام فهى زائدة كما فى ردف لكم وثانيهما (جبريل عليه السلام فى الكعبة) اى فى داخلها اوعندها فخر (مغشيا عليه) خوفا من مهابته لانه رآه على صورته ففى دلائل البيهقى رحمه الله تعالى وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضى الله تعالى عنه قال يارسول الله ارنى جبريل عليه السلام على صورته قال انك لاتستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت فى الكعبة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه * واعلم ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن هشام لاتدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدى فعل بحرفين بمعنى وان تعدى

احدها الزم الترجيج بلا مرجح مالم يتقدما او احدها فتعديه هنا باللام لاوجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية * احجاج لا تعطي العصاة مناهم * ولا الله يعطي للعصاة مناها * فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه * واعلم ان الحافظ السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله تعالى عنه ان العباس بعث ابنه عبدالله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام وراه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الاعمى الا ان يكون نبيا لكن اسأل الله تعالى ان يجعل ذلك في آخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما وقد عمي ابن عباس في آخر عمره فقال

ان يأخذ الله من عيني نورها * ففي لساني وقلبي منهما نور
عقل صحيح ورأي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين مالكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال وانتم يا بني امية تصابون في بصائركم انتهى * اقول ما ذكره من حديث عمى الرائي لجبريل اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على ما رآه وحده في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيته فلا يرد روية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد قد يورث ضعف البصر المؤدي للعمى اذا حدق فيه الناظر واطال نظره في نوره الذي لم يتفرق وهو من الاسرار الالهية فتأمله * ثم ان المصنف رحمه الله تعالى قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر امر الجن فقال (ورأى ابن مسعود) في حديث رواه البيهقي (الجن ليلة الجن) اي في ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجن وقد امر بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم (وسمع كلامهم) قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس في سيرته ان حديث ابن مسعود في كونه حاضرا في ليلة الجن روي من طرق وفيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر السراج هنا كلاما لا محصل له والحق ما قاله ابو البقاء الشبلي الحنفي في كتابه آكام المرجان في احكام الجان من انه روي فيه احاديث متعددة منها ما رواه ابو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه منا احد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حراء وقال اتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا

واراناآثار نيرانهم وذكر انهم سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء بهما رواه احمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها ابن مسعود وهي في دلائل البيهقي مسندة قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه بمكة من احب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا امرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال ارأيتم ان شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها والله فشهدت له فآمنوا به وجمع البيهقي بين الروايتين فقال قوله ماصحبه منا احد اراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه اعلم اصحابه بخروجه ينافي فقدهم له حتى قالوا انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه ممن فقده والتمسه وفي هذا الحديث انه خرج معه وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ماقاله البيهقي وهذا كله منشأه ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت فنهـا ما كان بمكة كما تقدم ومنهـا ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندا لابن مسعود وانه قيل له أكنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة وفد الجن قال اجل اخذ كل رجل رجلا من اهل الصفة يعشيه ولم يأخذني احد فمر بي رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقال ما اخذك احد يعشـيك قلت لا قال انطلق معي لعلي اجد لك ما يعشيك فانطلقت معه لحجرة ام سلمة فتركني ودخل ثم خرجت جارية فقالت لي لم يجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لك عشاء فرجعت الى المسجد والتففت بثوبي فجائت الجارية وقالت اجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته ارجو العشـاء فخرج وبيده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ماشاء الله وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى اتينـا بقيع الفرقد فخط بعصـاه خطا وقال اجلس فيه حتى آتيك ولا تبرح فانطلق وانا اراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سوداء فخفت عليه وقلت الحق اواستغيث الناس لظني هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا واتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال هم وفد نصيبين الى آخره فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل عنه اولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله وسلم مرة اخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا اخر ذكرها في باب مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيهـا وقيل اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت باعلى مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الفرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض اسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه (وشيعهم) اى ابن مسعود لا النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا سوداء اقرعوه فقال اخرجوهم ماشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه رآهم (برجال الزط) متعلق بقوله شبههم والزط بالزاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي (وذكر ابن سعد) وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري (ان مصعب بن عمير) القرشي العبدري الصحابي البدري وهو ممن اسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه (لما قتل يوم احد) اي في وقعته قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت رأسه فجعلوا على رجليه شيئا من الاذخر (اخذ الراية ملك على صورته) اي تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لاتقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم واتمام تلك الصورة فيه جعل كأنه عليها راكب لتمكنها فيه (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب) نحو الاعداء في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتأمل حامل الراية (فقال له الملك لست بمصعب) كما ظننته (فعلم انه ملك) وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى مارواه ابن ابي شيبة في مصنفه من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم احد اقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله يارسول الله الم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته يكون علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعداء بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي اوظن ان الله احياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعد ما علم انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد رأسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما مر وكان مصعب رضي الله تعالى عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج حامله الحباب بن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد اسيد بن حضير وماروي من ان حامل رايته باحد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لاينافيه لان الراية كانت اولا بيد مصعب فلما استشهد اخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قمئة وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قد قتل اخذ علي الراية بعد ما امسكها الملك لحظة لئلا تسقط ويخذل المسلمون وتقر اعين الكفار وقول

الملك لست بعصب يعني لست مصيبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصيبا (وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ما كولا (عن عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه (انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذاقبل شيخ بيده عصا) كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله * حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلا * وصف المسافر انه * القى العصا كى ينزلا * فعلى القياس سبيل من * حمل العصا ان يرحلا * وهو تلميح لقوله * فالقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر * (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سلامه بان قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن اعطى شيئا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه (نغمة الجن) وفي نسخة نغمة جني اي هذه او نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدأ مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حسن الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع (من انت) من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم (قال انا هامة بن الهيم) بهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم (بن لاقس بن ابليس) في ضبط هذه الاسماء اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل لام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف ووعل وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان آدم عليه السلام ابو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان الياء سقطت سهوا من الكاتب (فذكر) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لقي نوحا عليه الصلوة والسلام ومن بعده) من الرسل والانبياء (في حديث طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) ستأتي والحديث عن عمر رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذا قبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وله نغمة الجن وهمتهم فقال له من انت قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك وبين ابليس الا ابوين قال نعم قال فكم لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكاني فقال لا جرم اني على ذلك من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له

ياويح انى ممن شارك فى دم الشهيد هابيل فهل تجد لى من توبة قال ياهام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة انى قرأت فيما انزل الله على انه ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتى ما امرنى به فنادانى ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت ساجدا لله وكنت مع هود فى مسجده مع من آمن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وابكانى وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت القى الياس بالاودية وانى القاه الآن ولقيت موسى بن عمران فعلمنى من التورية وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقرأه منى السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقرأه منى السلام فبكى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك ياهامة لادائك الامانة فقال يارسول الله افعل بى مافعله موسى بن عمران فانه علمنى من التورية فعلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبأ العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال له ارفع الينا حاجتك ياهام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينعه لنا فلست ادرى احى هو ام ميت انتهى * واعلم انهم اختلفوا فى هذا الحديث فقال ابن الجوزى انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر من فى رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزى له مجازفة فى موضوعاته اكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقى كما علمت وابن عساكر وغيرهما (وذكر الواقدى) محمد بن عمر بن واقد المدنى صاحب التآليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه آخرون توفى ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه البيهقى والنسائى وغيرهما وهو مذكور فى اكثر التفاسير (قتل خالد) بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السوداء (عند هدمه العزى) وفى نسخة قطعه وهى اظهر لان العزى كانت شجرة اوثلاثة اشجار فى مكان واحد بنوا عليها بناء وكانوا يعبدونها ويسمع منها اصوات فذكر الهدم باعتبار ماحولها فهو بتقدير مضاف هو مفعول هدم كقطع اى قطعها اوهدم بنائها وكانت لغطفان وهى سمرة (للسوداء) مفعول قتل كما مر وفى نسخة السوداء واللام للتقوية وهو شيطان فى صورة امرأة سوداء (التى خرجت له) اى لخالد رضى الله تعالى عنه لما باشر قطعها (ناشرة شعرها عريانة) واضعة يدها على رأسها صائحة بأويلها وناشرة وما بعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها (فجزلها) بجيم وزاء معجمة مفتوحتين والزاء مشددة للمبالغة ومخففة اى جعلها جزلين اى قطعتين وروى جدلها بدال مهملة مشددة وروى عن خطه بخاء وذال معجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة واشهرها

اولها والضمير للسوداء اى قطعها قطعا (بسيفه) وهو يقول ياعزى كفرانك لاغفرانك انى رأيت الله قد اهانك والعزى تأنيث الاعز (واعلم) خالد بما فعله (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى) ان كانت الاشارة لما وقع به الفعل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسوداء فتسميتها عزى وهى اسم للشجر والبناء باعتبار انها هى التى عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من المغيبات ونحوها كما يقال الحج الثج والعج باطلاق الشئ على المقصود منه فهو مجاز وكانت بنخلة تعبدها قريش وكنانة وهى من اجل اصنامهم وقصة هدمها مفصلة فى السير وكان خرج خالد لها فى ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملائكة الاان هذه اذا قتل ماتصور منها هلك ولما قتلها خالد قال رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا وقتل سادتها اى خادمها المتوكل بها وهودبية بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن حزمى من بنى مرة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان شيطانا) هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد اومن شاط اذا احترق فنونه زائدة او اصلية (تفلت) بتشديد اللام نفد اى وثب بسرعة بغتة واصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذا تخلصت من مربطها (البارحة) هى الليلة الماضية قبل وقتك الذى تكلمت فيه يعنى فى ليلة يومه وقد ترد بمعنى اليوم الذى قبل يومك وفيه كلام فى شرحنا لدرة الغواص (ليقطع على) بتشديد الياء متعلق بيقطع بمعنى يبطل (صلاتى) التى كنت اصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت (فامكننى الله منه) اى اقدرنى عليه وعلى اخذه وحبسه (فاخذته) اى امسكته وعقته عن مضيه وهروبه منى (فاردت ان اربطه) بكسر الباء وضمها اى اوثقه بوثاق يضمه (الى سارية) اى عمود اواسطوانة من عمد المسجد و (من سوارى) جمع سارية (المسجد) المدنى (حتى تنظروا اليه كلكم) لاجل ان تروه مربوطا (فذكرت دعوة اخى سليمان) بن داود نبى الله عليهما الصلوة والسلام وهى قوله فى دعائه (رب اغفرلى) كل ما صدر منى من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان كان معصوما (وهب لى ملكا) اى سلطانا عظيما (لا ينبغى لاحد من بعدى) اى لايتيسر لاحد غيرى وهو احد معانى الانبغاء مطاوع بنى بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه الصلوة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمه بمفرده ليكون خارقة للعادة دالة على نبوته مقدرة له على تنفيذ اوامر ربه واظهار دينه وفى تقديم الدعاء بالمغفرة على حصول الملك ايماء الى ان السلطنة لاتخلو من امور تحتاج لعفو الله تعالى او حياء من الله لطلبه امرا لايليق بغيره ولتركه مقام العبودية الذى ارتضاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

(وقال)

وقال الزمخشري ان سليمان عليه الصلوة والسلام نشأ في بيت ملك ونبوة فاراد ان يكون ماورثه زائدا على غيره خارقا للعادة ليتم به امره ويعلم انه باستحقاق للفيض الالهي لا لمجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب قصر نعم الله عليه والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم لان خصائص الانبياء وطلبها امر آخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة ويأتي الكلام في تعيينه التي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعلة نار وهو يصلي ليقطع صلوته فاخذه هو بنفسه لا ملك منعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث زوائد لا طائل تحتها وقوله رب اغفر لي بدل مفسر لقوله دعوة اخي وتسخير الجن داخل في هذه الدعوة لقوله بعدها (فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين) الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك تأدبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله تعالى وما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان للانسان ان يطلب من الملك شيئا يخصه به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز ان يكون هو ذلك الواحد وقوله (فرده الله) اي رد الله ذلك الشيطان باقداري عليه وتمكني منه (خاسئا) اي خائبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو واضح وقول البخاري قال روح فرده الله خاسئا بيان لانه وقع من روايته لانه روي فرددته وهي صريحة في ذلك وهذا الحديث روي من طرق وفيها زيادة واختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وروي انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول في صلوته اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فسألوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه اوتي مثل كل معجزة لغيره كما يأتي وفي بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر وهو الذي يخالط الناس وارواح وهم الذين يتعرضون للصبيان واجتهما قيل وقرين الانبياء والعباد يقال له الابيض كما في تفسير القرطبي (وهذا) اي ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الملائكة والجن (باب واسع) اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي آكام المرجان ربطه الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم نبوي بالدعوة للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا وهو افضل

من الملك النبي ثم ان خنقه وفعله به مافعله في صلوته احتج به على جواز مثله في الصلوة كدفع المار وقتل الاسودين والمسابقة في صلوة الخوف انتهى وفيه تأمل ﴿ فصل ومن دلائل نبوته ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم والدليل مايعلم منه شيء آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذ والدى الشيخ احمد بن قاسم في الآيات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعائل قياسى والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب الدلالة مايتوصل به الى معرفة الشيء وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره انتهى وفيه دليل لماقاله امام الحرمين وانه سمع فلاوجه للتوقف فيه ولاالقول بعض شراح المنهاج الاصولى في قوله دلائل الفقه صوابه ادلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لمجيء فعائل جمع اسم جنس على فعيل فيما اعلم لكنه بمقتضى القياس جائز في علم المؤنث كسعيد علم امرأة جمع على سعايد وذكر النحاة انه في غاية القلة ورد منه لفظان لايقاس عليهما وهما وصايد جمع وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهرى تبايع جمع تبيع واقايل جمع افيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بقائله فقد قال انه لايمتنع سماعا ولاقياسا خبط لامعنى له (وعلامات رسالته) العلامة الامارة واكثر مايستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى واضاف الدلائل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة اصل والرسالة وصف زائد انتهى والظاهر ماقلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلائل الدلائل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل مادل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد نبوته في قوله تعالى ﴿ انى رسول الله اليكم ﴾ وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها (ماترادفت به الاخبار) اى تتابعت فجاء بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كأن بعضها ركب خلف الآخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر (عن الرهبان) وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيراء في قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل * يهوى غلاما من نصارى حاف * فاعجب له من راغب في راهب (والاحبار) جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب واشتهر في علماء اليهود وقوله (وعلماء اهل الكتب) من عطف العام على الخاص واهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التورية والانجيل وغيرها من الكتب السماوية وفي نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى (من صفته) صلى الله عليه وسلم (وصفة امته واسمه وعلاماته) في

التورية عن كعب محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره وامته الحمادون وفى الزبور عن وهب بن منبه سيأتى من بعدك نبى يسمى احمدا ومحمدا امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبياء الى غير ذلك مما نقله الثقاة كقوله فى علامته فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين الى آخر ماذكره من حليته فيه (وذكر الخاتم) بالفتح والكسر يعنى خاتم النبوة (الذى بين كتفيه) وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة او بيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور فى كتب الله تعالى القديمة (وماوجد) بالبناء للمجهول (فى ذلك) اى مما يدل على نبوته ورسالته (من اشعار الموحدين المتقدمين) من العرب المتألهين قبل بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم العالمين بما فى الكتب السماوية القديمة (من شعر تبع) بيان للموجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمى به لكثرة اتباعه المقادين له واصل معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر وهو الاول والثانى اباكرب وتبع الثانى هو الذى اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود المشتكى له الانصار منهم لانهم من اليمن نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك اجل من ان يطريه فرق او يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق حلمه او يحرم صفحه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلوة والسلام قال السهيلى رحمه الله تعالى وهذا الرجل من اليهود وهو احد الحبرين اللذين كلما الملك سحيب ومنبه او بنيامين ويأتى ان شامول كله ايضا فآمن به عليه الصلوة والسلام وكسى الكعبة وهو اول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه * نبى من الله بارىء النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه * وفرجت عن صدره كل غم
له امة سميت فى الزبور * وامته هى خير الامم
(وقوله) ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى احمدا ياليت انى * اعمر بعد مبعثه بعام

(والاوس بن حارثة) بن ثعلبة العنقا بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس فى اللغة الذئب او العطية سمى به وله تنسب الانصار وكان اوس من عدة ناس فى الفترة هداهم الله تعالى للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يعاشرون اهل الكتاب فيخبرونهم بما فى كتبهم من ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيذكرونه

فى خطبهم واشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره احدهما من الشراح وهو سيد جواد طائى كان صديقا لحاتم الطائى والاوس بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلى انه منقول من اسم العطية لامن اسم الذئب لانه علم جانس كاسامة لاتدخل عليه الالف واللام قبل النقل فبعده اولى وقال التلمسانى انه روى هنا بدون الالف واللام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلى (وكعب بن لؤى) هذا هو الصواب وفى بعض النسخ لوى بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤى يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاى بمعنى البطؤ وهو اول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة فى الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال فى خطبة له امابعد فاسمعوا وتعلموا، وافهموا واعلموا، ليل ساج، ونهار ضاح، والارض مهاد، والسماء بناء والجبال اوتاد، والنجوم اعلام، الى قوله الدار امامكم، والظن غير ماتقولون، حرمكم زينوه وعظموه، فسيأتى له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبى كريم، وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث ✽ سواء علينا ليلها ونهارها
منوتان بالاحداث حين تناوبا ✽ وبالام الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد ✽ فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

الى آخر ماروراه ابن الجوزى مسندا فى كتاب الوفاء (وسفيان بن مجاشع) التيمى الدارمى المجاشعى جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاداهم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول، العزيز من والاه، والذليل من خالاه، والموفور من والاه، والموتور من عالاه، فقال سفيان من تذكرين لله ابوك فقالت، صاحب هدى وعلم، وبطش وحلم، وحرب وسلم، ورأس رؤس، ورابض شموس، وماحى بؤس، وماهد زعوس، وناعس ومنعوس، فقال سفيان لله ابوك من هو فقالت، نبى مؤيد قداتى حين يوجد، ودنا اوان يولد، يبعث الى الاحمر والاسود، بكتاب لايفند، اسمه محمد، قال سفيان لله ابوك اعربى هو ام اعجمى فقالت، اما والسماء ذات العنان، والشجر ذات الافنان، انه لمن معد بن عدنان، فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا لرجاء ان يكون هو النبى المذكور وهو احد من سمى باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وماذكر كفى فى المقصود (وقس بن ساعدة) الايادى قس بضم القاف وتشديد السين والقس العالم والايادى بكسر الهمزة نسبة لاياد حى من معد وكان من الحكماء الزهاد كعمه وخاله مفصحا للمادة فى ربه وآمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه ورآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مر بين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره فى الصحابة رضى الله عنهم وعمر حتى قيل انه عاش ست مائة اوسبع مائة سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلوة والسلام قيل وكانت السباع تدور

عنده ولا تؤذيه وربما ضربها بعصاه وهو خطيب مفلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما قدم الجارود على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه قال يارسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشربك ابن البتول وانا اشهد ان لااله الاالله وانك رسول الله فآمن هووكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبدالقيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت اقفو اثره كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هوله * ليبلغن الكتاب اجله * ويقول * هاج للقلب من حواه اذكار * وليال خلالهن نهار * في ابيات اخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابوبكر رضي الله تعالى عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا * انه من عاش مات * ومن مات فات * وكل ماهو آت آت * مطر ونبات * وارزاق واقوات * وآباء وامهات * واحياء واموات * وجمع واشتات * وآيات بعد آيات * ان في السماء لخبرا * وان في الارض لعبرا * ليل داج * وسماء ذات ابراج * وارض ذات رتاج * وبحار ذات امواج * مالي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون * ارضوا بالمقام فاقاموا * ام تركوا هناك فناموا * اقسم قس قسما حاتما * لاحانثا فيه ولا آثما * ان لله دينا هو احسن من دينكم الذي انتم عليه * ونبيا قد حان حينه * واظلكم اوانه * فطوبى لمن آمن به فهداه * وويل لمن خالفه وعصاه * تبا لارباب الغفلة * من الامم الخالية والقرون الماضية * يامعشر اياد * اين الآباء والاجداد * واين المريض والعواد * واين الفراعنة الشداد * واين من شيد وزخرف ونجد * وغره المال والولد * اين من بغى وطغى * وجمع فاوعى * وقال انا ربكم الاعلى * الم يكونوا اكثر منكم اموالا * واطول منكم آجالا * وابعد منكم آمالا * طحنهم الثرى بكلكله * ومزقهم بتطاوله * فتلك عظامهم بالية * وبيوتهم خاوية * عمرتها الذئاب العاوية * كلا بل هوالله احد * الواحد المعبود * ليس بوالد ولا مولود * وانشأ يقول في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر * ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر * لايرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر * ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر * انتهى وروى له اشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث * ولم يخلقنا سدى من بعد عيسى واكترث * ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث * صلى الله عليه ماحج له ركب وحث * الى آخر ماذكروه الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده وبين من فيها من الكذابين وردهالسخاوي وقال انه خارق في الوضع

ولا يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره ايضا فالصحيح انه ليس بموضوع

(وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم) ابن ذي يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزني وازني ويزاني وفيه وفي اشتقاقه كلام طويل للصاغاني وقال البرهان انه مصروف والذي في القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل واصله يزان ورد الصاغاني في الذيل والصلة منع صرفه واطال فيه وقال مادة زان غير معروفة ولا تضاف ذو هنا الا الى اسماء الاجناس وفي شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين احدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم ابدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف على هذا الثاني انه ماض اصله وزن قلبت الواو همزة كما في احد ثم ابدلت ياء وسمي به فهو منصرف انتهى وهذا لا يرد عليه ما اورده الصاغاني وقوله لا تضاف ذو الا لاسماء الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كما هنا وهي لغة اهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمائهم وهو من اضافة المسمى للاسم ويقال للملوك اليمن الاذوو وقصة سيف مشهورة في التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وخويلد بن اسد وغيرهم من وجوه قريش واستأذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابناء الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال ، ايها الملك ان الله قد احلك محلا رفيعا ، شامخا منيعا ، وانبتك منبتا طابت ارومته ، وعذبت جرثومته ، وثبت اصله ، وبسق فرعه ، في اطيب موطن ، واكرم معدن . وانت ابيت اللعن ايها الملك رأس العرب وربيعها الذي تخصب به ، ورأسهم الذي له ينقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي اليه يلجوء العباد ، وسلفك لنا خير سلف ، وانت لنا خير خلف ، ولن يخمل ذكر من انت خلفه ، ولن يهلك من انت سلفه ، ونحن ايها الملك اهل حرم الله وذمته اشخصنا ، اليك الذي ابهجك لكشف الكرب الذي فدحنا ، فنحن وفد التهنئة ، لا وفد الرزية ، فقال له سيف وايهم انت ايها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم فادناه واقبل عليه وعلى القوم وقال ، مرحبا واهلا ، وناقة ورحلا ، ومستناخا سهلا ، وملكا ربحلا ، يعطي عطاء جزلا ، قد سمعت مقالتكم ، وعرفت قرابتكم ، وقبلت وسيلتكم ، وانتم اهل الليل والنهار ، لكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا ظعنتم ، انهضوا الى دار الضيافة والوفود ، وامر لهم بالانزال فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم في الانصراف ثم ارسل الى عبد المطلب وقال له بعد ما قرب مجلسه يا عبد المطلب اني مفض اليك بسر لو يكون غيرك لم ابح به ولكني وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله

فيه فان الله بالغ امره * انى اجد في الكتاب المكنون * والسر المخزون * الذى اخترناه لانفسنادون غيرنا * خبرا عظيما و خطرا جسيما * فيه شرف الحيوة * وفضيلة الوفاة * للناس كافة * ولرهطك عامة * ولك خاصة * فقال عبد المطلب فتلك ايها الملك من سرو بر * فاهو فداك اهل الوبر والمدر زمرا بعد زمر * فقال له اذاولد بتهامة * غلام به علامة * بين كتفيه شامة * كانت له الامامة * ولكم به الزعامة * الى يوم القيمة * فقال له عبد المطلب ابيت اللعن لولا هيبة الملك واجلاله سألته عما ازداد به سرورا قال * هذا حين زمانه الذى يولد فيه اوقد ولد * واسمه محمد * يموت ابوه وامه * ويكفله جده وعمه * قد ولدناه سرارا * والله باعثه جهارا * وجاعل له منا انصارا * يعز بهم اولياءه * ويذل بهم اعداءه * ويضرب بهم الناس عن عرض * ويستبيح بهم كرام الارض * يعبد الرحمن * ويدحر الشيطان * ويخمد النيران * ويكسر الاوثان * قوله فصل * وحكمه عدل * يأمر بالمعروف ويفعله * وينهى عن المنكر ويبطله * فقال عبد المطلب ايها الملك عز جارك * وسعد جدك * وعلا كعبك * ونما امرك * وطال عمرك * هل للملك ان يسرنى بافصاح * فقد اوضح لى بعض ايضاح * فقال والبيت ذى الحجب * والعلامات على النقب * انك لجده غير كذب * فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك فقد ثلج صدرك * وعلا امرك * فهل احسست شيئا مما ذكرت فقال نعم ايها الملك انه كان لى ابن كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا ومات ابوه وامه وكفلته انا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كما ذكرت من علاماته فقال الذى ذكرت كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطوما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين معك فانى لست آمن ان تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون او ابناؤهم ولولا اعلم ان الموت مجتاحى قبل بعثه سرت بخيلى ورحلى حتى آتى يثرب واصيرها دار مملكتى فانى اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام امره وموضع قبره واهل نصره ولولا انى اقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاوطأت العرب كعبه واعلنت على حداثة سنه ذكره ثم امر لكل رجل منهم بمائة من الابل وعشرة اعبد وعشرة اماء وعشرة ارطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملو عنبرا وامر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان رأس الحول فأتنى بخبره ومايكون من امره فهلك قبل رأس الحول فكان عبد المطلب يقول لا تغبطنى احد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لى سرفه وذكره فى العقبى فاذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبد المطلب اشهد ان فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما فى كتب السير والتواريخ ومما ذكرناه من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابى ولا تابعى فذكر الذهبى له فى الصحابة لاوجه له

والعجب من بعض الشراح حيث نقل ماذكرناه وقال انه تابعي فالحق انه ليس كذلك ولا مخضرم ايضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله لا يقال بالرأي ايضا (وماعرف به من امره) وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبني للفاعل لا للمفعول وان صح بناء على انه عرفه به اهل الكتاب والفاعل او نائبه (زيد بن عمرو بن نفيل) قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث امة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك واهله ويوحد الله ويقول لقريش ماقومكم على سوء قد اخطأوا دين ابراهيم باوثن لا تضر ولا تنفع بعد وكان يخالفهم ولا يأكل ذبائحهم فاجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال شامت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يااخا اهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق لبلدك فان الله يبعث لك من يأتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق على الله تعالى انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره ايضا انه اتى راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له انكل من رأيته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج في ارضك اوهو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثه ببلدحيد فقال ياعم مالي ارى قومك قدابغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ما اشار اليه المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه بالحرم (وورقة بن نوفل) احد النفر الذين كانوا في الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو معطوف على زيد اي وماعرف به ورقة من امره صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر به خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها كما ذكره البخاري وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرؤ الكتب ويعرف العبرانية وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخبره بامره ابشر فانك الذي بشر به ابن مريم ورآه صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لاتسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وعثكلان الحميري) بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام والف ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اي ماعرف به من امره صلى الله تعالى عليه وسلم ممن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصائص ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن

عبدالحارث عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت على عسكلان بن عواكن الحميرى وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألنى عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكانى فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لى انتسب يااخا قريش فقلت انا عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبدالحارث بن زهرة قال حسبك يااخا زهرة الاابشرك ببشارة هى خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالمعجبة وابشرك بالمرغبة ان الله قد بعث فى الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرف ولا تبالة هو من بنى هاشم وانتم اخواله ياعبدالرحمن احق الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذى المعالى * وفالق الليل والصباح
انك فى السر ومن قريش * ياابن المفدى من الذباح
ارسلت تدعو الى يقين * ترشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى * انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعى الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبدالرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت ابابكر رضى الله تعالى عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما اتيت بيت خديجة رآنى صلى الله تعالى عليه وسلم فضحك وقال لى ارى وجها خليقا ان ارجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال ارسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مؤمن مصدق بى وماشاهدنى اولئك من اخوانى حقا انتهى (وعلماء يهود) وفى نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه فى باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولاتدخله الالف واللام قال الشاعر

اولئك اولى من يهود بمدحة * اذا انت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله شراحه اى ماعرف به من امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه فى كتبهم ورووه عن اسلافهم كابن صوريا وابن اخطب وابى ياسر ووهب بن يهود وغيرهم ممن لايحصى ومنهم من اسلم ومنهم من عاند حسدا فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال (وشامول عالمهم) بشين معجمة وميم ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه

وفي كتاب الوفاء لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال اني مخرب
هذه البلدة حتى يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي
وهو يومئذ اعلم اليهود ايها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده
مكة واسمه احمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي انت به سيكون فيه من القتلى
من اصحابه واعدائه امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال واين
قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكن النصرة قال تكون له مرة وعليه
اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لاينازعه احد ثم سأله عن صفته فاخبره بها
كما في حديث الحلية الشريفة وقوله (صاحب تبع) اى الذى كان معه ورهبان
آخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح ههنا
لعلنا ندركه اوابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله
(من صفته وخبره) صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته آباؤهم لما عرف به
(وما الفي من ذلك) اى من صفته وخبره (في التوراة والانجيل) والفي بهمزة مضمومة
ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة
والانجيل كثيرة وسيأتي طرف منها واعلم ان التبابعة اربعة وقد اختلفوا في ايهم
آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو الاكبر اوغيره كما قاله السهيلي وليس هذا
محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله (مما قد جمعه العلماء) في تأليفهم بيان لما الفي فيهما
من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبره (وبينوه) اى اظهروه ووضحوه للناس
(ونقله عنهما ثقاة من اسلم منهم) اى من اهل الكتاب (مثل) عالمهم وحبرهم
عبدالله (ابن سلام) بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى
اسلامه (وبني سعية) بني جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة
ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل النون اكثر واشهر وهم
ثعلبة واسيد بالصغير والكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذى
في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن
عبيد وهم نفر من هذيل بنو عم قريظة والنضير اسلموا في الليلة التي نزلت فيها
قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذى
اعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي رأى معهم اسد بن عبيد
فظنه اخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم
عليهم رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اقام عندهم وكان عالما
يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يامعشر يهود
انما اقدمني هذه البلدة خروج نبي قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجرة وقد كنت
ارجوا ان ادركه فاتبعه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهاجر وحاصر

(بني)

بنى قريظة قال لهم بنو سعية وهم احداث والله انه هو الذى عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بل هو هو بصفته فنزلوا واسلموا واحرزوا اهلهم واموالهم ودماءهم كما فى الاكتفاء ودلائل البيهقى (وابن يامين) بن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بنى النضير وقيل انه بنيامين ويقال بليامين باللام وهو احد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الآخر سحيت كامن وكانه تصغير سخت كما قاله التلمسانى وقال الشارح الجديد لم اطلع عليه (ومخيريق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والياء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة المصغر وهو كامن كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كان احد يوم السبت قال يامعشر يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لاسبت لكم ثم اخذ سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالى لمحمد يصنع بها مارآه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كامن اسم هذه القبيلة ولا شك انه منها ومن خيرها فلا يقال كيف اضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل (وكعب) بن ماتع وهو كعب الاحبار كما تقدم التابعى المشهور ادرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص على مامر وروى عنه آثار كثيرة فى صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التورية كما فى الوفاء وكتاب الشرف لابى سعيد وفى خير البشر لابن ظفر وسأله عمر رضى الله تعالى عنه عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التورية فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادى المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وايامه بها ثم يقبض ويدفن بها الى غير ذلك مما لايحصى كثرة (واشباههم) من علمائهم الذين كانوا يعرفون امره صلى الله تعالى عليه وسلم واخباره من كتبهم (ممن اسلم) وآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رآه كمخيريق اولم يره ككعب (من علماء يهود وبحيرا) عطفه على علماء اليهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة والف مقصورة على المشهور الا ان البرهان قال ان راءه ممدودة بخط العلامة بن المرحل فلعله وقف على لغة فيه وقصته صحيحة مشهورة فى السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة له عند محل يقال له بصرى فى طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت لاحد منها فلما ذهب ابو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم وهو صغير ابن تسع سنين او اثنى عشرة سنة نزل لهم وقال يامعشر قريش انى صنعت لكم طعاما فذهبوا معه وتركوه فى رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقى احد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى اتى فسألوه عن سبب هذا ولم يكن دأبه فقال انى رأيت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا نبى وانا نجده فى كتابنا وهذه صفته ونظر الخاتم النبوة فيه فقال لابى طالب احترس عليه من اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل اسرع فى سفره وعاد به والقصة مفصلة فى السير وبحيرا هذا من اول من آمن به وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة (ونسطور الحبشة) احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما فى بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة فى السير وهى قريبة من قصة بحيرا وفى بعض النسخ نسطور بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء اهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشى (وصاحب بصرى) بضم الباء كحبلى بلدة بالشام وهى بين المدينة والشام وقيل انها حوران وهذا هو المعروف وفى نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها الذى ارسل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث ابن ابى شمر الغسانى كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما اخبر به عن امره صلى الله تعالى عليه وسلم (واسقف الشام) وفى نسخة اساقفة الشام ويعنى بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم واسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الا اسرب وحكى ابن سيدة ثالثا وهو الاسلف للصالح وقال العينى فى شرح البخارى ولا يرد عليه الاترج لانه جمع والكلام فى المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر الفارسى فى كتاب منبع الرغائب والغرائب فى الحديث فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف من سقيفاه وجمعه اساقفة والسقيفى مصدر كالخليفى ومعناه لا يمنع اسقف من تسقفه ولا راهب من ترهبه والسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف وقال هو بين السقف وفى خطبة الحجاج المعروفة اياكم وهؤلاء السقفاء قال القتيبى اكثرت السؤال عنه فلم يعرفه احد وقال بعض اهل اللغة انما هو الشفعاء اى الذين يشفعون عند السلطان فى المريب انتهى وفى القاموس وقول الحجاج اياكم وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون فى المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشرى اثبته فى الفائق والاسقف عالم النصارى ورئيسهم (وضغاطر) بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدها الف وطاء وراء مهملتان ويقال ضغاطس بنون ويقاطر بموحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو اسقف من كبار الروم اسلم على يد دحية رضى الله تعالى عنه لما ارسله رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبي وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة وهو الذى ابهمه البخارى فى اوله فى قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره فى العلم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل ادخلنى عليه وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم فسأله عن امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلوة والسلام اما انا فصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام واخبره انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانى قد آمنت به وصدقته وروى ابن اسحق ان هرقل ارسل دحية الى ضغاطر الرومى وقال انه فى الروم انفذ قولا منى فاظهر اسلامه والقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم على انفسنا فضغاطر كان عندهم اعظم منى وحينئذ فضغاطر تابعى مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضى الله تعالى عنه وفد على هرقل مرتين (والجارود) ابن عمرو بن العلاء او ابن العلاء ويكنى اباغياث او ابا عتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا فى دينه وادرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله اشعار رويت فى السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض

فابلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقيل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمى الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم كما قال العبدى

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

وقيل لانه فر بابله وبها داء الى اخواله بنى شيبان ففشا الداء فى ابلهم حتى اهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستيصال (وسلمان) الفارسى وقصة اسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبى صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها (وتميم) الدارى ينسب للدار وهم بطن باليمن من لخم وهو ولد هانىء بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن اوس بن خارجة بن سواد ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار ويكنى بابى رقية واسلم تميم سنة تسع وسكن

المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرأ فيها بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به واقطعه اراضى بالقدس وقصته مشهورة افردها ابن حجر وكذا السيوطى بالتأليف (والنجاشى) بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل غير ذلك كسليم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفى فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغائب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال للقسيسين اشهد انه رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك اتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم اهل عصره بالانجيل يقرؤ صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام فى ترجمته (ونصارى الحبشة) هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل واخبروا بها (واساقفة نجران) وفى نسخة اساقف بدون هاء جمع اسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا اى علماؤهم ورؤساهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة والف ونون وهو موضع باليمن سمى بنجران بن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمى اهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى ستون راكبا من اشرافهم وكان لهم علم بالكتاب واشرافهم ابو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه امامه بالنصرانية فملكوه ومولوه وبنوا له كنائس واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف وآخره زاء معجمة على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له لم يا اخى قال لم لم تؤمن بهذا النبى وانه الذى كنا ننتظره فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما صنع هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها فى نفسه حتى اسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم الحبرات فى جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلون الى الشرق فقال دعوهم ثم اتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة والعاقب والايهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير فانزل الله تعالى فيهم اول سورة آل عمران فلما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا انه ما لاعن نبى قوما الا استؤصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم ابا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقضى بينهم والقصة مفصلة فى كتب التفسير والسير (وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) اى ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به فى الكتب القديمة (هرقل) ملك الروم وقصته مذكورة فى اول البخارى وهرقل بكسر الهاء

وفتح الراء وسكون القاف كامر وحكي اسكان الراء وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب الالهية ولكن احب الملك فحكم بشقائه مالك الملك وفي الاستيعاب انه آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بموتة ووعدهم ان يأتيهم في العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما اخبر به دحية (وصاحب رومة) بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة يليها هاء في اكثر النسخ وفي بعضها رومية بياء مخففة عند اهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد لحنا لانه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو لفظ عجمي معناه حارس الكروم والعامة تقوله ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا واعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقاء على البقاء على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها رياستهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحب رومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على مازعمه (عالما النصارى) مثنى عالم (ورئيساهم) مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية اى حاكمها (ومقوقس صاحب مصر) اى ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومي قيل معناه عندهم مطول البناء وهو الذي اهدى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اتخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومازال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني واهم مقوقس آخر عد في الصحابة قاله الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام (والشيخ صاحبه) اى صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لانعرفه الا ان المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجائب احال عليها في مروج الذهب فان وقفنا عليها الحقناها بماهنا (وابن صوريا) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية والف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبدالله بن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه اعلم منه بالتورية وقال النقاش انه اسلم وقيل اسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحق اسلامه وعده في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المصنف رحمه الله مبني على عدم اسلامه (وابن اخطب) بزنة افعل من الخطبة وهو حيي ابو ام المؤمنين صفية

رضى الله تعالى عنها (واخوه) ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا في اسراء بنى قريظة وكانا يعلمان امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومافى التورية من ذكره بصفته ومع ذلك كانا اشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما اسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة غدا اليه ابى وعمى ثم جاآ باالعشى فسمعت عمى يقول لابى اهو هو قال نعم الحديث (وكعب بن اسد) من بنى قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامعشر يهود انكم ترون مانزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على نسائكم واموالكم واهلكم فقالوا لانفارق حكم التورية ولا نستبدل به غيره الى آخر القصة ومافيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كند بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة (والزبير ابن باطيا) الزبير هنا بفتح الزاء المعجمة وهو من يهود بنى قريظة ايضا قتل كافرا فى وقعة بنى قريظة وهو جد عبدالرحمن بن الزبير بضم الزاء وقيل انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه بالضم كما فى تاريخ البخارى وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاء فى اليهود وفى غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بنى قريظة وكان من اعلم اليهود روى عنه ابنه انه كان يقول انى وجدت سفرا كان ابى يختمه فيه ذكر احمد نبى يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد ابيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف تليها طاء مهملة ومثناة تحتيه والف مقصورة وفى بعض النسخ باطا بدون ياء وكتب عليها صح وقال التلمسانى انها رواية فيه (وغيرهم من علماء اليهود) الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم واحبارهم ولهم ذكر فى مفصلات السير (ممن حمله الحسد) له صلى الله تعالى عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بنى اسرائيل (والنفاسة) بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد وهى مغايرة له لانها المنازعة فى الانفسية بان يدعى انه انفس واحق بماهو فيه وانه لايستأهله ولايستحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لماذكر حتى كأنه حمله حتى اوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر (على البقاء على الشقاء) اى اصراره على كفره او ارتداده عنادا والشقاء ضد السعادة وبين الشقاء والبقاء تجنيس (والاخبار) الواردة (فى هذا) الباب (كثيرة لاتحصر) اشارة الى ان ماذكره قليل بالنسبة لماتركه منها اذهى لايمكن حصرها اى الاحاطة بها (وقد قرع) بالبناء للفاعل

﴿ والتخفيف ﴾

والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة فى الجهر حتى كأنه يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر (اسماع اليهود والنصارى) خصهم لانهم اهل الكتاب وقدم اليهود لانهم اشد عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم واكثر انكارا وعنادا وفى بعض النسخ يهود والنصارى فعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل لان اليهود اشد عداة للمؤمنين وفيه نظر (بما ذكر انه فى كتبهم) متعلق بقرع وفاعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة اصحابه) وفى نسخة وصفة امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع فى الكتب الالهية ذكرها خصوصا وعموما ففى التورية انهم خير امة هم الآخرون السابقون يوم القيمة اناجيلهم صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون اهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر فى كتابه خير البشر بخير البشر (واحتج) صلى الله تعالى عليه وسلم اى اقام الحجة (عليهم بما انطوت عليه صحفهم) اى بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء مافيها وكتمه لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهى الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لاتجمع على فعل الانادرا (من ذلك) اى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة امته (وذمهم بتحريف ذلك) المذكور فى كتبهم بتغيير بعض الفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) الآية فبدلوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به فى كتابنا (وكتمانه) اى اخفاء صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة امته كما قال الله تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون) (وليهم السنتهم ببيان امره) اى صرفه لغيره حسدا وبغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره واصل اللى فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال الله تعالى (يلوون السنتهم بالكتاب) انتهى (ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب) اى قرع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهى اللعنة بان يقول كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضى عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد فى الدعاء ويتعدى بعلى (فما) احد (منهم) اى اليهود والنصارى (الا من نفر) اى اعرض وهرب (عن معارضته) فيما قرع به اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها (وابدى) فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه فى قوله (ما الزمهم) نظرا لمعنى من وفاعل الزم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (من كتبهم) بيان لما اى مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة (اظهاره) مفعول الزم اى الزمهم اظهاره اذا كتموه (ولو وجدوا خلاف قوله) فى كتبهم (لكان اظهاره) اسم كان وقوله (اهون عليهم) اى اسهل خبر كان (من بذل النفوس) بموحدة وذال معجمة اى اعطائها له بالقتل (والاموال) التى غنمها واخذها منهم قهرا (وتخريب الديار) كما وقع ليهود خيبر وبنى النضير (ونبذ القتال) اى تركه وهو اشفى لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها (وقد قال لهم) جملة حالية اى لليهود لمقرع اسماعهم بقوله تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) وقوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) فقالوا لسنا باول من حرمت عليه فقد حرمه على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم (قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامرهم بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم يأتوا بنبت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما فى قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه فى التورية فتحص تحرمها فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان به عرق النساء وهى تضره (الى ما انذر به الكهان) جمع كاهن وهو الذى كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعى الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخويف والى غاية لما تقدم اى انتهى ما ترادف من الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه اوالى بمعنى مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين (مثل شافع بن كليب) شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب اخبر تبعا بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبمهاجرته الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه (وشق وسطيح) وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت العرب تأتيه فيخبرهم بما سيأتى وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة رأسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلاثمائة سنة وقصتهما وذكرهما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح يسألهما عن رؤيا هالته مذكورة فى السير مشهورة ولهما قصص كثيرة فى التواريخ وادركا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وسواد بن قارب) بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسى الصحابى وكان كاهنا من كهان العرب له رئى من الجن يأتيه ويخبره بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم

ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله تعالى عز وجل والى عبادته ثم اتاه ليالي يقول له مثل مقالته فركب ناقته واتى المدينة واجتمع مع رسول صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به واخبره بخبر رؤيته وما قال له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيله في السير (وخنافر) بضم الخاء المعجمة ونون والف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له رئى من الجن اخبره ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم على يد معاذ رضي الله تعالى عنه كما يأتي ولم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعي وهو ابن التوأم الحميري وله جنية تسمى شصارا وشاصر وكان عاتيا ذا مال وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفي آمال القالي عن الكلبي قال كان خنافر ابن التوأم الحميري كاهنا قد اوتي بسطة في الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشجر فحالف بهاجودان وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئى في الجاهلية لايكاد يغيب عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينا هو بذلك الوادي هوى عليه هوى العقاب وناداه خنافر فقال شصار قال اقل قال قل اسمع فقال ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذي امد الى غاية قلت اجل قال كل ذي دولة الى اجل ثم يتاح له حول انتسجت النحل ورجعت الى حقائقها المال انك بخير موصول والنصح لك مبذول اني لست بارض الشام نفرا من آل العرام حكاما على الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فظلمت فقلت بم تهيمون والى م تفرؤن قالوا خطابا كبار جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار اصدق الاخبار واسلك اوضح الآثار تنج من اوار النار قلت وماهذا الكلام قال فرقان بين الكفر والايمان رسول من مضر من اهل المدر انبعث فظهر فجاء يقول قد بهر واوضح نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذا لمن ازدجر الف بالآي الكبر قلت ومن هذا المبعوث من مضر قال احمد خير البشر فان آمنت اعطيت البشر وان خالفت اصليت سقر فآمنت ياخنافر واقبلت اليك ابادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا فهو الفراق عن لاتلاق قلت من اين ابغي هذا الدين قال من ذات الاحرين والنفر الميامين اهل الماء والطين قلت اوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهنالك اهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم املس عني فبت مذعورا لداعي الصباح * فلما فرق لي النور امتطيت راحلتي واذنت عبدي واحتملت باهلي حتى وردت الجوف فرددت الابل على اربابها بحولها واسقابها * واقبلت اريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل امير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سورا من القرآن فمن الله تعالى علي بالهدى

بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح مافي الخبر من اللغة فان اردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية (وافعى نجران) هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو الافعى بن الافعى الجرهمي فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحفون به فقال يارسول الله حزفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعري وثار عقلي ونبتت اسناني وهو لاولدى لصابي وخلفهم من نسلهم اضعافهم وقد سمعت افعى نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث نبي من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة فبالذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران هذا هو الذي حكم بين اولاد نزار لما تشاجروا في ميراث ابيهم وهم مضر وربيعة وانمار واياد وقال يامضر انت ابو النبي التهامي فانا نجد في الآثار انه من ولد نزار بن معد بن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا واجلسه على سرير ملكه وجلس تحته وهذا ماأشار اليه المصنف رحمه الله تعالى والشراح كلهم لم يقفوا عليه (وجذل ابن جذل الكندي) قال الحافظ الحلبي لااعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب اخبر بمبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم قديما ولم ار تفصيل قصته الا ان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولد تمامه التمست ذكره فلم تجده من شدة البرد فطنته جارية قطرحته وزوجها في سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم ابيه فقامت وهي تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه (وابن خلصة الدوسي) بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصائص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرادس بن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يارسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يامعشر دوس هل علمتم لي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي غنمي اذا غشيتني ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المرأة فخشيت فلما دنت الولادة وضعت غلاما اعصف له اذنان كاذني الكلب فمكث فينا وكان لايقول شيئا فلما كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ماهذا قال ماادري كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كأنه جمرة نار فقال يامعشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء فقلنا من اين قال بمكة وانا ميت فادفنوني برأس جبل فاني ساضطرم نارا فاذا رأيتم ذلك

فاقذفوني بثلاثة احجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدى واطق فقعلنا ذلك واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرنا بمبعثك يارسول الله انتهى ومنه نعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكرا وانما هي كاهنة فاعرفه فان خلصة امرأة والكاهن ابنها (وسعدى بنت كريز) بضم الكاف العربية وبالراء المهملة واخره زاء معجمة وفي النسخ هنا اختلاف والصحيح ماذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت في الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما اسلم كانت تنشد * هدى الله عثمانا بقولي الى التي * بهارشده والله يهدي الى الحق * وفي بعض النسخ سعد بن بنت كريز (وفاطمة بنت النعمان) قال التلمساني هي فاطمة بنت النعمان البخارية كان لها تابع من الجن وكان اذاجاء اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لاتدخل فقال قد بعث نبي يحرم الزنا فكان ذلك اول ماسمع بذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكانت في الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان بن قراد وقيل هو علي بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمر وغيره فهو تابعي ونعمان اسم موضع واسم الدم ايضا (ومن لايعد كثرة) وفي نسخة ينعد مطاوع يعد اي لايعد لكثرته لالعدم اعتباره مضموما اومنتهيا (الى ماظهر على السنة الاصنام) الظاهر انه استعارة تمثيلية شبهها في ظهور صوت شخص تكلم بكلام وقيل هذا لايصح لانه على مذهب الجبائي الذي يشترط الآلة المخصوصة للنطق ونحن لانشترط الا الحيوة فالصواب كلام الاصنام او نطق الاصنام الا ان يراد بالسان الكلام وليس بشيء لما علمت من انه استعارة وهو تفنن في وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحق وغيره كثيرا مماسمعه المشركون من اجواف اصنامهم يقولون ان امرهم بطل بظهور الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمرهم باتباعه وان الباطل بطل وقدجاء الحق (من نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وحلول وقت رسالته) ومن بيانيه لما كصنم كان لمازن الطائي قرب له يوما قربانا فسمعه يقول يامازن اقبل الى اقبل * تسمع مالاتجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * الى آخر مافي السير من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم ونظائره كثيرة وكانت الشياطين هي التي تسمعهم الكلام من غير ان يروهم (وسمع) مبني للمفعول معطوف على ظهر (من هواتف الجن) وفي نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابوالجن والجن الجنس كله والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لايرى شخصه من صرخ ولذا خص بالجن عند العرب وكانت عند مبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثر ذلك وللخرائطي كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض

احواله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه آية عظمية من آياته وظهور بيناته كسماع ذياب بن الحارث هاتفا يقول ياذياب ياذياب * اسمع العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو فلا يجاب * وسماع ابن قرة الغطفاني هاتفا يقول جاء حق فسطع * وذم باطل فانقمع * وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ام معبد الى غير ذلك فكل الكون السنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والصوفية يسمون الواردات الآلهية هاتفا كما مر (ومن ذبائح النصب) اى ماسمع منها اذ قربت للذبح والذبائح جمع ذبيحة وهى مايذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ماينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ماسمع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا لصنم فقال ياآل ذريح * امر نجيح * رجل فصيح * يقول لا اله الا الله الى آخر ماروه (واجواف الصور) اى ماسمع من الاصنام التى كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثته مصورة وهى التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شيء (وماوجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا فى الحجارة والقبور) اى وعلى القبور (بالخط القديم) المتقادم عهد كتابته (والشهادة له بالرسالة) بذكر اسمه وانه نبى مرسل من الله تعالى (ما اكثره مشهور) بين الناس وماالثانية بدل من الاولى اوخبر والاولى مبتدأ وهما موصولتـان وقد نقله ثقات المؤرخين فى قصص لاتحصى ومكتوب روى مرفوعا خبر مبتدأ محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجد والخبر مقدر اى ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبرانى على بعض الحجارة محمد تقى مصلح امين وان فى تفسير قوله تعالى (وكان تحته كنزلهما) عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وتقدم شرح ذلك كله بمافيه الكفاية (واسلام من اسلم بسبب ذلك) اى بسبب مارآه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسـان العربى وهو ممايدل على صدق ماكتب فاعرفه (معلوم مذكور) فى السـير والتواريخ ﴿ فصل ومن ذلك ﴾ اى ممايدل على نبوته صلى الله عليه وسـلم ورسالته (ماظهر من الآيات) اى العلامات اوالادلة (عندمولده) اى ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمى (وماحكته امه) آمنة بنت وهب وهى اشهر من ان تذكر (ومن حضره) ولادته (من العجائب) قيل اخر هذا الفصل وكان ينبغى تقديمه لانه اول احواله لتقدم المعجزات بحسب الشرف ويأباه انه ذكر فيه مايتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهى متأخرة فهو ناظر لذلك اولانه لايختص بزمان وهو كالاجـال لما قدمه والفذلكة تؤخر والعجائب ومامعه اشارة الى مارواه ابو نعيم عن ابن عبـاس من ان امه صلى الله تعـالى عليه وسـلم لماحملت به اتاهـا آت فى منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذاولدتيه فسميه محمدا واكتمى شانك فلما احذنى ماياخذ النساء

لم يعلم بي احد وانى لوحيدة فى منزلى فى طرفه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى فرأيت كأن جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل ما اجده ثم التفت فاذا نور غالب ونسوة طوال حولى فقلت من اين علمن بى وفى رواية انهن قلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنت عمران وهؤلاء من الحور العين فبينا انا كذلك واذا انا بديباج ابيض بين السماء والارض وقائل يقول خذاه عن اعين الناس ورجال فى الهواء بايديهم اباريق من فضة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكروه وقال ابن الجوزى فى تلقيح الكفر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل لثنتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتى عشرة خلت منه ومات ابوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاول اصح (وكونه رافعا رأسه عند ما وضعته) اى رفعه نحو السماء كما ذكره البيهقى (شاخصا ببصره الى السماء) قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمعه وبصره واشخصه صاحبه وقوله شاخصة ابصارهم اى اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السماء تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله تعالى عليه وسلم بالملأ الاعلى وتوجهه لذلك من اول امره كما قال الابوصيرى

رافعا رأسه وفى ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء
رامقا طرفه الى السماء ومرمى * عين من شانه العلو العلاء

وروى انه خرج معه نور اضاءله المشرق والمغرب وروى انه ولد واصابعه مقبوضة مشيرا بالسبابة كالمسبح (ومارأته) امه كما رواه احمد والبيهقى (من النور الذى خرج معه عند ولادته) وحديث النور الذى خرج معه اضاءله جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحق بن عبد الله ان امه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نور اضاءله قصور الشام وتقدم فى كلام المصنف عن امه انها قالت فولدته نظيفا مابه قذر قال ابو شامة كان امر هذا النور اشتهر ذكره فى قريش واليه اشار العباس كما مر بقوله

وانت لما ولدت اشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

الى آخره وقال حسان رضى الله تعالى عنه

نور اضاء له على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدى

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو اشارة الى نور هدايته الذى محى ظلمة الشرك كما قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقوله واضاءله قصور الشام

خصه لانه مشرق انوار النبوة وهي دار ملكه (ومارأته اذ ذاك) اي وقت ولادته (ام عثمان بن ابي العاص) ابوعبدالله بن بشير الثقفي وامه اسمها فاطمة بنت عبدالله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضاء البصرة وروى عنها ابنها انهاشهدت مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ورأت مارأته (من تدلى النجوم) التدلى الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية في القرب (وظهور النور) الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها (عندولادته حتى ماتنظر) اي ام عثمان المذكورة بتاء المضارعة ويجوز ان يقرأ بالنون للحاضرين اوالموجودين والاول اولى رواية ودراية (الاالنور) اي لاترى شيئا غير النور وهومبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلى النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله تعالى

وتدلت زهر النجوم اليه * فاضاءت بضوئها الارجاء

وقيل معنى تدليها سقوطها ولاينبغي من مثله (وقول الشفاء ام عبدالرحمن بن عوف) الشفاء بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة ومدكما قاله الدلجي والمعول عليه ماقاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبدالرحمن وبنت عم ابيه عوف بن الحارث وقال السهيلي ان اسمها عدا ايضا وفي الاستيعاب انها اخت عبدالرحمن بن عوف وحكاه عن الزبير قال وقد قيل انها امه (لماسقط) صلى الله تعالى عليه وسلم (على يدي) اي وضعته امه فنزل على يديها (واستهل) اي عطس لاصاح وان كان يقال استهل الصبي اذا صاح بدليل قولها (سمعت قائلا) اي ملكا (يقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمك الله) اويرحمك ربك اويرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال التلمساني انه روى بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه اوله صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار النسمة وتقدير استهل بعطس ذكره الدلجي ويشهد له قول الابوصيري

شمته الاملاك اذا وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

اذالقول المذكور لايقال الاعندالعطاس اي الذي هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يجئ في شيء من الاحاديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ولد عطس وفي الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذي لايقال الاعند العطاس وهذا الحديث رواه ابونعيم في الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه (واضاء لي مابين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم) ولامنافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتمة الحديث

(ثم)

ثم اضجعته فلم انشب ان غشيني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيبت عني فسمعت قائلا يقول اين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بال مني حتى انبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكنت اول الناس اسلاما وفي الخوارق امور غريبة من تنكيس اسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى كما قدم في كلامه انه ولد مختونا مسرورا اى مقطوع السرة كما تقدم الجزم به في كلام المصنف رحمه الله تعالى بل قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبي لا اعلم صحته فضلا عن تواتره واجاب بعضهم بانه اراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت احاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ بن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام (وما تعرفت به حليمة) بنت ابي ذؤيب السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها مشهور (وزوجها) الحارث بن عبد العزى (ظئراه) عطف بيان او بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة في الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا والظئر مشترك معنوي لانه من ظأر اذا عطف فلا اشكال في تثنيته فانه ليس نحو عينين مع انه مسموع ايضا (من بركته) صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخذته من امه (ودرور لبنها له) اى زيادة خروجه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته (ولبن شارفها) اى ودرور لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر (وخصب غنمها) بكسر الخاء اى رعيها في مكان مخصب في سنة مجدبة او هو مجاز عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه عندها واصل معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب واول من ارضعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله تعالى عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابن عبد البر انها اسلمت وانكره الدمياطي وصنف فيه مغلطاى جزءا وله صلى الله تعالى عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما فصل فيها احوال مرضعته وذهابها به صلى الله تعالى عليه وسلم الى ارض قومها (وسرعة شبابه وحسن نشأته) اى سرعة نمو خلقه وقامته ونشأته ابتداء امره في صغره من نشأ ينشأ فهو ناشئ وان حليمة قالت والله ما بلغ سنة حتى صار غلاما جفرا (وما جرى) اى وقع وحدث (من العجائب) في (ليلة مولده) اى في ليلة ولادته مما رواه البيهقي وغيره وفي نسخة ميلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن رحمه الله تعالى في حديث نقلوه والذي في مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحصة قد تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى

ان اليوم من طلوع الشمس والحاصل انه لا ينافى ماتقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن ام عثمان بن ابى العاص على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان يسقط النجوم نهارا اى فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر (من ارتجاج) اى تحرك واضطراب (ايوان كسرى) وهو قصره ومن الاول بيان لما والثانية للعجائب وقيل بيان لما ايضا وفيه نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو انوشروان بن قباد وهو غير كسرى الذى كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقى وابن ابى الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبناء العالى العظيم واصله اوان بتشديد الواو فابدلت الاولى ياء وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور (وسقوط شرفاته) جمع شرفة بضمتين كما فى تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين او بضم فسكون بوزن غرفة وفسرت باعاليه وانما هى مايبنى على اعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها اربعة عشر بعدد من ملك من اولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم فى زمان قليل واطلاق شرفات على ماذكر لاستواء القلة والكثرة فيه لاضافته اولانه لاجمع له سواها او لانه يجوز استعمال كل من الجمعين فى معنى الآخر (وغيض بحيرة طبرية) غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل اوذهب يقال غاض الماء وغاضه الله واغاضه فيتعدى ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهى البركة الكبيرة التى كثر ماؤها ويطلق على الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين المقدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الاان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج فان اولهم يشربها ويجئ آخرهم فيقول كان ههنا ماء انتهى اقول ماقاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات والعجب مما تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة اخرى بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة اميال وكذا عرضها وقد روى الحديث البيهقى وابن ابى الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطى وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ماءها نقص نقصا لا ينقص مثله فى زمان طويل اوغار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة التى تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لابحر والتاء زائدة كما قيل وهى ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث

(وليست)

وليست التاء مزيدة فيها بعد العلمية كذي الثدية لتأويلها بالبقعة وهي تكلف لاداعي له (وخمود نار فارس) بمنع الصرف لانه علم اعجمي وفارس اقليم معروف هو واهله فكان ماغاض من الماء فاض على النار فاطفأها والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر (وكان لها) اى لتلك النار (الف عام لم تخمد) لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانى

سجدت الى النيران اعصرها ومذ * شرت به سجدت له نيرانها

وقال آخر وذاك دليل للنجاة من اللظا * به لانطفاء النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل فى تأجج وان لم تمد وقصة النار ورؤيا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة فى السير مشهورة (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس (اذا اكل مع عمه ابى طالب وآله) اى اهل بيته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فى حضانته بعد عبد المطلب (وهو صغير) جملة حالية (شبعوا) من الطعام (ورووا) اذا شربوا لبنا ونحوه لاماء ولذا جعله مأكولا لانه غداء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم مما لايشبع منه مثلهم لقلته (واذا غاب) اى عنهم فلم يكن معهم (فاكلوا) وحدهم (فى غيبته) عنهم (لم يشبعوا) وباتوا جياعا (وكان سائر ولد ابى طالب) اى جميعهم او بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وانكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه فى شرح الدرة (يصبحون) اذا قاموا من نومهم (شعثا) جمع اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم فى مضاجعهم (ويصبح صلى الله عليه وسلم) اى يدخل فى وقت الصباح اذا قام من نومه (صقيلا) اى رائق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المرآة الصقيلة (دهينا) اى كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم (كحيلا) اى مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة او احوال وكان اولاد ابى طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلى كرم الله وجهه وام هانئ وام طالب وجمانة وكلهم اسلموا الاطالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز او حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصقول بالمسوى الشعر والكحيل بالذى لارمص بعينيه ولاقذى وكان ابوطالب يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على اولاده فاذا اتى بطعام يقول لاتأكلوا حتى يأتى ابنى وروى فى بعض النسخ (قالت ام ايمن) هى بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (حاضنته) اى التى كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد فى حضنها وقيل انها

ارضعته وهي حبشية وابنها ايمن بن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله ابيه صلى الله عليه وسلم وروى عنها في الصحيحين وادركت خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه كما نقله الذهبي عن الواقدي وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر وهو الذي صححه النووي رحمه الله تعالى وخطأ الواقدي فيما قاله وانما حضنته لموت امه آمنة (ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا) لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال تعالى ﴿الم يجدك يتيما فآوى﴾ وحاضنة اسم فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطأ فاحش على عادته (ومن ذلك) اى دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته (حراسة السماء بالشهب) وهي شعل النار المرئية في نجوم السماء جمع شهاب (وقطع رصد الشياطين) اى ترصدهم وترقبهم لسماع ماتقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة هو مصدر ويكون بمعنى راصد وجماله فلذا اطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن (ومنعهم) اى منع الله لهم (استراق السمع) وهو ان يختفى احد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكأنه يسرق الكلام الذي سمعه واعلم ان رمى الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحى بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رأت قريش كثرة القذف بالانجوم قالوا قربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمى به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى ﴿وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآية﴾ وقد روى ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلوة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمى به قيل انه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمى الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في الجاهلية اذا رأوا شهابا سقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد في الحديث (و) من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم (ما نشأ عليه) اى خلقه الله عليه من ابتداء نشأته وطفوليته (من بغض الاصنام) وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقي ان زيد بن حارثة مس بصنم فتمسح به فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام آزر عنها (والعفة عن امور الجاهلية) التي كانوا يرتكبونها فخلقه الله تعالى مستغفلا

عنهـا لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبـة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب (وماخصـه الله به من ذلك) فجعل فيـه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسـية فصانه (وحماه) قبل بعثه من الصفات الردية (حتى في ستره) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا اى ستر بدنه حتى لايرى احد منه صلى الله تعـالى عليه وسلم مالاينبغي رؤيته كالعورة فكان لايتعرى عند احد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة احيانا وفي نسخة حتى سـتره مجرورا بحتى وهو غاية لماقبله من الحماية وماقيل ان كان المراد كشف العورة فهوقبيح عقلا ومادونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الاان يقال انه من خصوصياته الدالة على نبوته امر لاطائل تحته (في الخبر المشهور) الذى رواه الشيخان عن جابر والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (عند بناء الكعبة) اى لما بنتها قريش ونقلهم الحجارة لبنائها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم (اذ اخذ ازاره) اى ملحفته التى كان مؤتزرا بها (ليجعله على عاتقه) اى اخذ الازار ليجعله على كتفه الذى يضع عليه الحجارة حتى لاتؤذيه (ليحمل عليه) اى على عاتقه اوازاره (الحجارة وتعرى) اى انكشف اسفله لنزع الازار عنه (فسقط الى الارض) مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء (حتى رد ازاره عليه) وستر عورته (فقال له عمه) وهو العباس كما صرح رواية (مابالك) اى ماشـانك وحالك الذى عرض لك حتى سقطت (قال اني نهيت) بالبناء للمجهول (عن التعرى) وكشف العورة كغيرى وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق الردم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا يتفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يحملون ازارهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستغيث رافعا بصره الى السماء فقال له مابالك يا ابن اخى فقال نهيت ان امشى عريانا فكتمها حتى بعثه الله تعالى مخافة ان يقال انه مجنون وفي رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد ازارك وروى انه لكمه لكمة شديدة قيل وهو اول ماتودى به (ومن ذلك) اى مادل على نبوته في اول امره مارواه الترمذى والبيهقي رحمهما الله تعـالى (اظلال الله تعـالى له بالغمام في سـفره) اى كون غمامة تسـير معه صلى الله تعالى عليـه وسلم اى سـاترته حر الشمس دون غيره من الركب كما رآه بحيراء لما سافر للشام مع عمه ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التأثر من الشمس (وفي رواية) لابن سعد (ان خديجة) ام المؤمنين (ونسـاءها) اى النساء التى كن معها عند الرؤية فالاضافة لادنى ملابسـة (رأينه لما قدم) لمكة من سفره للشام في تجارة لها (وملكان يظللانه) اى عدان اجنحتهما عليه لتكون ظلالة له ووقاية من الشمس (فذكرت) خديجة (ذلك) اى مارأته (لميسرة)

غلامها الذى بعثته معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره وميسرة بفتح السين وضمها (فاخبرها) ميسرة (انه رأى ذلك) اى كونه مظللا من السماء بالملكين فلا ينافى ان خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة رأى تظليل الغمام او ان الغمام كانت تسوقه ملائكة فجعلت مظالة له كحامل الظلة يسمى مظللا (منذ خرج معه فى سفره) الى الشام اى من اوله الى آخره وهذا الحديث رواه الواقدى عن نفيسة بنت منبه وهى احدى النساء اللاتى كن مع خديجة فى علية لها ينظرن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر ميسرة فى الصحابة فكأنه مات قبل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رؤية خديجة الملائكة كرامة لها رضى الله تعالى عنها (وقد روى) بالبناء للمجهول والذى رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (ان حليمة) بنت ابى ذؤيب السعدية التى ارضعته صلى الله تعالى عليه وسلم (رأت غمامة تظله) وتقيه من حر الشمس (وهو) مقيم (عندها) لما اخذته صلى الله تعالى عليه وسلم لحيها لترضعه (وروى ذلك) اى تظليل الغمامة له (عن اخيه من الرضاعة) يعنى انه رآه فى صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذى ذكره لامه وانها لم تشاهده لان عبارة الواقدى عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته مع اخيه من الرضاعة وهو ولدها فقالت افى حر الشمس بمكث شفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم منها فقال اخوه ياماه ماوجدا اخى حرا رأيت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس امرا اتفاقيا وهل كان هذا دائما او احيانا لم ينقل فيه شئ ومافى المواهب نقلا عن الزركشى فى شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى ظل غمامة من اعتداله فيل عليه انه ساقط لانه يقتضى ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قات ان اراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغنى عنه او انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه سئ فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله وقد علمت ان الذى فى نسخ الشفاء كما قاله البرهان عن اخيه مذكر بياء تحتية والذى فى سيرة ابن سيد الناس اخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف او رواية رواها ايضا (ومن ذلك) اى مما يدل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين (انه نزل) اى قعد فى محل نزل به (فى بعض اسفاره قبل مبعثه) مصدر ميمى بمعنى بعثته ونبوته (تحت شجرة يابسة) اى ليست مخضرة وليس لها ورق (فاعشوشب ماحولها) من الارض اى ظهر به عشب لم يكن قبله واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة اى كثر عشبه ونباته والعشب الكلأ مادام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة (واينعت هى) اى الشجرة وابرز الضمير لئلا يتوهم انه عائد على ماحولها باعتبار انه ارض وهى مؤنثة سماعية ومعنى

اينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها اوثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا واينعت ايناعا اذا نضجت وقال تعالى (كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه) وقرئ وينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب (فاشرقت) اى تمت وعلت اغصانهـا (وتدلت عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظله (اغصانها) جمع غصن وهى اعلاهـا وفروعها (بمحضر من رآه) اى ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته لسرعته (و) من ذلك (ميل فئ الشجرة اليه) الفئ هو الظل مطلقـا أو بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل فى كتب اللغة وميـل الفئ اما وحده اومع ميل الشجرة نفسها (فى الخبر الآخر) الذى روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره الى الشام وقصته مع بحيراء الراهب كما تقدم (حتى اظلته) علة او غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم سبقوه فجلسوا فى الفئ فلما جلس فى الجانب الآخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فرآه الراهب فى قصته التى تقدمت وكان مع عمه ابى طالب وهو ابن عشر سنين (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ماذكر) بالبنـاء للمجهول والذى ذكره ابن سبع (من انه) بيان لما الموصولة (لاظل لشخصه) اى لجسده الشريف اللطيف اذا كان (فى شمس ولا قمر) مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله (لانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان نورا) والانوار شفافة لطيفة لاتحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد فى الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الاغلب ضوءه ضوئها ولا مع سراج الاغلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعيتا فيه وهى

ماجر لظل احمد اذيال * فى الارض كرامة كما قد قالوا
هذا عجب وكم به من عجب * والنـاس بظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لاينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو بنفسه المظهر لغيره وتفصيله فى مشكاة الانوار للغزالى (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الذباب كان لا يقع على) ماظهر من (جسده ولا) يقع على (ثيابه) وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انهم قالوا الا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمى به لانه كلما ذب آب اى كلما طرد رجع وهذا مما كرمه الله تعالى به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجئ من مستقذر قيل وقد نقل مثـله عن ولى الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلانى ولا بعد فيـه لان معجزات الانبياء قد تكون كرامة لاولياء امته وفى رباعية لى

من اكرم مرسل عظيم حلا * لم تدن ذبابة اذا ما حلا

هذا عجب ولم يذق ذو نظر * فى الموجودات من حلاه احلا

ونظرف بعض علماء العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجودات النقط تشبه الذباب فصين اسمه ونعته عنه كما قلت فى مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو * رسول الله محمودا محمد

ونقط الحرف يحكيه بشكل * لذاك الخط عنه قد تجرد

(ومن ذلك) اى من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم فى اول امره ومنتهاه كما رواه الشيخان (تحبيب) الله تعالى بجعله طبيعة له (الخلوة) اى الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة (اليه حتى اوحى اليه) اى انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحى عليه تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى البخارى ثم حبب اليه الخلاء اى العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على الفكر والانقطاع عن مألوفات النفس فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد فى الليالى ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حراء كما قاله ابن ابى جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلى بالهام الله تعالى له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحى وهو فيه (ثم اعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى اعلام الله تعالى له (بـ) قرب (موته ودنوا اجله) اى آخر عمره الذى اجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله تعالى (فسبح بحمد ربك) وفى الصحيحين انه مر على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين يديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الى آخره وقوله فى خطبة له ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعنده فاختار ماعنده فبكى ابو بكر رضى الله تعالى عنه وقال فديناك بآبائنا وامهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين زهرة الدنيا وماعنده فاختار ماعنده فكان الصديق اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم وامر بذلك لفاطمة كما تقدم فى الحديث الى غير ذلك مما لا يحصى (و) اعلامه صلى الله عليه وسلم بـ (ان قبره بالمدينة) كما رواه ابو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض (و) ان قبره (فى بيته) فقبره صلى الله عليه وسلم فى مسكنه وكذا كان لكثير من الانبياء عليهم السلام اشارة الى انهم احياء عند ربهم يرزقون (فان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة) كما سيأتى يعنى انها تنقل وتجعل روضة فى الجنة او ان العمل فيها موجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن ابى جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لا بد من تأويله باعتبار القرب من اقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس فى رياض

الجنة لتنزل الرحمات* وتلذذه بالمشاهدات* كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة (وتخيير الله له عند موته) اى المقرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة كما سمعته آنفا ورواه البيهقى فى دلائله وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صحيح يقول لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله تعالى عليه وسلم غشى عليه فلما افاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت مافهم ابوها رضى الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه احمد فى مسنده وغيره وقد صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اوتيت مفاتيح خزائن الارض وخيرت بين الخلد فيها ثم الجنة واخترت الى آخر مما يطول ذكره (وما اشتمل عليه حديث الوفاة) اى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعى والبيهقى فى سننه (من كراماته) التى اكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكاء الملائكة وسماع صوت من السماء ينادى وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يقرؤك السلام ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك (وتشريفه) بما مر وغيره (وصلوة الملائكة على جسده) وفى نسخة عليه وكان اقحام الجسد هنا لان الصلوة معناها الدعاء وروحه صلى الله تعالى عليه وسلم غير محتاجة لذلك او لنكتة اخرى قيل هى ان الصلوة على جسده وروحه مستمرة دائما لقوله تعالى ﴿ان الله وملائكته يصلون﴾ الآية (على مارويناه فى بعضها) اى فى بعض طرق حديث الوفاة وهو ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه لما هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته فصلت عليه الملائكة فوجا فوجا ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم احد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اوصى بذلك وذلك لعظم امره ولئلا يتنافسون فى الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلوة مجرد الدعاء دون صلوة الجنازة لم يأت بشئ وكونه لم يؤمهم احد ذكره الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وغيره وصححوه وحكمة ماذكر ولم يدع له صلى الله تعالى عليه وسلم بدعاء الجنازة المشهور كما ذكره السهيلى بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى آخر ماذكره والحديث بطوله مذكور فى كثير من كتب الحديث تركناه لطوله (واستيذان ملك الموت عليه) اى طلبه الاذن منه فى قبض روحه الشريف ان اراد او تركه حيا (ولم يستأذن على غيره) نبيا او غيره (قبله) روى ان جبريل قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يامحمد ان ربى امرنى ان اطيعك فيما امرتنى به ان اقبض نفسك قبضتها

وان اتركها تركتها فقال اقبض ياملك الموت كما امرت فقال جبريل السلام عليك يارسول الله هذا آخر موطيء من الارض (وندائهم) اى نداء الملائكة لهم (الذى سمعوه) ولم يروا من ينادى (ان لا) اى بان لا الى آخره فان مصدرية ولا نافية (تنزعوا القميص عنه) اى قميصه الذى عليه لما ارادوا نزعه (عند غسله) بضم الغين ويجوز فتحها اشارة لما فى حديث ابى داود والبيهقى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انهم لما اراد واغسله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاندرى انجرده من ثيابه كسائر موتانا ام نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قائل من ناحية البيت لايرونه اغسلوه فى ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرائه على عادته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايتجرد عند احد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو اجراء لسنته وكفن فى ثلاثة اثواب يمنية سحولية (وماروى من تعزية الخضر عليه الصلوة والسلام) كما رواه البيهقى فى دلائله يشير الى ماروى عن على كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه انه قال لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة وان فى الله عز وجل لعزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام كما رواه البيهقى وابن ابى حاتم وقال فى مرآة الزمان ان المعزى هو جبريل لا الخضر ورواه العراقى فى تخريج احاديث الاحياء بلفظ ان فى الله خلفاء من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا آخر بعده يقول ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضى الله عنه هذا الخضر واليسع ولم اجد فى رواية ذكر اليسع وانما ذكر الخضر فى التعزية فقد انكر النووى وجوده فى كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم فى المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العزاء قال لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى اخذ بعضادتى الباب وبكى ثم قال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا ولصرف الله البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخونبينا جاء يعزينا رواه الطبرانى فى الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابى الدنيا عن على بسند واه ايضا وذكره الشافعى فى الام من غير ذكر الخضر انتهى وانما قال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث انه لايبقى على وجه

الارض ممن هو عليها احد على رأس مائة سـنة من تلك الليلة واراد به انخرام كل احد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله تعالى فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصـالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضي انه صـاحب موسى عليه الصلوة والسـلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفيـة يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه و بعضهم توقف فيه كابن حجر ومنهم من شـدد النكير على من اثبت حيوته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبي او ملك او عبد صالح من اولياء الله تعالى اطال الله تعـالى عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه وما مر من انه لم ير شخصه يقتضي انه ملك وقوله (والملائكة) بالجر عطف على الخضر يشير لما قلناه (اهل بيته) مفعول التعزية وهي الارشـاد للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلوة والسـلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الآن (الى ما ظهر على اصحابه) صلى الله تعالى عليه وسـلم والى هذه متعلقة بمقدر اي مضموما ماذكر من اول الفصل الى هنـا او منتهيا وهو كما يقوله المصنفون رحمه الله تعالى الى آخره اشارة الى انه ترك امورا كثيرة من جنس ماذكر والمراد بظهورها عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم اثر فيهم حتى ظهرت منهم امور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (من كرامته و بركته) اي من مثل ذلك (في حياته وموته) اي و بعـد موته (كاستسقاء عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (بعمه) العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب اي تقديمه في دعاء الاستسقاء كما رواه البخاري وتفسير عمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعباس وان كان له اعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله تعالى عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والقدم وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب اونوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثنى عشر واسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم احد عشر وبعضهم عدهم سبعة و بعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وحاصل ما اشار اليه انه كان في زمن عمر رضي الله تعالى عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه فوقع قحط شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا امير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا اسـتسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم صنوابيه وسـيد

بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به آتيناك مستغفرين مستشفعين ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله انهارا ثم قام العباس رضي الله تعالى عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل وصل به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا في انفسنا واهالينا وفيمن لا ينطق من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك نشكو جوع كل جائع وعري كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يستتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلامت ومشت واتسرت ثم درت وارخت عزاليها كافواه القرب فما برحوا حتى علقوا الحذاء وقلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك ياساقي الحرمين وفي ذلك يقول حسان رضي الله تعالى عنه * سأل الامام وقد تتابع جدبنا * سقى الغمام بغرة العباس * احيى الاله به البلاد فاصبحت * مخضرة الارجاء بعد الياس * في ابيات اخر (وتبرك غير واحد) اي كثير من الناس (بذريته صلى الله تعالى عليه وسلم) من السادة الاشراف نفعنا الله تعالى بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد افرده السيد السمهودي شكر الله تعالى سعيه بتأليف مستقل نافع ﴿ فصل ﴾ فيه فذلكة هذا الباب (قال القاضي ابو الفضل قد اتينا) اي ذكرنا وجمعنا (في هذا الباب) الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته واصل الاتيان المجيء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال (على نكت من معجزاته واضحة) الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد اخذ شيء وجمعه ان يأتي له حتى يصل اليه ويقال اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه من نكت الارض بقضيب ونحوه كأنه والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد اخطأ فلا وجه لما ذكره البرهان هنا (وجمل) جمع جملة وهي الامر (المجمل من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مقنعة) اي كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون اي تستغني بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية (في واحد منها الكفاية) عن غيره

كالقرآن اى فى الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل (والغنية) بالضم والسكون فى ثانيه اى الاستغناء عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية (وتركنا الكثير) منهـا (سـوى ما ذكرنا) اشـارة الى ان ماذكره قليل بالنسبة لما تركه (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء جمع طويل (على عين الغرض) عين الشيء المختار منه وهو المراد منه لاالحقيقة وان كان احد معانيهـا والغرض مايقصد منه وفائدته واصل معناه الهـدف كما مر فنقل لما ذكر (وفص المقصـد) اى الامر المقصود والفص مثلث الفاء بمعنى الاصل يقال اتى بالامر من فصه اى من اصله قال الشاعر

وربامرئ تزدريه العيون * ويأتيك بالامر من فصـه

وفص الخاتم مايزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباته رحمه الله تعالى فى قوله

حملت خاتم فيه فصا ازرقا * من كثرة اللثم الذى لم احصه

لولاه ما علم الرقيب فيـاله * من خاتم نقل الحديث بفصـه

وقول الجوهرى العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كما مر فهو مصدر ميمى تجوز فيه (و) اقتصرنا (من كثير الاحاديث وغريبها) هو بمعناه اللغوى اى مايعد مستغربا غير معهود او غير مشهور او المراد به مااصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ما انفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجمعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث فى حديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلوة التى تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لا ينافى الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف اى الاحاديث الكثيرة (على ماصح) نقله وروايته (واشتهر) بين المحدثين (الا يسيرا) اى قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير مايسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته (من غريبه) اى غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخـارقة للعادة لايخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده فى كتابه بقوله (ثم ذكره مشاهير الائمة) لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يره لغيرهم (وحذفنا) اى تركنـا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما التنزيل ذكر غيره منزلة ذكره او لجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك (الاسناد) اراد به السند تسمحا شائعا وهم رواة الحديث اوهو بمعناه الحقيقى (فى جمهورها) اى معظم الاحاديث واكثرها وقد يورد الحديث مسندا (طلبا للاختصار) وعدم التطويل وهو مفعول لاجله (وبحسب هذا الباب) المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كاف او كفاية وهو مبتدأ مجرور بالباء الزائدة وخبره ان يكون الآتى اى يكفيه فى شرفه والعلم بكثرة ماوردفيه

عن ذكره واستقصائه وهو المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لاتخلو من الحزازة (او تقصى) مبنى للمجهول بقاف وصاد مهملة اى استوفى وبلغ اقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التفصى التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص من مظانه تكلف لايخفى (ان يكون ديوانا) اى كتابا مستقلا مدونا (جامعا) لما فى غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها (يشتمل على مجلدات عدة) اى كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة (ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل) عليهم الصلوة والسلام اى من بقيتها او جميعها (بوجهين احدهما كثرتها) وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة ﴿تنبيه﴾ قال التلمسانى مجلدات جمع مجلده وهى الكتب الكثيرة وهى عبارة فقهية مولدة ولاوجه له لان المجلد ماعليه جلد كما فى القاموس وفى رسالة المجلد لابى العلاء المعرى المجلد لايزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز * هل انت كاسل المتملى * مجلد يكشف عن محض الابل* انتهى فقد اثبت ذلك وناهيك به من امام فى اللغة فان اراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد فى كلام العرب فهو مجاز لايتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف بعض المتأخرين فى قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر جلده * وما احد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى القديمة جلده * يقولون لاتهلك اسى وتجلد

(وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) اى من نوعها مساوية لها او مقاربة فى الاعجاز (او ماهو ابلغ منها) ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم فانه ابلغ معجزة اوتيت فان معناها هنا اعظم واقوى وليس مقيدا بالقرآن لان بلوغ الشيء وصوله لغايته ومنتهاه اوهو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا فى سياق النفى فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذا عظم من شانه الشهرة والظهور فلايرد عليه انه كان ينبغى ان يقول اظهر وانه لايلزم مماذكره الظهور الذى ادعاه (وقد نبه الناس على ذلك) اى نبه علماء الحديث والآثار وفصلوه فى كتبهم كابن المنير فى كتاب المقتفى (فان اردته) اى اردت معرفته والوقوف على مابينوه (فتأمل فصول هذا الباب) اى اعد النظر فيه فتأمل وتدبر معانيه (ومعجزات من تقدم من الانبياء) عليهم الصلوة والصلوة (تقف) مجزوم فى جواب الامر (على ذلك ان شاء الله تعالى) والوقوف فى الاصل القيام تجوزوا به عن المعرفة وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكرهنا امورا سرفه الله بها لغيره من الانبياء لامساس لها بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها (واما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز) وفى بعض النسخ وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القرآن موجود معروف وجميع اجزائه معجزة

فناهيك به كثرة ثم شرع فى بيان المقدار الذى يقع به الاعجاز فقال (واقل مايقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر) وهى اقصر سورة فى القرآن (او آية بقدرها) اى مساوية لها فى الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر اقل وفى نسخة بسورة بباء الجر (وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت) طويلة بمقدار سورة ام لا (معجزة وزاد بعضهم) وفى نسخة آخرون اى ترقى عن هذا المقدار الى (ان كل جملة منتظمة منه) اى مفيدة تامة (معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين) فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهى كلمة قلت يكون فيها مقدر كمدهامتان ونحوها فتأمل وليس هذا مبنيا على ان اعجازه بالصرفة كما قيل (والحق ماذكرناه اولا) من ان المعجز اقصر سورة اومقدارها (لقوله تعالى فأتوا بسورة) اى سورة كانت (من مثله) فى الاعجاز والضمير للقرآن او للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلايتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل على مدعاه (فهو) اى ماذكر (اقل ماتحداهم) الله او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (به) اى طلب منهم معارضته (مع ماينضم هذا) القول المذكور اولا اى يقويه ويؤيده (من نظر) اى فكر وتدبر (وتحقيق يطول بسطه) ببيان الحق بالادلة والبراهين القاطعة لمن تدبره ونظر مافيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التى تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال (فأتوا بكتاب من عندالله) ثم تحداهم بعشر سور فقال فأتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخاء عنان التكليف والحاصل ان الكلام اللفظى الذى وقع التحدى به لاالنفسى فانه لايتصور فيه ذلك على الصحيح اختلفوا فى مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القرآن ورد بالآيتين المذكورتين وقال القاضى يتعلق بسورة طويلة اوقصيرة لظاهر الآية وقال فى موضع بها او بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على العجز عن اقل من هذا القدر وقيل لايحصل العجز الا بآيات كثيرة وقيل قليله وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله (فاذا كان هذا) اى ثبت ان ماتحداهم به هذا المقدار الاقل (ففى القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف) اى وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ مابعده فهو نيف (على عدد بعضهم) اى هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الدانى رحمه الله سبعة وسبعون بالتاء الفوقية الفا واربعمائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلاثمائة الف وثلاثة وعشرون الفا وقيل ثلاثمائة الف واحد وعشرون الفا او خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا وقيل انه الصواب لاماذكره المصنف رحمه الله تعالى وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظه غير وارد عند من انصف ولهم فى عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف

لهما اطلاقات وقول السخاوى لافائدة فى عدد حروفه لانه لايقبل زيادة ولا نقصا لاوجه له غير الكسل (وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزئ القرآن) بصيغة المصدر وفى نسخة فيتجزئ بالمضارع المجهول وآخره مهموز ويجوز ابدا له الفا اى بان تعد عشر آيات عشرة اجزاء (على نسبة انا اعطيناك الكوثر) اى على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل آية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقى لغة واصطلاحا مشهور (ازيد) بالرفع خبر تجزئ المصدر وبالنصب ان كان فعلا اى تجزيه ازيد او يكون ازيد (من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه) اى بقطع النظر عن غيره ففيه ازيد من سبع الف معجزة وهذا مبنى على ماتقدم من العدد (ثم اعجازه) اى القرآن (كما تقدم) من ذكر الاختلاف فى مقداره (بوجهين) الاول (طريق بلاغته) اى مافيه من مراعاة الوجوه التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال (و) الثانى (طريق نظمه) اى اسلوبه وكونه على نسق لايشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله وايتاء كل كلمة منه ماتستحقه وتنزيلها فى محل لايليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقارنه لايعلمه وان كرره كما لايخفى على من تأمله حق التأمل ونظر فيه بنور الايمان (فصار فى كل جزء من هذا العدد) المذكور آنفا (معجزتان) من جهة بلاغته ومن جهة نظمه (فتضاعف العدد) اى عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل او مضارع من المفاعلة (من هذا الوجه) اى من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات مالا يعد ولايحصى قال ابن عطية رحمه الله تعالى الصحيح الذى عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة الفاظه لانه عز وجل احاط بكل شئ علما وكل كلام فاق فى كلامه بما لايحيط به علم غيره وقدرته وبهذا بطل القول بالصرفة (ثم فيه وجوه اعجاز اخر) غير ماذكر من الطريقين (من الاخبار بعلوم الغيب) بيان لوجوه اى الامور الغيبية بما وقع او سيقع (فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة) اى الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتى الاعجاز (الخبر) اى الاخبار (عن اشياء من الغيب) اى الامور المغيبة عن علمنا (كل خبر منها بنفسه معجز) اى باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز (فتضاعف) بصيغة الماضى والمضارع كما مر (العدد) المذكور اى العدد المضاعف اولا (كرة اخرى) اى بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفرار قال امرء القيس * مكر مفر مقبل مدبر معا (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) وهى ذكر المغيبات (توجب التضعيف) والزيادة الى مالايكاد يحصى كثرة (هذا فى حق القرآن) دون غيره من المعجزات التى تزيد على معجزات سائر الانبياء (فلايكاد يأخذ العد معجزاته) وفى نسخة

العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله (لاتأخذه سنة ولانوم) اى لايغلبه ذلك اى لايحيط بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لايكاد ولم يقل لايعد (ولايحوى الحصر) اى الاحاطة (براهينه) اى براهين اعجازه لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية اردفها بالنقلية فقال (ثم الاحاديث) النبوية (الواردة) فى الروايات الصحيحة (والاخبار الصادرة عنه) عليه الصلوة والسلام (فى هذه الابواب) اى ابواب اعجاز القرآن والتحدى به او ابواب معجزاته عليه الصلوة والسلام كما يؤيده قوله (وعن مادل على امره) اى نبوته وعلو شانه (مما اشرنا) فيما سبق من هذا الكتاب (الى جملة) منه وفى نسخة الى جمل (يبلغ نحوا) اى قريبا (من هذا) المقدار الكثير (الوجه الثانى) من وجهى ظهور معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات سائر الرسل قبله (وضوح معجزاته) اى شهرتها بحيث لاتجهل وهذا عين ظهورها اومستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لاتخفى على احد غير اعمى الفكر والنظر وانها لايرتاب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها فى كل عصر كالشمس فى رابعة النهار وهذا مما يدل على اظهريتها دلالة ظاهرة لاعينها فسقط ماقيل ان المدعى ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال على الشئ بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذى قبله الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيمة فيكون المراد الزيادة فى الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لايخفى وقد اشار الى ماذكرناه المصنف بتفسيره بقوله (فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم) اى هممهم فيما يهتمون به ويعتنون (وبحسب) بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار (الفن) اى النوع (الذى سما) اى اشتهر وعلى مقداره بينهم لاعتنائهم به (فيه قرنه) بفتح القاف وسكون الراء اى عصره والمراد به اهله مجازا او بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم واختلف فى مقداره هل هو مائة سنة او ثمانون او اقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله (فلما كان زمان موسى) كليم الله عليه الصلوة والسلام اى زمن بعثته ونبوته (غاية علم اهله) اى اهمه واعظمه عندهم (السحر) وهو معروف تقدم الكلام عليه (بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة (جاءهم) على يد موسى عليه الصلوة والسلام (منها ماخرق عادتهم) اى خالف مايعتادونه ويسهل عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من آخر فنقل للذكر كخرق الاجماع اى مخالفته وهو امارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء (لم يكن) مابيانه (فى قدرتهم)

اى لايقدرون عليه فيدخل فى جملة مقدراتهم (وقدابطل سحرهم) بماعارضهم به وهى جملة حالية يشير الى ماقصه الله فى كتابه العزيز وفى نسخة وابطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم (وكذلك) اى كزمن موسى عليه الصلوة والسلام (زمن عيسى) ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم (اغنى ماكان الطب) اى اعظم ماكان فى عصره وعهد رسالته علمه والطب فى اللغة معناه العادة والسحر وفى العرف علم يعرف به احوال الانسان من حيث الصحة والسقم واغنى افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية اى اكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهوالنهاية وهو بعيد ولم تره فى كلامهم لتفسيره بالبهى والطب مثلث الطاء مشدد الباء (واوفر ماكان اهله) اى اهل الطب وعلماؤه اى اكثر ماكان فى زمنهم (فجاءهم) على يد عيسى عليه الصلوة والسلام (امر لايقدرون عليه) بواسطة علمهم بالطب فانهم لايقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم فى الاكثر على حفظ الصحة * وكم من مرض اعيى الطبيب المداويا (واتاهم مالم يحتسبوه) اى مالم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم ومالم يترقبوه وجعل امر ومافاعلا ولم يقل اتاهم بامر وبما وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة وفى نسخة يحسبوه اى يظنوه ويقدروه قيل ويجوز فيه ضم الياء اليه ينكرونه وهو بعيد لفظا لامعنى (من احياء الميت) بتخفيف الياء وتشديدها (وابراء الاكمه) اى الذى ولد اعمى مطموس العين اى فتح عينه حتى يبصر (والابرص) وهو الذى فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا (من دون معالجة) المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها (وطب) المراد به هنا المعنى المصدرى اى اعطاء الدواء وانما كان مداواة عيسى عليه الصلوة والسلام بالدعاء والتوجه الى الله تعالى وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجئ اليه يذهب بنفسه اليه وكان اطباء عصره لايقدرون على ماذكر فلذا كان معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿تنبيه﴾ قال البخارى فى تفسير الاكمه الذى يبصر بالنهار ولايبصر بالليل انتهى وقال السهيلى انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى (وهكذا) اى مثل ماذكر (سائر معجزات الانبياء) فانها كانت بمقدار علم اهل زمانهم ومايهتمون به من الاحوال والعلوم (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب) جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لاجمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل (وعلومها) اى مايعلمونه من الجزئيات والكليات (اربعة) انواع (البلاغة) اى الملكة والجبلة التى يعرفون بها تأدية الكلام حقه فى كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها (والشعر) الكلام الموزون المقفى (والخبر) عمن سلف ومالهم

من الوقائع والايام والانساب والمنازل (والكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهى معانات علم المغيبات بتلقيها عن الجن كامر (فانزل عليه القرآن) اى انزل الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يناسب قرنه واهل عصره اعنى القرآن اى كلامه الموحى اليه (الخارق) اى المخالف (لهذه الاربعة فصول) اى الانواع المذكورة وهى البلاغة وما معها فهى جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره (من الفصاحة) وهى خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما يشينه من فصح بمعنى خاص ويشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارىء فى علم المعانى ومعناها عندهم غنى عن البيان لشهرته (والايجاز) اى اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرها لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز اكثر واعظم فهو اهم عندهم (والبلاغة) وقيدها بقوله (الخارجة لهذه عن نمط كلامهم) اى كلام العرب لدخولها فى الفصاحة كامر والنمط بمعنى الجنس والطريقة اى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد فاستعير لما ذكر اى نوعه وطريقته (ومن النظم) اى تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعرا (الغريب) اى الذى لم يعهده البلغاء فى كلامهم (والاسلوب) اى الطريق (العجيب) اى الذى يتعجب منه سامعه او يعجبه ويستحسنه (الذى لم يهتدوا) اى لم يصلوا ويقدروا (فى المنظوم) اى المؤلف من كلامهم (الى طريقه) فضلا عن الاهتداء اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذى هو ناسج وحده (ولا علموا فى اساليب الكلام) مطلقا او المنثور من خطبهم واسجاعهم (والاوزان) الشعرية الموزونة على بحوره (منهجه) اى طريقه (ومن الاخبار) بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر (عن الكوائن) اى عما سيكون فى المستقبل من المغيبات جمع كائن وهو معطوف على قوله من النظم واعاد من لانه نوع آخر من الاعجاز ولطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (والحوادث) اى ما يحدث فى المستقبل ايضا (والاسرار) اى ما اسروه فى انفسهم كقوله تعالى فى قصة ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم واظهره الله عليه (والمخبآت) اى ما اخفوه عنه فاطلعه الله عليه (والضمائر) اى ما اضمروه فى انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله (فتوجد) تلك الامور المخبر عنها وما اسر واخفى عنه (على ما كانت عليه) ذاتا وصفة مطابقة لما قاله (ويعترف) ويقر (المخبر) بفتح الباء اسم مفعول اى من اخبره الرسول بما اطلعه الله عليه (عنها بصحة ذلك) الخبر الذى اخبره به (وصدقه) بمطابقته للواقع (وان كان) المخبر بالفتح (اعدى العدو) اى اقوى اعدائه واشدهم

عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاعدى افعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس والعدو بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى (من قوم عدو لكم) اى مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور صدقه (فابطل) القرآن او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كامر والرواية هنا الكسر لانه الانسب (التى تصدق مرة وتكذب عشرا) صفة الكهانة اى التى كذبها اكثر من صدقها كما ورد فى الحديث انه تعالى كان اذا قضى امرا فى السماء سبحت حملة العرش ثم اهل كل سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا فتستخبر اهل كل سماء من فوقهم حتى ينتهى الخبر الى اهل هذه السماء فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه من عندهم مايزيدون من اكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ماقيل صوابه مائة بدل قوله عشرا لانه ورد فى الحديث تكذب مائة اوا كثر من مائة (ثم اجتثها) بجيم ومثناة فوقية ومثلثة والضمير للكهانة اى قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه ابلغ مما قبله وابعد رتبة واصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه واصوله كقوله (اجتثت من فوق الارض مالها من قرار) ففيه استعارة مرشحة بقوله (من اصلها) وان كان المراد به ازالتها بالكلية (برمى الشهب) بضم الهاء وسكونها جمع شهاب اى رمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلق الكهنة والمراد زيادة الرمى وكثرته فانه كان قبل كامر وفى نسخة رجم بدل رمى (ورصد النجوم) رصد بسكون الصاد المهملة مصدر رصده يرصده اذا ترقبه واعد له ما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا او جمعا لراصد كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها اى النجوم المرصدة اى المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم اوشعل نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون فرصدها لانها مبدأ لما يمنعهم (وجاء) فى القرآن (من الاخبار عن القرون) والامم (السالفة) اى الماضية قديما (وانباء) جمع نبأ وهو الخبر (الانبياء والامم البائدة) اى الهالكة الفانية فى الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفى الحديث الجنة لاتبيد ابدا اى لاتهلك ولاتموت اهلها (والحوادث) اى الامور الواقعة من خير وشر فى الازمان السالفة (الماضية) قبل ذلك (ما يعجز من تفرغ لهذا العلم) اى العلم بالاخبار وتواريخ الامم (عن بعضه) اى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاء ومن فاعل يعجز (على الوجوه التى بسطناها) اى جاء مبينا على وجوه تقدمت مفصلة (وبينا المعجز فيها) اى اوضحنا المعجزات فيها بما اغنى عن اعادته (ثم بقيت هذه المعجزة) اى القرآن وفى نسخة المعجزات باعتبار وجوه اعجازه (الجامعة لهذه الوجوه) اى وجوه الاعجاز المذكورة آنفا (المضمومة الى الفصول الاخر) يعنى الاربعة المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة) لا تبدل ولا تغير ولا تذهب ابقاها الله

(بينة الحجة) اى ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم (لكل امة تأتى) بعد نزول والقرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر (لايخفى وجوه ذلك) الاعجاز الذى ذكر اولا (على من نظر فيه) اى من نظر فى القرآن بتلاوته او سماعه (وتأمل وجوه اعجازه) اى اطال النظر فيها وكرره وهو من الامل تفعل تجوز به عما ذكر لترقب الامل وامتداده (الى ما اخبر به من الغيوب) اى مع ما اخبر به من المغيبات (على هذا السبيل) والطريق المذكور (فلا يمر عصر وزمن) اى يجيء كالمار على اهله وليس المراد به يقضى لقوله (الا ويظهر فيه صدقه) اى صدق القرآن او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بظهور مخبره) بفتح الباء اى ما اخبر به او خبره (على ما اخبر) اى كائنا متحققا على وفق خبره اوباقيا على حاله فى وجوه اعجازه السابقة اى اخبر به فهو مبنى للفاعل (فيتجدد الايمان) به كلما ظهر امر جديد مصدق له بوقوع ما فيه (ويتظاهر البرهان) اى يقوى الدليل ويزيد قوة واصل التظاهر المعاونة والمساعدة كأنه يستند لظهوره (وليس الخبر كالعيان) وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد فى الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله فاذا شوهد معناه بان المراد واطمأن الفؤاد ولذا قال ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولكن ليطمئن قلبى (كافيل) ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم * (وللمشاهدة) بحس البصر (زيادة فى اليقين) الذى كان بالبرهان القاطع (والنفس اشد طمانينة) الطمانينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج (الى عين اليقين) اى الى ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة (منها) اى من طمانينتها (الى علم اليقين) اى العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين (وان كان كل) من عين اليقين وعلم اليقين (عندها) اى عند النفس وفى علمها فان عند يكون بمعنى العلم كما مر عندالله تعالى بعلمه تارة وحكمه اخرى (حقا) اى متحققا ثابتا بلا مرية لكن الاول اقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل والاول ضرورى وغيره نظرى (وسائر معجزات الرسل) قدمر وفصلناه فى شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقى من السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من انكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب (انقرضت بانقراضهم) اى انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم (وعدمت) بعد وجودها وعدم مبنى للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم (بعدم) بفتحتين او بضم فسكون (ذواتها) اى الرسل وفى نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفى ثبوتها فى اللغة كلام تقدم ويأتى والمعروف انه بمعنى صاحبة مؤنث ذو المشهور فى العربية اى تلك المعجزات تقدم فتنقرض وان علم ثبوتها لكونها امرا غير مؤبد ومعنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس وان كانت باقية فى البرزخ احياء لايموتون كما فى حديث

الاسراء والاجتماع بالانبياء (ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني القرآن (لاتبيد) اى لاتفنى وتعدم (ولاتنقطع) اى تذهب بالكلية (وآياته) اى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي تضمنها القرآن (تجدد ولاتضمحل) بالضاد المعجمة والميم والحاء المهملة واللام المشددة اى لاتحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع (ولهذا) المذكور من بقاء معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) في حديث صحيح رواه البخاري رحمه الله تعالى والاشارة هنا بمعنى التصريح او عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحي الآتي اعم من القرآن فيحتمل ان المراد به احكام شريعته الباقية الى يوم القيمة والظاهر ان المشار اليه ماص من ان القرآن فيه معجزات لاتحصى وليس بصريح الحديث كما سنبينه (فيما حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي) بن سكرة وقدمنا ترجمته قال (حدثنا القاضي ابو الوليد) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو ذر) الهروي وقد تقدم قال (حدثنا ابو محمد) بن حموية السرخسي وقد تقدم (وابو اسحق) المستملي كما تقدم (وابو الهيثم) الكشميهني كما تقدم (قالوا حدثنا الفربري) راوي صحيح البخاري وقد تقدم ضبط نسبته قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله) العامري الاوسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان قال (حدثنا الليث) تقدمت ترجمته (عن سعيد) المعروف بالمقبري (عن ابيه) كيسان ابو سعيد المقبري نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بني ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائة في خلافة الوليد وهو ثقة (عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه هو عبد الرحمن بن صخر وفي اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما ص (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي وماذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخاري (قال مامن الانبياء) تقديره مامن نبي من الانبياء (الا اعطى) بالبناء للمجهول اى الا اعطاه الله تعالى (من الآيات) اى المعجزات الظاهرة (مامثله) ماموصولة او موصوفة (آمن) بالمد ماض اى صدق (عليه البشر) على تعليليه كما في قوله تعالى (على ماهداكم) او تقديره مستقرا عليه البشر يعني اهل عصره (وانما كان الذي اوتيت) من الآيات والمعجزات (وحيا اوحاه الله تعالى عز وجل الي) يعني القرآن المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله (فارجو) من الله تعالى بما اكرمني به من المعجزة الشاملة على معجزات لاتتناهى الباقية الى يوم القيمة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها في كل امة مالايحصى فلذا رجوت (ان اكون) دونهم (اكثرهم تابعا) اى امة (يوم القيمة) اذا حشرت الامم مع انبيائهم (هذا معنى) هذا (الحديث عند بعضهم ممن) فسره وبين المراد منه ففيه اشارة الى كثرة مافيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيمة لايقبل نسخا ولاتبديلا ولاينسى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله

المتقدم المراد به نفسه كما فى قولهم مثالث لايبخل وعليه للتعليل كامر وعبربها لما فيها من الدلالة على الاستعلاء بالقهر والغلبة الملزم لهم بالايمان به وقال انما مع كثرة ماله من المعجزات اشارة الى انه اعظم معجزاته والعرب قد تحصر الشئ فى فرد كامل منه بادعاء ان ماعداه لايعد معه لكفايته عن غيره وقد حققالله تعالى رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو الظاهر) من معنى الحديث (والصحيح ان شاء الله) وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى ثم اشار الى ان فيه وجوها اخر بقوله (وذهب غير واحد) اى كثير (من العلماء) اى علماء الحديث (فى تأويل هذا الحديث) اى تفسيره وبيان مايؤل اليه وعبر بالتأويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ماصرح به (وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى بيان وجه ظهورها (الى معنى آخر) غير ماارتضاه (من ظهورها) اى بيان ظهورها (بكونها) اى هذه المعجزة الباهرة (وحيا) اى كلاما موحى اليه من الله فقوله (وكلاما) عطف تفسير لان الوحى يحتمل المعنى المصدرى ثم بين وجه الظهور على هذا فقال (لايمكن) لاحد ممن ينكره (التخيل فيه) تفعل من الخيال بالخاء المعجمة وفى نسخة التخييل بالتفعيل منه والاول انسب بقوله (ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة لانه كلام بليغ دال على معناه وما قصد به دلالته لايمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا اصل له ولا ان يعمل حيلة فى الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلوة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تحرك كعصاه (والتشبيه) به (فان غيرها) اى غير المعجزة القرآنية (من معجزات الرسل) كلها (قدرام) اى قصد وطلب (المعاندون) اى المنكرون (لها) عنادا (باشياء) متعلق برام (طمعوا) اى توهموا فجعل كالمتوهم لقربه منه معنى (فى التخييل) والتموية (بها) باظهار مالا حقيقة له (على الضعفاء) المراد بهم العامة الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم (كالقاء السحرة) عند فرعون جمع ساحر (حبالهم وعصيهم) جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصا موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى ماالقوه وابطلته علموا انها معجزة فآمنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيئا (وشبه هذا) المذكور فى قصة موسى (مما يخيله) بالمعجمة اى يلبس به ويموه (الساحر او يحيل فيه) بالحاء المهملة اى يأتى به حيلة منه غير واقعة ثم اشار الى ان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لاتقبل ماذكر بقوله (والقرآن كلام) من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله (ليس للحيلة) ممن لايقدر عليه (ولا للسحر فى التخييل فيه) بان يعمل بقوة السحر مايؤثر فى شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة اوشعرا (عمل) اى تأثير كما عرفته آنفا فان ساحرا لو اتى عاميا لاقدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع انواع سحره لايمكنه ان يقوم فى ناد منشدا او خطيبا فانه امر جبلى لايمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فيجد الجلف الاعرابى يتكلم بكلام

عند اعقل الناس واظرفهم لايمكنه ان يأتي بشيء منه وبهذا علم ان الكلام لايكون بحيلة ولاسحر فما بالك بكلام الخم جميع الفصحاء واخرس السنة البلغاء وهو المراد بقوله (فكان) القرآن من حيث كونه كلاما (من هذا الوجه) اى من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز (عندهم) اى عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكر ثانيا (اظهر من غيره من المعجزات) لعدم قبول التخييل والتمويه (كالاتم) اى يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل الاعمال بخواتمها اى باواخرها (لشاعر) يتكلم بالمنظوم (ولاخطيب) يتكلم بالمنثور (ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب) اى بشيء ونوع (من الحيل) جمع حيلة (والتمويه) اى التخييل والتلبيس وهو مأخوذ من قولهم موه النحاس بذهب اوفضة لتوهم من رآه انه ذهب اوفضة وهو فى الاصل من الماء يداب فيصير كالماء ثم يطلى به ونقول العامة لمذابه ماء الذهب وماء الفضة وصبغة فعل يكون للتشبيه كثيرا فانكار اهل المعانى لقوله انف مسرج بمعنى كالسراج فى البريق واللمعان لا وجه له كما مر (والتأويل) اى التفسير (الاول) الذى قال انه الظاهر الصحيح (اخلص) افعل تفضيل من خاص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة اى اصفا من الكدر اى الاشكال قال فى المغرب الخلوص الصفا ويستعار للموصول انتهى وهو بمعنى اجود او من الخلاص بمعنى النجاه والسلامة (وارضى) افعل تفضيل من الرضى اى اكثر رضى وقبولا عند العقول السليمة (وفى هذا التأويل الثانى) الذى ذهب اليه غيره من علماء الحديث (مايغمض) بالبناء للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطاء العين ومعنى يغمض (عليه الجفن) انه يغض عنه البصر والنظر فلايلتفت اليه ويعنى به او هو كالقذاء فى العين الذى يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض (ويغضى) بغين وضاد معجمتين والف مبنى للمجهول لاجل قافية السجع من اغضى الجفن اذا اطبقه او بمعنى سكت وهو قريب بما قبله فيل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبياء عليهم الصلوة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيله وفيه وجوه اخر (وجه ثالث) فى اعجاز القرآن وانه اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (على مذهب من قال بالصرفة) على ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته مع انهم بحسب الحالة قادرون على الاتيان بمثله لولا ما ذكر واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة (وان المعارضة) له والاتيان بمثله (كانت فى قدرة البشر فصرفوا عنها) اما بسلب قدرتهم ودواعيهم او بسلب علمهم بتأليف كلام مثله وتمكنهم منه (او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) على الاتيان بكلام من جنسه اى بما هو فى قدرتهم متمكنون منه (ولكن لم يكن ذلك قبل) بالبناء على الضم اى قبل ظهوره (ولايكون بعد) بالضم وقيل

المراد قبل التحدي وبعده (لان الله تعالى لم يقدرهم) بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها اى لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله (ولا يقدرهم عليه) بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله اشار الى الفرق بينهما بقوله (وبين المذهبين) اى مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده (فرق بين) بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع انه من جنس مقدورهم ومثله فى الجملة وليس هذا نوع من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو عجيب من قائله فتدبر (وعليهما جميعا) اى على هذين القولين (فترك العرب) الفصحاء على المذهب الاول (الاتيان بما فى مقدورهم) اى قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله او مثل بعضه كما قصر سورة منه (او) تركهم على الثانى (ماهو من جنس مقدورهم) اى من جنس كلامهم البليغ الذى يقدرون عليه (ورضاهم) اى اختيارهم (بالبلاء) اى بما ابتلوا به لعنادهم (والجلاء) بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلاء وهو اخراجهم من ديارهم واوطانهم (والسباء) بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبى اولادهم واهلهم واسترقاقهم (والاذلال) لانفسهم واهليهم (وتغيير الحال) التى كانوا عليها من العزة والشهامة (وسلب النفوس) بالقتل والفتك فيهم (والاموال) باخذ الغنائم منهم (والتقريع) باللوم والزجر والتعيير (والتوبيخ) بذمهم وتقبيح ماهم عليه من الجهل (والتعجيز) باظهار عجزهم بالتحدى (والتهديد) لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والآخرة (والوعيد) بما يقع بهم ان لم يؤمنوا (ابين آية) اى اظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب (للعجز عن الاتيان بمثله) اى بمثل القرآن فى فصاحته واعجازه (والنكول) وهو النكوص اى الرجوع والاعراض (عن معارضته) اى الاتيان بمثله (وانهم منعوا عن شىء هو من جنس مقدورهم) اى كلامهم الذى يقدرون عليه لامن نوعه المشابه له من جميع الوجوه (والى هذا) المذهب وهو انهم قادرون على شىء من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة وهذا هو الفرق بين القولين (ذهب) اى اختاره مذهبا (الامام ابو المعالى الجوينى) منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما فرد الائمة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابورى الشافعى امام الحرمين اعلم ائمة الشافعية هو ووالده ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين واربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر (وغيره) من اهل السنة (قال) ابو المعالى (وهذا) الاعجاز (عندنا ابلغ) اى اقوى واكثر مبالغة (فى خرق العادة بالافعال البديعة) اى المبدعة الغريبة (فى انفسها) اى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفى نسخة فى انفسنا وهو متعلق بابلغ (كقلب العصا حية) لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت

تمرله وتضيء وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه (ونحوها) كاليد البيضاء وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى (فانه) اى الامر والشان او كونه ابلغ (قد يسبق الى بال الناظر فيها وفكره وخاطره (بدارا) اى مبادرا بسرعة فى اول نظره (ان ذلك) الامر البديع الخارق للعادة نشأ (من اختصاص صاحب ذلك) الامر الذى ظهر على يديه (بمزيد معرفة) اى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها (فى ذلك الفن) اى النوع الذى كان يعتنى به اهل زمانه (وفضل علم) به واحواله (الى ان يرد ذلك) الخاطر الذى سبق لفهمه (صحيح النظر) بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين ابلغيته وقوته بقوله (واما التحدى) اى طلب معارضة الكلام اوتقدم انه مشتق من الحد القائل الحداة فى حداتهم للابل (للخلائق) جمع خليقة بمعنى خلق (مئين ٢) بكسر الميم جمع مائة (من السنين) فى عصر النبوة وبعده الى غير النهاية (بكلام من جنس كلامهم) المقدور لهم (ليأتوا بمثله) علة للتحدى (فلم يأتوا) اى لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد بخوا وعيروا على رؤس الاشهاد (ولم يبق بعد توفر الدواعى) اى كثرة مايدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية (على المعارضة ثم عدمها) اى المعارضة مع كثرة دواعيها (الا ان منع الله الخلق عنها) بالصرفة اوبعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين وفى نسخة الامنع الله الخ (بمثابه) اى هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان الذى يرجع الناس اليه اويكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه الراغب وقيل اصله مبلغ حوم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو (مالوقال نبى آيتى ومعجزتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم) بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم (فلوكان ذلك) اى عدم قيامهم (وعجزهم) بتشديد الجيم اى جعلهم الله عاجزين عنه (لكان ذلك من ابهر آية) اى اقوى معجزة (واظهر دلالة) على نبوته (وبالله التوفيق) فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر (وقدعاب عن بعض العلماء) اى خفى عليهم لان من شأن الغائب ان يخفى فاريد به لازمه (وجه ظهور آيته صلى الله تعالى عليه وسلم) ولتضمينه معنى العلو قال (على سائر آيات الانبياء) الذين سلفوا قبله (حتى احتاج للعذر عن ذلك) اى عن كون معجزته اظهر من معجزات غيره مع ان احياء الموتى ونحوه من آيات الانبياء قد يتوهم انه اقوى واظهر (بدقة افهام العرب) اصل معنى الدقة كون الشيء دقيقا ثم استعير للوقوف على ماخفى من الامور (وذكاء البابها) جمع لب وهو العقل الخالص والذكاء قوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال (ووفور عقولها) الوفور من الوفرة وهى الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو

٢) المئين نسخه

القوة المدركة يعنى ان هذا من شأن هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فماذكر كانوهم مع انه لا يرد على المصنف رحمه الله تعالى لانه حكاه عن غيره (وانهم) لما خصوا به من الذكاء والفطنة (ادركوا المعجزة فيه) اى فى القرآن لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه واتساقه (بفطنتهم) اى قوة ذكائهم (وجاءهم من ذلك) اى حصل فى نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره (بحسب ادراكهم) بفتح السين اى حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته (وغيرهم) من الامم (من القبط) القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر (وبنى اسرائيل) اى اولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل لقب يعقوب (وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل) اصل معناه الطريق وهوهنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب ونفى سبيل الشىء ابلغ من نفيه (بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة) الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبى جاهل قال * ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى (بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم) حيث ظرف مكان وهو خبر كان اى بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط (وجوز عليهم السامرى) وهو رجل من بنى اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر (ذلك فى العجل) اى انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر (بعد ايمانهم) بالله تعالى فاضلهم السامرى وكان من اهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلوة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلى وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من اثر فرس ركبه جبريل عليه الصلوة والسلام فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطأ الطريق اليه فجاءكم يكلمكم كما كلمه فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم (وعبدوا) اى بنو اسرائيل (المسيح) عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه) واذا كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى القى شبهه على رجل اسرائيلى فظن اليهود انه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم (فجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار) اى لعدم دقة افهامهم كانت آياتهم فى غاية الظهور تدرك بالبصر (بقدر غلظ افهامهم مالا يشكون فيه) فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ماجاءهم (ومع هذا) الظهور (فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) اى معاينة بابصارنا لشكهم فيما اتاهم به وتفصيله فى التفاسير غنى عن البيان (ولم يصبروا) اى بنو اسرائيل (على المن) وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع ويؤكل (والسلوى) وهو طائر كالسمانى واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلوة والسلام احرقنا حر الشمس من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سألوه ان يطعمهم من اللحوم

فآتاهم بالسلوى فكانوا يأخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذى هو ادنى) اى طلبوا بدلا ادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل (بالذى هو خير) وهو المن والسلوى والباء داخلة على المتروك وفيها تفصيل افرد بالتأليف (والعرب على جاهليتها) اى على حالها التى كانت عليه قبل الاسلام من الجهل وانها امة امية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل انها مستعارة لتمكنهم فى الجهل كقوله على هدى من ربهم (اكثرها يعترف بالصانع) اى بوجوده تعالى وليست معطلة كبعض الامم واطلاق الصانع على الله تعالى صحيح ثبت فى السنة كما ذكره السيوطى رحمه الله تعالى وليس مما احد توه وفى قوله اكثرها اشارة الى ان معهم فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب (وانما كانت) عبدة الاصنام منهم (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) ولا تدعى انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه (ومنهم من آمن بالله وحده من قبل) بعثة (الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وامية بن ابى الصلت (بدليل عقله وصفاء لبه) الذى هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظار فى مصنوعاته * وفى كل شيء له آية * تدل على انه الواحد * (ولما جاءهم الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم اى بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله تعالى (بكتاب الله تعالى) المنزل عليه (فهموا حكمته) اى ما فيه من الحكم والعلوم النافعة (وتبينوا فضله ادراكهم) وزيادة عقلهم (لاول وهلة) اى فى اول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته اول وهلة بسكون الهاء وفتحها اى اول شيء ولام لاول توقيتية اى عند اول وهلة (معجزته) يعنى القرآن (فآمنوا) به (وازدادوا كل يوم ايمانا) وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر فى علم الكلام (ورفضوا) اى تركوا (الدنيا كلها فى صحبته) اى لاختيار صحبته على كل شيء (وهجروا ديارهم واموالهم) طلبا لرضاء الله تعالى ورضاه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه (فى نصرته) فى هذا تعليلية (واتى) هذا القائل الذى غاب عنه ما تقدم (فى معنى هذا) وزعم ان ظهور آياته لما قاله (بما يلوح له رونق) اى يظهر له لفظ حسن (ويعجب منه زبرج) بكسر الزاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهى الزينة والوشى الذى هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال (لو احتيج اليه وحقق) اى بين حقيقته (لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا) صلى الله عليه وسلم (وظهورها) من غير حاجة لما ذكره من ذكاء العرب وفهمهم (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك) اى ادعاء مثل هذه الامور الخفية (وظهورها) اى ما ظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر (وبالله استعين) والحمد لله وحده وصلى الله تعالى

على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ﴿القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام﴾ الوجوب الشرعي مايلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو مايستحقه عليه الصلوة والسلام (٢ وهذا قسم) من الاقسام الاربعة التي ذكرهـا المصنف رحمه الله تعـالى (لخصنا الكلام فيه) اى اختصرناه من غيره من الكتب وبينـاه وسـهلناه (في اربعـة ابواب على ماذكرناه في اول الكتاب) في اجمال مااشتمل عليه وفهرسته (ومجموعها) اى محصلها واجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة (في وجوب تصديقه) عليه الصلوة والسلام في كل ماجاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسـل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه اشرفهم وخاتمهم (واتباعه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه اى بان يجب اتباعه في وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المبـاح وتحريم المحرم وقيل ينبغي تقيـيده بالواجب لا المسنون (وطاعته) بامتثال اوامره واجتنـاب نواهيه والطـاعة كما قاله الراغب الانقياد وتضادها الكره قال الله تعالى (ائتيا طوعا او كرها) واكثر ماقال لما امر انتهى فلذا عطفها على الاتباع فانه قد يكون كرها ثم قال في الفرق ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفي الصحاح فلان مطيع لك اى منقاد لم يصب في مدعاه واستدلاله (ومحبته) بان يكون صلى الله تعالى عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله والمحبة الميل النفساني وهي معروفة (ومناصحته) له وهي لغـة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسـتأتي وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها ابلغ ولان الرسـول صلى الله تعالى عليه وسلم نصح الامة وبالغ في نصحهم (وتوقيره) اى تعظيمه والتأدب معه بمـا هو لائق به صلى الله تعالى عليه وسـلم (وبره) صلى الله تعـالى عليه وسـلم ببذل ماق وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغي تركه لانه للطـاعة لاوجه له (وحكم الصلوة عليه والتسليم) من الوجوب ومحله (وزيارة قبره) اى وحكم زيارة قبره الشريف (عليه الصلوة والسلام) وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ماقبلهما مستمر دونهمـا وتعبيره به لانه في بيته صلى الله تعـالى عليه وسلم وهذا حكمه دفنه فيه دون المقابر ﴿الباب الاول﴾ تقدم وجه تقديمه (في فرض الايمان به) صلى الله تعـالى عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض الايمان هنا واشـارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنـا وان المراد بالتصديق الايمـان لامعناه اللغوي والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ماثبت بدليـل قطعي بخلاف الواجب فان الفرض لغـة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول (ووجوب طاعته) اتى بوجوب هنا لما ذكرناه وللاشارة

(٢) قال القاضي ابو الفضل وفقه الله سبحانه

الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لاعلى وجوب فلا وجه لما قيل انه لاحاجة اليه وانه ينبغى تقديمه (واتباع سنته) اى طريقته التى سنها صلى الله تعالى عليه وسلم وشرعها فهو بالمعنى اللغوى فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله او لا اتباعه ولم يعد فى لانه غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغى ذلك (اذا تقرر) وثبت (بما قدمناه) فى هذا الكتاب (ثبوت نبوته) بالوحى اليه (وصحة رسالته) لجميع الخلق وآخرها لانها اخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته (وجب الايمان به وتصديقه فى) جميع (ما اتى به) واخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها ان لم تقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ماعداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق فى كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب عليه طاعته بامتثال ماجاء به من الشرائع انتهى وفيه نظر (قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والنور الذى انزلنا) يعنى ما اوحى به اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القرآن اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكر او لانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال بالآية ظاهر (وقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا) على من صدق وكذب ليثاب او يعاقب (ومبشرا) لمن آمن بسعادة الدارين وحذف المبشر به تفخيما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما فى قوله تعالى (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا لمن عصاك (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب فى انا ارسلناك له صلى الله تعالى عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كى وقيل تحتمل ان تكون لام امر وهو بعيد وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهى ظاهرة لان خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه فى حاشية القاضى والاستدلال بالآية على التعليل لان الانذار يقتضى وجوب اتباعه على انه فى غنية عنه بما قبله وبعده من قوله (وقال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الآية) اى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به فى القرآن فى آيات كثيرة (فالايمان بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم واجب) لامر الله به مرارا (متعين) اى فرض عين لافرض كفاية فيجب الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلابد منهما شرعا (اذ لايتم) ويصح (ايمان) لاحد بالله (الا به) اى الا بالايمان برسوله عليه السلام وبكل ماجاء به (ولا يصح اسلام الا معه) اى مع الايمان بالله والايمان بالرسول بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تأكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لايكون مؤمن الا وهو مسلم ولامسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى

(فاخرجنا)

فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) وفي الآية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله ورسوله فينتفي بانتفاء احدهما لتفريع قوله (فانا اعتدنا الخ) عليه (حدثنا ابو محمد الخشني بقراءتي عليه) وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني بضم الخاء والشين المعجمتين ونون وياء نسبة تقدمت ترجمته قال (حدثنا الامام ابو علي الطبري) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن عمرويه) الجلودي وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة تصغير عند اهل البصرة مولدة قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي مسلم قال (حدثنا ابو الحسين) هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا امية بن بسطام) بكسر الباء الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو امام جليل اخرج له الشيخان والنسائي قال (حدثنا يزيد بن زريع) بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ ابو معاوية البصري كما تقدم قال (حدثنا روح) بفتح الراء المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وهو ابن القاسم التيمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة (عن العلاء) بفتح العين المهملة والمد (ابن عبد الرحمن بن يعقوب) عالم المدينة وهو ابو شبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب السنن (عن ابيه) عبد الرحمن (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت) ببناء المجهول اي امرني الله اذ لا آمر له صلى الله تعالى عليه وسلم سواه (ان اقاتل الناس) اي بان اقاتلهم ومحله بعد حذف الجار نصب او جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية (حتى يشهدوا ان لا اله الا الله) غاية اقتالهم ينتهي به ويخصص بالغاية (ويؤمنوا بي) اي بكوني نبيا رسولا (و) يؤمنوا (بما جئت به) من الله واوحاه اليه من شريعته التي امر بتبليغها وتكليفهم بها (فاذا فعلوا ذلك) المذكور من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام احكام شريعته (عصموا) اي صانوا وحفظوا (مني دماءهم) بعدم المقاتلة لهم (واموالهم) فلا تؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الاسباب (الا بحقها) اي ان تستحق اباحة دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه او يستحق اموالهم بمنع زكوة او ثبوت حق عليهم (وحسابهم على الله) اي امرهم بعد ما ذكر موكول الى الله تعالى اذا حاسبهم على ما اسروه في انفسهم ولم نقف عليه من الكفر والمعاصي فيثيب من يشاء ويعاقب من يشاء والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي كفره ومثله الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لا يقبل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الآخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل

لاتقبل ان ادعى لزندقته وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤمنوا بى اشارة الى ان اهل الكتاب لايمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لااله الاالله ودخل قتال البغاة ومانعى الزكوة وتاركى الصلوة فى قوله الابحقها وفى الحديث دليل على ان الايمان يكفى فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لايشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووى رحمه الله تعالى وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف رضى الله تعالى عنه (والايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته) اى التصديق بها (ورسالة الله له) اى ارساله والاضافة اختصاصية لابمعنى الباء كما توهم وان كان المعنى عليهما (وتصديقه فى جميع ماجاء به) عن الله بالوحى بانواعه (وماقاله) اى فى جميع اقواله لانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم لايصدر عنه مايخالف الواقع لاسيما ماامر به بتبليغه (ومطابقة) اى موافقة (تصديق القلب) اى اعتقاده والجزم به واصل المطابقة وضع شئ على شئ هو طبقه وقوله (بذلك) اى بالتصديق بالنبوة والرسالة وماجاء به (شهادة اللسان) بنطقه واعترافه (بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله تعالى عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك) المذكور من رسالته وماجاء به (باللسان تم الايمان) الحقيقى المنجى فى الدنيا والآخرة (والتصديق له) اى كيفيته ولفظه (كما ورد فى هذا الحديث) الذى رواه المصنف رحمه الله تعالى عن ابى هريرة (نفسه) بالجر تأكيد للحديث (من رواية عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله) وهذه رواية مسلم عن ابن عمر و فيها ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة فاذا فعلوا الى آخره وقوله تم الايمان اى تحقق وصح وليس مراداه انه اذا وجد احدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما سنفصله والنطق بالشهادة مع انه لابد من اختلف فيه هل هو شطر او شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل فى كتب الاصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه (وقد زاده وضوحا) اى زاد صلى الله تعالى عليه وسلم ماذكر بيانا (فى حديث جبريل) عليه الصلوة والسلام الذى رواه الشيخان كما تقدم (اذ قال) له جبريل لما جاءه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة انسان (اخبرنى عن الاسلام) اى حقيقته ومعناه شرعا وهو فى اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شريطته وشروطه (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تشهد ان لااله الاالله) ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان يقول اشهد الى آخره وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة او يكفى مايؤدى معناه والصحيح عندنا الثانى معاشر الحنفية ولو بغير لفظ العربية لمن لايقدر عليه (وان محمدا رسول الله) ارسله لجميع خلقه (وذكر اركان الاسلام) يعنى قوله ويقيم الصلوة بالنصب

عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا نظرا الى انه يكفى فى اجراء احكام الاسلام الشهادتان وكذا مابعده وجوابه انه بيان لا كله واقامة الصلوة اداؤها وتؤتى الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه (ثم سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الايمان) اى عما يجب التصديق به شرعا (فقال) مجيبا له (ان تؤمن بالله) اى تصدق بوجوده وانه واحد فى ذاته وصفاته وافعاله ولاشريك له فى ذلك وليس هذا تعريفا للشىء بنفسه لالانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يأمن التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هوالاول وماوقع فى التعريف هوالثانى بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التى يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كامر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذى هوالتصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لاينفك احدهما عن الآخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق واصله الطاعات كما فصل فى علم الكلام (وملائكته) جمع ملك من الالوكة وهى الرسالة واصله مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده وتاؤه لتأنيث الجمع اوالمبالغة وتقدم الكلام على ذلك فى الخطبة وانهم اجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله معصومون لايفعلون غير مايؤمرون لايعلم عدتهم الاالله (وكتبه) التى هى كلامه تعالى المنزل على رسله الازلى فيصدق بحقيقتها وحقيقة ماتضمنته (ورسله) جمع رسول وهو من اوحى اليه بشرع وكتاب وامره بتبليغه عباده (الحديث) بالنصب اى اذكره اواقرأه واعرف ذلك الى آخره وهو واليوم الآخر والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على المقصود (فقدقرر) اى بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ان الايمان به) اى بالله او بماذكر فى الحديث (محتاج الى العقد) اى الاعتقاد الجازم (بالجنان) بفتح الجيم وهو القلب سمى به لاستتاره اواستتار مافيه من جنه اذاستره (والاسلام به) اى بالله او بماذكر (مضطر) اى محتاج اليه ضرورة لانه لايظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما (الى النطق باللسان) ليعلم مافى قلبه (وهذه الحالة) اى اعتقاد الجنان والنطق باللسان (هى المحمودة) عندالله والناس (التامة) بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتام اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء احكام الاسلام عليه فى الدنيا كالصلوة عليه ودفنه فى مقابرنا فمن آمن بقلبه ولم يعلم به احد نفعه ايمانه الاعلى وجه الاباء (واما الحالة المذمومة) اضرها فى الآخرة (فالشهادة باللسان) اى الاقرار

والتلفظ بالشهادة به (دون تصديق القلب) بالاعتقاد الجازم (وهذا هو النفاق) الذى يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفى الكفر وهو لغة اظهار خلاف مايضمر من نافقاء اليربوع وهو مايخفيه من ابواب جحره ليخرج منه اذا احس بصائده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه (قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نشهد انك لرسول الله) فاقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله (والله يعلم انك لرسوله) وهو توطئة لقوله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك) اى قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التأكيدات يقتضى انه ناش (عن اعتقادهم) الجازم (وتصديقهم) القلبى او اللسانى (وهم لايعتقدونه) جملة حالية اى والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما اخبر الله تعالى به (فلما لم يصدق ذلك) القول (ضمائرهم) اى ما اضمروه فى قلوبهم او قلبهم لان الضمير يطلق عليه (لم ينفعهم ان يقولوا) اى قولهم لم ينفعهم فى الآخرة لانهم فى الدرك الاسفل من النار (بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ماخالف الاعتقاد كما حققه اهل المعانى وهذه الآية نزلت فى ابن ابى بن سلول رأس المنافقين واصحابه وقصته مشهورة فى كتب الحديث فلا نطول بها (فخرجوا عن اسم الايمان) اى عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مؤمنين فى الدنيا عند من عرفهم (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) وهو دخول الجنة فهم فى الدرك الاسفل من النار مع الكفار كما يأتى وقوله فى الآخرة اشارة الى انهم يجرى عليهم فى الدنيا حكمه بظاهر حالهم كما نبه بقوله (اذ لم يكن معهم ايمان) فى الآخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن فى قلوبهم فكأنه كان رفيقا لهم لا مخالطهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه (ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار) الدرك بفتح الراء وسكونها مايتنزل به لاسفل ضد الدرج يعنى انهم فى قعر جهنم وآخر طبقة منها وهى سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع ايضا بالاشتراك اللفظى والمعنوى (وبقى) جار (عليهم حكم الاسلام) فى الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم (باظهار شهادة اللسان) اى بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كل ماكان داخلا (فى احكام الدنيا) اى مايحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع (المتعلقة بالائمة) اى السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا مأمورين باجرائها (وحكام المسلمين) كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لارادته نصا هنا كما توهم ولذا لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم على ابن ابى بن سلول وان كان صلى عليهم

وانما لم يقتله لمصلحة اشار اليها في الحديث الآتي بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه فكان هذا من خصائصه في ابتداء الاسلام ثم انتهى بانتهاء سببه ولذا رفع عمر رضي الله تعالى عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا بقوله (الدين احكامهم) جارية ومبنية (على الظواهر) من احوال الناس كلهم (بما ظهر وه من علامة الاسلام) اي ان احكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهار الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفي نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته (اذ لم يجعل) بناء المجهول اي لم يجعل الله (للبشر) اي الناس كلهم (سبيل) اي طريق (الى السرائر) جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجراء حكمه (ولا امروا) الضمير للبشر باعتبار المعنى (بالبحث) اي التفحص والتفتيش (عنها) اي عن السرائر ثم ترقى فقال (بل نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها ۲) اي الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف اولانه ليس بحكم كما قال تحلم الرجل لمن لا حلم له (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاسامة بن زيد في حديث صحيح رواه البخاري لما اصطر بعض الكفار فاسلم فقتله اسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له اقتلته بعد ان اسلم (هلا شققت عن قلبه) وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت الامر واذا دخلت على الماضي افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش اي شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم اقال ما قاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لا يدري ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما رأه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله ظنه ايمان يأس لا يفيده كحال الغرغرة فهو متأول لا متعمد للخطأ في قتله والحديث كما في الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لي يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيمة فقلت استغفر لي يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى آخره فلم يقبل عذره وفيه تنبيه وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزاري او الفدكي وما ذكرناه علم ان اسامة رضي الله تعالى عنه متأول في قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعجلته وعدم تأنيه وانما كان يجب عليه ان يختبره فلاقة له

(۲) وذم ذلك نسخه

وهو مسلم شرعا كما لايخفى فقول الداودى انه يلزمه الدية لقتله اسلم حصناً وانما سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك اولانه كان قتل قبل نزول آية الدية والكفارة وقول القرطبي انه لايلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شيء لانه مأذون فى اصل القتل فهو كالطبيب والخاتن اولم يكن له وارث مسلم ولاولى واسامة رضى الله تعالى عنه اقربذلك لاحاجة اليه *اقول اذالم يكن له وارث ديته لبيت المال ولايصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكي فى فتاويه جوازه لمصلحة ولادليل فى الحديث لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنفيله الدية لايكون عفوا (والفرق بين القول) اى مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه (والعقد) اى التصديق بقلبه واعتقاد جنانه (ماجعل) مامصدرية اى جعله (فى حديث جبريل) الذى تقدم فى سؤاله عن الاسلام والايمان (الشهادة) اى التلفظ بها ركنا (من الاسلام) لما قال فى جوابه ان تشهد الى آخره (و) جعله (التصديق من الايمان) اى الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن فى قوله ان تؤمن بالله تعالى عزوجل الى آخره (وبقيت حالتان اخريان بين هذين) اى الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه اى الجمع بينهما (احديهما ان تصدق) المكلف (بقلبه ثم يخترم) بخاء معجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبنى للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصل معنى الخرم القطع وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما اشار اليه بقوله (قبل اتساع وقت الشهادة باللسان) اى التلفظ والنطق بها لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللساني والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه ماض وهذه حالة بينهما (فاختلف فيه) اى فيمن هذه حاله امؤمن هو اولا (فشرط بعضهم) اى قال انه (من تمام الايمان القول والشهادة به) باللسان فلايكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لاشرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الابهما الاعند العجز عن النطق (ورآه) ماض من الرأى (بعضهم مؤمنا) فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة (مستوجبا) اى مستحقا (للجنة) ودخولها لعذره بعدم تمكنه و (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (يخرج) روى بالبناء للفاعل والمفعول (من النار من كان فى قلبه) باعتقاده (مثقال ذرة من الايمان) اى وزنها ومقدارها والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث فى الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لان المراد به العصاة المذنبون بسبب آخر او بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال بقوله (فلم يذكر)

فى الحديث شيئا (سوى ما فى القلب) من ايمان بمقدار ذرة (وهذا) المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق (مؤمن بقلبه) فينفعه ايمانه عندالله تعالى لانه (غيرعاص) اى تارك لمايلزمه (ولامفرط) بتشديد الراء المهملة اى مقصر عمدا (بترك غيره) وهوالتلفظ بالشهادة (وهذا) الرأى الذى رأه بعضهم (هوالصحيح فى هذا الوجه) اى الحالة المذكورة فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الاانه قيل ان مااستدل به المصنف لايثبت مادعاه لان هذا فى عصاة امته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه مافى الصحيح عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لااله الاالله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن فى الايمان وهو من المعانى لانه كماقال الكرمانى شبه بالجسم فاضيف اليه ماهو من لوازمه وهوالوزن ففيه استعارة بالكناية (الثانية) اى الحالة الثانية من هاتين الحالتين (ان يصدق بقلبه) ويعتقد اعتقادا جازما (ويطول) بضم التحتية وفتح الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة (مهله) بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهى التؤدة والتأنى فاريدبه لازمه وهو طول الزمان والمرادزمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة (وعلم مايلزمه من الشهادة) والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد اى سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بماصدق به قلبه (فلم ينطق بها) اى بالشهادة (جملة) منصوب على الحالية والمراد به بمجموعها بان لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا اواجمالا بان لايفصل الملائكة والكتب ونحوها (ولااستشهد فى عمره) ومدة حيوته اى اتى بالشهادة وفى نسخة شهد (ولامرة) اى مرة واحدة (فهذا اختلف فيه ايضا) كما اختلف فى الذى قبله وهو فى الاصل مصدر آض اذا رجع وشاع فى التشبيه وفى نصبه كلام مشهور (فقيل هو مؤمن لانه مصدق) وحقيقة الايمان هو التصديق القلبى وقد اتصف به فيكفيه (والشهادة من جملة الاعمال) الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا (فهو عاص بتركها) كمرتكب الكبائر غيركافر فهو (غيرمخلد) فى النار عند اهل السنة القائلين بان اصحاب الكبائر غير مخلدين (وقيل ليس بمؤمن) لان الشهادة شرط فيه اوشطر (حتى يقارن عقده) اى اعتقاد قلبه وجزمه (شهادة اللسان) اى التلفظ بها مطابقة لما فى قلبه (اذالشهادة انشاءعقد) عندالاصوليين لانها عندهم انشاء يتضمن الاخبار بالمشهود به لااخبار وعزى الثانى انه خبر لابى حنيفة وانكره السروجى وقال لانعرفه وانما هو انشاء عندنا ايضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير على آخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا اريد به الانشاء كقوله ﴿ والمطلقات يتربصن بانفسهن ﴾ ومن لم يفهم مراده قال انشاؤه بمعنى ابتداؤه (والتزم ايمان) اى التزام لاحكامه (وهى) اى الشهادة (مرتبطة)

اى ملازمة متصلة (مع القم) الجانى لا تفارقه فلا يكتفى باحدها (ولا يتم التصديق) ويكتفى به (مع المهلة) اى تأخير النطق زمانا طويلا من غير مانع (الايهما) اى بالشهادة والنطق بها (وهذا) القول (هو الصحيح) من انه ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه احكام الايمان فى الدنيا فهو ينفعه فى الآخرة والاصح انه لابد منه فى الاعتداد به فى الدنيا والآخرة وهو شرط اوشطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب اتى به فانه ان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد (وهذا نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشيء اليسير واصله الرمى والطرح فكأنه لقلته مما يطرح وفى نسخة هذه نبذ بضم النون ففتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ماقدمناه (تفضى الى متسع من الكلام) تفضى بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع افضى بمعنى اوصل واصل معناه الايصال الى الفضاء والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمى اواسم يعنى انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه ومالعلماء فيه من القيل والقال (فى الاسلام والايمان) اى فيما يتعلق بهما (وابوابهما) المعقودة لتفصيلهما (وفى الزيادة فيهما والنقصان) فيهما والكلام فى انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور (وهذا التجزى) بالزيادة والنقص فيهما (ممتنع على مجرد التصديق) فهو فى نفسه من غير نظر لما يضم له من الاقوال والاعمال لا يقبلهما فانه كامل قيل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزى وقوله (لا يصح فيه) اى فى التصديق يجرى بزيادة ونقص (جملة) اى مجموعه او الاجمالى منه لا يقبل التجزى (وانما يرجع) تجزيه والزيادة فيه (الى مازاد عليه) اى مازاد على التصديق (من عمل) ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد لا يكون كمن اسلم ثم مات فجأة فلم يأت بشيء من الاعمال الصالحة (وقد يعرض فيه) اى قد يطرؤ على التصديق نفسه زيادة اونقص وتجزؤ فانه من الكيفيات النفسانية وهى تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك فى ان ايمان ابى بكر رضى الله تعالى عنه ليس كايمان غيره وقال الشمنى فى الصحاح عرض له كذا يعرض اى ظهر وعرضت العود على الاناء تعرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول بالكسر الى آخره (لاختلاف صفاته) قوة وضعفا (وتباين) اى بعد وافتراق (حالاته) بعضها عن بعض (من قوة يقين) بيان للصفات والحالات (وتصميم اعتقاد) اى الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة ادلة (ووضوح معرفة) اى ظهورها كمن شاهده صلى الله تعالى عليه وسلم وعاين معجزاته (ودوام حاله) اى استمرار

(التصديق)

التصديق وامتداده فانه زيادة فيــه (وحضور قلب) اى حضور التصديق به حتى لايغفل عنه قلبه المطمئن (وفى بسط هذا) اى بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق ادلته مع مالهـا وعليها (خروج عن غرض التأليف) اى المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومايجب له وهذا يكفى فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال (وفيما ذكرناه غنية) بضم الغين المعجمة ونون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة اى كفاية مغنية عن غيره (فيما قصدناه) فى هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى) وهذا الذى ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولاشك فى ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم

﴿ فصل واما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ بامتثال اوامره واجتناب نواهيه (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) من الله وقد علم هذا مما تقدم فى اول الباب (وجبت طاعته) لان من صدقه واخبره بما يلزمه اتباع امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك مايجب عليه (لان ذلك) اى وجوب طاعته (مما اتى به) عن الله بوحيه كما يدل عليه ما (قال الله تعالى ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما شىء واحد ولذا افرد الضمير فى قوله ولاتولوا عنه وهو قياس منطقى تقديره وجوب طاعته مما اتى به من عند الله وكل ما اتى به من عند الله يجب الايمان به فيجب طاعته وشرك بينهما فى صيغة الامر كما ذكرناه (وقال الله تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) قال القاضى امره الله ان يبلغ المؤمنين ماخاطبهم به مبالغــة فى تبكيتهم يعنى ان هذه الآية نزلت فى بشر المنافق لما دعى خصما له يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتى بيانه ولاينافى هذا ان الكلام فى وجوب طاعته على المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب (وقال تعـالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الترجى بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجاء والخوف (وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا) فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره امر لازم لهم (وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) فجعل طاعته هى طاعة الله لانه لايأمر الا بامره ولاينهى الا بنهيه ولذا اردفه بقوله (وقال تعـالى وما آتيكم الرسـول فخذوه ومانهيكم عنــه فانتهوا) هذا محمول على العموم فى جميع اوامره ونواهيــه لانه لايأمر الا بصلاح ولاينهى الا عن فساد وان كانت الآية نزلت فى الفىء والغنائم كما يدل عليه قوله تعالى (وما آتيكم الرسول فخذوه) اذ العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما تقرر فلايتوهم انهـا غير مناسـبة لما هو بصدده

(وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك) المطيعون (مع الذين انعم الله عليهم الآية) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسيأتي ان هذه الآية نزلت في ابن عبد ربه الانصاري حين قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مت كنت في عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعى الله ان يعمي بصره حتى لا يرى غيره فعمي مكانه وهو الذي رأى واقعة الاذان وقيل نزلت في ثوبان مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لا يصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فسأله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال مابي ضر غير اني لا اصبر عنك فذكرت الآخرة واني لا اراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتي والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم في الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها (وقال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق او هو نفس التسهيل والتوفيق اي الا ليطيعه من بعث اليه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى امره وقال القاضي كأنه اي الله احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل في توجيهه ان لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله تعالى ومن لم يرض بحكم الله فهو كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودي وطلب اليهودي حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان محقا يعلم حكم رسول الله له وابى المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وابى اليهودي واتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر رضي الله تعالى عنه فحكم بما حكم به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودي ماوقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينكره (فجعل طاعة رسوله طاعته) فهما شيء واحد لانه لا يأمر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه بنص قوله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) (وقرن طاعته بطاعته) في القرآن كما في قوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته مالا يخفى (ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب) الجزيل بمعنى العظيم او الكثير وعبر في جانب الثواب بالوعد وفي جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما في اصل الاستعمال كما قال الشاعر

وانى وان اوعدته او وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدي

وقد يستعمل كل منهما في مكان الآخر لنكتة وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا في خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيء وهو ظاهر (واوجب) الله تعالى (امتثال امره) بالاتيان بما امر به (واجتناب نهيه) بترك ما نهى عنه فقال

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ كما تقدم بيانه (وقال المفسرون) في تفاسيرهم (والائمة) اى ائمة الدين من الفقهاء والمحدثين (طاعة الرسول) اتى امرنا الله تعالى عزوجل بها فى القرآن متحققة ومتبينة (فى التزام سنته) اى المداومة على سلوك طريقته فالسنة بمعناها اللغوى فيعمل ما عمله ويترك ما تركه (والتسليم) اى الانقياد والمتابعة له (لما جاء به) من شرعه الموحى اليه الذى اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم العقل (وقالوا) ايضا (ما ارسل الله من رسول) من زائدة فى النفى لتأكيد العموم (الا فرض طاعته) اى جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه (على من ارسله اليه) لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه (وقالوا) اى المفسرون والائمة (من يطع الرسول فى سنته) بنون مشددة وتاء مثناة فوقية اى فى طريقته وشريعته من امر ونهى وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله (يطع الله فى فرائضه) جمع فريضة بمعنى الفرض وفى بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى ما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعاله فى فرائض الله بالطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينفصل احدهما عن الآخر وفى الام للشافعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لالفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه ما امرت او نهيت فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به وسيأتى بيان الفاظه عند ذكر المصنف رحمه الله له قريبا مرتين لامر اقتضاه فهذا بيان لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا (وسئل سهل بن عبدالله) التسترى الامام الزاهد المشهور (عن شرائع الاسلام) اى ما المقصود منها والمراد (فقال) سهل فى الجواب (وما آتاكم الرسول فخذوه) اى تمسكوا به (وقال) الامام ابو الليث الفقيه المشهور (السمرقندى يقال) فى طاعة الله ورسوله ان معناه (اطيعوا الله فى فرائضه) اى فيما فرضه عليكم فى كتابه الكريم (والرسول فى سننه) اى ما سنه وشرعه لنا (وقيل) فى معنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول (اطيعوا الله فيما حرم عليكم) باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما اوجبه وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله (والرسول) اى واطيعوا الرسول (فيما بلغكم) عن الله من اوامره ونواهيه مخلصا فى ذلك فانه مامور بابلاغه ﴿ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويقال) فى معناه (اطيعوا الله بالشهادة) اى الاقرار والاعتراف (له بالربوبية) اى انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية (والنبى) بالنصب اى واطيعوا النبى عليه السلام (بالشهادة له بالنبوة) المراد بالنبى هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول

وان قلنا النبى اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغى له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة افضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال (حدثنا حاتم بن محمد) المعروف بابن الطرابلسى كما تقدم قال (حدثنا ابوالحسن على بن محمد بن خلف) الحافظ القابسى كما تقدم قال (حدثنا محمد بن احمد) وهوابو زيد المروزى كماتقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى راوى صحيح البخارى كما تقدم قال (حدثنا البخارى) قال (حدثنا عبدان) يعنى عبدالله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن ابى رواد الحافظ المروزى الفقيه الثقة توفى سنة احدى وعشرين ومائتين قال (اخبرنا عبدالله) بن المبارك المروزى قال (حدثنا يونس) بن يزيد الايلى الامام الثقة توفى سنة تسع وخمسين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى الامام المشهور كما تقدم مرارا قال (اخبرنى ابوسلمة بن عبدالرحمن) احد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبدالله اواسمعيل (انه سمع اباهريرة يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله) لانه لايأمر الا بما امر الله به ولاينهى الا عمانهى الله تعالى عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل امر الله ونهيه او ان الله عزوجل امر بطاعة رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله فى امره ونهيه بطاعته كما تقدم (ومن اطاع اميرى) اى من جعله هواوخلفاؤه حاكما على امته (فقد اطاعنى) لان طاعته طاعة من امره لانه مبلغ عنه (ومن عصى اميرى فقد عصانى) قيل ان قريشا وسائر العرب كانوا لايعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام ولى عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الامراء انكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم فى اقوالهم وافعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام (وطاعة الرسول) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من طاعة الله) المرسل له (اذ الله امر بطاعته) اى لان الله امر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله (فطاعته) اى الرسول ورسوله (امتثال لما امر الله به) فى قوله اطيعوا الرسول (وطاعة له) اى لله لانه امرهم اجمالا باطاعته فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا باطاعته فى اوامره ونواهيه وهوانما يأمرنا بما امر الله تعالى بتبليغه ومايتطق عن الهوى ويدخله ماكان باجتهاده لانه امر بالاجتهاد على الاصح وهذا بسط لما قدمه وايضاح له ولاتكرار فيه كما قيل (و) قد (حكى الله عن الكفار)

ماسيقولونه اى ذكر فى القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة مأثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد المغربى قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله فى كلامه عن كذا لان الحكاية متأخرة عن المحكى وانما يقال اخبر الله ونحوه انتهى وهذا مما لا وجه له لانه تعالى قال نحن نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق (فى دركات جهنم) اى محلهم الاسفل فيها (يوم تقلب وجوههم فى النار) اى تصرف من جهة الى اخرى لاضطرابهم فهى كقطع لحم يغلى فى قدر يفور او تقلبها تغيرها عن حالها وهيآتها او تبدل الوانها وخص الوجه لانه اشرف الاعضاء واظهرها او المراد به الجملة (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) لنسلم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم (فتمنوا طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حيث لا ينفعهم التمنى) اى فى زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمنى طلب ما لا يمكن حصوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ) محرم او مكروه (فاجتنبوه) اى اتركوه كانه طرح فى جانب منكم (واذا امرتكم بامر) اى بمأمور به ايجابا او ندبا (فأتوا منه ما استطعتم) اى قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعونى ما تركتكم انما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه الى آخره وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى خطبة ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعونى الحديث وزاد الدارقطنى فنزلت (يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم) وروى ذلك عن ابن عباس فى التفسير وشئ عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الاكراه على المعصية يبيحها او هى باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو مبنى على الخلاف فى ان المكره مكلف ام لا ومعنى ائتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووى وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز عن ركن من اركان الصلوة او شرط من شروطها يأتى بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفى الحديث اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المأمورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله احمد بن حنبل * فان قلت الاستطاعة معتبرة فى النهى فلا يكلف الله نفسا الا وسعها * قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتناء بل هو جهة الكف وكل احد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل احد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهى وقال الماوردى

الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ انه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال امره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه (وفي حديث ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الحاكم (كل امتي) امة الاجابة (يدخلون الجنة) الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة ايضا وقيل انه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة (الا من ابى) اي امتنع ثم فسره بقوله (قالوا يارسول الله ومن يأبى) فهموا منه انه ابى دخول الجنة ولا يأباها احد لانه روي كما في النهاية وشرد (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مجيبا لهم (من اطاعني) وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا النهي (دخل الجنة) وفاز بنعيمها المقيم (ومن عصاني) وخالفني (فقد ابى) اي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختياره كانه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان اريد بالعصاة المذنبون من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان اريد الكفار فهو استعارة ايضا والمراد خلودهم في النار قال الكرماني بعد قوله الا من ابى اي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيئا فالامة امة الدعوة اي كلهم الا من ابى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد بالامة امة الاجابة فابي هو العاصي من امته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب فقد ابى توضيحا لبيان الصنفين والمقدر من اطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى (وفي الحديث الآخر) عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله (الصحيح عنه عليه الصلوة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به) ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام امر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه مضربه بمورده واكثر ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة اوصفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله وليس فيه به فقال ابن حجر انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يتحدا متعلقا فامصدرية لا عائد لها اقول ما ذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا لا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصنف رحمه الله تعالى له ان كان لرواية وقعت له فظاهر اوليبان انه مقدر فيه فهو رواية

بالمنى يدل على ماقاله ابن حجر والمنى عليه وفيما ذكره تكلف لايخفى (كمثل رجل اتى قوما) ليحذرهم وينذرهم بعدوهم الذى قرب مجيئه لهلاكهم (فقال ياقوم انى رأيت الجيش) هم جمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال (بعينى) هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة او بفتحها وياء مشددة مفتوحة مثنى وهو لتأكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية (وانى انا النذير) النذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه (العريان) اى المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثله به صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به المبالغة فى انذار ووضوح ماانذر به وعدم احتمال خلافه واصله ان الرجل كان اذا رأى العدو قرب جدا وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته وخشى ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به اى بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو مالا تطيقونه واصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امرأته فاتى قومه يحذرهم بفعل ذلك وقيل انما هى امرأة وقيل هو عوف بن عامر اليشكرى وامرأة من كنانة وقيل امرأة من بنى عامر وقيل ابرهة الحبشى وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ماقاله الامام السهيلى فى قوله تعالى (ياايها المدثر قم فانذر) ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلتك نذيرا والنذير يكون عريانا لاملفوفا بثيابه وهى نكتة سرية (فالنجاء) بالنصب على المصدر بعامل محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار اى انجوا نجاء بسرعة من غير لبث فناب عن عامله وعرف وهو ممدود اومقصور بنية الوقف ورواه البخارى النجاء النجاء بالتكرير بمدها وقصرها وبمد الاول وقصر الثانى وهو منصوب على الاغراء اى اطلبوا النجاء بالهرب ويجوز رفعه اى النجاء خير لكم (فاطاعه طائفة) اى جماعة وفرقة (من قومه) لما اتاهم وقال لهم ماقاله (فادلجوا) اى ساروا من اول الليل او ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير اول الليل والمشدد سير آخره والاسم الدلجة بالضم والفتح (وانطلقوا) اى ساروا طالبين النجاة من عدوهم (على مهلهم) اى متمهلين بتؤده وتأن بعد ذلك اوفى سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها وبضم الميم وسكون الهاء كامر وفى مسلم مهلتهم بزيادة تاء والكل بمعنى واحد (فنجوا) بفتح النون مع الجيم اى سلموا من عدوهم (وكذبت طائفة منهم) النذير فى انذارهم بالعدو (فاصبحوا) اى مكثوا (مكانهم) اى فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصباح (فصبحهم الجيش) اى اتاهم فى وقت الصباح (واهلكهم واجتاحهم) بجيم ومثناة فوقية والف وحاء مهملة اى اهلكهم جميعا واستأصلهم فلم يبق لهم باقية

من الذراري والاموال والجائحة الآفة التي تصيب الثمار فتستأصلها اى تفنيها من اصلها وكل مصيبة عظيمة فهي جائحة (فذلك) المذكور والمثل المضروب لكم (مثل من اطاعني) فشبهوا بمن صدق النذير فنجا (واتبع ماجئت به) فصدقه وعمل بما امره به مما اوحاه الله اليه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب مانهاه عنه (ومثل من عصاني وكذب ماجئت به من الحق) فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفي شرح المشكاة للطيبي انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه نفسه وانذاره بالعذاب القريب بالرجل الذي انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من اطاعه من امته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما هو تشبيه تمثيلي شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لا تشبيه الاجزاء بالاجزاء فان الاول ابلغ واحسن * اقول اعادة مثل في الحديث تقتضي ماقاله الطيبي والمآل واحد وابلغية ماذكره في هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل انه تشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه في شروح الكشاف (وفي الحديث الآخر) الذي رواه الشيخان (في مثله) اى تمثيل حاله وصفته صلى الله تعالى عليه وسلم مع امته في دعوته لهم (كمثل) بفتحتين اى كصفة وقصة (من بنى دارا) عظيمة انشأها وفرشها بفرش نفيسة (وجعل فيها مأدبة) بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وباء موحدة وهاء وهي الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاحباب وفي القاموس انها طعام صنع لدعوة اوعرس والمشهور الاول فهي عامة لكل دعوة وفي فقه اللغة القرا بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو للزائر تحفة وللاملاك شنوخة وللعرس وليمة وللولادة خرس وحلق شعر المولود عقيقة وهو في الاصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة وللعليل قبل الغداء سلفة ولمستعجل الغداء مجالة وللكرامة منزلة من النزل انتهى والمأدبة من الادبة بالضم وهي الطعام (وبعث داعيا) يدعو لمنزله واكل طعامه (فمن اجاب الداعي) اى امتثل دعوته وذهب معه (دخل الدار) التي بناها (واكل من) طعام (المأدبة) التي اكرم بها (ومن لم يجب الداعي) لدعوته (لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة) التي حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذي خلق الجنة وهيأ اسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله (فالدار الجنة) التي اعدها الله لمن اختاره من عباده ومأدبتها مافيها من النعم وماتشتهيه الانفس (والداعي) لها (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم مما بلغهم عن الله وامرهم به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد (فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله) تقدم بيانه (ومن عصى محمدا فقد عصى الله) لان مخالفه مخالف لامر الله كما

(ومحمد فرق بين الناس) فرق بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين باطاعته وعصيانه وروى فرق بصيغة الماضى مشدد الراء المهملة اى فرق بين مؤمنهم وكافرهم او بين من دعى للجنة و بين من لم يدع لها وهذا انسب بالسياق والمعنى واحد واول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم لبعض ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل الى آخره وفيه فقالوا اولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة الى آخره فالممثل الملائكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف رحمه الله تعالى وفى رواية ان القائل جبريل وميكائيل ولا يخفى ان ظاهر الحديث انه تشبيه مركب فقول الكرمانى انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل مما لا وجه له ﴿ فصل واما وجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وامتثال سنته ﴾ السنة هنا بمعناها اللغوى وهى والطريقة والسيرة بمعنى وهى اقواله وافعاله وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه (والاقتداء بهديه) هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته ايضا وفى نسخة والاهتداء بهديه (فقد قال الله تعالى) هو جواب اما اى فقد ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) اى اقتدوا بسنتى واهتدوا بهدى (يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم الآية) فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالى ان العصيان يضاد اصل المحبة وقال البيضاوى يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه و يبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة اى المشاكلة ولبعض الشراح من المتأخرين هنا كلام لاطائل تحته عبر التطويل (وقال) تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى) والايمان به وتصديقه يقتضى اتباعه وطاعته (الذى يؤمن بالله وكلماته) التى نزل بها الوحى عليه وما اوحى الى من قبله من الرسل من الكتب والشرائع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شئ ولكلامه الذى يفنى مداد البحار فى دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفى هنا اعنى الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بى لبلاغة الالتفات ولتجرى عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجاء فى قوله (واتبعوه لعلكم تهتدون) اى راجين الاهتداء باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايماء الى ان من آمن به و لم يقتد بما شرعه لهم لا يخرج من الضلال والرجاء بالنسبة للمخاطبين او هو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة (وقال الله تعالى فلا وربك

لايؤمنون) لامزيدة للتأكيد او نفى لما تقدمها اى ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما انزل اليك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى (حتى يحكموك) اى يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم (فيما شجر بينهم) اى فيما وقع بينهم من المشاجرة وهى المخاصمة واصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها (الى قوله تسليما) يعنى قوله تعالى (ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) والحرج ضيق الصدر او الشك وهذه الآية نزلت فى بعض الانصار لما اختصم مع الزبير فى ماء سقى به ارضه وسيأتى تفصيله (اى ينقادون لحكمك) تفسير لقوله ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفى نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب بحذف النون لاسيما ان قيل ان اى عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده (يقال سلم) بالتشديد (واستسلم) اى طلب السلامة بانقياده (واسلم اذا انقاد) هذا هو المصرح به فى كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور فى القاموس ان التسليم الرضا والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم فى الآية بالرضى الاخص كان احسن ليس بشىء (وقال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة) بالكسر والضم اى قدوة يقال اسيته بمالى اسوة وواسيته لغة قليلة وقيل هى الصواب فهى الخصلة التى يراد الاتصاف بها (حسنة) اى خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اى يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التأسى به فى اقواله وافعاله وحسنة هنا على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فتكون صفة مقيدة (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) اى يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم الآخرة اوايامه الآخر خصوصا مع قوله لمن كان وفى الكشاف ان لمن بدل من لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجاء لايذانها بملازمة الطاعة اذا المؤتسى من شانه ذلك (قال محمد بن على الترمذى) هو المعروف بالحكيم الترمذى الصوفى صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته (الاسوة فى الرسول) تعريفه للعهد الخارجى فالمراد به محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او هو للعهد الذهنى او الاستغراق فهو اعم اى فى حق رسول من الرسل او لكل رسول (الاقتداء به) فى اقواله وافعاله كما فى قوله تعالى فبهداهم اقتده (والاتباع لسنته) اى لطريقته وشريعته (وترك مخالفته فى قول) قاله امرا او نهيا او ارشادا (او فعل) فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غير واحد) تقدم ان معناه ناس كثيرون (من المفسرين بمعناه) اى قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذى

(وقيل)

(وقيل) معنى الآية المذكورة (هو عتاب) من الله تعالى اى توبيخ ولوم (للمتخلفين عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة اعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به فى جهاد اعداء الدين ومقاساة اهوال الحروب وكان ذلك فى غزوة الاحزاب او تبوك حبا للبقاء والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل انفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة افعاله واقواله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام المظروف بظرفه فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تجريد جعل كأنه فيه مقتدى به منتزع كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار فى نفسها تساوى كذا وفى البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتداء انما يجب فيما ليس من خصائصه كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان تكون لغيره (وقال سهل) بن عبدالله التسترى وقد قدمنا ترجمته (فى قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم) بين ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم (قال) سهل فى تفسيره انه انعم عليهم (بمتابعة السنة) اى اتباع طريقه الذى هو الصراط المستقيم الذى يجب اتباعه (فامرهم الله تعالى بذلك) اى باتباعه (ووعدهم) الجزاء عليه اعنى (الاهتداء باتباعه) اى حصول الهداية التى طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان الترجى من الله تعالى وعد لمن لا يخلف الميعاد (لان الله تعالى ارسله بالهدى) اى بما فيه هدايتهم (ودين الحق) اى الدين الحق او دين الله (ليزكيهم) اى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن (والحكمة) اى العلوم النافعة المحكمة والشريعة التى صيرتهم حكماء متقنون للعلم والعمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم (ووعدهم محبته تعالى) اى محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله (فى الآية الاخرى) يعنى قوله تعالى (ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) (ومغفرته) بقوله ويغفر لكم ذنوبكم (اذا اتبعوه) لان جواب الامر فى معنى جواب الشرط (وآثروه) بالمداى قدموه واختاروه من الاثرة (على اهوائهم) جمع هوى بالقصر وهو ما تميل اليه النفس وتدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات (وما تجنح) بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز فى نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل واصله الميل على احد شقيه مأخوذ من الجناح (اليه نفوسهم) وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة انفسهم واموالهم واولادهم والناس اجمعين كما ورد فى الحديث (و) اخبرهم بـ(ان صحة ايمانهم فى انقيادهم له) فى جميع ما امرهم به ونهاهم عنه (ورضاهم

بحكمه) فيما تخاصموا فيه يعني قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (وترك الاعتراض عليه) فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم فى قصة الانصارى مع الزبير (وروى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى والراوى له ابن المنذر فى تفسيره ويحتمل انه الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما (ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله) اى تميل اليه انفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه (فانزل الله) مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله (قل ان كنتم تحبون الله الآية) اى فاتبعونى يحببكم الله يعنى ان محبته انما تحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احبه الله كما قيل ماجزى من يحب الا يحب (وروى) فى سبب نزول هذه الآية (ان الآية نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو رجل من عظماء اليهود من بنى النضير وامه من طى وقتل كافرا بعد بدر بستة اشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة فى السير (وغيره) من اليهود اتباعه (وانهم) اى ابن الاشرف واتباعه (قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله) وهذا ما حكاه الله تعالى عنهم فى قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى) الى آخره وكانوا اتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله الى آخره فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما انزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول النصارى نحن ابناء الله انهم اشياع عيسى صلى الله عليه وسلم الذى زعموا انه ابن الله ومعنى وقالت اليهود ذلك انهم اشياع عزيز الذى زعموا انه ابن الله وقيل تقديره رسل الله (فانزل الله تعالى الآية) جوابا لهم بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم الآية) (وقال الزجاج) فى تفسير هذه الآية (معناه ان كنتم تحبون الله اى تقصدوا طاعته) اذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما تعارفه الناس وفى نسخة ان تقصدوا هذا تفسير لمحبة العبد (فافعلوا ما امركم) الله تعالى (به) الفاء فصيحة اى اتبعونى وافعلوا (اذ محبة العبد لله والرسول) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف (طاعته لهما) باتباع امرهما ونهيهما (ورضاه بما امرا) بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا (ومحبة الله لهم) اى لعباده ففسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما فى الآية (عفوه عنهم) بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله (وانعامه) اى الله (عليهم) اى على عباده (برحمته) اهتماما به والرحمة فى حق الله بمعنى الانعام وارادته فى حقه تعالى لان معناها الحقيقى لا يصح فى حقه تعالى فالمراد بها هنا لطفه بعباده ورأفته بهم (ويقال) فى تفسير محبة الله ومحبة

عباده له ان معنى (الحب من الله عصمة) اى حفظ الله لعبده من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون لغيره ويجوز الدعاء بها لكل احد كما تقدم والذى يختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل مالا يرضاه الله وان لا يقدر احد على قتله ونحوه واليه اشار بقوله (وتوفيق) اى خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المقحمات ومبدؤه ميل نفسانى بتعالى الله عنه (و) المحبة (من العباد) معناها (طاعة) وانقياد لله ورسوله (كما قال القائل) اى معنى ما ذكر هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما فى زهر الآداب للحصرى محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ مفلق كان فى اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم فينظمها فى شعره كقوله

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * علىّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * يضيق بها الاوهام والبر والبحر
(تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع
(لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وفى معناه قول منصور الفقيه ايضا

غلط فاحش وجهل مبين * وعمى لا يحول لا بل جنون
طمع العبد فى كرامة مولاه * واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعى محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحيوة كالعمر بضمها الا انهم فى القسم التزموا فتحها الا شذوذا وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى والقياس لغة تقدير الشئ بذراع ونحوه وفى الاصطلاح الحاق شئ بشئ لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعنى ان المعاصى لا تضر الحب لان المتحابين لا يؤاخذ احدهما الآخر وهو امر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصى امر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقى كما قيل وهو تكلف (ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه) اى خوفه اذا تأمل عظمته (ومحبة الله له) اى لعبده (رحمته له) اى احسانه واكرامه لان معناه الحقيقى لا يليق به فاريد به غايته (وارادته) الفعل (الجميل له وتكون) بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول اولى (بمعنى مدحه والثناء عليه) اى على العبد (قال القشيرى) الامام الزاهد ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته (فاذا كان) اى المحبة

وذكره لتأويله اولان تأنيث المصدر غير معتبر لتأويله بان والفعل او الضمير للجميل (بمعنى الرحمة والارادة) عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال (والمدح) فى كلامه الازلى كالثناء على المؤمنين فى القرآن (كان من صفات الذات) اما الارادة فظاهر واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات الذات والافعال مفروغ منه فى علم الكلام (وسيأتى بعد) مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة اى بعد هذا (فى ذكر محبة العبد غير هذا) فاعل سيأتى اى غير ماذكر هنا (بحول الله تعالى) اى باعانته وقوته لان الحول له معان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الآجرى شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) بن احمد شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل) اصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة (ح وحدثنا) تقدم ان ح بحاء بمهملة يذكرها المحدثون اذا ارادوا التحول من رواية لرواية اخرى كما بينه ابن الصلاح (ابو الحسن يونس بن مغيث) بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة (الفقيه بقراءتى عليه) قال (حدثنا حاتم بن محمد) تقدم بيانه قال (حدثنا ابو حفص الجهنى) نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة قال (حدثنا ابو بكر الآجرى) بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للآجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه قال (حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وزاء معجمة مكسورة وياء نسبة وهو ابو اسحق الجوزى نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى وقال التلمسانى انه كذا فى اصل المصنف رحمه الله تعالى ورواه العزفى خوزى بخاء مضمومة وواو ساكنة وزاء معجمة نسبة لخوز جيل من الناس او قرية مشهورة قال (حدثنا داود بن رشيد) بالتصغير علم منقول وهو ابو الفضل الخوارزمى الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين قال (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ ابو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة روى له اصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وتوفى سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (عن ثور بن يزيد) الحافظ الحمصى ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة (عن خالد بن معدان) الكلاعى الزاهد الفقيه الجليل اخرج له اصحاب الكتب الستة توفى سنة اربع وثمانين ومائة قيل انه كان يسبح فى كل يوم اربعين الف تسبيحة (عن عبد الرحمن بن عمرو الاسامى) كذا فى النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبى السلمى بضم السين المهملة وفتح اللام وهو ابن عبسة وهو اخوا ثقة توفى

(سنة)

سنة عشرة ومائة (وحجر الكلاعي) حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام والف وعين مهملة نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له اصحاب السنن (عن) ابي نجيح (العرباض) بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة وضاد معجمة واصله الطويل وتقدم الكلام عليه (ابن سارية) بسين مهملة وياء آخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الصفة سكن حمص (في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) اي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى (ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه) وقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه علي عن الوليد كذا قال الذهبي في تاريخه ومن خطه نقلت واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم انفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة ما هم عليه والخلفاء جمع خليفة وراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وائمة الاسلام المجتهدين في اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الى آخره فعل امر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ اقصى الاضراس وهي اربعة او الانياب او التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز اهمال داله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير اي احذروا المحدثات والرضاء بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث مما خالف الكتاب والسنة واجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وهي كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط(٢) والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير

(٢) قوله الربط بضمتين جمع رباط بالكسر ككتب وكتاب والمراد هنا اسم للمحل الذي يسكن فيه كالتكية والعمارة وغيرها على ما في كتب اللغة مصححه

العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذى يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافى هذا قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد العصر الاول وهو المقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة الخلفاء وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذى جعل ضلالة وفى عوارف المعارف واحياء الغزالى البدعة المذمومة ما زاحم السنة المأثورة اوكان يفضى الى تغييرها وفى كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف (وزاد) على ما رواه العرباض (فى حديث جابر) بن عبد الله رضى الله عنهما الذى رواه مسلم (بمعناه) اى ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافق له وليس المراد انه رواية بالمعنى كما قيل (وكل ضلالة) اى ضلال بارتكاب البدع المذمومة (فى النار) اى معذب بها او مستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقى منتج المذكر اى كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الاليم (وفى حديث ابى رافع) الصحيح الذى رواه ابو داود والترمذى وابن ماجة وابو رافع هو الصحابى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبطيا واختلف فى اسمه فقيل ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولهم ابو رافع غير راوى هذا الحديث معدود فى الصحابة ايضا يروى (عنه عليه الصلوة والسلام لا الفين) نفى بمعنى النهى اى لا اجدن والفى بمعنى وجد قال الله تعالى ﴿ والفيا سيدها لدى الباب ﴾ وروى لا افين كما تقدم عن الام للشافعى والصحيح رواية الاول وان صح هذا ايضا كانه لتحققه وجده هو وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية وتشديد النون اى لا يفعل (احدكم) معاشر الامة او الصحابة فلا يكون هذا من سببه وهو نهى فى الحقيقة عن التكبر والبطر (متكئا) اى مائلا مستندا معتمدا وهو بالهمزة والياء ايضا وقد تقدم ان العامة لا تعرف المتكى الا من مال فى قعوده معتمدا على احد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من الوكاء (على اريكته) هى سرير مزين يتخذ فى قبة او بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير فى حجلة وقيل كل ما اتكى عليه من سرير او فراش او منصة او مخدة مما يفعله المترفهون وجمعه ارائك وقال الراغب سمى به لاتخاذه من الاراك اولانه محل الاقامة من ارك بالمكان اروكا اذا اقام به واصله الاقامة لرعى الاراك ثم يتجوز به عن كل اقامة (يأتيه الامر من امرى) اى شئ مما امرت به فقوله (مما امرت به) تفسير لقوله من امرى بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفى اى به متعلقة بامرى والامر الاول بمعنى الشأن شامل للنهى وغيره والثانى مقابل النهى لقوله (او نهيت عنه فيقول لا ادرى) هذا الامر الذى تقلتموه لنا ولا اتبع

واعرف غير القرآن (ماوجدنا فى كتاب الله تعالى اتبعناه) دون غيره مما روى فى الاحاديث ولم يعرف ان مافى الحديث عن الله تعالى ايضا وان الوحى وحيان متلو وغير متلو وان السنة لاتخالف الكتاب وقد قال الله تعالى ﴿وما آتيكم الرسول فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا﴾ فهو تحذير عن ترك امتثال امره واجتناب نهيه والعمل بهما وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت ام لا وفى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى الا انى اوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بالقرآن فماوجدتم فيه من حلال فاحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه وان ماحرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما حرم الله تعالى الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج. (وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنه) المروى فى الصحيحين وماذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخارى (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا) يأتى بيانه (ترخص فيه) اى ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهو كقصر المسافر صلوته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصبح جنبا فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغضب فقال لارجو ان اكون اخشاكم لله واتقاكم وقيل هو ان بعض الصحابة سأل ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما اخبر بها استقلها وقال انه غفر له ماتقدم وماتأخر فانا اصلى الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النساء ولااتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا (فتنزه) اى تباعد (عنه قوم) عن العمل بما ترخص فيه (فبلغه ذلك) اى نقل له صلى الله تعالى عليه وسلم تنزه هؤلاء فخطبهم موعظة على عادته (فحمد الله) واثنى عليه (ثم قال مابال قوم) اى ماشأنهم وحالهم وهو استفهام انكارى (يتنزهون عن الشئ) حال كونى (اصنعه) فتركهم لمثله لانهم يظنون ان خوفهم من الله تعالى اشد من خوفى له لان الله تعالى غفر لى ماتقدم وماتأخر ولم يكلفنى ماكلفهم (فوالله) تأكيدا وتقريرا لقوله (انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية) اى خوفا وقدم اعلميته به لان الخشية بمقدار العلم كما قال الله تعالى ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب مثلهم الرخص يفضى الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فانها صدقة تصدق الله بها عليهم لايليق عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس بشئ (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الديلمى وابو نعيم وابو الشيخ مسندا (انه قال القرآن صعب) بسكون العين ضد السهل

(مستصعب) بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب ويجوز فتحها من استصعب الامر بمعنى وجده صعبا او صيرته صعبا اى هو فى نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله تعالى ايضا صعبا (على من كرهه) اى من لم يرد حفظه وتدبر آياته واما من احبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته وتأمله فسهله الله تعالى عليه (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الذى يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والموعظة وجعله حكما اى حاكما بنفسه مبالغة (فمن استمسك بحديثى) المروى عنى (وفهمه وحفظه) بتدبر معانيه وضبط الفاظه (جاء) يوم القيمة محشورا (مع القرآن) اى اذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشيء محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه فى الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القرآن وانهما كشيء واحد لان السنة تبين القرآن ويجيئه معه او بحشره مع اهله او مع نوره او اعماله التى عمل بها منه او هو على ظاهره بان يجيء بالغا له فيشفع فيه ويقال له اقرأ وارق كما ورد فى الحديث والمراد بالقرآن الالفاظ لا الكلام النفسى الذى هو صفة ذاتية (ومن تهاون بالقرآن) اى اعرض عنه ولم يوجه اليه فكره لاهانته او عده هينا (وحديثى) بعدم حفظه والعمل به (فقد خسر الدنيا) لانه يحيى جاهلا مهانا فقيرا (والآخرة) لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ﴿ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى﴾ الآية (امرت) بالبناء للمجهول اى امرنى الله تعالى (امتى ان يأخذوا بقولى) اى يتمسكوا بحديثى ويعملوا به كما سيأتى (ويطيعوا امرى) لقوله ﴿واطيعوا الرسول﴾ (ويتبعوا سنتى) اى يقتدوا بى ويسلكوا طريقى ومنهج سنتى كما قال الله تعالى ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ فالعمل بسنته كالعمل بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من قال لا اعمل الا بالقرآن ونهى عن ترك السنة وخبر الآحاد كما يفيده (فمن رضى بقولى) فاتبعه وعمل به (فقد رضى بالقرآن) لانه موافق له وغير مخالف له لانهما كالشيء الواحد (قال الله تعالى ﴿وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا﴾) اى فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته مبينة موضحة للقرآن فمن خالفها فقد ضل وكذا قالوا من اراد تفسير القرآن فليتأمله فان لم يجده فيه بعينه فان لم يجده فعليه بالسنة فان لم يجد ما اراده ويليه فعليه باقوال الصحابة فانها فى حكم المرفوع لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرئهم القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن عدى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من اسنن سنتى اى تبعها وعمل بها ويناوه المصنف رحمه الله تعالى رواه بلفظ (من اقتدى بى) فى سنتى (فهو منى) اى من اتباعى واشياعى الذين يحشرون معى ويحفون بى حتى كأنهم نفس من لا ينفصل

عنى ومن هذه انتهى من الاضافة كقوله عليه السلام انت منى بمنزلة هارون من موسى (ومن رغب عن سنتى) اى تركها واعرض عنها فقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته او احاديثه المروية عنه الشاملة لاقواله وافعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى (فليس منى) هذا تبرؤ منه كقوله * لست من قيس ولا قيس منى * وتخريجه هذا مذكور فى الصحيحين ايضا ومعناه ليس مقربا منى اى فهو كافر وليس هو على ملتى لاهانته الحديث (وعن ابى هريرة) رضى الله عنه ولم يخرجه السيوطى بهذا اللفظ (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله) كما قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث الآية (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى فى مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضى فى الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصور او الهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة وهذه هى التى تضاف الى الله (وشر الامور محدثاتها) بفتح الدال تقدم تفسيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) فى حديث رواه ابو داود وابن ماجة (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة) اقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها (فما سوى ذلك) وفى نسخة وما سوى ذلك (فضل) اى زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لاضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل فى اللغة الزيادة كما علم (آية) من كتاب الله (محكمة) غير متشابهة لقوله تعالى (منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات) او غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا ايضا او المراد ما يشملهما لاحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة واحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القرآن ايضا كما قال الله تعالى احكمت آياته ويجوز ارادته ايضا (اوسنة قائمة) اى دائمة مستمرة يعنى لم تنسخ لدوام العمل بها (او فريضة عادلة) اى لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسامها اولانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها بالنص او المراد بها فريضة المواريث وقسمتها وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العائلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهى التفسير والحديث والفقه (وعن الحسن بن ابى الحسن) هو الحسن ابن يسار البصرى وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمى متصلا عن ابن مسعود (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة قال (عليه الصلوة والسلام عمل قليل فى سنة) فى هنا بمعنى مع كقوله تعالى (ادخلوا فى امم) اى موافق للسنة ومصاحب لها وان قل (خير من عمل كثير فى بدعة) وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والامر بين اشارة الى انه يراعى السنة فى جمعه عددا وهيئة حتى يحيط

السنة به وقيل انه لمصاحبته السنة وتمكنه فيها شبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا ركعتين ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضي الخيرية في البدعة بحسب ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها اصل في العبادة كوصال الصوم وما اشبهه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة) الواحدة وان قلت (تمسك بها) اى امتثلها وعمل بها مخلصا (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه الطبرانى فى الاوسط (المتمسك بسنتى) اى العامل بها والسالك طريقتى (عند فساد امتى) اى تغير احوالها وتركها امور الدين واتباع البدع وذلك فى آخر الزمان (له اجر مائة شهيد) فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وامر غيره بالعمل ايضا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وايضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ماالفه الناس ومثله مما يرغب الناس عنه فيؤذيه اشد الاذاء فلذا اعطى ثواب الشهداء وجعله اجر مائة للتكثير اوالاشارة الى ان اكثر مايقاومه عشرة والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد يرقى منزلته بترك الدنيا وبذل نفسه فى نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله تعالى مع فساد عصره واهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل

* رأيت عبيدالله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد *
* اولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد *

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى (ان بنى اسرائيل افترقوا) اى صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليهما الصلوة والسلام واليه انتسب كل من كان قبيله وهم قوم مشهورون (على اثنين وسبعين ملة) اى مذهبا اودينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله (وان امتى تفترق على ثلاث وسبعين) فرقة تخالفه الاعتقاد والمذاهب وروى فرقة مكان ملة وفى الحديث روايات مختلفة (كلها فى النار الاواحدة قالوا ومن هم يارسول الله) هكذا روى قالوا و عاطفة على مقدر اى هذا عددهم ومن هم اوهى زائدة (قال هم الذين على الذى انا عليه واصحابى) وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن فى عصره ولا عصر الخلفاء الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار اصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد الف فى بيانها تآليف اجلها كتاب الملل والنحل للشهرستانى وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة

ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم فى النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون فى اعتقادهم مايقتضى الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية اهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث فى الاعتقاد من غير اعتقاد ارتكاب تأويلات بعيدة وزعم الطوسى وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدوانى فى شرح العقائد كما بيناه فى حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج للتأويل كما توهم (وعن انس) رضى الله تعالى عنه (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الاصفهانى فى ترغيبه وغيره (من احيى سنتى) اى اظهرها بالعمل بها والحث على اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحياء ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذى رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها (فقد احيانى) اى اظهر ذكرى ورفع امرى فجعله بمنزلة احيائه كما قيل * وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر (ومن احيانى) ببقاء ذكرى وشرعى (كان) اى تحقق ان جزاءه ان يكون (معى فى الجنة) والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لامساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيماله لتذهب نفسه كل مذهب (وعن عمرو بن عوف) بن زيد بن مليحة (المزنى) الصحابى وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفى فى زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث) بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن ابو عبدالرحمن المزنى الصحابى وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفى سنة ستين وسنه ثمانون سنة (من احيى سنة من سنتى قد اميتت بعدى) اى تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما فى العدم وسنته طريقته وشريعته فهى تشمل السنن وغيرها فلاوجه لما قيل الظاهر سنتى بصيغة الرواية بالافراد والامانة ضد الاحياء وتختص بالحيوان حقيقة (كان له من الاجر) اى الثواب (مثل من عمل بها) فيه مضاف مقدر اى اجر من عمل بها (من غير ان ينقص ذلك) اى الاجر الذى له (من اجورهم شيئا) دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص اجرهم (ومن ابتدع بدعة ضلالة) وفسرها بقوله (لاترضى الله ورسوله) لانها بدعة غير مرضية (كان عليه مثل آثام) بالمد جمع اثم وهو الوزر (من عمل بها لاينقص ذلك من اوزار الناس شيئا) وهذا رواه الترمذى وابن ماجة وحسنه وفى من الموصولة من العموم مالايخفى وكذا قوله شيئا وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والوصف ولاينافى فى هذا قوله تعالى (ولاتزر وازرة وزر اخرى) لان هذا وزره وكسبه لانه بعلمه سنهالهم وارشدهم افعالها وحسنهالهم فكان فى قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا فى المقدار مثل آثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم فى العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال عليه من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه

من الاثم انتهى ولاحاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا فى الخير والثانى سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل فله ماله وعليه ماعليه اى مثله وفى الحديث (الدال على الخير كفاعله) كمن حفر بئرا موقع فيها غيره فانه يضمن فى بعض الصور وهو لاينافى الآية اما لان المراد بها ان وزر غيره لاينتقل له اولانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة واخذ من الخبر المذكور ان الداعى الى الاثم كفاعله وقد صرح به فى بعض الروايات قال شيخ والدى الشهاب بن حجر فى شرح المشكاة لكن لو تاب الداعى الى الاثم وبقى العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ماقبلها اولا لان شرطها رد الظلامة والاقلا ومادام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم ارفى ذلك نقلا والذى ينقدح الآن الثانى انتهى وفيه نظر ظاهر ﴿ فصل واما ماورد عن السلف ﴾ الصالحين يعنى الصحابة والتابعين فى اول القرون واما اشارة الى انه قسيم لما قبله مما فى القرآن والحديث ولذا قال ورد (والائمة) يعنى من بعدهم من العلماء والمجتهدين (من اتباع سنته) اى طريقته وهو بيان لما وفى نسخة فى اتباع متعلق بورد بمعنى جاء (والاقتداء بهديه وسيرته) عطف تفسير لماقبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا (حدثنا الشيخ) اصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة مفيدا لطلبة العلم لانه فى الغالب يكون مسنا وهذا مما استعمل قديما واول من اطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضى الله تعالى عنه كما قاله السخاوى رحمه الله تعالى (ابو عمران موسى ابن عبد الرحمن) الرعينى علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته (ابن ابى تلبد) بفتح المثناة الفوقية منقول من تلبد بمعنى قديم (الفقيه سماعا عليه) وهذا الحديث من احاديث الموطأ ورواه النسائى وابن ماجة قال (حدثنا ابو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته قال (حدثنا قاسم بن اصبغ) بالغين المعجمة كما تقدم (ووهب بن ميسرة) كذا فى بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمسانى انه مسرة مهملة من السرور ووهب محرك ويسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرج بن بكر التميمى مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين واربعين وثلاثمائة انتهى (قالا) بالتثنية وهو الصحيح وروى قال اى كل واحد منهما او اكتفاء باحدهما (حدثنا محمد بن وضاح) تقدم ايضا قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى راوى الموطأ قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة الغنى عن البيان (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهرى وقد تقدم بيانه (عن رجل من آل خالد) اى اهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبى لا اعرفه وقال التلمسانى هو امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين والاول اصح وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب احد ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابى بكر

وامية هذا يروى عن ابن عمر توفى سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبي فى تفسيره انه يعلى بن امية بن عبدالله الى آخره وهو خالدهو (ابن اسيد) بفتح الهمزة وكسر السين على ماس وياء ودال مهملة وهو ابن ابى العيص بن امية بن عبدشمس اخو عتاب (انه سأل عبدالله بن عمر فقال ياابا عبدالرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر) بفحتين اى الصلوة من غير قصر مذكورة (فى القرآن ولا نجد صلوة السفر) المقصورة فى القرآن (فقال ابن عمر) فى جوابه (يا ابن اخى) هذا جار على عادة العرب فى الشفقة بالصغير وقولهم له ياابنى ويا ابن اخى كما يقال للكبير ياابى وياعمى (ان الله بعث الينا محمدا) اى نبأه وارسله صلى الله تعالى عليه وسلم (و) نحن (لا نعلم شيئا) من امور الدين (فانما نفعل كما رأيناه يفعل) وروى مارأيـ اه بدون كاف وما موصولة او مصدرية اى نقتدى به فى ماجاء به وهذا هو المقصود هنا اماصلوة الخوف فقد ذكرت فى القرآن وهى سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم واماقصر الصلوة سفرا فقد ذكرت فى القرآن فى قوله لاجناح عليكم ان تقصروا من الصلوه لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الآية ولذا سألوا عنها الاان اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيئا مقيدا بشرط ويبيحه على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها احاديث اخر (وقال عمر بن عبدالعزيز) الخليفة العادل الزاهد المشهور رضى الله تعالى عنه (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اتى بافعال واقوال وطريقة شرعها هو (وولاة الامر بعده) بضم الواو جمع وال وهو من يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون (سننا) جمع سنة (الاخذ بها) اى العمل بها واتباعها (تصديق بكتاب الله) بالباء واللام لانه امر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين (واستعمال لطاعة الله) لان طاعتهم طاعة له فى الحقيقة لانهم لايقولون شيئا من عند انفسهم وانما يقولون ماروه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اوما استنبطوه من الكتاب والسنة (وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها) اى تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه (ولا تبديلها) ببدل لها يغايرها وهو اخص من التغيير لشمول الزيادة والنقص ويجوز ان يكونا بمعنى (ولا النظر فى رأى من خالفها) اى لا يلتفت اليه ولا يعتبر ماخالفها اصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده (من اقتدى بها) اى عمل بتلك السنن فهو (مهتد) لانهم على هدى من الله (ومن انتصر بها فهو منصور) على من خالفه (ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد او عمل (ولاه الله ماتولى) اى جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة (واصلاه جهنم) اى ادخله فيها (وساءت

مصيرا) جهنم و فى ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع (وقال الحسن ابن ابى الحسن) هو الحسن البصرى كما تقدم (عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) تقدم هذا وقد بينا معناه وقيل لاتكرار فيه لانه ذكره اولا خبرا وذكره هنا اثرا وفيه نظر (وقال ابن شهاب) الزهرى (بلغنا عن رجال من اهل العلم) انهم (قالوا الاعتصام بالسنة) اى التمسك بها (نجاة) مما يخافه المرء فى الدنيا والآخرة وفى القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية او من تلبس بالسنة حفظ من ان يقع فى معاصى الله وفيه حث على حفظها او العمل بها (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى عماله) ونوابه وامرهم (بتعليم السنة) اى ماروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله فى اسفاره واقامه (والفرائض) اى قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها من اشراط الساعة (واللحن) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله (اى اللغة) والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلمى البلاغة وقال الزهرى معناه تعلموا لغة العرب فى القرآن واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحاء كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول والخطأ فى الاعراب وقال الزمخشرى معنى اللحن فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع فى القرآن والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور فى سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابى ان اللحن بالسكون الفطنة والخطأ وقال غيره من اهل اللغة الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه فى اثر آخر رواه عن الدارمى (ان ناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) اى يخاصمونكم ويسارعونكم فى نص الاحكام التى قلتم بها فيقول القرآن فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما نسخه او خصصه او نسخته السنة (فخذوهم) اتم حجوهم واغلبوهم (بالسنن) الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فان اصحاب السنن) اى علماء الحديث ونقاده (اعلم بكتاب الله) اى بمعانى القرآن ممن يتمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومأوله فان تفسير القرآن انما يعلم من السنة (وفى خبره) اى خبر عمر الذى رواه عنه مسلم (حين صلى) عمر رضى الله تعالى عنه (بذى الحليفة) بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة اوسبعة او اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام الذى يحرمون منه (ركعتين) اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن اراد ان يحرم بنسك مؤكدة عند اكثر الفقهاء فى تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصرى فانه استحب كونه اى الاحرام بعد صلوة فرض لانه روى انها كان صلوة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسأل عنها ولم يحتج لقوله (فقال اصنع كما رأيت رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) فاقتدى بآثاره وكل ماصنعه (وعن علي) بن ابي طالب كرم الله وجهه في اثر رواه عنه البخاري والنسائي (حين قرن) بين الحج والعمرة في حجة حجها (فقال له) اي لعلي (عثمان) بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح رواية ان القائل له عثمان رضي الله تعالى عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ (تراني) وفي نسخة ترى اني اي تعلم او تشاهدني وانا (انهى الناس عنه) اي عن القران (وتفعله) انت فانكر عليه عدم اتباعه له (قال) علي لعثمان رضي الله تعالى عنهما (لم اكن ادع) واترك (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الناس) اي لاجل احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتدى بغيره مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلي رضي الله تعالى عنه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ماذكره المصنف رحمه الله تعالى والمتعة تستعمل بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمي متعة لمافيه من ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلي رضي الله تعالى عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه الاولى او لئلا يتوهم احد انه ممتنع وكل منهما مجتهد مأجور وهذا مبني على مسئلة اصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم على احد قولي الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع ام الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او على ماروي من ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خائفين يعني ان فعله ذلك لعارض لا لانه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قاله علي وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع معروف (وعنه) اي مما روي عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكروا من رواه عنه (الا اني لست نبي ولا يوحى الي) بالبناء للمجهول (ولكني اعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت) اي ما لم اضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه (وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول) في اثر رواه الدارمي والطبراني عن ابي الدرداء (القصد) اصل معنى القصد التوجه الى جهة

ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد (في السنة) اى في سلوك طريقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خير من الاجتهاد) اى الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله (في البدعة) وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام (وقال ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فيما رواه عبد ابن حميد في مسنده بسند صحيح (صلوة السفر) اى المقصورة فيه وجوبا او استحبابا (ركعتان من خالف السنة) اى طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصر الصلوة سفرا (كفر) اى صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله تعالى عليه وسلم عنادا او انكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي انعم الله تعالى بها عليه من احسانه عليه بتسهيل امره (وقال ابى ابن كعب) رضى الله تعالى عنه فيما رواه الاصبهانى في ترغيبه وغيره وابى هو المنذر البخارى الانصارى الصحابى توفى سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان (عليكم) هو هنا اسم فعل بمعنى الزموا او تمسكوا (بالسبيل) اى طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله تعالى (والسنة) اى طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم نقل ان العطف تفسيرى وهو جائز (فانه) تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان (ما على الارض) الظاهر ان المراد عن عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم اكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما من ان العامل يستحق عند فساد امته اجر مائة شهيد (من عبد) من زائدة للاستغراق (على السبيل والسنة) متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وحمله لتمكنه كانه راكب مستعل عليها فهو تمثيل (ذكر الله في نفسه) صفة مخصصة لعبد (ففاضت عيناه) اى فاض ماء عينيه بكاء (من خشية الله تعالى) وخوفه وفي نسخة من خشيته ربه (فيعذبه الله تعالى ابدا) اى الا لم يعذبه الله ابدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره ايضا وتعذيبه بالنصب في جواب النفى المحض كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا (وما على الارض من عبد على السبيل والسنه) اى متى سلك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومصدقا به في اقواله وافعاله (ذكر الله في نفسه) اى احضره في قلبه وذهب بالاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر فيه والذكر المذكور المراد به المقارن للفكر لانه لا ينهض ما عينيه الا التصوره واحضاره في قلبه

وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن للذكر اللسانى ولا يخفى ما فيه (فاقشعر جلده) اقشعر بالتشديد اى اخذته قشعريرة وهى الرعدة كما فى القاموس (من خشية الله) اى من شدة خوفه قال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر مايكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) انتهى (الا كان مثله) بفتحتين اى صفته وحاله العجيبة (كمثل) بفتحتين اى كهذه الصفة (شجرة) ذات اغصان وورق (قد يبس ورقها) صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطئة للتحات الآتى لانه لايكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة (فهى كذلك) اى فهى دائمة قائمة على هذه الحالة من قدم اوراقها ويبسها واصله فبينما هى كذلك (اذ اصابتها ريح شديدة) والريح مؤنثة (فتحات عنها ورقها) اى سقط وفى القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحت انتهى وتحات هنا تحات وتاء مشددة آخره مطاوع حته (الا حط الله خطاياه) المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهى الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تأكيدا لبعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استيناف جوابا لمقدر كانه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة الى فقيل الا حط عنه خطاياه (كما تحات) اصله تتحات مضارع بمعنى تسقط (عن الشجرة ورقها فان اقتصادا) اى اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ماقبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله او تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما فى نفسه (فى سبيل الله وسنة) عبر فى لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتداء محيط بعلمه احاطة الظرف بالمظروف (خير من اجتهاد) اى زيادة وبذل جهده وطاقته (فى خلاف سبيل الله وسنة) اى بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم تفسيره (وانظروا) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل وهذا تتميم لما قبله وتأكيده (ان يكون عملكم ان كان اقتصادا او اجتهادا) اى تدبروا فى جميع اعمالكم قليلة كانت او كثيرة سواء بالغتم فيها اولم تبالغوا (ان يكون) اعمالكم كلها وهو مع مابعده بدل مما قبله او تأكيده واعاده للفصل بينهما كما تقدم وان فتح الهمزة هى المصدرية لاشرطية مكسورة (على منهاج الانبياء) اى على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح (وسنتهم) اى طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على مناهجهم غير مخالف له كما قال الله (فبهداهم اقتده) وجريه باعتبار التوحيد والعقائد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا مأمورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما يوهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك

(وكتب بعض عمال عمر بن عبدالعزيز) رضى الله تعالى عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة لعمله فى الاموال والمصالح (الى عمر بحال بلده) اى يخبره بحال بلده الذى ولاه عليها وهى حمص كما قالوه (وكثرة لصوصه) عطف تفسير الحال جمع لص بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين يأخذون اموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائى فى السنة كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (هل يأخذهم) اى يحبسهم ويعاقبهم (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون اى بمجرد الظن بانهم لصوص (اويحملهم)اى يطلب منهم ويكلفهم (على البينة) كما فى قوله تعالى (مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها) اى تكلفوا حملها كما قاله الراغب وضمير يأخذهم اللصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم الملومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلى كما تقدم (وما جرت عليه السنة) اى ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم فى بعض الاحيان (فكتب اليه)اى الى عامله (عمر) بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه (خذهم)اى احكم عليهم (بالبينة وما جرت عليه السنة) اى وردت واستقرت عليه (فان لم يصلحهم الحق)اى حكم الشريعة دون السياسة والعنف (فلا اصلحهم الله تعالى)اى ينتقم منهم اذ لم يوفقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فما دار الحول وفيها سارق (وعن عطاء فى)تفسير (قوله) تبارك وتعالى (فان تنازعتم) اى اختلفتم ايها الناس (فى شئ) من امور الدين (فردوه) اى ارجعوا فيه (الى الله و) الى (الرسول) اى الى ما قالاه (اى الى كتاب الله وشريعة (٢) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)وهذا مؤيد لما قاله عمر رضى الله تعالى عنه ولذا ساقه عقبه وهذا لا ينافى ما ذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وما قاله عمر رضى الله تعالى عنه شئ آخر وعطاء هو عطاء ابن ابى رباح المفسر كان من كبار التابعين وتوفى سنة خمس عشرة ومائة (وقال الشافعى) الامام المشهور امام الائمة وسلطان الامة (ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم يثبت فى حديث فى شريعته (الا اتباعها)اى اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبى واذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط وهكذا تبعه ائمتنا الشافعية رضى الله تعالى عنهم (وقال عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه عنه الشيخان (و) قد (نظر الى الحجر الاسود) فى طوافه والجملة حالية

(٢) وسنة نسخه

(بتقدير)

بتقدير قد او معترضة موذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له (انك حجر لا تضر ولا تنفع) اى لا تقدر على ضرر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعاء عنده وسنبينه (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك) اى فى طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان ابيض كاللبن فسودته خطايا بنى آدم كما رووه (ثم قبله) عمر بعدما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضى الله تعالى عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما اخذ الميثاق على بنى آدم فى عالم الذر كتب ذلك فى رق والقمه الحجر الاسود وسيأتى يوم القيمة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه العهد وروى ان ذلك ذكر له صلى الله تعالى عليه وسلم فاقره وقد قالوا ان عمر رضى الله تعالى عنه كان عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الاحجار فخشى ان يضلوا ويعتقدوا نفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله فى ارضه اى وضعه فى الارض ليقبل كما يقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها او ان تقبيله يفيض الانعام والرضى كتقبيل يد العظماء فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصة فى ذاته كخاصة المغناطيس لجذب الحديد وفى الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل مالم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعى رضى الله تعالى عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه وانما اراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين (ورئى) مبنى للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه مافيه من اللغات وآخره همزة بالقلب المكانى وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فيها ونعمت والا فهو تكلف لاحاجة اليه (عبد الله بن عمر) الصحابى المشهور رواه عنه احمد بن حنبل والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) وهو راكبها اى يامت وجهها او يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول (فسئل) عن فعله ذلك لاى شئ هو (فقال لا ادرى) وجه مافعلته وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) اى يدير ناقته فى هذا المكان (ففعلته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتداء بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه امر محتمل انه اتفاق بمقتضى الجبلة البشرية لابنية التعبد هل يستحب فعله املا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا بأس به وهو الظاهر واماغيره فيكره الاقتداء به فى مثله كما يفعله بعض الصوفية فى اتباع آثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه (وقال ابو عثمان الحيرى) شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحاء والراء المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفى آخره ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو ابو عثمان سعيد بن اسمعيل توفى سنة

ثمان وتسعين ومأتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب ابي حفص النيسابوري كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته ونقل ماذكره المصنف عنه رحمه الله تعالى وقال انه صاحب شاه الكرماني ويحيي بن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على ابي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل انه الحنيذي بحاء مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا في اصل ابي العباس العزفي وهو مخالف لما في اصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفي بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة وفي بعضها الحميدي مصغرا بحاء ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح مانقلناه اولا واذاجاء نهر الله بطل نهر معقل واقربها الجنيدي فانه كان على طريقته في الزهد ولم يكن في عصره اعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله تعالى عنه الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع اولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعاء والرحمة لهم (من امر السنة على نفسه) وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة اي جعل سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطريقته (قولا وفعلا) اي في اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او تمييز محول عن المفعول اي جعلها اميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة اي اجراها (٢) ومشاها عليه وهو بعيد (نطق بالحكمة) اي القول الصواب النافع له في الدنيا والآخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة (ومن امر الهوى) امر كالذي قبله فيه استعارة والهوى ماتهواه نفسه الامارة ونشتهيه (نطق بالبدعة) اي بما يخالف الحق مما زينه له الشيطان من الضلالة (وقال سهل التستري) وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة (اصول مذهبنا) اي التصوف اي قواعده التي تدور عليها (ثلاثة) اولها واعظمها (الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم) واتباعه (في الاخلاق والافعال و) الثاني (اكل الحلال و) الثالث (اخلاص النية في الاعمال) وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية فهي اصول للشريعة ايضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر (وجاء) اي ورد عن السلف في التفاسير المأثورة (في تفسير قوله) تعالى اليه يصعد الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه انه) بفتح الهمزة فاعل جاء (الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فان العمل لايكون صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتداء به قولا وعملا

(٢) اجازها نسخه

﴿ وضمير ﴾

وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثانى للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس اى يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لايقبل بدونه وعلى الثانى المراد بالكلم الطيب الاذكار وماهو قريب منها وهى انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل فى كتب التفسير (وحكى) بالبناء للمجهول اى نقل لنا (ان) الامام (احمد بن حنبل) رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده فانه احمد بن محمد بن حنبل كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى ابن هلال الشيبانى المروزى ثم البغدادى لانه تربى بها ودفن فيهـا ثانى عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتأليف (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) من ثيابهم عريانا (ودخلوا الماء) للاغتسال (فاستعملت الحديث) اى عملت به فالسين للتأكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسى وقلت لاتوافق هؤلاء وهذا الحديث رواه مسلم والترمذى وهو (من كان يؤمن بالله) اى يصدق ويعترف بالله (واليوم الآخر) اى يوم البعث والحشر وهو يوم القيمة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ماجاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء (فلايدخل الحمام) المراد به كل مكان فيه مايغتسل به ثم غلب فى العرف على محل مخصوص (الا بمئزر) المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار وهومايستر به نصف المرء الاسفل (ولم اتجرد) انا اى لم اخلع ثيابى واتعرى منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث (فرأيت) فى المنام (تلك الليلة) اى فى تلك الليلة التى تلى يوم تجردهم (قائلا لى) اى شخصا يقول لى (يااحمد ابشر) اى مبشرا من الله بما يسرك (فان الله قد غفر لك) اى عفا عنك وانعم عليك بقبول ماصدر منك (باستعمال السنة) اى بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والعمل بحديثه (وجعلك اماما) يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب (قلت) لمن رأيته فى المنام (من انت) استفهاما يريد به تعينه عنده (قال جبريل) اى انا جبريل رسول الله الى عباده ﴿ فصل ومخالفة امره ﴾ اى بترك مامر الامة به (وتبديل سنته) اى تغيرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتأويله على خلاف مراده (ضلال) اى عدول عن الطريق المستقيم وهى طريق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وشريعته (وبدعة) اى امر احدثه فى الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهى المرادة هنا (متوعد عليها) اى ورد الوعيد لفاعلهـا فى احاديث كثيرة تقدم بعضها وفى آيات قرآنية (من الله بالخذلان) متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصى فى الدنيا (والعذاب) الاليم فى الآخرة (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره

ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير امره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في الآية وهو الذي في المصنف رحمه الله تعالى عليه كلامه هنا وفيه وجه آخر انه لله لانه الآمر الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الاليم في الآخرة (وقال الله تعالى ومن يشاقق الرسول) اى يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق آخر (من بعد ما تبين له الهدى) اى ظهر له الحق وثبت معانيه بمعجزاته صلى الله عليه وسلم وهداية الله تعالى له لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى يسلك طريقا غير طريقهم في الاعتقاد والعمل (نوله ما تولى) اى نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع (الآية) اى اقرأها يعني قوله تعالى (ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل بهذه الآية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال (حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني وقد تقدمت ترجمته (وعبد الله بن عتاب) تقدم ايضا (قراءتي عليهما) بيان لطريق روايته ويسمى عرضا (قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو الحسن القابسي) تقدم قريبا قال (حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ) بسينين مهملة منقول من اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور توفي في منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال (حدثنا احمد بن ابي سليمان) هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفي سنة احدى وتسعين ومائتين وابن ناصر السعين قال (حدثنا سحنون) عبد السلام (بن سعيد) وستأتي ترجمته مفصلة قال (حدثنا ابن القاسم) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن العلاء بن عبد الرحمن) تقدم ايضا (عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) مثلثة الباء والكسر لغة قليلة فيهما (وذكر الحديث في صفة امته صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء (وفيه) اى في الحديث المذكور (فليذادن رجال عن حوضي) اللام في جواب قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول بدال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية او ناهية اى لا يفعل احدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجح الرواية التي اختارها المصنف رحمه الله تعالى (كما يذاد البعير الضال) اى كما يطرد البعير

اداصل من صاحبه واتى ليدخل فى ابل اخرى ليستقى فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها (فاناديهم) اذا طردوا (الاهلم الاهلم الاهلم) كرره للتأكيد على العادة فى نداء من ضل وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمة لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهى اسم فعل بمعنى اقبل واحضر ويتعدى بنفسها والى واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوى فيها المذكر وغيره وهى بسيطة فى الاصل او مركبة من ها لم او من هل ام وهذه لغة اهل الحجاز وهى الفصحاء لانها لغة القرآن ولغة غيرهم هلم وهلما وهلموا وهلمن فهى عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام وتوضؤا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولندائهم وناداهم ولم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم يدعوا فان كان المراد اهل البدع من المؤمنين واصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال النووى اختلف فى المراد به على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال انهم بدلوا بعدك ولم يموتوا على الاسلام الثانى ان المراد من كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد اصحاب الكبائر والمعاصى الموحدين واصحاب البدع فيسادون عقوبة لهم (فيقال) بالبناء للمجهول اى يقول الله تعالى او الملائكة او من عرفهم من الصحابة (انهم قد بدلوا بعدك) اى غيروا سنتك وارتكبوا مالم تعهده منهم وفى نسخة انهم قد تبدلوا بعدك (فاقول سحقا سحقا سحقا) وفى نسخة فسحقا باعادة الفاء للتأكيد وهو بضم السين والحاء وتسكين نحوها قال تعالى فسحقا اى جعلهم الله فى مكان سحق اى بعيد واصله من سحقه اذا فته والسحق الثوب البالى وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعاء عليهم تقديره الزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية او هو مفعول به واذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا قيل هل هو مصدر لفعل ثلاثى وهو سحقه اوابعده اى اسحقه على حذف الزوائد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره ابو على ٭اقول لم له داع لان سحقه بمعنى فته كسحق المسك ونحوه وامام البعد فالمستعمل اسحقه يقال ابعده الله او سحقه كما قاله الراغب (وروى انس) ابن مالك فى حديث رواه الشيخان (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رغب عن سنتى) اى تركها لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك صدر غب فيه وسنته طريقته وشريعته (فليس منى) اى ليس من اتباعى واشياعى ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبرىء منه ورد له فهو فى معنى الحديث الذى قبله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (من ادخل فى امرنا) اى احدث بدعة فى الدين وروى من احدث وهما بمعنى (هذا) عبر باسم الاشارة

اشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد (ماليس منه) اى امر مخالف للكتاب والسنة (فهورد) اى مردود وسمى بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفى انه نصف الدين (وروى ابن ابى رافع عن ابيه) وهذا الحديث رواه ابوداود والترمذى وابن ماجة كما تقدم قريبا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاالفين احدكم) بالبناء للمجهول نهى لنفسه والمراد به نهى غيره عن ان يجده و يراه على هذه الحالة (متكئا على اريكته) اى مترفها جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة (يأتيه الامر) جملة حالية تقريرا للنظر وسوء ادبه (من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لاادرى) ماأتيت به لاادرى غير كتاب الله (ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه) وقد تقدم قريبا الكلام عليه (زاد المقدام) فى هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدى كرب الكندى المكنى بابى صالح ممن وفد على النبى صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفى بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة (الا) بفتح الهمزة كلمة استفتاح (وان ماحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ماحرم الله) لانه مبلغ عنه فيجب اجتناب ماحرمه وفيه رد على القائل لانتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم فى اقواله وافعاله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الدارمى وابن المنذر وابن جرير وابوداود مرسلا (وجىء) مجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد او معترضة (بكتاب) اى مكتوب (فى كتف) اى فى عظم كتف لانهم فى الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفى الجلود لعزة الورق والذى جاء به عمر رضى الله تعالى عنه او ابنته حفصة او عائشة كما مر وقيل انه شئ كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم القاه و (قال كفى بقوم) متعلق بكفى او الباء زائدة فى المعمول (حمقا او قال ضلالا) شك من الراوى ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجملة كذلك لنظرهم فى امور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معهم بين اظهرهم كما بينه بقوله (ان رغبوا) هو فاعل كفى اى رغبتهم (عما جاءهم به نبيهم) معرضين عنه مشتغلين بما لايعنيهم (الى) ماجاء به (غير نبيهم) اى ناظرين اليه راغبين فيه وهم لايعلمون صحته (او) ناظرين الى (كتاب غير كتابهم) الذى انزله الله تعالى على رسولهم فلاينبغى لهم الا الاقتداء به والسماع منه اعطاء لماله وهو بين وفيه اشارة الى انه كان امرا منقولا عن اليهود كما نقله فى زاد المسير (فنزلت) آية (اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب) اى القرآن الذى مافرطنا فيه من شئ فهو لوم على مافعلوه وهو عطف على مافبله والهمزة مقدمة من تأخير او على مقدر معلوم من الحال اى قالوا ذلك وفعلوه ولم يكتفوا الى آخره وهذا سبب نزول الآية كما نقله فى اسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ان يأتيهم بآية من آيات الانبياء عليهم الصلوة والسلام كعصى موسى عليه الصلوة والسلام وناقة صالح عليه السلام فقال لهم الله تعالى لهم اولم يكفهم معجزة القرآن التى هى اعظم المعجزات وهى باقية مستمرة ولذا قال (يتلى عليهم الآية) وعبر بالمضارع والضمير لليهود اوالمسلمين اوالمشركين وقيل ان كلاميهما سبب نزولها ولامانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهى عن قراءة الكتب المنسوخة الا لمصلحة ممن يعرف النسخ والتحريف (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) اى وقع فى امر يهلكه يؤدى الى غضب الله تعالى وعقابه من تنطع اى بالغ وغالى فى الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الغار الاعلى من الفم استعير لكل متعمق فى قول اوفعل غيرهم واصله من يفتح فمه فى تكلمه وقال الخطابى المتنطع المتعمق المتكلف الباحث عن مذاهب اهل الكلام الخائض فيما لم يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا الفرائض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم (وقال ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) وهذا رواه عنه ابو داود والبخارى وغيرهما (لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) من سنته فى اقواله وافعاله واحكامه وهذه (الاعمالية) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعا الآثاره الحميدة (انى اخشى) اى اخاف (ان تركت شيئا من امره) اى شانه وحاله الذى كان عليه عليه الصلوة والسلام (ان ازيغ) زاغ وعين معجمتين اى اميل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال الله تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) اى لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك والله اعلم

﴿الباب الثانى﴾ من القسم الثانى من الكتاب (فى) ذكر ما يدل على (لزوم محبته) اى وجوبها على كل مكلف من امته وفى نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله (قال الله تعالى ﴿ قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم) اى زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة اصالة فرقا بين المذكر والمؤنث (وعشيرتكم) وهم اقرباء النسب (واموال اقترفتموها) اى اكتسبتموها وما كسبتموها (الآية) اى اقرأها بعد ما ذكر وهو (وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالهجرة فخاف بعضهم عنه فنزلت وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا (فكفى بهذا) المذكور فى الآية (حضا) اى حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريض كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون

بذلك واصله الحث على الحصيص وهو قرار الارض اشهى (وتنبيها) اى ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لايغيب عنهم طرفة عين (ودلالة) لهم على مايجب فى محبته (وحجة) اى اثباتا للدليل وجوب محبته عليهم والآخران بالنسبة لمن لايعرف ذلك وماقبله امره (على الزام محبته) اى لزومها عقلا (ووجوب فرضها) عليهم شرعا (وعظم خطارها) اى قدرها وقابليتها واصله ما يعطى عند الرهان (واستحقاقه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لها) اى للمحبة المذكورة كما قيل * تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا * اللهم املأ قلبى سور ايمانك وحبك وحبة نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لايكون فيه محلا لمشرك (اذ قرع) بفتح القاف والراء المهملة المشدده والعين المهملة اى وبخ قيل وفى اصل المصنف رحمه الله تعالى تقرع والصواب الاول (تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله (واوعدهم بقوله فتربصوا) اى انتظروا امره وفيه من التوبيخ مالايخفى (وفسقهم) اى وصفهم ونسبهم له ن (بتمام الآية) اى بماذكر فى آخرها حيث قال الله تعالى (والله لايهدى القوم الفاسقين) فجعلهم فاسقين بحاملهم على الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليتها وهو معنى قوله (واعلمهم انهم ممن اصل ولم يهده الله) تبارك وتعالى (حدثنا ابو على الغسانى) الجيانى الحافظ وقدمت ترجمته (فيما اجازنيه) يعنى انه رواه عنه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصر له (وهو) اى هذا الحديث الذى رواه البخارى وغيره (مما قرأته على غير واحد) من المشايخ غيره فله فى روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما ذكرها للتوسعة وحلاوة (قال) الغسانى (حدثنا سراج بن عبد الله القاضى) تقدم ثناؤه قال (حدثنا ابو محمد الاصيلى ٢) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) هو الفربرى راوى البخارى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام اهل السنة صاحب صحيح البخارى قال (حدثنا يعقوب بن ابراهيم) ابن كثير البغدادى الدورقى صاحب المسند وامام الحديث توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة اوالى صنعة الدوارق وهى نوع من القلانس قال (حدثنا ابن علية) بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة فى كتاب الميزان وعلية امه (عن عبد العزيز بن صهيب) علم منقول من المصغر وهو البنانى الاعمى الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة (عن انس) ابن مالك الصحابى المشهور (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن احدكم) هو من خطاب المشافهة فعم الموجودين وغيرهم وقيل حسن بالخطاب

(٢) وقد سقط هنا من نسخ الشارح من السند «حدثنا المروزى» ولعل الصواب ثبوته مصححه

(الموجودين)

الموجودين والحكم عام شهادة انه روى بغير خطاب في مسلم لا يؤمن عبد وفي رواية غيره احد اى لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان (حتى اكون) بالنصب وهو غاية لما قبله (احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم واكراما له واجلالا واحب بمعنى اكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها في الناس وقوله اليه لا يقتضى خروجها لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهى محبوبة والام وسائر الاهل داخل في الناس ايضا ولا حاجة لادخالها في الوالد كما قيل وسيأتى معنى محبتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه (نحوه) اى روى عنه حديث بمعنى الحديث المذكور (و) روى (عن انس) خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلوة والسلام ثلاث) اى ثلاث خصال او خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرمله اى رجل ضعيف (من كن) اى الخصال (فيه وجد حلاوة الايمان) خبر المبتدأ وصفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة او هو مجاز مرسل الخصلة الاولى (ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما) جمع الله وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطابة مقام اطناب لا ايجاز اوانه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه كان بالحاضرين من يتوهم التسوية اوان هذا كان في ابتداء الاسلام ووجود المشركين بين اظهرهم لاسيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا ينفصل بين محبته ومحبة الله فاصل لفظى وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل (و) الثانية (ان يحب المرء) بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من (لا يحبه الا لله) اى يخلص في محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء كما قاله ابن معاذ (و) الثالثة (ان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار) لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان فاه وفي رواية بعد اذ انقذه الله تعالى منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر في حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدى العود بفي وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما في قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها (وعن عمر)

ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى عن عبد الله بن هشام (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الىّ) خبرانت واللام فى جواب قسم مقدر (من كل شئ) فى الدنيا وغيرها (الا نفسى التى بين جنبىّ) بتشديد الياء كياء الىّ (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وغيره (فقال عمر) مجيبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (والذى) اى الله الذى (انزل عليك الكتاب) واوحى اليك القرآن (لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن) نطقت بالحق اوظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبنى على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر (ياعمر) صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه اى لايكفيك المرتبة الاولى ولايليق بعلوهمتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها امر طبيعى لايسلم منه الامن ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه اولا كان بحسب ماطبع عليه ثم تأمل فعرف بالاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم احب اليه منها لانه الذى نجاه من الهلاك فى الدنيا والآخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال له الآن تحققت و نطقت وقيل معناه ان يؤمن احدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضى عقله ترجيح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماسواه وفيه سوء ادب ثم قال والحديث يومى الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم امر غير اعتقاد اعظميته كما زعمه المصنف رحمه الله ورده القرطبى ولاوجه له فان عمر لايشك انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شئ ولايلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لايخفى والمراد بالحب هنا العقلى الاختيارى الذى يقتضى العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض الدواء لا الطبيعى الذى لايدخل تحت اختياره فان الله لايؤاخذه به لانه لايدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحيوة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتى بين جنبيه السر القائم به الحيوة واضافه اليهما لجرى العادة بسبب الحيوة بسبب مابينهما وهو القلب ومايتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابرز عمر رضى الله تعالى عنه القسم بعد ماقدره تحقيقا لخلوص طويته فى مقالته ولذا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم الآن لما علمه منه (وقال سهل) ابن عبد الله التسترى (من لم ير) اى يعلم ويتحقق يقينا (ولاية الرسول عليه فى جميع احواله) الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولى الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهى مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولى الامر انتهى والمراد انه

(لايخالفه)

لايخالفه فى امر من اموره (ويرى نفسه فى ملكه) بكسر الميم اى يملكه حتى كانه عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (لايذوق حلاوة سنته) استعارة تصريحية اومكنية وتخييلية والمراد انه اذا سلم ولاية رسوله بطيب قلب شرح الله تعالى صدره لاتباعه والاقتداء به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا مأخوذ من قوله (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) كما تقدم بيانه (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن احدكم) اى لايكمل ايمانه (حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث) منصوب باعنى ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما علل به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى اقواله وافعاله تلذذ بالاقتداء به ولايستلذ بذلك الا اذا احبه فان المحب لايخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لايخفى وقد تقدم قوله * انى المحب لمن يحب مطيع * مع الكلام عليه ﴿ فصل فى ثواب محبته ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم بما يرجوه من بركتها فى الدنيا ومن سعادته بها فى الآخرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب والثواب الجزاء ثم اسند حديثا فى ذلك رواه البخارى فقال (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدم بيانه وان القراءة والاجازة سواء عند المصنف رحمه الله تعالى وعند غيره القراءة اقوى وهو الظاهر قال (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) تقدم ايضا والكلام على التكنى بابى القاسم مشهور سيأتى منه مافيه الكفاية قال (حدثنا ابو الحسن محمد بن (٢) خلف) القابسى كما تقدم قال (حدثنا ابو زيد المروزى) تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) البخارى وقد تقدم قال (حدثنا عبدان) عبدالله بن عثمان وقد تقدم قال(حدثنا ابى) ابو عثمان بن جبلة ابن ابى رواد العتكى الثقة اخرج له اصحاب السنن قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن عمرو بن مرة) الجملى بفتحتين نسبة الى جمل ابو يحيى احد الاعلام العاملين اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ستة عشر ومائة (عن سالم بن ابى الجعد) الاشجعى الكوفى توفى سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع (عن انس ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان الرجل اعرابى لايعرف وقيل هو الاعرابى الذى بال فى المسجد وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه اوابوذر رضى الله تعالى عنه واحتج بحديثين لاحجة له فيهما وقيل انه اعرابى اسمه ذوالخويصرة وقيل ان السائل عمير بن قتادة وفى معلم الذهبى انه عمر ابن الخطاب وابان قيل ولذلك اورد البخارى هذا الحديث فى مناقب عمر رضى الله تعالى عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر اوغيره من مشاهير

(٢) وفى بعض النسخ على بن خلف مصححه

الصحابة الا ان يكون الراوى نسيه والظاهر انه اعرابى (فقال متى الساعة يارسول الله) سأله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من اربعة وعشرين جزأ من اليوم والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فيقول جلست عندك ساعة اى قليلة ثم شاع فى يوم القيمة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود اوبالنسبة لما تقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة فى عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها كأنها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة اولانها تأتى بغتة اولان البعث من القبور يكون فى اسرع من لمحة ولا يخفى ما فيه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اعددت لها) اى ماهيأت واحضرت لها من الاعمال الصالحة التى تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لايعين زمان وقوعها لانه مما لايعلمه الا الله (قال ما) هى نافية (اعددت لها من كثير) بالمثلثة وفى بعض النسخ بالموحدة التحتية وهو صحيح ايضا (صلاة ولاصيام ولاصدقة) من اضافة الصفة للموصوف اى لم اعدلها ما ينفعنى فيها (ولكنى احب الله ورسوله) استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه اى ليس عندى ما ينفعنى ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما (قال انت مع من احببت) وفيه جواب له على اتم الوجوه وتبشير له ولمن احب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى تتمة الحديث ان من حضر من الصحابة قالوا يارسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس المراد كونه معه انه مساوله فى منزلته وعلو مرتبته كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة فى زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح * اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبى خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من احب

﴿ومن شعر ايضا قولى﴾

وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا
ولاارضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من احبا

وتقدم ايضا (وعن صفوان بن قدامة) الصحابى التميمى المرادى كما قاله الذهبى وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال (هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى سافرت لالتقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاتيته فقلت يارسول الله ناولنى يدك) اى امددها لى كما كان عادته فى المبايعة (ابايعك) مجزوم فى جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاعلة من البيع لما ذكر (فناولنى يده فقلت يارسول الله انى احبك قال المرء مع من احب) تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكره الترمذى والنسائى (روى هذا اللفظ) يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جماعة من ذكر

محبته له (عبدالله بن مسعود وابو موسى) الاشعرى (وانس) رضى الله عنهم (وعن ابى ذر عنه) وهذا سبب ماتقدم من اختلافهم فى تعيين الرجل الذى ورد مبهما فى الحديث السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه (وعن على) ابن ابى طالب فى حديث رواه عنه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين) ابنى على رضى الله تعالى عنهم اى امسكهما (فقال) وفى نسخة وقال (من احبنى واحب هذين) اشارة الى السبطين الحسن والحسين (واباهما) عليا رضى الله تعالى عنه (وامهما) فاطمة الزهراء اى مال اليهم ميلا اختياريا لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان معى فى درجتى) اى رتبتى ومنزلتى قال الراغب الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة اسمى (يوم القيمه) ان اريد بيوم القيمة فى الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم فى صعيد واحد لقربهم منه ويقدمهم على غيرهم من امته وسائر الامم وان اريد به الآخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كامر (وروى) رواه الطبرانى وابن مردوية عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم (ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال البغوى فى تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان اى قيل هو عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى الحارثى (فقال لانت) اللام جواب قسم مقدر (احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك) اى اذكرك فى ذهنى واتصورك او اذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر او الضم (فما اصبر عنك) اى عن رؤيتك لشدة محبتى لك (حتى انظر اليك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) اى انا سنموت وننقل من هذه الدار لدار اخرى (فعرفت) وتحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلى (مع النبيين) صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (وان دخلتها) انا بضم التاء وعبر فى جانب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذا لتحقق دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفى جانبه هوبان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (لااراك) بعد الدخول لانك فى مقام اعلى لا تصل اليه عبرك (فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى امتثال امره ونهيه ويلزمه محبته لهما ايضا ولم يذكر لتحققها الذكر الرجل لها وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بخلوصه فيها (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) بنعم الجنة وعالى مراتبها ففيه تبشيرله بمرافقة اكرم خلق الله واقربهم وارفعهم منزلة (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما اعطى لهم من قرة الاعين (وحسن اولئك) تعجب اى مااحسنهم (رفيقا) تميز ولم يجمع

لوقوعه على الواحد وغيره اولارادة كل واحد منهم (فدعا به صلى الله عليه وسلم) اى طلب حضور ذلك الرجل (فقرأها) اى هذه الآية (عليه) جوابا له وتبشيرا وفى تفسير القرطبي انه لماقرأها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لايرى احدا غيره فى الدنيافعمى مكانه وقسمهم كما قال البيضاوى اربعة اقسام باعتبار منازلهم فى العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حدالكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على مالم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا انفسهم فى اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته والمراد بالمعية ماتقدم (وفى حديث آخر) لم يعزلنا قائله (كان رجل) قيل هو ثوبان اومن تقدم ذكره قريبا (عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ملازما لمجلسه (ينظر اليه) اى يديم النظر الى وجهه الكريم (لا يطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء اى لايطبق احد جفنيه على الآخر ويغض بصره اويصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وما طرف البصر اى تحرك وظاهر قول بعضهم اى لايغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم اوله وقاف وهو صحيح ايضا لكنى لااعرف هل هو رواية اوتحرف عليه اوتسامح فى تفسيره (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما بالك) اى ماشأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) افديك (بابى انت وامى) جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه (أتمتع بالنظر اليك) اى اتلذذ بادامة نظرى فى وجهك مادام تمكنها فى الدنيا لا نتفع به وازود منه (فاذا كان يوم القيمة) وبعدها (رفعك الله) الى المنازل العالية فى جواره (بتفضيلك) اى بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته (فانزل الله الآية) المذكورة يعنى قوله ومن يطع الله والرسول الى آخره (وفى حديث انس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الاصفهانى فى ترغيبه وسيأتى اخراج المصنف رحمه الله تعالى له بقوله بطوله فى فصل علامة محبته (من احبنى كان معى فى الجنة) اى قريبا منى متمكنا من رؤيتى وزيارتى وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم ﴿ فصل فيما روى عن السلف ﴾ من العلماء والصلحاء (والائمة) وفى نسخة بعكسه الائمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يفسران بما يقتضى المغايرة ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والائمة باتباع التابعين ومن بعدهم (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) والمحبة الميل الروحانى طبيعيا كان اومكتسبا اختياريا والمحبة تكون فى الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس فى الغيبة فهو اخص من المحبة وقال القيصرى رحمه الله تعالى

فى شرح قول ابن الفارض قدس سره * ومابين شوق واشتياق فنيت فى * تول بحظر او تجل بحضرة * الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة اودوامها انتهى والفرق المذكور اما من الفحوى او هو اصطلاح للقوم (حدثنا القاضى الشهيد) ابن سكرة وقد تقدم قال (حدثنا العذرى) نسبة لبنى عذرة وقد تقدم قال (حدثنا الرازى) تقدم وهو نسبة الى الرى على خلاف القياس قال (حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال (حدثنا مسلم) امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال (حدثنا قتيبة) بن سعيد واختلف فى اسمه فقيل يحيى وقيل على وقيل سيار قال (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) القارى نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له الستة وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة (عن سهيل) تقدم بيانه (عن ابيه) هو صالح السمان المعروف بذكوان (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتى لى حبا) منصوب على التمييز ولم يقل احب مع انه اخصر لان هذا ابلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى (اشد قسوة) دون اقسى واتى بمن التبعيضية لانهم مثل من كان فى عصره وهو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال الحب يتفاوت شدة وضعفا ويبقى مفهوم قوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ولا شىء فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ فى محبته انتهى والتفضيل تختلف جهاته فاشدة محبة من لم يره الداخلة فى الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال (ناس يكونون بعدى) فبين اشديته بهذا وبقوله (يود احدهم) اى يحب ويرغب فى انه (لو رآنى) ببصره وشاهدنى ولو للتمنى (باهله وماله) الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا اى يتمنى لو بذل اهله وماله لاجل رؤيته وفى لو فى مثله اقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر اى يتمنى رؤيتى ويودها ببذل كل مايعز عليه والتقدير ولو رآنى بمقابلة كل شىء له فعل وقيل انها مصدرية وهى مع مابعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة (ومثله) اى بمعناه وقريب منه لفظا (عن ابى ذر) الغفارى الصحابى المشهور (وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى من نفسى) وتقدم تفصيله فى الفصل الذى قبل هذا (وماتقدم عن الصحابة) كثوبان وصفوان وغيرهما (فى مثله) من كونه احب اليهم من انفسهم (وعن عمرو بن العاص) بحذف الياء واثباتها وقفا كما مر (ماكان احد احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعد ماذكر مبايعته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ماصدر منه وانه كان

ابغض الناس له واحرصهم على قتله و بعد ما بايعه واسلم قال ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه مااستطعت ان اصفه الى آخره وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى له بسنده في فصل تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم

(وعن عبدة بنت خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام واما بنته عبدة فبفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لااعرفها وفي الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم

(قالت ما كان خالد) يعني اباها (يأوي الى فراش) اي اذا اراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر

نهاري نهار الناس حتى اذا اتى * لي الليل هزتني اليك المضاجع

(الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من اعم الاحوال اي لم يكن له غير هذه الحال (والى اصحابه) الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لخالد (من المهاجرين والانصار) وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين رجلا من الصحابة (يسميهم) اي يعدهم باسمائهم (ويقول هم اصلي وفصلي) يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون آبائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو ابتداع . وفي المجمل ماله اصل وفصل اي حسب ولسان وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لااصل له ولافصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ماذكره اهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عمدتي وبهم افصل واحكم فليحرر (واليهم) لا الى غيرهم (يحن قلبي) اي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين (طال شوقي اليهم) لبعد عهدي بهم وطول مفارقتي بموتهم (فعجل) يا (رب قبضي اليك) اي عجل موتي حتى القاهم ولايزال يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) اي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان كذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان في الفصل الآتي عن الحكيم الترمذي (وعن ابي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه وفي نسخة وروي (انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم) لما اسلم ابو قحافة والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (والذي بعثك بالحق) اي بالدين الحق وهو قسم (لاسلام ابي طالب) جواب القسم يعني عمه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) اي اسلامه (اقر لعيني) اي اسر واحب عندي وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من القرار والثبات فان العين اذا رأت مايسرها سكنت ولم تلتفت لغيره (من اسلامه يعني اباه ابا قحافة) رضي الله تعالى عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعد وفاة ابنه حتى توفي سنة اربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه ابو قحافة غيره

(وغير)

وغير ابي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ اباه (و)
بيان (ذلك) المذكور من كون اسلام ابي طالب اقر لعينه من اسلام ابيه (ان اسلام
ابي طالب كان اقر لعينك) اى احب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا
وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله
للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه احمد وابن اسحق وابو حاتم وليس قول المصنف
رحمه الله تعالى وروى كما في بعض النسخ تمريض له كما توهم حتى يعرض عليه بانه
صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد
فاتاه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بابيه يقوده وكان قد عمي فقال له رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا آتيه فقال ابو بكر يارسول الله
هو احق ان يمشي اليك فاجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره
وقال له اسلم فاسلم ورأسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيروا
هذا يعني اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابو بكر والذى
بعثك بالحق الى آخره وفيه من محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالا يخفى حيث
قدم مايسره على مايسره تقديما له على نفسه واعلم ان ابا طالب كانت محبته لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده
للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في جواره وحمايته
ظاهرا حتى ماكان احد يجترى عليه فلو اسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين
عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم في الهدى النبوى
وصاحب الامتاع (ونحوه) اى في معنى مارواه البيهقي والبزار عن ابن عمر (عن عمر)
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه (قال للعباس) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم (ان تسلم) بكسر همزة ان الشرطية ان كان قال له قبل اسلامه وبفتحها
على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح الثاني لما يأتي (احب الى من اسلام
الخطاب) يعني اباه (لان ذلك) اى اسلام العباس (احب الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم) فقدم مايحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماتحبه نفسه
وكان قوله ذلك له في فتح مكة لما اشرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مكة
وركب العباس بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم واركب ابا سفيان ابن حرب خلفه
وهو كافر وركضها فرآه عمر فقال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذى امكنني منك
فاشتد جريه حتى دخل به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعمر خلفه
فقال دعني اضرب عنقه فقال العباس اني اجرته يارسول الله فلما اكثر عمر في شانه

قال مهلا يابن الخطاب لوكان من رجال بني عدي ماقلت مثل هذا فقال مهلا ياعباس لاسلامك يوم اسلامك احب الي من اسلام الخطاب لواسلم الى آخره (وعن ابن اسحق) صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه ايضا البيهقي عن اسمعيل بن محمد ابن سعد بن ابي وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) هي من بني دينار ولم يسمها (قتل ابوها واخوها وزوجها) شهداء (يوم احد) اسم جبل كانت عنده الغزوة المشهورة (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحيوته وعبرت بذلك تأدبا لان الفعل يستلزم الحيوة فاريد لازمه (قالوا خيرا) اى فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده (هو بحمد الله كما تحبين) اى سالم منصور مظفر (قالت) لمن سألته (ارنيه) اى دلني عليه (حتى اراه) واتلذذ بمشاهدته وفي نسخة ارونيه (فلما رأته) بعد مادلها عليه (قالت كل مصيبة) تصيب المال والاهل (بعدك) اى بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام ثم لام اخرى بمعنى هين لا ابالي به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم ايضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرء القيس * بقتل بني اسد ربهم * الا كل شيء خلافه جلل * والثاني قوله * فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظامي * وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على محبة غيره من الاهل (وسئل علي بن ابي طالب) كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه (كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مامقداره في شدته (قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع امهة بمعنى ام لغة فيه الا انه يختص ببني آدم قال * امهتي خندق واليأس ابي * ويقال في البهائم امات (و) احب (من الماء البارد على الظمأ) بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح قصره واعاد الجار لانه نوع آخر مما يحب واشدة منفعته وخص الظمأ لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه (وعن زيد بن اسلم) الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال (خرج عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من بيته لازقة المدينة (ليلة يحرس الناس) على عادته في خلافته اذا كان يدور في الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا) موقدا (في بيت) فقصده ليرى مافي البيت الذي هو فيه (فرأى عجوزا ٢) اى امرأة مسنة ويقال عجوزة ايضا ولم ار من الشراح هنا من ترجمها بشيء (تنفش صوفا) بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم (و) هي (تقول) اى تنشد شعرا من بحر السريع (على محمد صلوة الابرار) معنى الصلوة مشهور وعلى متعلق بصلوة او بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر وبار وهو كل

(٢) واذا عجوز نسخه

مطيع لربه متق اى ادعوله بكل ماتدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون الاخيار) المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخفف او جمع خير بمعنى اخير واتقى (قد كنت قواما بكا بالاسحار) قواما اى متهجدا لان القيام يختص بصلوة الليل اى كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل اطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو آخر الليل والباء بمعنى فى هذا هو الصواب رواية ودراية وماقيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ماقيل من ان بكاء ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى فى تكلف وتعسف (ياليت شعرى والمنايا اطوار) شعرى بمعنى علمى وهو اسم ليت وخبره محذوف اى حاصل وقوله (هل يجمعنى وحبيبى الدار) قائم مقام معمول شعرى علق عنه والمنايا جمع منية وهى الموت من منى بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال اى امور شتى مختلفة ومراده بالحبيب كما قاله المصنف رحمه الله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الآخرة اى هل اراه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الموت فانه مقرر وله اسباب مختلفة كما قيل * ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والداء واحد * وقيل المعنى هل تجمعنا الدار ويحول بينى وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك فى كتاب الزهد وفيها فمازال عمر رضى الله تعالى عنه يبكى وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالى ولعمر فى هذه الساعة فقال افتحى يرحمك الله فلا بأس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردى الكلمات التى قلتيها آنفا فردتها فقال ادخلينى معكما وقولى وعمر فاغفرله ياغفار (تعنى) تقصد بقولها حبيبى (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه مناسبة لمانحن فيه (فجلس عمر يبكى وفى الحكاية) التى نقلها ابن المبارك (طول) اقتصرنا منها على المراد منها (وروى ان ابن عمر) رضى الله عنهما رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (خدرت رجله) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين اى اصابها خدر وهو امر يعترى الرجل لما يصيب العصب فيمتنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو امتد كان فالجا او من مقدماته (فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك) لان الناس جربوا فى الخدر ان من اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتفش الحرارة الغريزية فتدفع الخدر (فصاح يامحمداه) يعنيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه احب الناس اليه والى كل مؤمن كامل ويامحمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول او القول مقدر بعده كما هو مشهور فى امثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كابو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز (فانتشرت) رجله اى امتدت لزوال خدرها وهذا يقتضى صحة ماجربوه وقد روى انه وقع مثله لابن عباس

رضي الله تعالى عنهما وذكره النووي في اذكاره وروي ايضا عن غيرهما وفيه يقول ابو العتاهية * وتجدر في باب الاحايين رجله * فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر * وهذا مما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وهاء الندبة في النداء لمن يتوجع او يتفجع كما قرره النحاة (ولما احتضر بلال) رضي الله عنه بالبناء للمجهول اي حضرته الملائكة لقبض روحه (نادته امرأته) اي صاحت باعلى صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتين وباء موحدة وهو في الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله وما يعيش به قيل فكأنها لمفجعها لموته نهبت وسلبت وفي القاموس قيل ان اصله ان حرب بن امية لما مات قيل في ندبه واحرباه ثم نقل ذلك يعني عم في كل نعي وحرب كداره وواحرف ندبة والمندوب امامية بنعي او امر يتفجع منه نحو يا حسرتاه وقيل انه روي حزناه بفتح الحاء المهملة والزاء المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروي ايضا حوباه بفتح الحاء وواو ساكنة تليها باء موحدة من الحوب وهو الاثم والمراد انها لشدة جزعها وقلقها في المصيبة فهي تتفجع على نفسها او هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى كما تقدم (فقال) بلال رضي الله تعالى عنه ردا لمقالته (واطرباه) الطرب خفة تعتري المرء لحزن او سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثاني وواهنا للنداء والالف والهاء مزيدة في آخره كانه ينادي طربه ويدعوه في سكرات الموت لما يتيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى في البرزخ كما اشار اليه بقوله (غدا القى الاحبة محمدا وحزبه) فمحمدا وحزبه بيان لمراده بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين اي المجتمعين والمراد بهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروي كما يأتي نلقى الاحبة محمدا وصحبه وهذا بيت من بحر وشعر الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض (ذكره المنذري) رحمه الله تعالى (ومثله) روي (عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما وروي ان امرأة قالت لعائشة) رضي الله تعالى عنها (اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قالته لها لانه كان في بيتها وكان مستورا عن الناس كرعاية صلى الله تعالى عليه وسلم (فكشفته لها) برفع الستارة عنه (فبكت حتى ماتت) لشدة شوقها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يخرجوه (و) روى البيهقي رحمه الله تعالى عن عروة انه (لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة) بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء تانيث اسم والدة من قولهم دثن الطائر اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه او من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن امية الخزرجي الصحابي وكان اسر يوم الرجيع (من الحرم ليقتلوه) فقتل صبرا وانما اخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة (قال له) قبل قتله (ابو سفيان بن حرب) والد معاوية وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذي

قيل له ذلك الا تى حبيب بن عدى حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما قاله ابن سيد الناس فى سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية ابن اسحق (انشدك الله تعالى) قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سألته وفى القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله اى سألتك بالله ونشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض اى اسألك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشى الصواب نشدتك فليحرر (يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه) فيقتل حماه الله تعالى من ذلك (وانك) بفتح الهمزة سالما مقيما (فى اهلك فقال زيد رضى الله تعالى عنه والله ما احب) وارضى (ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه مقيم تصيبه شوكة) اى اقل شئ من الاذى فضلا عما قلتم (وانا جالس فى اهلى) سالم من الاذى وهو متأذ (فقال ابو سفيان ما رأيت احدا من الناس) ما نافية لا تصحية كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام المحب من شدة محبة اصحاب محمد له (يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا) معمول حب المصدر وهذه القصة مفصلة فى السير لا نطيل بذكرها (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار (كانت المرأة اذا اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مهاجرة الى المدينة (احلفها بالله) وفى نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى اى كلفها القسم بالله انها (ما خرجت) من ارضها و بلدها لشئ (من بغض زوج) لها نافرة منه (ولا رغبة بارض) اى فى ارض (عن ارض) خرجت منها (و) انها (ما خرجت) من ارضها لشئ (الا حبا لله ورسوله) فهى محبة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى قصده المصنف رحمه الله تعالى هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا جندل رضى الله تعالى عنه ولم يرد النساء اما لعدم دخولهن فى العهد او لان الله نسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وامره الله بامتحانهن باستحلافهن كما ذكر فاذا حلفن اعطى مهورهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) الآية وبما ذكر سقط ما قيل فى نظم هذا فى هذا الفصل نوع نظر (ووقف ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما كما رواه ابن سعد (على عبد الله (ابن الزبير بعد قتله) رضى الله تعالى عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاولى او الآخرة كما فصل فى التواريخ (فاستغفر له) اى دعا له ابن عمر بالمغفرة (وقال)

ابن عمر مخاطباله بعد موته (كنت والله فيما علمت) اى فيما ثبت وتحقق فى علمى بك (صواما) اى مبالغة فى الصوم وكثرته (قواما) اى كثير القيام والتهجد كما مر قيل انه كان رضى الله تعالى عنه قسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة يصلى قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح (تحب الله ورسوله) اى مخلصا فى محبتهما مؤثرا لهما على كل شئ حتى على نفسه واهله اما عبادته رضى الله تعالى عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه امور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كانه جذع لا يحس بشئ ولا يتحرك حتى تقع عليه الطير ورمى بحجر من المنجنيق وهو يصلى فى ايام محاصرته فلم يقطع صلوته وقد جذبته مغناطيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذعه الذى صلب عليه غسلته امه اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته فى دار صفية ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهذه الدار زيدت فى المسجد النبوى على صاحبه افضل الصلوة واشرف السلام

﴿ فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام ﴾

اى فى ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم (اعلم) امر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله (ان من احب شيأ آثره) اى اختاره وقدمه على غيره وهو صحيح الظهور والمذكور كقوله (وآثر موافقته) فى اقواله وافعاله (والا) اى وان لم يؤثره ويؤثر موافقته واصله وان لا فان الشرطية ولا النافية (لم يكن صادقا) فى دعوى المحبة كما قال (فى حبه وكان مدعيا) اى كاذبا فى دعواه لان المدعى هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعى النبوة لكن لا يقال مثله فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال

وكل يدعى وصلا لليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا

وقال ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى * فما لى ارى الاعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذبل حتى لا تجيب المناديا

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر عليه علامات ذلك) الحب الذى ادعاه بحيث لا يخفى (واولها) اى اول تلك العلامات (الاقتداء به) صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله وآثاره (واستعمال سنته) اى العمل بها (واتباع اقواله وافعاله) فلا يخالفها (وامتثال اوامره واجتناب نواهيه) بان يفعل ما امر به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام فى تذكرته ومن خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل الشان على امور ولا يعلم من وافقهم الا الجوهرى وفى التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفى شرح البرهان قول الجوهرى غير

معروف وتصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم اوصفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا انه جمع امر فكيف يخرج عليه كلامهم الثانى انه جمع آمرة وهى الصفة وفيه مامر وقال ابن سيدة آمرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتأتى لان معناها اتحاد الطالب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على افعل وجمع افعل على افاعل ورد بان اوامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهانى فى شرح المحصول هذا التوجيه لايتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى (والتأدب بآدابه) الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكرم وحسن الشيم والادب على العرف على هذا المعنى (فى عسره ويسره) بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا فى الشدة والرخاء والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوللصاحب الحالة المصدر به (ومنشطه) اى فى نشاطه وخفته (ومكرهه) اى كراهته لامر تحمله من غيره وميمها مفتوحة (وشاهد هذا) المذكوركله اى ما شهدله ويدل عليه حتى كأنه شهدبه واثبته (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن احب الله احب رسوله وكأنه قال ان كنتم تحبونى فاتبعونى وبهذا ظهر مطابقة هذه الآية لما عقد له الفصل (وايثار ماشرعه) من احكامه الواجبة وغيرها (وحض عليه) اى حث الناس على فعله وحرضهم عليه (على هوى نفسه) اى ماتهواه وتميل اليه (وموافقة شهوته) اى ماتشتهيه نفسا وبميل اليه طبعه لان الاشتهاء ميل طبيعى غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصى عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة الارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لاتتعلق بنفسها بل باللذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المحاراة كما فى قوله اشتهى ان اشتهى (قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار) اى سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة (والايمان) اى واخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله * ورججن الحواجب والعيونا * اوجعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم) من المؤمنين (ولا يجدون فى صدورهم) اى فى قلوبهم وانفسهم وما وقع فى بعض النسخ فى انفسهم سهو من الكاتب (حاجة مما اوتوا) اى لايخطر ببالهم وتطمح انفسهم الى ما اعطى المهاجرون من فيء وغيره حسدا وطمعا (ويؤثرون على انفسهم) اى يقدمون المهاجرين على انفسهم تكريما منهم (ولوكان بهم) اى فيهم (خصاصة) احتياج وفاقة لما آثروهم به

وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم بين الصحابة غنائم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كان لكم اموالكم ودياركم ولا تأخذوا منه شيئا فقالوا بل نؤثرهم بالفيء ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واسخاط العباد) اى اغضابهم عليهم بمخالفتهم (في رضى الله) اى فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على الاقتداء وهذا كما قال الحريري * وابغ رضى الله فاغبى الورى * من اغضب المولى وارضى العبيد * (حدثنا القاضي ابو علي الحافظ) هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو الحسن الصيرفي) تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو (وابو الفضل بن خيرون) تقدم ايضا (قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي) الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا ابو علي السنجي) تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن محبوب) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو عيسى) هو الامام الترمذي صاحب السنن وهو محمد بن عيسى بن سورة كما تقدم قال (حدثنا مسلم بن حاتم) الانصاري امام جامع البصرة قال (حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري) هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام الثقة توفي في رجب سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة في الميزان (عن ابيه) هو عبد الله بن المثنى البصري وقد وثقوه وله ترجمة في الميزان (عن علي بن زيد) بن عبد الله بن ابي ملكية زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب الضرير احد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وثلاثين او تسعة وعشرين ومائة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ايضا (قال قال انس بن مالك) الصحابي المشهور (قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني) مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) المنفي فيه ابوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الآية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في اول فصل واما حسن عشرته الخ (ان قدرت ان تمسي وتصبح) اى ان امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع اى على ان الخ لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامساء جميع زمانه لا خصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله (ليس في قلبك غش لاحد) جملة حالية بدون تقدير قد لجمود فعلها او هي خبرها ناقصان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح

والمراد به هنا مجازا غل و حقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف اى نية غش والاول احسن واقرب (فافعل) اى فكن مداوما على ذلك (ثم قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لى يابنى وذلك) اى نزع الغش من القلب (من سنتى) اى طريقتى واخلاق (ومن احيى سنتى) اى اظهرها واتبعها (فقد احبنى) ى علم حبه لى وهذه رواية والذى فى الترمذى فقد احيانى وهو الظاهر (ومن احبنى كان معى فى الجنة) لان المرء مع من احب كما تقدم والمحب الصادق لايخالف من احبه بل يقدم مراده على مراده لانه احب اليه من نفسه (فمن اتصف بهذه الصفة) اى باحياء السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لايكون فى قلبه غش لاحد (فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها) اى خالف السنة (فى بعض هذه الامور) كترك بعض ما امر به او اتى بعض مانهى عنه احيانا (فهو ناقص المحبة) لاكاملها (ولايخرج) بارتكاب البعض (عن اسمها) اى عن الاتصاف بها وتسميته محبا فى الجملة ولاينافى هذا قوله المتقدم

لوكان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

لان ذلك فى المحبة الكاملة التى هى محبة الخواص على نهج قوله لايزنى الزانى وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله (ودليله) اى دليل ان بعض المخالفة لايخرجه عن اتصافه بالمحبة (قوله صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للذى حده فى الخمر) اى اقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهى فى قوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لوكان خيرا ماسبقونا اليه) اى قوله فى حقه وشانه وهى فى الحقيقة لام تعليل والصحابى الذى حد فى الخمر فى هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان او نعيمان نفسه بن عمرو بن رفاعة البدرى وهو الذى حد فى الخمر مرارا وهو صاحب الدعاء به الذى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك منه توفى فى زمن معاوية وصحح هذا وقصة حمار اخرى كانت بخيبر وقيل انه هو نفسه وقال الحافظ الدمياطى ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانما هو نعيمان وحمار هذا معدود فى الصحابة ولم يذكروا نسبه (فلعنه بعضهم) اى قال اللهم العنه وروى انه قال له اخزاك الله تعالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقى (وقال ما اكثر مايؤتى به) تعجب من كثرة ما اتوا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سكران (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفيه دليل على ان المسلم وان ارتكب الكبائر لايجوز لعنه ومن كان كذلك لايجوز لعنه وفيه ان محبة الله ورسوله من اعظم المنجيات وفيه رد على المعتزلة فى ان مرتكب الكبيرة مخلد فى النار (ومن علامات محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره بالصلوة عليه ومنه علم فضيلة الحديث واهله لذكرهم له صلى الله تعالى

عليه وسلم كثيرا (ومن احب شيئا اكثر من ذكره) وهذا مثل مشهور وهو امر طبيعي عادى (ومنها) اى علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثرة شوقه الى لقائه) اما فى حيوته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق لقائه فى الآخرة ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك (فكل حبيب) اى محب (يحب لقاء حبيبه) اى محبوبه فان فعيل يأتى بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا فى الثانى وذكره معادلا لقوله قبله من احب شيئا الى آخره وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعى والشيء بالشيء يذكر ما احسن قول عروة بن حزام فى قصيدة له

وانى لاهوى الحشر اذ قيل اننى * وعفراء يوم الحشر تلتقيانى

ومنه اخذ ابن رواحة قوله

ان كان يحلو لديك ظلمى * فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى * و بينك الله فى الحساب

وقلت انا فى رباعية

كم قال لحبه الكثير الآفات * واطول وقوفنا بيوم العرصات
هيهات لئن بدا محياه له * يغفر ويهب له جميع الزلات

(وفى حديث الاشعريين) يعنى ابا موسى الاشعرى واصحابه المنسوبون الى اشعر ابو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم ارق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا (عند قدومهم المدينة) منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا (انهم كانوا يرتجزون) اى ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو (غدا نلقى الاحبه * محمدا وحبه) لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعل ست مرات ومجزوء اربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب اجزائه وقلة حروفه ولعل العرف كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله تعالى والذى يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوى وهو يصيحون ويصوتون فانه اصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصنف يخفى عليه مثله سوء ظن به وفى نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم (وتقدم قول بلال مثله) يعنى ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا القائل لقاء النبى واصحابه فى الحيوة الدنيا وبلال رضى الله تعالى عنه اراد لقاءهم فى الآخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم فى هذا الكلام وانه تمثل به (ومثله) اى المذكور وان لم يساوه (ماقاله عمار) ابن ياسر الصحابى (حين قتل) اى قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اى لما قتل بصفين

مع علي رضي الله تعالى عنه سنة ست و ثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كأني انظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امرأة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم القى الاحبة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الي ان آخر شربة اشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق (و) مثلها ايضا (ما ذكرناه من قصة خالد بن معدان) التي تقدمت من انه كان اذا اوى الى فراشه لايزال يذكر شوقه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه فان من احب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال في الفتوحات ومن هذا ما تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خير بين البقاء في الدنيا والانتقال للآخرة قال اللهم الرفيق الاعلى * واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الحكيم الترمذي في فروقه ان تمني الموت على ثلاثة اقسام * الاول تمني عبد اقترب الى ربه في منازل القرب لما تطهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت * والثاني عبد رأى نعمة الله عليه في دينه شاملة لكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألوه خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه في لحده فهذان محمودان وردا عن الصحابة كسلمان رضي الله تعالى عنه اذ قال احب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه احب الموت لاني لا ادري ماينزل بي فاخاف على ديني والاول قول صديق والثاني قول صادق والحظ لصاحبه فيهما د والثالث عبد تربى في رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء في الحديث لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به واما تمني مريم رضي الله تعالى عنها الموت وقولها ياليتني مت قبل هذا الخ فلخير مضى ولذا لم تقل الآن فهو لامر ديني رجاء ان لا يزول لما رأت فتتامرج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها الداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوي كغيره تمني الموت منهي عنه ولذا جاء في الحديث الصحيح فان كان ولابد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كان الوفاة خيرا لي انتهى باطلاقه ليس كما ينبغي والتحقيق ما عرفت (ومن علاماته) اي علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتأويلها بالحب وليس راجعا للقاء المحب حبيبه وان كان اقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل (مع كثرة ذكره) له صلى الله تعالى عليه وسلم (تعظيمه له وتوقيره) حق توقيره (عند ذكره) له (واظهار الخشوع) اي الخضوع (والانكسار) اي التذلل والتواضع (مع سماع اسمه) اي اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال اسحق التجيبي) هو

امام المحدثين ابو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي توفي لثمان بقين من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف في تائه هل هي اصلية ام زائدة وضمها المحدثون وكثير من الادباء وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبي وتجوب بالواو قبيلة من حمير ابن ملجم التجوبي قاتل على رضي الله تعالى عنه وغلط الجوهري وحرف بيت الوليد بن عقبة

الا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

انتهى يعني انه انشده التجيبي وانما هو التجوبي كما في كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاءه اصلية لانه في العين ذكره في فصل التاء وتبعه صاحب القاموس وهي زائدة كما قاله ابن السيد وجوز في تائه الوجهين اي الفتح والضم وقال النووي في شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من جاب يجوب (كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده) اي بعد وفاته (لايذكرونه الاخشعوا) اي اظهروا الخشوع والتذلل (واقشعرت جلودهم) اي عرض لها قشعريرة (وبكوا) حزنا افراقه وشوقا للقائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك) اي ومثل الصحابة فيما ذكر (كثير من التابعين) لهم باحسان يفعلون كفعلهم (منهم من يفعل ذلك) اي من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين اومن التابعين من يبكي ويخشع ويقشعر جلده (محبة له وشوقا اليه) تمييز اومفعول له اي من محبته وشوقه اولاجلهما (ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا) اي لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم في انفسهم واجلاله وتكريمه (ومنها) اي من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (محبته) اي محبة الانسان (لمن احب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع والعائد محذوف اي احبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (و) محبة (من هو بسببه) الباء للملابسة اي تلبس بسبب من اسبابه وكان بينه وبينه علاقة بقرابة اوصهارة وقال في النهاية السبب الزواج واصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال الله تعالى ﴿ وتقطعت بهم الاسباب ﴾ اي الوصل والمودات ﴿ نكتة ﴾ انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص في المستعار لانه يطلق على المني كما في الحديث انما الماء من الماء وفي قوله تقطعت في الآية لطف خفي وقوله (من اهل بيته) الى آخره بيان لمن احبه ومن هو بسببه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعي انهم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد شمس وبني نوفل ابني عبد مناف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرك الاولين في خمس الخمس الذي هو سهم ذوي القربى دون هؤلاء وقال انهم والفونا في الجاهلية والاسلام (وصحابته) بفتح الصاد جمع او اسم جمع صحابي

وهو فى الاصل مصدر وهو كل مسلم لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثه ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم تدم لم يضروهم لايحصون كثرة وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبض عن مائة واربعة وعشرين الفا والله تعالى اعلم (والمهاجرين) هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل (والانصار) جمع ناصر او نصير غلب على الاوس والخزرج وكذا نسب اليه وقيل انصارى وهو تخصيص بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفى نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضى الله تعالى عنها وقيل انهم فى حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتأمله (وعداوة من عاداهم) اى من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل فيه ماوقع بين الصحابة ظاهرا (و بغض من ابغضهم) اى كرههم وقلاهم (وسبهم) واظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله (فان من احب شيئا احب من يحبه) وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

اذا صافى صديقك من تعادى ＊ فقد عاداك وانفصل الكلام

(وقد قال عليه الصلوة والسلام فى الحسن والحسين) اى فى حقهما وشأنهما كما رواه البخارى (اللهم) اى يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه (انى احبهما فاحبهما) اى اعطهما كل خير دنيوى واخروى كما سيأتى فى بيان محبة الله وهذا بلفظه وقع فى رواية الترمذى فى حديث قال انه حسن صحيح والذى فى الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة وليس هذا محل تفصيلها واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وفى رواية فى الحسن) وحده وليس المراد التخصيص (اللهم انى احبه فاحب من يحبه وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية اخرى (من احبهما اى الحسن والحسين (فقد احبنى ومن احبنى فقد احب الله) لعلمه بالطريق الاولى (ومن ابغضهما فقد ابغضنى ومن ابغضنى فقد ابغض الله وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وغيره (الله الله) بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه وفى تكريره تخفيف وتحذير على وجه المبالغة (فى اصحابى) اى فى شأنهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم وسبهم لما لايليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله (لاتتخذوهم غرضا بعدى) بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذى يرمى بالسهام فهو استعارة او تشبيه بليغ على القول فى مثله كما بين فى المعانى اى لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولاتبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه (فمن احبهم فبحبى احبهم) اى بسبب حبى لهم ويلزم من المحبة لهم ان لايذكروا بسوء (ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتى الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن آذاهم) بذكر مايسوءهم

(فقد آذانى) لانه يسوءه ذلك (ومن آذانى فقد آذى الله) اى عصاه وفعل مالا يرضاه وهو المراد باذية الله (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) اى يهلكه سريعا ولا يمهله فيأخذه اخذ عزيز مقتدر وفى النهاية يوشك ان يكون كذا اى يقرب ويسرع (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى فاطمة) رضى الله تعالى عنها اى فى حقها وشأنها وفى حديث رواه البخارى وغيره (انها بضعة) بفتح الباء وكسرها اى قطعة وجزؤ (منى) لان الولد حاصل من ابيه وقطعة من كبده (يغضبنى ماأغضبها) اى يسوءنى ويوذينى كل ماآذاها لان الم الجزء يتألم به الكل فهو كالدليل لماقبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابى جهل فسمعت بذلك فاطمة رضى الله تعالى عنها فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لاتغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت ابى جهل فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشهد وقال اما بعد فان فاطمة بضعة منى وانى اكره ان يسوءها والله لاتجتمع بنت رسول الله وبنت عدوالله عند رجل واحد فترك على ذلك والحديث وتفسيره مفصل فى كتب الحديث (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن عائشة وحسنه (لعائشة فى اسامة بن زيد) فى حقه وشأنه (احبيه فانى احبه) وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد احب الناس الى فاستوصوا به خيرا ولذا امر عائشة ان تستوصى به خيرا بعده وهذا مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (آية الايمان) اى علامة تحققه وصدقه وكماله (حب الانصار) لمحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بماهو معلوم (وآية النفاق) المنافى لتحقق الايمان (بغضهم) وصحف بعضهم الحديث فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر (وفى حديث ابن عمر) كما اخرجه البيهقى فى دلائله (من احب العرب) والمراد بهم هؤلاء الجيل المعروفون مطلقا (فبحبى) اى بسبب حبى (احبهم ومن ابغضهم) من حيث ذواتهم لا لسبب آخر يكون لبغض منهم (فببغضى ابغضهم) وفى حديث رواه الترمذى عن سلمان انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لاتبغضنى فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضنى وفى شعب الايمان للحليمى (٢) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عزوجل خلق الخلق فاختار منهم بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله

(٢) قوله الحليمى هكذا وقع فى اكثر النسخ والصحيح الصواب للبيهقى كما فى بعض النسخ لان شعب الايمان له مصححه

فى الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقى فى تألف له مستقل سماه اقنع القرب فى بيان فضل العرب (قال المؤلف رحمه الله تعالى فبالحقيقة) اى بسبب النظر للحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول السليمة (من احب شيئا) من الاشياء (احب كل شئ يحبه) محبوبه (وهذه سيرة السلف) اى دأبهم وطريقتهم فى محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى المباحات) اى كانوا يحبون ما احبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الامور المباحة (وشهوات النفس) اى فيتبعونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله (وقد قال انس رضى الله تعالى عنه انه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة فى آخره للالحاق والواحدة دباءه وهى نوع من المأكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه يأخذ قطع القرع من اى محل وجدت فيه فان قلت اكل انسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مما يليك لمن رآه يجيل يده فى الطعام الا فى الفواكه فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون) قلت قالوا انه اذا كان الاكل مما يتبرك به لا يكره فى حقه ذلك لاسيما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه برضاء صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يواكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدباء بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره القرطبى فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووى وهو اليقطين وهمزته زائدة ولذا ذكره فى باب دبب وخطأ صاحب القاموس الجوهرى فى ذكره فى المعتل فى مادة دبى فقال هو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء * اقول اخطأ من خطأه ومن تبعه هنا لان الزمخشرى ذكره فى المعتل ايضا ووجهه الهمزة الالحاق كما ذكروه فهى فى حكم الاصلية كما حرروه فى باب الالحاق (من حوالى القصعة) بفتح القاف اناء معروف وحوالى مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء ثنية ساكنة وفيه لغات مذكورة فى كتب اللغة (فما زلت) هذا مقول انس فتاؤه مضمومة (احب الدباء) اى احب اكلها تبركا بها (من يومئذ) اى من يوم اذ رآه يتتبعها ويحبها لحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له فى المباحات وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث اخرجه الشيخان وكان الذى دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم طعاما من الدباء ودعاه له فذهب معه انس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط (وهذا الحسن بن على) بن ابى طالب وكان الظاهر ان يقول واتى الحسن وابن عباس الى آخره فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد (وابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى) بفتح السين وهى زوجة ابى رافع ومولاة صفية عمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودابة فاطمة الزهراء وهى التى غاسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم ابن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صحابية مشهورة وفى الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امرأة (وسألوها ان تصنع لهم طعاما) اى تطبخه وتحضره لهم (مما كان يعجب صلى الله تعالى عليه وسلم) وانما سألوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعرف ما كوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض الانسان عند الجهل بسبب الشئ وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة مايحبه صلى الله عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذى فى الشمائل وابن جعفر هذا هو عبدالله بن جعفر بن ابى طالب الطيار ذو الجناحين الصحابى ابن الصحابى وتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن اكله فقالت انا لا تشتهيه اليوم فقالوا بل اصنعيه لنا فقامت وطبخت شيئا من شعير وجعلته فى قدر وصبت عليه شيئا من زيت وفلفل وتوابل وقربته اليهم (وكان ابن عمر) عبدالله الصحابى ابن الصحابى رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه الشيخان (يلبس النعال) جمع نعل وهو كل ماوقيت به الرجل وهى مؤنثة (السبتية) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وتاء مثناة فوقية وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا فى الجاهلية لايلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل السعة والجاه وهى منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه نحو زفنج اوله اسا وبهال انها نعال سود (ويصبغ بالصفرة) وهو كل مايصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم وتصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لايصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ اصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشئ اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وماورد من النهى عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهى عنه المحرم فى الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ماروى عن ابن جعفر انه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبرانى وغيرها وكذا احاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه ايضا وقوله (اذ رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك) تعليل لفعله ومحبته لما احبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ اوله وللبس النعال وهو انسب باشارة البعيد وهذا استشهاد للاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى المباحات بالنسبة اليه وان اختلف

في الاقتداء به في مثله هل هو مباح في حق المقتدي به ام لا كذهابه في العيد من طريق، وعوده من اخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر (ومنها) اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم (بغض من ابغض الله ورسوله) بغض الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر من مثل ابي جهل وبغض الله تعالى امابغض رسوله او بكفره او بانكاره كالمعطلة والدهرية (ومعاداة من عاداه) اي من يتخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله تعالى انما هي بمعاداة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لاتتصور (ومجانبة من خالف سنته) اي اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه (وابتدع في دينه) اي اظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيري لماقبله (واستثقال كل من يخالف شريعته) اي عده ثقيلا منفورا عنه غير مقبول واصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كل امر ثم ذكر مابينه من الكتاب العزيز فقال (قال الله تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) اي لايكون كذا حتى تجدهم فانه لاينبغي ان يكون وهو مبالغة في النهي (يوادون) اي يكون بينهم وبينهم مودة (من حادالله ورسوله) اي يخالفونه ويعارضونه (وهؤلاء اصحابه رضي الله تعالى عنهم) اي مما علم من حال اصحابه حتى كانهم يشاهدون متلبسين به (قدقتلوا احباءهم) اي اصدقاءهم قبل الاسلام وقدوقع هذا لكثير من الصحابة وروي قلوا اي ابغضوهم وابعدوهم قال الله تعالى (ماودعك ربك وماقلى) (وقاتلوا آباءهم وابناءهم) الذين بقوا على الكفر (في مرضاته) في تعليلية والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضاء كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه ببدر وعمر رضي الله تعالى عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه قتل اخاه ونحوه مما هومذكور في السير (وقال له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عبدالله) رضي الله تعالى عنه (ابن عبدالله بن ابي) ابن سلول رأس المنافقين وابنه عبدالله هذا كان من الصحابة المخلصين في محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لو شئت) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتيتك برأسه يعني اباه) عبدالله ابن سلول اي قتله واتيت برأسه لك وكان ابن سلول رئيس اهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام بطلب رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين واماابنه عبدالله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلماظهر من ابيه ماظهر قال يارسول الله اسألك بالله الاماأذنت لي في قتل ابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا مارواه البخاري (ومنها) اي من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يحب القرآن الذي

اتى به) للناس من عند ربه عز وجل (وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى) هو اى وصل الى الله به (وتخلق به) اى اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه (حتى قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خلقه القرآن) اى كان دأبه التمسك به والتأدب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القرآن نفس خلقه مبالغة فى شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها فتخلق بمعنى اظهر الخلق كتجمل بمعنى اظهر الجمال كما فى كامل المبرد رحمه الله تعالى وقد يكون التخلق للتكلف كما فى قوله

يا ايها المتحلى غير شيمته * ان التخلق يأتى دونه الخلق

وليس بمراد هنا (وحبه للقرآن تلاوته) اى كثرة تلاوته له على الوجه المرضى فيها عند اهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة (والعمل به) اى بما فيه من الاحكام والمواعظ (وتفهمه) اى التقيد بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب لتسببه عنه (و) من العلامات لمحبته صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا ان (يحب سنته) اى طريقه وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز ان يريد بسنته احاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن وكثيرا ما تطلق عليه (ويقف عند حدودها) اى لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر فالوقوف فيه ترشيح مليح (قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدم (علامة حب الله) اى امارته ودليله (حب القرآن) وقد تقدم بيانه (وعلامة حب القرآن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فان من احب الله تعالى احب حبيبه وكلامه (وعلامة حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة) فان من احبه لا يخالفه ولا يعصيه (وعلامة حب السنة حب الآخرة) لان من احبه واتبعه احب لقائه ورغب فى الآخرة كما مر (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان فى قلب مؤمن وبغضها لا يقتضى التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل اللهم اجعلها فى ايدينا ولا تجعلها فى قلوبنا (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر) ويقتنى (منها الا زادا) اى مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يختبئ منها ما لا حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تبتغيه القوت * ما اكثر القوت لمن يموت

(وبلغة) بضم فسكون اى ما يبلغه به (الى الدار (الآخرة) كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر

وانا لفى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا تسرى

(وعن ابن مسعود) فى حديث رواه البيهقى فى الادب وابن الضريس فى فضائل القرآن وفى نسخة وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (لا يسأل احد) من غيره (عن نفسه) اى عن احوال نفسه فى محبته الله ورسوله (الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله) فاذا اراد ان يعرف حاله ينظر فى ذلك فيستدل به حتى كانه سأله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهى غاية مطلوبه كما قيل * ان كنت تزعم حبى * فلم هجرت كتابى * اما تأملت مافيه * من لذيذ خطابى *
(ومن علامات محبته للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على امته) بان يحبهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم (ونصحه لهم) ببيان مايصلحهم من امورهم (وسعيه فى مصالحهم) بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم (ورفع المضار عنهم) بدفع المظالم وازالة مضايقتهم (كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين) منا ومن غيرنا لا بغيرهم (رؤفا) شفوقا (رحيما) منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله تعالى به فى كتابه العزيز فعلينا الاقتداء به والتخلق باخلاقه (ومن تمام محبته) اى كمالها واقصى مراتبها التى لا تتم الا بها (زهد مدعيها) اى المحبة (فى الدنيا) وامورها وزخرفها (وايثاره الفقر) اى اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا (واتصافه به) اى جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا (وقد قال عليه الصلوة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته (ان الفقر الى من يحبنى منكم) معاشر المسلمين او الصحابة (اسرع) اى يصل اليكم بسرعة اقوى (من) سرعة (السيل) اذا انحدر ونزل (من اعلى الوادى) وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء من ودى بمعنى سال ويسمى لفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال الله تعالى (الم تر انهم فى كل واد يهيمون) (او من الجبل الى اسفله) والماء النازل من علو لسفل فى غاية السرعة فضربه مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادى او الجبل وافرد لانه بعد شيئين عطف باو هذا بعض من الحديث الذى بعده وقد رواه الترمذى وحسنه (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام وهو صحابى مزنى من اصحاب الشجرة اخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ستين (قال رجل) من الصحابة ولم يسموه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يارسول الله انى احبك فقال انظر ماتقول) اى تفكر فيه وتأمل فان محبتى امر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغى ان لايحب امرا من امور الدنيا وهو امر صعب (قال والله انى احبك) اكده بالقسم لما رأى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره (ثلاث مرات) ليزيل الشبهة (قال) له صلى الله

تعالى عليه وسلم (ان كنت تحبني) حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيئا (فاعد) اى احضر وهيئ (للفقر تجفافا) بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما الف وتاؤه مزيدة من جف اذا يبس وهي شئ يوضع على الخيل ليقيها في الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف اى اعدله عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لاتحمله يعني الصبر عليه ورياضة النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محسن بعاقبته لايصاله الى السعادة او شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايماء الى ان من احبه صلى الله تعالى عليه وسلم ابتلى بالفقر وكانه فقر اختياري بزهده في الدنيا وقد اختلف في الفقر والغنى وفي الفقير الصابر والغني الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه مافيه الكفاية وروى جلبابا بدل تجفافا (ثم ذكر) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله للرجل المذكور (نحو حديث ابي سعيد) الخدري اى مايشبهه (بمعناه) يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر اسرع الى مايحبني من السيل الى مقره ومنتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا حتى لايخلص منها فليستعد لها ﴿ فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها ﴾ اى المعنى الذي وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه (اختلف الناس) المراد بهم علماء السلف والخلف وسبب اختلافهم ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لاتليق بالله ورسوله (في تفسير محبة الله ومحبة النبي) اى في بيان المراد بهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) التفسير (وليست ترجع بالحقيقة) اى ليس مالها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع (الى اختلاف مقال) اى اختلافا لفظيا والمعنى واحد (ولكنها اختلاف احوال) اى سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من احوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى انكر بعضهم امكان محبة الله تعالى حقيقة كما في الاحياء وقال لامعنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان وبياضها لصفاء موردها وقيل من الحباب الذي يعلو الماء اذا انصب وتحرك لفورانها في القلب وقيل من احب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لحبه من رائق جمال او فائق كمال او فائض احسان وافضال (فقال سفيان) يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر ايضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في عزة(٢) (المحبة) يعني محبة الله تعالى بامل

(٢) في غيره نسخه

(الآية)

الآية استدل بها (اتباع الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم في اقواله وافعاله وكل ماجاء به عن الله لان من احب الله لا يعصيه فيما امره به وانما يعلم اوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفأ قال (كأنه) اى سفيان (التفت) اى نظر في تفسيره هذا (الى قوله تعالى) واستنبط منه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فانه اقام اتباعه مقام محبته اذا لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهي لاتكون الا لمن احبه والآية نزلت في اليهود لما قالوا (نحن ابناء الله واحباؤه) فارشدهم الى ماتحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شيء ادرك منه كمالا يحمله على مايقرب به اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فحبه يقتضي طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لاتقبل الا باتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) في معنى (محبة الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم انها (اعتقاد) لزوم (نصرته) بالمجاهدة لينصره ويعلي كلمته (والذب) بالمعجمة اى المنع والطرد (عن سنته) اى طريقته وشريعته برد مايخالفها ودفع الشبهة الموردة عليها وتصحيح احاديثه وتفسيرها وبيانها (والانقياد لها) بان لايخالفها ويعمل بها (وهيبة مخالفته) اى الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها اى السنة وفي النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) في تفسير مطلق (المحبة) ويحتمل انه بيان لمحبة الله تعالى (دوام الذكر للمحبوب) لان من احب شيئا اكثر من ذكره كما مر (وقال آخر ايثار المحبوب) اى اختياره وتقديمه على ماسواه بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم (وقال بعضهم المحبة) معناها (الشوق الى المحبوب) بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية لا من المعاني اللغوية (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة واصله ان يطأ الرجل برحله موطأ صاحبه قال الله تعالى (ليواطؤا عدة ماحرم الله) اى موافقة القلب (لمراد الرب) بان لايريد الا ما اراده فيترك مايريد الله ثم بينه بقوله (فيحب) مضارع احب (ما احب ويكره ما كره) وفي نسخة مايكره والاولى اولى (وقال آخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله) اى المحبوب والمراد كل مايقوله وهذا كله من كلام اهل الطريقة وله امثال كثيرة كقول ذي النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله عقت (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) اى موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهي اقوال متقاربة (واكثر العبارات المتقدمة) من اول الفصل الى هنا (اشارة الى ثمرات المحبة) انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها واصل الثمرة نتاج الشجرة ثم قيل لكل نفع يصدر عن شيء ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل (دون حقيقتها) اى لاحقيقتها ودون ترد لمعان هنا منها وانما قال اكثر لان منها ماهو سبب كاتباعه او لانه احتراز

عن الاخير لانه حقيقة لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله (وحقيقة المحبة) الموضوعة لها مطلقا (الميل) معناه حقيقة العدول عن الوسط الى احد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه (الى مايوافق الانسان) اى طبيعته قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله (وتكون موافقته له) اى لنفس المحب (اما لاستلذاذه) اى عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه (بادراكه) منه امرا محققا محبوبا كالطعام الحلو والمشروب العذب (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها) كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة (مما كل طبع سليم) من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا (مائل اليه لموافقته له) طبعا وفي نسخة موافقتها اى المذكورات (او لاستلذاذه) اى وجود لذته واللذة من الكيفات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهي لانه من الوجدانيات وهي ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والمراد بالملائم للشيء اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ماهي عليه بالقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشيء قد يكون ملائما من وجه دون آخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا مجرد تخيله كما تقرر في كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه اشار بقوله او لادراكه الى آخره وهو القسم الاول والثاني بينه بقوله (بادراكه) بعد الوصول اليه لا قبله (بحاسة عقله وقلبه) فيه تسمح على رأي الحكماء لان المدرك عندهم القوى الناطقة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها (معاني باطنة) غير مدركة بالحواس الظاهرة (شريفة) اى نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كانها في شرف اى مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة لامية او المراد حاسية هي العقل فالاضافة بيانية (كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف) المراد بالمعروف كلما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب والصغاني ( ) حب (المأثور) اى المنقول (عنهم السير) المراد بها الاحوال والصفات (الجميلة) الحسنة المحمودة شرعا وعقلا (والافعال الحسنة) كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصري (فان طبع الانسان مائل الى الشغف) اى المحبة الزائدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اى غلافه او سويداه او داخله وحبته وهذا انسب بالمراد وروي بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثاني بمعنى الاحراق يقال شغفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتي بهذا مزيد بيان وقوله (بامثال هؤلاء) اى بهؤلاء وامثالهم انفسهم كما قالت لا مثل وهو كناية عما تقرر في كتب المعاني والاشارة للصالحين ومن بعدهم (حتى يبلغ)

الشغف بهؤلاء وفرط حبهم (التعصب ٢) تفعل من العصبة وهي الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة في الصيانة حتى تفارقوا من خالفهم في محبتهم للحمية والغضب لمن احبه (والتشيع) تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله (من امة) اى فارقوا امة خالفوهم وصاروا (في آخرين) اى في قوم آخرين وفي نسخة اخرى اى امة اخرى والشيعة من المشايعة وهي المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضي الله تعالى عنه كما مر ويأتي (مايؤدى) اى يوصل يقال اداه الى كذا اى اوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ اى يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثاني اقرب (الى الجلاء) بفتح الجيم واللام والمد الخروج (عن الاوطان) اى المساكن والبلاد والاهل (وهتك الحرم) بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل مايصان ويمنع ولذا قيل للنساء حرم اى افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل مايلزمهم صيانته (واخترام) بخاء معجمة ومثناة وراء مهملة (النفوس) اى الذوات او الارواح اى اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كانها اقتطعت عمره وكل ما استأصل شيئا اخترمه وفي نسخة القلوب والاول احسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة فقال (اويكون حبه اياه) وميل نفسه وطبعه اليه (لموافقته له) اى لملائمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه اليه) اى انعامه وبذله وجوده وفي نسخة له اى لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت النفوس) بالبناء للمفعول اى جعلت مطبوعة ومخلوقة (على حب من احسن اليها) كما جبلت على بغض من أساء اليها وقيل ان هذا من الفاظ النبوة ولم اره بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي فاشار الى ان حب المحسن اضطراري وفي الاحياء ان المحبة قد تكون لغير هذا من الائتلاف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا في ايتلاف القلوب امر غامض لايطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشيء منجذب اليه وفي الحديث الارواح جنود مجندة ماتعارف منها ايتلف وماتناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر على الطالع ومقابله لااصل له وورد في حديث رواه في الفردوس لوان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاءه حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاءه حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف (فاذا تقرر) اى ثبت وتحقق (لك هذا) المذكور من اسباب المحبة (نظرت لهذه الاسباب كلها) اى عرفتها بنظر سديد وكلها تأكيد

(٢) بقوم لقوم نسخه

للاسباب اومبتدأ خبره (في حقه) اي موجودة في حقه وشأنه مقررة محققة (فعلمت انه عليه الصلوة والسلام جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة) بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله (اما جمال الصورة) وهو السبب الاول وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد مايظهر للناظر كالوجه (والظاهر) عطف تفسير للصورة (وكمال الاخلاق) اي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن الظاهري بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله (والباطن) عطف تفسير له (فقد قررنا) اي بينا في هذا الكتاب سابقا (منها قبل) مبني على الضم (فيما مر اول الكتاب مالايحتاج الى زيادة) فيه هنا (واما احسانه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا هو السبب الثاني (وانعامه على امته) يعني امة الاجابة (فكذلك) اي مثل ماقبله في عدم احتياجه للبيان هنا لانه (قدمر منه) اشارة الى ان ماذكر بعض منه لايمكن استيفاؤه وعلى تفنن مادحيه وواصفيه(٢) بمضي الزمان وفيه مالم يوصف (في اوصاف الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة او توصيف ثم بينه بقوله (من رأفته بهم) اي شفقته ولطفه بهم كمامر (ورحمته لهم) اي انعامه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وكرمه (وهدايته اياهم) اي من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين واي احسان اعظم من هذا (وشفقته) اي حنوه (عليهم) ومرحمته لهم (واستنقاذهم) اي تخليص الله هذه الامة (به) اي بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ بعثه اليهم (من النار) وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها (وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) كما في قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم كمامر مع تفسيره (و) انه (رحمة للعالمين) فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ منصوبا اي كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله (ومبشرا) بكل خير (ونذيرا) مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم (وداعيا الى الله) ودينه الحق (باذنه) في الدعوة او بارادته كمامر (وسراجا منيرا) منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال (ويتلو عليهم آياته) المرشدة لهم فيقرأ عليهم مايوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك والمعاصي (ويعلمهم الكتاب) اي القرآن العظيم (والحكمة) ومايكملهم من المعارف والاحكام (ويهديهم الى صراط مستقيم) يدلهم على الطريق الموصل الى الله تعالى بلطفه وهذا مما وصفه الله به في كتابه العزيز (فاي احسان) اي للتعظيم والتفخيم كما يقال عندي رجل اي رجل اي كامل الرجولية (اجل قدرا) وارفع رتبة (واعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اي قدرا او شرفا فغاير بينهما تفننا (من احسانه) اي احسان هذا النبي الكريم على امته فكيف لايحسن (الى جميع المؤمنين) خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام (واي افضال) بمعنى احسان وتفضل (اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين) اي جميعهم وقد قيل كمامر ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطأ

(٢) محسنه نسخه

(وان)

وان وقع فى عباراتهم كما فى درة الغواص وقد اجبنا عنه فى شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه (اذ) تعليلية اى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان ذريعتهم) اى وسيلتهم وسبب موصل لهم (الى الهداية) اى مايخلصهم وينجيهم واصل الذريعة سترة يتخذها الصائد للفوز بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان (ومنقذهم) مخلصهم (من العماية) بفتح العين وهى الغواية والجهالة (٢) (وداعيهم الى الفلاح) اى الفوز والظفر بسعادة الدارين (و) الى (الكرامة) اى الاكرام بنيل الخير (ووسيلتهم الى ربهم) اى موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده (وشفيعهم) فى الدنيا والآخرة (والمتكلم عنهم) عند الله ببيان اعذارهم وهم احوج مايكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتكلم (والشاهد لهم) بانهم آمنوا وصدقوا يوم القيمة حين يشهدون للانبياء عليهم الصلوة والسلام انهم قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم (والموجب لهم) اى الذى يحقق لهم (البقاء الدائم) بالخلود فى الجنة وليس المراد الوجوب الشرعى لانه لايجب على الله شئ (والنعيم) فى الجنة (السرمد) اى الدائم الذى لاينقطع ولولاه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن شئ من ذلك (فقد استبان لك) بما ذكر اى ظهر واتضح (انه عليه الصلوة والسلام مستوجب) اى مستحق (للمحبة الحقيقية) لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم على اكمل وجه لايتيسر لغيره (شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار) الموجبة له مزيد شرف وحسن ترف وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مأمورون بمحبته واتباعه بامر من الله له (وعادة) معطوف على قوله شرعا اى مااعتاده الناس فى كل عصر من محبة من حاز الكمال كله (وجبلة) لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله تعالى عليه وسلم والنفوس مجبولة على حب من احسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين) اى جبل الاولين (لما ذكرناه) متعلق باستبان (آنفا) اى قريبا وهو منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة (لافاضته) اى اعطائه من بحر كرمه (الاحسان) بكل خير دنيوى واخروى (وعموم الاجمال) اى تعميم الجميل منه لكل احد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله (فاذا كان الانسان يحب من منحه) اى اعطاه والمنحة العطية (فى دنياه) اى فى حياته فى الدنيا (مرة اومرتين معروفا) اى شيئا حسنا كما مر تفسيره (او استنقذه) ونجاه (من هلكة) بفتح الهاء واللام امر مهلك (اومضرة) امر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد (مدة التأذى بها) اى بالمضرة (قليل منقطع) اى زائل فى زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان اولانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة

(٢) لانها تطلق فى مقابلتها كما قال تعالى واما ثمود فهديناهم وسئل بعض الفضلاء عن وجه تخصيص ثمود بالهداية دون غيرهم فاجيب بانهم خصوا بذلك لانهم طلبوا آية يكون بها اهتداء هم فهدوا بها فتمرضوا اليها الا لالاف فاستحبوا بذلك العمى على الهدى المطلوب لهم واستحباب العمى اهم التقدير الالهى من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا فتدبره

للتأذى او منون منصوب والتأذى مبتدأ خبره قليل وعلى الاول المبتدأ مدة (فمن منحه مالا يبيد) بمثناة تحتية مفتوحة وبموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة اى يذهب وينفد (من النعيم) المخلد فى الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع فى بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع فى الاولى (ووقاه) بالتشديد والتخفيف اى صانه وحماه (مالا يفنى من عذاب الجحيم) اى النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله (اولى مايحب) بالبناء للمفعول وفى نسخة اولى بالحب واولى افعل تفضيل بمعنى احق وهو خبر من اى احق من كل شئ يحب من نفسه وماله واهله (واذا كان يحب) مبنى للمجهول ايضا (بالطبع) متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل والعادة لاتخالفا (ملك) بكسر اللام نائب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفى نسخة نصب الجميع ويحب مبنى للفاعل (لحسن سيرته) بعدله فى رعيته (اوحاكم) غير ملك كامير (لما يؤثر) اى ينقل عنه وهو مجهول ايضا (من قوام طريقته) اى حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال قال تعالى (وكان بين ذلك قواما) اى معتدلا (او قاض) بضاد معجمة اى حاكم الشرع اذا سمع بعدله وهو (بعيد الدار) عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسير له (لما يشاد) مبنى للمجهول اى لاجل مايشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت علت وفى نسخة لما فشا بالفاء والشين المعجمة اى ظهر وانتشر (من علمه اوكرم شيمته) اى سجيته وخلقه وهذا مناسب لاحال قاص(٢) واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال (فمن جمع هذه الخصال) كلها وحواها وكل منها فيه مستقر (على غاية مراتب الكمال) بحيث لايشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيرى * انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء (احق بالحب) مما عداه (واولى بالميل) اليه واعلم انه انما ذكر من قوله فقد استبان لك الى آخره لدفع شبهة لمن لابصيرة له وهى ان هذه الامور انما تحقق فيه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من رآه وشاهده منه لانها المؤثرة فى الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لتواترها وبقاء آثارها كالمحسوس المشاهد (وقد قال على رضى الله عنه) فى حديث الحلية السابق ذكره (من رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بديهة) اى ابصره فى اول رؤيته (هابه) توقيرا واجلالا لما يرى من نور نبوته (ومن خالطه) اى صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وعاشره (معرفة احبه) اى بعدما عرف فضائله وفواضله وشاهد شمائله لابدان يحبه (وذكرناه) فى فضل ثواب محبته (عن بعض الصحابة) وهو ثوبان كما تقدم (انه كان لايصرف بصره عنه محبة فيه) صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ﴿فصل فى وجوب مناصحته ﷺ﴾ النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه

(٢) يعنى انظر قاص بالصاد المهملة لصحته

ولسانه وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر مقرر لكل احد فاذا نصحه احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين واخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتي ان اصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل في ضد الغش والاخلاص اي التوبة النصوح (قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) اي اثم يضيق اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم (اذا نصحوا لله ورسوله) الى آخره اي اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا واخلصوا لهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال ان بالمدينة ناس ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم في الاجر ففي الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه (ما على المحسنين من سبيل) اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين في ذلك (والله غفور رحيم) لهم او للمسيء فكيف المحسن (قال اهل التفسير) في بيان معنى الآية اجمالا (اذا نصحوا لله ورسوله) معناه (اذا كانوا مخلصين) في اقوالهم وافعالهم (مسلمين) منقادين مطيعين حال لازمة (في السر) اي فيما في باطنهم مما اسروه (والعلانية) ظاهر حالهم المطابق لما في ضمائرهم والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه ابو داود كما رواه مسلم فقال (حدثنا ابو الوليد) شيخ المصنف رحمه الله تعالى (بقراءتي عليه) قال (حدثنا حسين بن محمد) هو ابو علي الغساني وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا يوسف بن عبد الله) هو حافظ الاسلام بن عبد البر وقد تقدم قال (حدثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو بكر بن التمار) قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن قال (حدثنا احمد بن يونس) ابو عبد الله احمد بن عبد الله ابن يونس اليربوعي الكوفي الحافظ الثقة المتقن المتفنن روى عنه الستة توفي سنة سبع وعشرين ومائتين قال (حدثنا زهير) بن محمد المروزي نزيل الشام الثقة توفي سنة اثنين وستين ومائة اخرج له الستة وترجمه في الميزان قال (حدثنا سهيل بن ابي صالح) تقدمت ترجمته (عن عطاء بن يزيد) الليثي الثقة التابعي توفي سنة سبع او خمس ومائة واخرج له الستة (عن تميم الداري) وهو تميم بن اوس بن خارجة اللخمي المكنى بابي رقية وهي ابنته له لم يولد له غيرها والداري نسبة لجده الدار بن هانئ او لدارين اسم مكان ويقال الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع من الهجرة وتوفي سنة

اربعين وروى عنه فى السنن ومسند احمد وقصته فى الجساسة مشهورة (قال) تميم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض ولذا عدل المصنف رحمه الله تعالى عن رواية مسلم مع ان كتابه اصح الكتب عند علماء المغرب وماقيل انهما مكررة فى هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه امر سهل وسؤال ساقط والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفى رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر (قالوا) اى الصحابة الحاضرون عنده (لمن يارسول الله قال لله ولكتابه) بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه (ولرسوله) بالايمان به واتباعه وطاعته (ولائمة المسلمين) الخلفاء والسلاطين والحكام (وعامتهم) ان اريد العوام فظاهر وان اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتى بيانه (قال ائمتنا) المراد بهم علماء الاسلام او ائمة مذهبه (النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة) اى فرض عين على كل مكلف ونقل النووى انها فرض كفاية فان خشى اذى فهو فى سعة من الترك (قال الامام ابو سليمان البستى) بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة لبلدة بسجستان وهو ابو سليمان بن محمد بن ابراهيم ابن خطاب المعروف بالخطابى الامام المشهور واختلف فى اسمه فقيل احمد وقيل حمد توفى ببست فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين فقوله (ارادة الخير) بدل منه او مرفوع او منصوب على هذا ولا مانع من الاضافة (للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) اى عن جملة (بكلمة واحدة تحصرها) اى تجمع جميع معانيها قيل تقديره غيرها اى غير هذه الكلمة وهى النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة وفى كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير واتصال فى تركيبه شئ لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبرها ويتعين تأخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده ان هذه من اوجز الاسماء واحصرها لدلالتها على معان كثيرها ولذا قيل فى كلمة الفلاح انه ليس فى كلام العرب كلمة اجمع لخيرى الدنيا والاخرة منها ثم اشار الى اصل معناها لغة بعد ما بين حاصل معناها فى عرف اللغة والشرع بقوله (ومعناها فى اللغة) اى فى عرف اهل اللغة (الاخلاص) اى لنفسه وغيره (من قولهم نصحت العسل اذا خلصته) وصفيته (من شمعه) بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل فهى فعلة بمعنى فاعله او مفعولة لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه (وقال ابو بكر بن ابى اسحق الخفاف) وهو امام من ائمة اللغة ترجمته مذكورة فى التاريخ وفى نسخة ابن اسحق وهو ابو بكر احمد بن عمر بن يوسف الشافعى وهو صاحب كتاب الخصال فى مذهب الشافعية كما قاله الرافعى (النصح فعل الشئ الذى به الصلاح) لنفسه وغيره واراد بالفعل مايشمل القول (والملاءمة)

بضم الميم ومد الهمزة من لأمت بينهم اذا وفقت وتلاءموا والتأموا بمعنى وقد تبدل همزته ياء (مأخوذة) اى مشتقة اشتقاقا وكثيرا مايعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ اوسع من دائرة الاشتقاق (من النصاح) بكسر النون وتخفيف الصاد (وهو الخيط الذى يخاط به الثوب) فلتلتئم اجزاؤه فالنصيحة على هذا مأخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله من الخصاف فانه فى اكثر كتب اللغة (وقال ابو اسحق الزجاج) امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ ابو على الفارسى وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفى فى جمادى الآخرة من سنة احدى عشرة وثلثمائة وقد ناف على الثمانين (نحوه) اى قريب مما قاله الخطابى معنى ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال (فنصيحة الله) معناها والمراد بها (صحة الاعتقاد) اى اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام فى قوله (له) وذلك بتخصيصه (بالوحدانية) اى بانه واحد احد لا شريك له فى الالوهية ولا يشاركه احد فى ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون على خلاف القياس قال الكرمانى (ووصفه بما هو اهله) اى بما يستحقه ويليق به كما يقال هو اهل للحمد وهو اهله ومحله وهو مجاز مأثور مشهور (وتنزيهه عما لا يجوز عليه) فى كل مايوهم نقصا (والرغبة فى محابه) بفتح الميم جمع محب اسم مفعول احب بمعنى محبوب اى يرغب فى كل مايحبه ويرضاه (والبعد عن مساخطه) بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول اى كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصى وقيل هما جمع محبوب ومسخوط والاصل محابيب ومساخيط (والاخلاص فى عبادته) فيعبده امتثالا لامره من غير رياء ولا ارادة امر آخر ولا تصره العبادة رجاء جنته وخوف ناره وان قال الرازى انه الاخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه فى محل آخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور فى حقه فلذا حمل على هذا (والنصيحة لكتابه) معناها (الايمان به) اى بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصدق بذلك تصديقا لا ريب فيه (والعمل بما فيه) باتباع اوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به (وتحسين تلاوته) بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من حاق مخرجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تعب وزيادة مد وقد قال القراء ان تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا اوصناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم العجم (والتخشع عنده) اى عند تلاوته وسماعه فينبغى له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل (ان لم تكن باكيا فكن متباكى) وضمير عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول اولى وابلغ وفى التخشع مايفيد انه لا ينافى الصياح

واظهار الوجد مالم يكن عن حال سلب اختياره (والمعظم له) بان لا يقرأه محدثا وان لا يمد رجليه حال تلاوته ولا يجلس لها في محل قذر ولذا كرهت القراءة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق (وتفهمه) اي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر (والتفقه فيه) اي فهم معانيه او النظر في احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وامثاله (والذب عنه) بمعجمة وموحدة اي زجر من طعن فيه من الملحدين (من تأويل الغالين وطعن الملحدين) في تأويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد ولتاليه ومستمعه آداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن فعليك به (والنصيحة لرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (التصديق بنبوته) ورسالته الى الناس كافة والى غيرذلك من الملائكة والجن (وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه) لان طاعته واجبة وهي طاعة الله كما مر (كما قاله ابو سليمان) هو الخطابي الذي تقدم بيانه (وقال ابو بكر) هو ابن ابي اسحق الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الآجري الآتي قريبا (وموازرته) بواو مفتوحة او همزة من الازر وهو القوة او من الوزر وهو الملجأ اي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ماله عطف تلقين (ونصرته) اي اعانته على اعدائه او نصرة دينه واعلاء كلمته (وحمايته) اي دفع السوء عنه (حيا) بالمجاهدة معه وخدمته (وميتا) بتقوية دينه وتأييد شريعته وهو راجع لكل ماقبله (واحياء سنته) اي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية (بالطلب) لها بان يسئل عنها ويجتهد في معرفتها (والذب عنها) اي دفع الشبه عنها والتأويلات الفارغة (ونشرها) اي اظهارها واشاعتها وتعليمها من النشر الحديث اذ اشاع (والتخلق باخلاقه) اي الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح (الكريمة) اي المكرمة الممجدة (وآدابه الجميلة) التي فيها جمال ومدح لمن اتصف بها (وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي) تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها وانه المعروف بالوراق (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) معناها (التصديق بما جاء به) اي الايمان بكل ماجاء به عن الله (والاعتصام بسنته) اي التمسك بها (ونشرها والحض عليها) اي حث الناس وتحريضهم على اتباعها (والدعوة الى الله) اي الى الايمان به وتوحيده (والى كتابه) القرآن بالايمان به والعمل بما فيه (والى رسوله) بالايمان به واتباعه (واليها) اي الدعوة الى سنته (والى العمل بها) كما مر (وقال احمد بن محمد) هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ماوعدناك به من نسبته الى ابيه محمد (من مفروضات القلوب) اي مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به (اعتقاد) وجوب (النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بالمعنى المتقدم (وقال ابو بكر الآجري) الحافظ

وقد تقدم بيانه (وغيره) من الائمة (النصح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (تقتضى نصحين) اى منقسم الى قسمين (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته فى حياته) اى النصح له وهو حى (نصح اصحابه) اى هو نصح اصحابه اوكنصح اصحابه (له بالنصر) له على اعدائه (والمحاماة عنه) بدفع السوء عنه ومن يريده (ومعاداة من عاداه) ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته (والسمع) اى امتثال مايقوله وقوله كما فى قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله (والطاعة له) اى الانقياد التام (وبذل النفوس) اى الذوات والارواح (والاموال دونه) اى صرفها والجود بها فى حمايته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديمها دون مايضره (كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الآية) اى عاهدوا الله على بذل ارواحهم واموالهم فى سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الآية كما فى الصحيحين نزلت فى انس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال اول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غبت عنه لئن ارانى الله تعالى مشهدا بعده ليرى الله ما اصنع فلما كان من العام المقبل وقعة احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا محمد الى اين قال واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه ووجد فيه بضعا وثمانين مابين طعنة وضربة (وقال الله تعالى وينصرون الله ورسوله الآية) اولئك هم الصادقون وهذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله (واما نصيحة المسلمين له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير) اى الادب والتعظيم (والاجلال) لقدره برفع ذكره وتعظيمه (وشدة المحبة له) بكونه احب عنده من نفسه واهله وماله (والمثابرة) بمثلثة وموحدة وراء مهملة اى المداومة والمحافظة (على تعلم سنته) وفى نسخة تعليم وسنته طريقه وهديه اوحديثه (والتفقه فى شريعته) بفهم معانيها والعلم باحكامها (ومحبة آل بيته) وهم اقرباؤه الذين لاتحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم (واصحابه) وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك (ومجانبة من رغب عن سنته) اى البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه (وانحرف عنها) اى مال عنها ورغب فى غيرها (وبغضه) اى اظهار عداوته (والتحذير منه) من لايعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه (والشفقة على امته) اى اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم لا لامر آخر (والبحث) اى التفتيش (عن تعرف احواله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى احواله المعروفة وفى نسخة اخلاقه (وسيرته) قال المرزوقى معناها حالة من احوال السير ثم اجرى مجرى الشيم والعادات انتهى (وادابه) ليقتدى بها (والصبر على ذلك) اى حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له (فعلى ماذكره) اى الخفاف

او الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة) لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تأمل (وعلامة من علاماتها كما قدمناه) فى فصل العلامات ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى امر المحبة على النصيحة كما مر (وحكى الامام ابوا القاسم القشيرى) عبدالملك بن هوازن بن عبدالملك النيسابورى صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا وعمدة اهل السنة وفقهاء الشافعية الجامع بين الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفى سنة خمس وستين واربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة (ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان) اقليم معروف وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال المسعودى فى خلافة المعتضد بالله احد الخلفاء العباسيين فى صغره صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفى سنة خمس وستين ومائتين وخلف اموالا كثيرة حافه عليها اخوه عمرو المذكور (ومشاهير) جمع مشهور (الثوار) بضم المثلثة وتشديد الواو والف تليها راء مهملة جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده (المعروف بالصفار) منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاوانى وقد مر وجه التسمية به (رئى) مبنى للمجهول من الرؤيا وهو مهموز اى رآه بعضهم (فى المنام) وفى نسخة فى النوم (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى) ذنوبى ومحى سيئاتى (فقيل بماذا) اى باى سبب هذا الذى نلته (فقال صعدت) بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل اى ارتقيت وعلوت (ذروة) بكسر الذال المعجمة وضمها وهى اعلى كل مرتفع من (جبل) ونحوه (يوما فاشرفت على جنودى) اى رأيتهم فى مكان عال واطلعت عليهم (فاعجبتنى كثرتهم) اى حسنت عندى فسرتنى (فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كنت فى عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندى (فاعنته ونصرته) على اعدائه بمقاتلتى انا وجندى معه (فشكر الله لى ذلك) القول والتمنى كما قال ورقة

يا ليتنى فيها جذع * احب فيها واضع

ومعنى شكر الله ثوابه وانعامه (وغفر لى) بسبب قولى هذا وقال ابن قرقول شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه (واما النصح لائمة المسلمين) جمع امام وهو الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا (ف) معناه (طاعتهم فى الحق) الموافق للشرع اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الله كما ورد فى الحديث ولقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ومعونتهم فيه) اى فى الحق لا فى الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى (وامرهم به) اى باتباعه (وتذكيرهم اياه) بان يذكره لهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه (على احسن وجه) برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعى للامتثال (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) لعدم العلم به لخفائه اولعدم الوقوف عليه

(وكتم)

(وكتم عنهم) بان خفي عليهم فلم يبلغهم خبره (من امور المسلمين) فيمضوه عليهم (وترك الخروج عليهم) بمخالفتهم وعصيان امرائهم وهو معطوف على طاعتهم (وتضريب الناس) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر الراء المهملة ومثناه ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور اى ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم يقال ضربه اذا اغراه (وافساد قلوبهم) اى ترك افساد قلوب الناس (عليهم) بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدى الى التجرى عليهم ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة (و) اما (النصح لعامة المسلين) المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفى فمعناه (ارشادهم الى مصالحهم) اى دلالتهم على مايوصلهم الى مافيه صلاح امورهم (ومعونتهم) اى اعانتهم (فى امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم) لما غفل عنه من مصالحه (وتبصير جاهلهم) اى تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة فى اموره (ورفد محتاجهم) بفتح الراء المهملة اى اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطاء والصلة وكل شىء عمدته وجمات له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التى كانت لقريش فى الجاهلية (وستر عوراتهم) اى يستر عليهم بعض معاصيهم اذا رآها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا ارشده لتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملأ تقريع (ودفع المضارع عنهم) اى مايضرهم فى دينهم ودنياهم (وجلب المنافع لهم) اى كل ماينفعهم دينا ودنيا ﴿الباب الثالث فى تعظيم امره﴾ اى شأنه وقدره والامور المتعلقة به (ووجوب توقيره) اى تجيله وترجيح مايتعلق به (وبره) وصلته بالدعاء له والصلوة عليه وزيارة مقامه وبر اهل بيته (قال الله تعالى ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله لتعزروه وتوقروه) هكذا فى اكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة لان آية الاحزاب المصدرة بياايها النبى ليس فيها لتؤمنوا الى آخر والتى فى الفتح انا ارسلناك دون ياايها النبى فقيل كانه بدأ بآية الاحزاب وثنى بآية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا او بيض له فوصله الناسخ وفى بعض النسخ انا ارسلناك فقط وشاهدا ومابعده احوال مقدرة كجاء معه صقر صائدا به غدا واستشهاده بالآية بناء على ماذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيمة بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو وقف كاف وقال القرطبي انه تام وفيه نظر فقوله تعالى (وتسبحوه) ابتداء كلام فان ضميره لله (وقال) عز وجل (ياايها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) تقدموا بضم اوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراءة الاخرى بفتحها او هو مضارع قدمه المتعدى حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب اولتنزيله منزلة اللازم والمراد نفى التقديم رأسا وعلى كل حال فالشاهد فيه ظاهر فلا يتوهم انه لا شاهد

فيهاعلى القراءةالمشهورة (و) قال (ياايهاالذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) اى لاتجعلوا اصواتكم فى خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول واخفضوها تأدبا وتكريماله فانه لعظم مقامه لايليق عنده الصخب والعياط على عادة جفاة الاعراب فى ترك الادب (الآيات الثلاث) وهى (ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم) واضافة ذى الالف واللام لمثله جائزة فى الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه امرهم اذا خاطبوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايجهروا فيخفضوا اصواتهم تأدبا معه لما فى الجهر من الاستخفاف المؤدى الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ثم اثنى على من غض صوته عنده بان الله تعالى بعد امتحانه وعده بان له مغفرة واجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لايغفر وان من ناداه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى حجراته مع ازواجه مسلوب العقل لعدم اذنه وارشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير نداء له فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام على الآية مفصل فى كتب التفاسير (وقال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بان تنادونه باسمه يامحمد ونحوه كما سيأتى فلاتقيسوه بغيره (فاوجب الله تعالى) على المؤمنين (تعزيره) بزاء معجمة وراء مهملة اى اجلاله (وتوقيره) اى التأدب معه (والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس) معنى (تعزروه تجلوه) الاجلال افعال من الجلال وهو التناهى فى عظم القدر ولذا خص بالله تعالى فقيل ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب (وقال المبرد) شيخ التفسير والعربية (تعزروه وتبالغوا فى تعظيمه) وهو موافق لما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وليس اخص منه كما توهم (وقال الاخفش) الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير المسمى بالمعانى والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو من يرى ليلا ولايرى نهارا (تنصرونه) وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم (وقال الطبرى) وهو محمد بن جرير كما تقدم (تعينونه) الاعانة اعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لماذكر لما فيه من دفع العدو والنقائص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته وله معنى آخر وهو الوقوف على الاحكام (وقرئ) فى الشواذ (تعززوه بزائين) معجمتين تفعيل (من العز) وهو التقوية والغلبة كما فى قوله تعالى (فعززنا بثالث) والعزيز رفعة القدر وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة (ونهوا) اى نهاهم الله فى الآية الثانية (عن التقدم بين يديه) اى بحضرته وعنده (بالقول) بان يسبقه بالكلام (وسوء الادب بسبقه

(بالكلام)

بالكلام) فى امرما (وهوقول ابن عباس وغيره واختيار ثعلب) فى تفسير الآية وثعلب لقلب امام العربية واللغة وهوابو العباس احمد بن يحيى بن يزيد الشيبانى البغدادى توفى سنة احدى وتسعين ومائتين (وقال سهل بن عبد الله) التسترى الامام الزاهد شيخ الطريقة فى تفسير قوله تعالى (لاتقدموا بين يدى الله ورسوله) (لاتقولوا قبل ان يقول) فتستفتحون الكلام عنده وهو ترك ادب (واذاقال فاستمعوا له وانصتوا) اى اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير قوله (ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه) اى فى الامر (وان يفتاتوا) اى يستبدوا ويستقلوا (بشئ فى ذلك) اى فى قضاء امر من الامور عنده يقال افتات بفاء وهمزة اصلية عند ابى عمرو وغيره من اهل اللغة اوهى مبدلة من حرف العلة كما قالوا فى رثيت الميت رثاثة فهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات بالف ويقال افتات الباطل اذا اختلقه (من قتال اوغيره من امر دينهم الابامره ولايسبقوه به والى هذا) المذكور فى تفسير الآية (يرجع قول الحسن) البصرى (ومجاهد والضحاك والسدى و) سفيان (الثورى) يعنى انهم فسروا الآية بما هذا حاصله ومآله اشارة الى ان اكثر المفسرين ارتضوه (ثم وعظهم الله) فى الآية بعدماذكر (وحذرهم مخالفة ذلك) اى امره فى قضائه بعدمانهاهم عن سبقه بالقول (فقال واتقوا الله) فدل على ان مخالفه غير متق (ان الله سميع) لاقوالهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عليم) بافعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير مالايخفى (قال الماوردى) ابوالحسن وقدتقدم ذكره (اتقوه يعنى) اى يريد الله به هنا (فى التقدم) بقرينة اول الآية وان كان مطلقا (وقال السلمى) ابو عبد الرحمن كماتقدم (اتقوا الله فى اهمال) اى (ترك حقه وتضييع حرمته) اى احترامه وتوقيره (انه سميع لقولكم عليم بفعلكم) فسبقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول ترك ادب من فعله لم يراع حقه ولاوقر حرمته فهو فى معنى ماقبله (ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) فى الآيات الاخيرة واعاد النداء اهتمامابه وتنبيها على انه امر آخر مستقل بالنهى ورفع الصوت بشدة الجهر سوء الادب وغلظة يعتادها العوام (والجهرله) صلى الله تعالى عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت (بالقول كمايجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته) المراد النهى عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له فى النداء (وقيل كماينادى بعضهم بعضا) فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادونه كماينادى بعضهم بعضا (باسمه) فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وبيانهما (قال ابو محمد مكى) وهو مكى ابن ابى طالب القيروانى المالكى نزيل قرطبة كان متبحرا فى العلوم لاسيا علوم القرآن متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف

جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية وكتاب احكام القرآن توفى سنة سبع وثلاثين واربعمائة (اى لاتسابقوه بالكلام) هو معنى قوله لاتقدموا الى آخره (وتغلظوا له بالخطاب) اى تخاطبوه بغلظة واصل الغلظة ضدالرقة فى الاجسام ثم شاع فى المعانى والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به (ولاتنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا) اى كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدرية وهو عطف تفسير (ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف مايحب ينادى به ياىبى الله يارسول الله) بدل من اشرف وهذا معنى قوله لاتجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب دأبهم فيما بينهم هذا (وهذا) اى ماقاله مكى (كقوله فى الآية الاخرى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وجهه ان النهى عن الشيء امر بضده او بنضمنه وقد نهى الله تعالى عن هذه الامور التى تقتضى اهانته فكأنه امر بتعظيمه وتوقيره (على احد التأويلين) اى التفسيرين اللذين ذكرا فى التفاسير وهو ان يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية اى لاتنادوه باسمه رافعين اصواتكم بان تقولوا يامحمد يااباالقاسم كما ينادى بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا يارسول الله يانبى الله ياخير خلق الله ونحوه والثانى ان يكون المراد بالدعاء الدعاء على احد اى لاتظنوا ان دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير او شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بهامن لايخاف الميعاد وهذا غير مرادهنا كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو الذى قاله مكى و (قال غيره) اى غير مكى معنى الآية اى لاتجهروا له بالقول الى آخره (لاتخاطبوه الامستفهمين) وفى نسخة الامشفقين من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الاسائلين له متعلمين منه الادب (ثم خوفهم الله عزوجل) من (ان تحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك) اى جهروا له بالقول ولم يتأدبوا عنده (وحذرهم منه) اى من فعلهم هذا بقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون فان تحبط فى محل نصب بنزع الخافض اوبحذف المضاف اى لان لاتفعلوا مايؤدى الى احباط اعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال فى الامتاع من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجوز لاحد ان يناديه باسمه وماورد فى الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يامحمد انارسولك الى آخره صدر منه قبل اسلامه اوقبل النهى اوقبل علمه به ثم انه لوناداه احد بكنيته فقال يااباالقاسم هل يحرم ام لاانتهى ويأتى مافيه وان هذا مخصوص بحيوته ولايخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضه حال لم يحرم كما فى حال الحرب والمجادلة (قيل نزلت الآية فى وفد بنى تميم) قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لامر ما وكان ذلك فى سنة

تسع وهو سنة الوفود وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل لهم سرية فهجموا عليهم واخذوا مواشيهم واسارى قدموابها المدينة فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث فارسلوا عدة من رؤسائهم فجؤا بابه صلى الله تعالى عليه وسلم ونادوا يامحمد اخرج الينا كما فصل فى السير (وقيل) نزلت الآية (فى غيرهم) اى غير بنى تميم من العرب (آتوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه) من خلف داره (يامحمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) بمقام النبوة وترك الادب (ووصفهم بان اكثرهم لايعقلون) بقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون (وقيل نزلت الآية الاولى) اى قوله لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى (فى محاورة) بميم مضمومة وحاء وراء مهملتين وهى المجادلة ومراجعة القول (بين ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى مجلسه وحضوره (واختلاف جرى) اى وقع (بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) وهما كما فى البخارى عن الزبير رضى الله عنه وهو ان ابابكر رضى الله تعالى عنه قال فى امر بنى تميم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضى الله تعالى عنه بل الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ماأردت الا خلافى فقال عمر ماأردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت الآية فما كان عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص وقيل انه فى امر الزبرقان والذى ارتضاه السيوطى الاول (وقيل نزلت الآية) كما روى عن ابن عباس (فى ثابت) بن قيس (بن شماس) ابن مالك بن امرء القيس الخزرجى الانصارى وكان خطيب الانصار وكان انصا (خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ماكان من عادة العرب اذا اجتمعوا لهم يقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا مقدمة للامر الذى اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعد ما آثره فكان له صلى الله تعالى عليه وسلم خطباء عند الوفود وشعراء كحسان رضى الله تعالى عنه (فى مفاخرة بنى تميم) لما قدم وفدهم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يامحمد ورفعوا اصواتهم فآذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم مقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن وهو اهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا اموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثره عددا وعدة فمن مثلنا فى الناس ألسنا برؤس الناس واولى فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل عددنا ولو شئنا لاكثرنا الكلام ولكنا نحياء من الاكثار فيما اعطانا وانا نعرف بذلك اقول هذا لان يأتوا بمثل قولنا او امر افضل من امرنا ثم جلس فقال النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي ثم فاجبه فقام وقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن امره * ووسع كرسيه علمه * ولم يكن شيء قط الا من فضله * ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه * رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا وافضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين دعا الناس الى الايمان به فآمن برسوله المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا اول الخلق اجابة لله تعالى حين دعانا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن انصار الله ووزراء رسول الله صلى الله تعالى عليه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط في السير فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبيهم ومالهم وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال مابالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ماعندكم (وكان في اذنيه) اي في اذني ثابت رضي الله تعالى عنه (صمم فكان يرفع صوته) اي كان هذا دأبه كما تراه فيمن به صمم وانما الخالج لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه او نسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح به (فلما نزلت هذه الآية) التي نهت عن رفع الاصوات عنده (اقام في منزله) يعني لم يأت مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وخشي ان يحبط عمله) برفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعد ماسأل عنه (فقال يانبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت) اي تحقق هلاكي لاني ان حضرت عندك بطل عملي وان تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعه ومامرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذ ليس هنا مايدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده حتى كأنه وقع بقوله (نهانا الله تعالى ان نجهر بالقول) عندك (وانا امرء جهير الصوت فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ياثابت اما ترضى ان تعيش حميدا) اي محمودا عند الله تعالى والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لايحبط فهو الجواب حقيقة (وتقتل شهيدا) فيكون لك خير الدنيا والآخرة (وتدخل الجنة) وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله (فقتل يوم اليمامة) اي في وقعة اليمامة في خلافة ابي بكر الصديق سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكه وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم لحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا (وروى) رواه طارق بن شهاب (ان ابابكر) الصديق رضي الله تعالى عنه (لما نزلت هذه الآية) لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) ابوبكر رضي الله عنه امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا اكده بالقسم فقال (والله يارسول الله لا اكلمك بعدها) اى بعد نزول هذه الآية (الا كاخي السرار) اى الا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارا وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني وهذا مروى عن ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما ايضا كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وان عمر كان اذا حدثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (حدثه كاخي السرار) وهذه العبارة من كلامهم قديما (ما كان يسمع) بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير ابي بكر اوعمر (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد) نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كاخي السرار (فانزل الله تعالى فيهم) اى في حق ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ومن ضاهاهما كتابت مدحا لهم (ان الذين يغضون اصواتهم) اى يخفونها ٢ (عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم) والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المحنة ليظهر للناس ادبهم وتقواهم واستحقاقهم للاجر العظيم (وقيل نزلت) آية (ان الذين ينادونك) الى آخره (في غير بني تميم) من الاعراب (نادوه باسمه) لجهلهم بمقامه وعدم ادبهم (وروى) رواه الترمذي والنسائي (عن صفوان بن عسال) بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض بن زاهد المرادى الكوفي الصحابي المشهور روى عنه الستة (بينا) بالف كافة كبينما وفي نسخة بينما (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري) بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة اى صياح شديد يقال جهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت وجهيره اى رفيعه وبين ظرف مكان اوزمان تجاب بجملة وقد تقرن باذ واذا المفاجئة والافصح تركها كقوله

فبينا نحن نرقبه اتانا ✻ معلق وقصة وزناد راعي

وتقع بعدها الجمل اذا كفت بما او الف (انا محمد ايا محمد) مرتين وفي نسخة ثلاثا وايا ينادى بها البعيد (فقلنا له) اى قال له الصحابة تعليما له وتأديبا (اغضض من صوتك) اى لا ترفعه (فانك قد نهيت عن رفع الصوت) اى نهاك الله تعالى عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض المواضع كمجلس العلماء اذا تكلف

(٢) يخفضونها نسخه

ذلك من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كالاذان وكمجالس الوعظ والخطبة ولذا روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفتخر بالصوت الجهير كما قيل

جهير الكلام جهير العطاس * جهير الرواء جهير النغم

فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهى عن الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم امرا آخر فقال (وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تأن في خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانالسنا فهما مثلك فانظر لحالنا فانتهز اليهود الفرصة وقالوها لانها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتى عن الكشاف (قال بعض المفسرين هي لغة في الانصار) كانوا يقولونها في محاورتهم اذا ارادوا التفهم (نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لايهامها ولاعتياد خطاب الاقران (وتجيلاله) اى تفخيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابلغ من التعظيم لان معناه قال له بجل اى حسبك (لان معناها ارعنا نرعك) من المراعاة اى احفظنا نحفظك (فنهوا عن قولها) اى هذه الكلمة (اذ مقتضاها) على تفسيرها السابق (انهم لا يرعونه) ويراعون مقامه (الابرعايته لهم) لان المعنى ارعنا نرعك (بل حقه) اللائق به (ان يرعى على كل حال) راعاهم ام لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهيئ كل ادب فلذا امر الله تعالى بان يقال له انظرنا دون راعنا (وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهي الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول البرهان انها انما تأتى على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشيء لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روى ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها (فنهى المسلمون) مبنى للمفعول اى نهاهم الله عز وجل (عن قولها قطعا للذريعة) الذريعة في اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان اصل معناها لغة جمل يترك هملا في فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحشية فتأنس بها الصيد وتدور معه فاذا ذهبوا للصيد لم يهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه فيأخذون منه بسهولة ثم سمى به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذي معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهي فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين * واعلم ان الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهي اشارة الى قاعدة مشهورة في مذهب الامام مالك وهي وجوب سد الذريعة اى يجب دفع كل ما يؤدى

(الى)

الى فساد فى امر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسئلة مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافى حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة اقسام فنها ما اجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر الآبار فى طريق المسلمين والقاء سم فى طعامهم ومنها ما اجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة ايضا فيقدم الارجح منهما كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم من علمائهم المتأخرين ان سد الذريعة فى الاصل من باب الورع والاحتياط لامن الواجب اذ المفعول بها ليس فسادا فى حد ذاته والفساد بها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسئلة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافى (ومنعا للتشبيه بهم) اى ان يتشبه المؤمنون باليهود (فى قولها) اى فى التكلم بهذه الكلمة (لمشاركة اللفظ) واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ماقصده اليهود وقال الواحدى فى الوسيط النهى عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهانى فى تفسيره ويبقى الكلام فى استحباب الترك (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) المذكور فى تفسيرها ففى الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا خفى عليهم شيء من كلامه راعنا اى تأن حتى نفهم كلامك وتحفظه وكان لليهود كلمة سريانية او عبرانية يتسابون بها وهى راعنا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا يعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله تعالى عليه وسلم بها فنهى المسلمون عن قولها لما فيها من الابهام وامروا ان يقولوا انظرنا من النظرة اى امهلنا ﴿ فصل فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلوة والسلام وتوقيره واجلاله ﴾ اى فى نقل اخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فنه مارواه المصنف رحمه الله تعالى هنا من حديث طويل رواه مسلم واشار اليه بقوله (حدثنا القاضى ابو على الصدفى) هو ابن سكرة وقد تقدم وان الصدفى نسبة لصدف قرية بالمغرب (وابو بحر الاسدى) نسبة لقبيلته (بسماعى عليهما فى آخرين) مبتدأ وخبر اشارة الى انهما من مشايخه ولطريق روايته هذا الحديث عنهما (قالوا) اى شيخاه لاهما والآخرون لانه لم يرو عنهم وعبر بضمير الجمع تعظيما اولان الواحد ومافوقه جمع (حدثنا احمد بن عمر) قال (حدثنا احمد بن الحسن) ابو العباس بن بندار الرازى المعروف بالرواية وفى بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال (حدثنا محمد بن عيسى) هو الجلودى كما تقدم قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) قدمنا ترجمته قال (حدثنا مسلم) صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن مثنى) تقدم تفصيل ترجمته

(وابو معمر الرقاشى) وهو زيد بن يزيد البصرى الثقة (واسحق بن منصور) الحافظ الثقة المعروف بالكوسج اخرج له الستة وتوفى سنة احدى وخمسين ومائتين (قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد) ابو عاصم الشيبانى البصرى الثقة توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث عشر ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حيوة بن شريح) تقدم ايضا وفى نسخة انبأنا قال (حدثنا يزيد بن ابى حبيب) الازدى محدث مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفى سنة ثمان وعشرين ومائة واخرج له الستة (عن ابن شماس) بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة والف وسين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهرى) بميم مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفى فى خلافة يزيد بن عبد الملك وماوقع فى بعض النسخ من انه الفهرى بالفاء بدل الميم تحريف (قال حضرنا عمرو بن العاص) يرسم بياء وقد تحذف كما مر (فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا) احد (اجل فى عينى منه) تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد (وما كنت اطيق) اى اقدر (ان املأ عينى منه) اى اطيل النظر اليه وملأ العين تحقيق النظر وتطاويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملأ عين حبيبها بمعنى آخر بمعنى مايعجبه ويحسن منظره (اجلالا له) اى لاجلاله ومهابته (ولو شئت ان اصفه) بحليته (ماطقت) وقدرت لعدم احاطة علمى به (لانى لم اكن املأ عينى منه) لو هنا لتحقيق الجواب على كل حال كقوله * نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اى لااقدر ان اصفه على تقدير انى شئت فكيف اذا لم اشأ فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب فيقتضى انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم فى الايمان حضرنا عمرا فى سياقة الموت يبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه عبد الله يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل مايعد شهادة ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله انى كنت على اطباق ثلاث الى آخره فذكر حاله فى جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه امره فى الولاية وخوفه من آثامها رضى الله تعالى عنه (وروى الترمذى عن انس) رضى الله تعالى عنه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج) من بيته (على اصحابه من المهاجرين والانصار) رضى الله تعالى عنهم وعداه بعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينتظره (وهم جلوس) فى المسجد (فيهم ابو بكر وعمر) رضى الله تعالى عنهما (فلا يرفع احد منهم اليه بصره) بل يطرقون لمهابته (الا ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) ويجوز الا ابابكر وعمر نصبا (فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) لما بينهما من الالفة

(وقدم)

وقدم الصحبة والصهارة ولتمكن مقامهما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى اسامة بن شريك) الصحابى الثعلبى من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن يشكر وقد اخرج له اصحاب السنن واحمد فى مسنده (قال) اى اسامة (اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حوله) اى محيطون به فى مجلسه (كأنما على رؤسهم الطير) هذا مثل تضربه العرب لشدة الرزانة والسكون لان الطير لاتنزل الاعلى ساكن وقد تقدم فى مقصورتى النبوية

كأنما الطير على رؤسهم * من كل غصن فى ربا الجدنما

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذى (وفى حديث صفته) بالتاء المثناة الفوقية يعنى حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية اسم امرأة ولايعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن ابى هالة كما تقدم (اذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (اطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير) اى طأطؤا رؤسهم تأدبا وذكر هذا مع ماتقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم فى الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو من اعدائه يهابه لانه امر ذاتى له (وقال عروة بن مسعود) رضى الله تعالى عنه ابن معتب الثقفى (حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا (عام القضية) اراد بها قصة الحديبية وقيل اراد السنة التى قضى فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتأويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف اراد القضية اللغوية التى جرت فى الحديبية من الصلح والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التى ارادها اهل السير انتهى وهذا بناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم ففسدت لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء فى مثله فقيل يجب الهدى ولاقضاء وقيل يجب القضاء بلاهدى وقيل لايلزمه هدى ولاقضاء وقيل يلزمه الهدى والقضاء وقصة القضية مفصلة فى السير وعروة هذا اسلم لما انصرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وادركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين ارسلوه مشركا (ورأى) عروة (من تعظيم اصحابه له صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى) هذا فيه من المبالغة ما فى قوله تعالى (فغشيهم من اليم ماغشيهم) اى رأى من اكرامهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما لايمكن التعبير عنه لفواته الحصر ولذا ابهمه وان ذكر بعضا منه بقوله (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لايتوضأ الا ابتدروا) اى اسرعوا واخذوا (وضوءه) بفتح الواو اى بقية الماء الذى توضأ به وماتساقط منه قبل وصوله الى الارض (وكادوا) اى قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم

بعضا من (ان يقتتلوا عليه) اى على وضوئه واخذه لحرصهم على التبرك بمامسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (ولا بصق بصاقا) اى رمى شيئا من ريقه الشريف (ولا تنخم نخامة) بضم النون لان فعالة وضعها لكل قليل انفصل من شيء كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول مايخرج من الفم والثانى مايخرج من اقصى الحلق (الا تلقوها) اى النخامة (باكفهم) واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوها او جعلهما شيئا واحدا لاتحادها جنسا (فدلكوا بها وجوههم واجسادهم) تبركا بهما (ولا تسقط منه شعرة) بفتح العين وسكونها فى حلاقة رأس ونحوه (الا ابتدروها) وسارعوا الاخذها (واذا امرهم بامر ابتدروا امره) بالامتثال والامر مصدر او بمعنى المأمور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشانه وتنويها لقدره (واذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (خفضوا اصواتهم عنده) لتبيين مايقول لهم (ولا يحدون اليه النظر) اى لاينظرون اليه صلى الله تعالى عليه وسلم نظرا حديدا اى قويا اولا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل ينظرون اليه من طرف خفى مطرقين رؤسهم تأدبا لجلالته فى قلوبهم (تعظيماله) صلى الله تعالى عليه وسلم علة للنفى لا للمنفى اى يتركون كمال نظرهم لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رجع) عروة (الى قريش قال) لهم (يامعشر قريش) المعشر والمعشرة بمعنى (انى جئت كسرى) بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم (فى ملكه) فى زمن سلطنته (وقيصر) ملك الروم (فى ملكه و) جئت (النجاشى) ملك الحبشة (فى ملكه) فرأيتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشى بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كامر (وانى والله مارأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى اصحابه) اى لايعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه (وفى رواية) لحديث عروة (ان) بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما (رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه) كمثل (مايعظم محمدا اصحابه) ففيه مضاف مقدر ومامصدرية او موصولة اى كالتعظيم الذى يعظمه اصحابه فالعائد مقدر (وقد رأيت قوما) يعنى بهم الصحابة رضى الله عنهم (لايسلمونه) بضم اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع اسلمه يقال اسلمه لعدوه اذا امكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال اسلمه اذا القاه فى هلكة فهو عام اريد به خاص (ابدا) ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضى يعنى ان ما شاهدته من احوالهم فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم له يدل على انهم لايقصرون فى نصره ويبذلون انفسهم دونه واياكم ان تطمعوا فى خلافه وهذا بعض من حديث طويل رواه البخارى (وعن انس) فى حديث رواه مسلم قال فيه (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق) بتشديد اللام وهو الذى يحلق شعر رأسه فقوله (يحلقه) بتقدير مضاف (وقد اطاف به اصحابه) اى جلسوا حلقة حوله صلى الله تعالى عليه وسلم وطاف بمعنى دار واطاف

(بمعنى)

بمعنى استدار من غير حركة (فما يريدون ان يقع شعرة) من شعر رأسه (الا في يد رجل) منهم حرصا على التبرك بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والذى حلق رأسه وقلم اظفاره معمر بن عبدالله العدوى فى حجة الوداع وقال ابن الاثير فى الانساب انه خراش بن امية الكلبي وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبدالبر والذى حلقه بالجعرانة ابو هند وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لايحلق رأسه الا فى حج او عمرة (ومن هذا) اى تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (لما اذنت قريش لعثمان) بن عفان رضى الله تعالى عنه حين ارسله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم عن البيت وارساله لاعلامهم بانهم لم يأتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم اذنوا لعثمان رضى الله تعالى عنه (فى الطواف بالبيت) بعدم منعهم منه له كغيره (حين وجهه) اى ارسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجهتهم (فى القضية) اى قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كما مر (ابى) الطواف وهو جواب لما (وقال ما كنت لافعل) الطواف وحدى ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلنى لذلك فلا اطوف (حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ففيه من تعظيمه والوقوف عند امره مالا يخفى وهذه القصة مفصلة فى السير وحاصل ذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وارسلوا عروة لاعلامهم بذلك ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان لعظماء قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم معتمرا لامقاتلا فلما دخل مكة اجاره ابان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له ياعثمان ان شئت فطف فقال ما كنت لافعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع اصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذى عن طلحة رضى الله تعالى عنه وقال انه حسن غريب وقوله ما كنت لافعل ابلغ من لا اطوف (وفى حديث طلحة) الذى رواه الترمذى وحسنه (ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سله) اى سل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) فى قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه لازم مكانه نذر فى ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد فى سبيل الله وقتال اعدائه والثبات فى مواقفه حتى كانه نذر عليه والمراد هنا الثانى فمن اقتصر على الاول فقد قصر اى منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضى الله تعالى عنه (وكانوا) اى اصحابه (يهابونه ويوقرونه) فلا يكثرون سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم اجلالا له (فسأله) الاعرابى (فاعرض عنه) ولم يجبه (اذ طلع طلحة) اى كان اعراضه فى وقت طلوعه اى مجيئه لمجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله * فبينما العسر اذا دارت مياسير *

اى فاجأهم طلوعه عليهم بغتة (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) وهو طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمي احد العشرة وفي الصحابة طلحة تيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله تعالى (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) الآية وروى ابو نعيم انه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا هذه الآية على المنبر فسأله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيدالله فقال هذا منهم وكذا في سنن ابن ماجة وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير يحيي بن سلام هم حمزة واصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم عبدالله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة ابن عبيدالله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس بن النضر وطلحة بن عبيدالله وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله تعالى عليه وسلم في حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو احد العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي الآية كلام طويل في التفاسير وامالي ابن الحاجب ليس هذا محله (وفي حديث قيلة) الذي رواه ابو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل انها تميمية كما تقدم وحديثها في الشمائل وفيه قالت (فلما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال في القاموس القرفصى مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بضم القاف والراء ان يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه ويضعهما على ساقيه او يجلس على ركبتيه متكئا ببطنه بفخذيه انتهى (ارعدت) اى حصل لي رعدة واضطراب (من الفرق) بفتحتين اى شدة الخوف (وذلك) اى ما كان لي من الرعدة والخوف (هيبة له وتعظيما) لجلاله وعظمه في عين رائيه (وفي حديث المغيرة) ابن شعبة الذي رواه الحاكم والبيهقي (كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا اتوه لامر وهو في منزله (يقرعون) القرع ضرب خفيف وله صوت (بابه بالاظافير) جمع ظفر على غير القياس او جمع اظفور او اظفار بمعنى ظفر فاظافير جمع الجمع فالاول اولى لان جمع المفرد اقيس من جمع الجمع وهذا اى ذكر الباب والقرع يقتضى ان حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم كان لها باب من خشب ونحوه وقد ورد انه كان عليه ستر او مسح وجمع بانه كان من جلد يقرع فلا يحرر فان مثله لا يقال بالرأى واعلم ان مثل هذا هل يسمى حديثا اولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل

هو مرفوع ام لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقي في الفيته

لكن حديث كان باب المصطفى * يقرع بالاظفار مما وقفا
حكما لدى الحاكم والخطيب * والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى (وقال البراء بن عازب) ابن حارث الخزرجي الانصاري توفي في ايام مصعب بن الزبير في حديث رواه ابو يعلى وصححه (لقد كنت) اللام جواب قسم مقدر اي والله (اريد ان اسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر) من الامور التي تهمني او تخطر ببالي مما احتاج لبيانه (فاؤخر) بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول (سنتين) مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) صلى الله تعالى عليه وسلم اي من مهابته في قلبي وعظمته في نفسي ﴿ فصل واعلم ﴾ امر من العلم معطوف على ماقبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله (ان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهي المهابة اي احترامه والتأدب معه (بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم) على كل احد (كما كان) لازما في (حال حياته) لبقاء نبوته ورسالته (وذلك) اي ماذكر من احترامه وتعظيمه لازم (عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله) تقدم بيان المراد بهم (وعترته) بكسر العين وسكون التاء وكونها مثلثة خطأ من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم في امور دينية او دنيوية (وتعظيم اهل بيته) اي زوجاته وخدمه واتباعه وليس المراد به آله وعترته حتى يكون اطنابا (وصحابته) رضي الله تعالى عنهم (قال ابو ابراهيم التجيبي) بضم التاء وفتحها كما تقدم (واجب على كل مؤمن) خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه ايضا بناء على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به في الآخرة وعقابه عليه (متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده) وسمعه (ان يخضع) اي يبدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح وخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال خضع الحديث اي لينه (ويخشع) الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع اعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) اي يظهر الوقار والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) اي يشرع (في هيبته) اي اظهار مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (واجلاله) بتعظيمه حق تعظيمه (بما كان يأخذ به نفسه) اي يكلفها ويلزمها (لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم) حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويمثله وكأنه عنده (ويتأدب بما ادبنا الله به) مثل قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) الى آخره ولا ترفعوا اصواتكم وغيره كما تقدم آنفا

وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقرآن ايضا لدخوله في عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه في النصوص القرآنية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف رحمه الله تعالى ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديثي يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته حيا كما هو دأبه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما ورد في حقهم من المدح والتعظيم وقوله تعالى (فبهداهم اقتده) ولقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي تعظيمه ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الآتي رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي ولا يخفى ما فيه (قال القاضي) ابو الفضل عياض المؤلف (رحمه الله تعالى وهذه) الامور المذكورة من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم حيا وميتا وانثه باعتبار ما ذكر لقوله (كانت سيرة سلفنا الصالح ٢) اي دأب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ثم بين هذه السيرة بقوله (حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري) هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم (وابو القاسم بن بقي) بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وياء مثناة تحتية (الحاكم) وهو احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن يزيد بن بقي (وغير واحد فيما اجازونيه) اي روايته عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره (قالوا) اي قال هؤلاء كلهم (انبأنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث) بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء والف بعدها ثاء مثلثة بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال (حدثنا ابو الحسن علي بن فهر) بالكسر كاسم القبيلة قال (حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج) قال (حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية والف وباء موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن ايوب قاضي المدينة قال (حدثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل) قال (حدثنا ابن حميد) ما صغر ابن حميد ابن ثعلبة احد رواة مالك (قال ناظر) ماض من المناظرة وهي المباحثة في امر من الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله وفيه كلام في شرح آداب البحث ليس هذا محله (ابو جعفر امير المؤمنين) ثاني خلفاء بني العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ (مالكا) امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله (في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فرفع صوته في مناظرته (فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) النبوي المحترم واول من سمي بامير المؤمنين على العموم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضي الله تعالى عنه قال للناس انتم المؤمنون وانا اميركم فسمي بذلك

(٢) والائمة الماضين نسخه

(وكان)

وكان قبل ذلك يقال له ياخليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترز بابعلى العموم عن عبد الله بن جحش فانه سمي بها على الخصوص في ولايته على سرية اثنى عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمى بامير المسلمين يوسف بن تاشفين ٢ بن الملثم (فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم) الخ وتقدم تفسيرها (ومدح قوما فقال الذين يغضون اصواتهم) الى آخره وتقدم بيانها ايضا (وذم قوما فقال ان الذين ينادونك) الى آخره كما تقدم (وان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا) اي ما يجب ان يراعى في حقه في حيوته يراعى بعد مماته (فاستكان لها ابو جعفر) استكان افتعل من السكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما في القاموس وفيه كلام في التصريف وضميرلها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ماناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا (وقال) ابو جعفر للامام مالك (يا ابا عبد الله) كناه تعظيما له بسؤاله بقوله (استقبل القبلة) اصله ااستقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله

فوالله ما ادري وان كنت داريا ❊ بسبع رمين الجمار بثمان

وهو من خصائص الهمزة (وادعو) اذا اردت زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم (ام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي اجعل وجهي مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبرا القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة في الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم (فقال) له مالك رحمه الله تعالى (ولم تصرف وجهك عنه) اي عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء (وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه الصلوة والسلام الى الله يوم القيمة) المراد بالوسيلة وهي السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعاء وكنى بذلك عن جمع الناس اي هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله يوم القيمة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له (بل استقبله) صلى الله تعالى عليه وسلم بوجهك في دعائك عما تريد (واستشفع به) الى الله تعالى في الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه (فيشفعه الله) فيك ويقبل دعاءك وفي نسخة فيشفعك الله وهي مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المعمول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للمفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يرو الا في حكاية مفتراة على الامام مالك يعني هذه القصة التي اوردها المصنف رحمه الله هنا ولله دره حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو

(٢) تاشفين نسخه ظهراجع

باطل فان مذهب مالك واحمد والشافعي رضي الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعاء وهو مسطر في كتبهم وصرح به النووي في اذكاره وايضاحه وقال السبكي صرح اصحابنا بانه يستحب ان يأتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيد من رأس القبر نحو اربع اذرع فيسلم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يتأخر ويسلم على ابي بكر رضي الله تعالى عنه ثم يتأخر ويسلم على عمر رضي الله تعالى عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما اراد وقد نقل عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه يستقبله صلى الله تعالى عليه وسلم في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجي من ائمتنا وقيل في قوله وسيلة ابيك آدم ان آدم عليه الصلوة والسلام لما اكل من الشجرة ثم ندم قال يارب اسئلك بحق محمد الا غفرت لي فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لاني رأيت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا احب الخلق اليك فقال صدقت ياآدم انه لاحب الخلق الي ولولاه ماخلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم (قال الله تعالى ولو انهم اذظلموا انفسهم جاؤك الآية) استدل بهذه الآية على ماادعاه من التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادي عليه لوجدوا الله توابا رحيما لتعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم واستونس به لاستحباب استقباله ايضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حي في قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيما لرجاء شفاعته له لاشك في انه يتوجه اليه بقلبه وقالبه كما قاله ابن المقري رحمه الله تعالى

تخاطبه لما تناجيه مقبلا * على غيره فيها لاي ضرورة
ولو رد من ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر (وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني) وهو الامام ابو بكر البصري التابعي سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيره والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك (ما حدثتكم) اي رويت لكم (عن احد) من مشايخه (الا وايوب افضل منه قال) مالك (وحج حجتين) وكنت حاجا اذ ذاك (فكنت ارمقه) اي انظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه (ولا اسمع منه) شيئا يتكلم به لطول صمته كذا قيل والظاهر انه اراد لااسمع منه الحديث فارويه عنه لما سيأتي من قوله كتبت عنه (غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (بكى حتى ارحمه) اي يرق قلبي عليه رحمة له لما اراه منه (فلما رأيت منه مارأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) واتباع سننه في جميع احواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه

ثقة ظاهر العدالة فسمعت منه و (كتبت عنه) الحديث وروينه عنه وهذا يدل على كمال ورعه فى الرواية وانه لا يروى عن كل احد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على انه لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم واشتياقه له او لخوفه من تقصيره فى اتباعه او لاجلاله وتذكر مهابته حتى كأنه يراه وهذا اقرب للسياق (وقال مصعب) بصيغة المفعول علم منقول من الفحل الشديد (ابن عبد الله) بن مصعب بن ثابت الزبيرى الحافظ احد رواة الامام مالك (كان مالك) بن انس رضى الله تعالى عنه ورحمه (اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (يتغير لونه) بان يصفر كما يعترى من اشتد خوفه من شئ (وينحنى) اى يتضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحنى (حتى يصعب ذلك على جلسائه) وتلامذته لخوفهم عليه (فقيل له فى ذلك) اى سئل عنه وماسببه (فقال لو رأيتم مارأيت) من السالف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم (لما انكرتم على ماترون) مما شاهدتموه من حالى (لقد رأيت محمد بن المنكدر) بن عبدالله التيمى المدنى الحافظ توفى فى سنة خمس ومائتين اخرج له الستة (وكان سيد القراء) اى كان فى عصره رئيس العلماء العارفين بالقرآن وتفسيره ووجوه قراءته واحكامه (لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكى حتى نرحمه) شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة مهابته لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اولشدة شوقه الى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم وكاد هنا زائدة لتأكيد الكلام وقد ورد فى كلامهم كثيرا كما فى القاموس وهو احد الوجوه فى قوله تعالى (لم يكد يراها) اى لم يرها وهو المراد وابدا لمطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهى هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ماحضر واستمر كالمضارع فى قوله هنا الا يبكى قال الامام مالك رحمه الله تعالى (ولقد كنت ارى جعفر بن محمد) اللام فى جواب قسم مقدر ووقع فى بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه (الصادق) ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم (وكان كثيرا لدعابة) بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهى المزاح (والتبسم) وهو اقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا) وهو (على طهارة) اى بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفى الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه الحديث (ولقد اختلفت اليه زمانا) كثيرا اى ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب واتى وقتا بعد وقت فى اوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور (وما كنت اراه الا) مستمرا (على ثلاث خصال

اما مصليا واما صامتا) لايتكلم (واما يقرؤ القرآن) فيناجي ربه (ولايتكلم فيما لايعنيه) بفتح اوله اى يهمه ويجديه نفعا لصون لسانه عن اللغو (وكان من العلماء) بالعلوم الشرعية (و) من (العباد الذين يخشون الله) وهذا حاله فى منزله وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان فى ملأ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلامنافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله تعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن ابو بكر الصديق احد فقهاء المدينة توفى رحمه الله تعالى سنة احدى و ثلاثين ومائة وابوه احد الفقهاء السبعة (يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم) نزف مبنى للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح اوتقدير اذ اللون لاينزف والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله (ولقد جف لسانه فى فمه) الاصفرار لاالاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولاحاجة اليه وان جاز (ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير) بن العوام العابد الجليل القدر اخرج له الستة وتوفى بعد عشرين ومائه وترجمه معروفة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى لايبقى فى عينيه دموع) اى لبكائه بكاء شديدا لامس (ولقد كنت اتى صفوان بن سليم) مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهرى القرشى مات سنة اثنين و ثلاثين ومائة وكان اكثر اهل المدينة عباده وزهدا وفضلا وبها توفى كما قال (وكان) صفوان المذكور (من المتعبدين) اى المكثرين للعبادة المداومين عليها (المجتهدين) فى ادامة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل لمرتبة الاجتهاد فى احكام الدين لزياده فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة (فاذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده بكى فلايزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله (ولقد رأيت الزهرى) الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعى الامام الجليل المشهور توفى فى رمضان سنة اربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم (وكان من اهنأ الناس) اى اسهلهم واحسنهم خلقا والينهم عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل (واقربهم) الى الناس لحسن تردده لهم ومع ذلك (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ماعرفك ولاعرفته) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله تعالى هؤلاء بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم تصل لحالهم فلايتعجب منه (وروى عن قتادة) تقدم بيانه (اى كان اذا سمع الحديث) يقرؤ

عنده (احده) اى عرض له واستولى عليه حتى كأنه اخذه (العويل) بعين مهملة هو صياح مع البكاء (والزويل) بفتح الزاء المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويلة فى الدعاء اى ذهب ذعرة وهو مأخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه (ولما كثر على) الامام (مالك الناس) اى اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لايحصون كثرة واتوه من كل فج (قيل له لو جعلت مستمليا) اى احدا يجلس قريبا منك ويملى عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم و (يسمعهم) مايميده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن فى آخر الحلقة ولو للتمنى للمناسبة بينهما فى عدم الوقوع ولما لزم بما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ماقالوه من وضع مستمل فى الحلقة والاستملاء طلب الاملاء وهو القاء الكلام على الغير (فقال) مالك مجيبا ارشادا لهم وتأدبا مستدلا بقوله تعالى (قال الله ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم الى آخره) فقاس منع رفع الصوت فى مجلس قراءة الحديث على منعه فى مجلسه حال حيوته وبينه بقوله (وحرمته) اى احترامه وتوقيره (حيا وميتا سواء) فكما يلزم الاول يلزم الثانى ثم نقل مايوافق ماقاله مالك بقوله (وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وكان عبدالرحمن بن مهدى) بن حسان ابو سعيد الحافظ الثقة البصرى المعروف باللؤلؤى احد اعلام الحديث وقال ابن المدينى اعلم الناس بالحديث ابن المهدى توفى سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (اذا قرأ حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم) اى امر من حضر فى مجلسه (بالسكوت) والانصات لاستماعه (وقال) مخاطبا لمن عنده (لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ويتأول) الآية التى تلاها بجعل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على (انه يجب له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانصات عند قراءة حديثه مايجب له عند سماع قوله) حقيقة فى حيوته لما فيه من التوقير وحرمه وحسن الادب كما قيل

حديثه اوحديث عنه يطربنى * هذا اذا غاب اوهذا اذا حضرا

فان قلت ماقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل فى مجلسه ينافى مانقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فرأى ان المستملى لابد منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لايضع مستمليا اذا سمعوه لان اعلى مرتبة السماع ماكان من لفظه فان لم تيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلى رضى الله تعالى عنه يبلغ الناس فعلم ماتقرر انهم ان كثروا بحيث لايكفى مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملى على مكان واحد مرتفع من كرسى ونحوه اوقائما ان امكنه

﴿ فصل في سيرة السلف ﴾ وعادتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسننه) عطف تفسير لشمولها لاقواله وافعاله وجميع مايتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي آخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما ادرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث واتى له بشاهد رواه مسندا فقال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) المعروف بابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا ابو الفضل بن خيرون) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال (حدثنا ابو بكر البرقاني) وهو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخارزمي الشافعي شيخ بغداد واحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وابي اسحق الشيرازي وابن خيرون وتوفي ببغداد في اول رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف (وغيره) قال (حدثنا ابو الحسن الدارقطني) شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدار قطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال (حدثنا علي بن مبشر) ابن اسمعيل الكلبي الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال (حدثنا احمد بن سنان القطان) ابو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام اهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين واخرج له اصحاب السنن قال (حدثنا يزيد بن هارون) ابو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد احد الاعلام قال ابن المديني مارأيت احفظ منه وعمي في آخر عمره وتوفي سنة ست ومائتين واخرج له الستة قال (حدثنا المسعودي) عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة وهو مسلم بن عمران ابو عبدالله الكوفي وثقه احمد واخرج له الستة (عن عمرو بن ميمون) العابد التابعي الازدي ادرك زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج مائة حجة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة (قال اختلفت الى ابن مسعود) اي ترددت عليه (سنة) تمييز (فما سمعته) اذا حدث (يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صونا لذكره وهيبة له واحتياطا في النقل عنه (الا انه حدث يوما) بحديث نقله (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) اي ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس (فرأيت العرق يحدر) اي ينزل سائلا منه منفصلا (عن جبهته ثم قال) ابن مسعود (هكذا) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رويته لكم مساوي له لفظا ومعنى (ان شاء الله) اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور تفصله في كتاب

(ابن الصلاح)

ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول مالم يقله (او فوق ذا) اى يزيد عليه يسيرا (او مادون ذا) اى ينقص عنه (او ماهو قريب من ذا) بمخالفته بامر قليل جدا وهو احتياط منه رضى الله عنه (وفى رواية فتربد وجهه) بباء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين اى تغير لونه لكموده من شدة الكرب (وفى رواية وقد تغرغرت عيناه) اى امتلأ تا بدمع متردد كالماء فى فم من يتغرغر به فهو مجاز كما فى حديث تقبل توبة العبد مالم يغرغر اى تبلغ روحه حلقومه كماء الغرغرة (وانتفخت اوداجه) جمع ودج بفتحتين وهو عرق غليظ فى العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرها بغليان الدم لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه (وقال ابراهيم بن عبدالله بن قريم) بضم القاف وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم (الانصارى قاضى المدينة) ذكره فى التهذيب والميزان واخرج له الترمذى فى علل جامعه ولم يترجموه وروى عن مالك كما قال (مر مالك بن انس على ابى حازم) بحاء مهملة وزاء معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام الذى روى عنه مالك وغيره ثقة لم يكن فى زمانه مثله توفى سنة اربعين ومائة واخرج له الستة (وهو يحدث) اى يروى الحديث لمن عنده (فجازه) اى تجاوز مجلسه ولم يقف (وقال) حين سئل عن سبب ذلك (انى لم اجد موضعا اجلس فيه) لكثرة الناس (فكرهت ان آخذ) اى اسمع لاروى (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واسماعه فى محل يخل بتعظيمه وهكذا كان دأبه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لاينافى مانقل عنه من انه كان لايعمل بالحديث مالم يوافق عمل اهل المدينة فانه لشدة احتياطه فى احاديث الاحكام فلاوجه لايراد هذا هنا وقيل التعظيم شيء آخر لامساس له هنا (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع) اى واضع جنبه على الارض والجملة حالية (فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت) اى كان احب الى (انك لم تتعن) اى لم تتعب وتترك راحتك (فقال انى كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) تعظيما للحديث وتأدبا معه (وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده) فى حال ضحكه (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اى اظهر الخشوع والاستكانة تأدبا ومهابة (وقال ابو مصعب كان مالك لايحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) اى متوضأ متطهرا (اجلالا له) اى للحديث (وحكى مالك ذلك) اى الحديث على وضوء (عن جعفر ابن محمد) الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب وقد تقدم قريبا (وقال مصعب بن عبدالله) وهو الزبيرى كما تقدم (كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اذا اراد ان يحدث عنه (توضأ وتهيأ ٢) للحديث

(٢) ولبس ثيابه نسخه

باصلاح هيئته فى ثيابه وجلوسه (ثم يحدث) تعظيما لذلك (قال مصعب فسئل عن ذلك) اى عن الداعى له (فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة لانه وهو من بليغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فيقول انه فلان ولا تزيد اى حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغنى عن بيان وجهه فلا حاجه لتقدير وهو جدير بالتعظيم كما قيل (وقال مطرف) بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء وهو مطرف بن عبدالله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن اخت الامام مالك توفى سنة عشرين ومائتين وترجمته فى الميزان (كان اذا اتى الناس مالكا) لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا خروجه لاقرائهم (خرجت اليهم الجارية) اى ارسلها جارية له فيه (فتقول لهم) لما تعلم من العادة (يقول لكم الشيخ) تعنى مالكا (تريدون الحديث) بتقدير اداة الاستفهام اى اتريدون قراءة الحديث وسماعه (او المسائل) تعريفه للعهد اى مسائل الفقه (فان قالوا) نريد(المسائل) اى قراءتها (خرج اليهم) بسرعة من غير تهيء (وان قالوا) نريد (الحديث) اى قرائته (دخل مغتسله) اى موضعه المعد للغسل والطهارة فى بيته (واغتسل وتطيب) وتضمخ بما تطيب رائحتــه (ولبس ثيابا جددا) بضم اوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر (ولبس ساجه) هو الطيلسان مطلقا اوالاخضر اوالاســود منه وهو شىء كالبرلس (وتعمم) اى وضع عمامته المعدة للتجمل على رأسه (ووضع على رأسه رداءه) على عادة اشراف العرب (وتلقى له منصة) فى محله المعدله لاقرائه وهو بكسر الميم وفتحها شىء عال كالكرسى والسرير من نصصته اذا رفعته (فيخرج) من بيته للناس (ويجلس عليها وعليه الخشوع) اى السكينة والوقار (ولا يزال يبخر) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل بمعنى يأمر (بالعود) الهندى المعروف فيوقد عنده ليعطر مجلسه به (حتى يفرغ من) قراءة (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة فجمل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم (قال غيره) اى غير مطرف (ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه (قال ابن اويس) هو اسمعيل بن عبدالله بن اويس بن ابى عامر وقيل اسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفى سنة ست اوسبع وعشرين ومائتين فى رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن اخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين ســنة واخرج له فى الصحيحين والسنن وضعفه النسائى لانه كان مغفلا كما قاله ابو حاتم وترجمته فى الميزان (فقيل لمالك فى ذلك) اى ســئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه (فقال احب ان اعظم حديث رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم) بمافعلته (ولا احدث به) اى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا على طهارة) كاملة (متمكنا) اى جالسا فى مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز لمافيه من عدم المبالاة بماحدث عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال وكان) مالك رحمه الله تعالى (يكره ان يحدث) اى ينقل الحديث وهو مار (فى الطريق اووهو قائم) على رجليه (او مستعجل) اى على عجلة فيتأنى فان الخير كله فى ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطىء فيما نقله (وقال) مالك (احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلذا تأنى فى نقله ليكون اعون على فهمه (وقال ضرار بن مرة) ابو سنان الشيبانى الكوفى العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن (كانوا) اى السلف ومن لقيهم من التابعين (يكرهون ان يحدثوا) اى ينقلوا (الحديث) النبوى (على غير وضوء) وطهارة (ونحوه) روى (عن قتادة) بن النعمان وقد تقدمت ترجمه وفى نسخة هنا (وكان الاعمش) سليمان بن مهران (اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء) ولم يمكن منه (تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة) ويأتى الكلام على ذلك آخر الفصل (وقال عبدالله بن المبارك) تقدمت ترجمته (كنت عند مالك) بن انس (وهو يحدثنا) اى ينقل لنا الحديث (فلدغته عقرب) اى فى حال قراءته والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها فى رأس ذنبها فاذا ضربت به احدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللدغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح ان داله مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة وقال بعض العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان فى كلمة عربية اما لذع النار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله (ست عشر مرة) كذا فى النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء فى جزئه الثانى كذا قيل وفيه نظر (وهو يتغير لونه ويصفر) عطف تفسير (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) احتراما له واجلالا (فلما فرغ من المجلس) اى اتم نقل الحديث (وتفرق عنه الناس) المستمعون له (قلت له يا ابا عبدالله لقد رأيت منك اليوم عجبا) اى امرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحريكك (قال نعم) ماقلته صحيح (انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث (وقال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق) وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه اهل المدينة (فسألته) وانا ماش معه فى الطريق (عن حديث) من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (فانتهرنى) اى زجرنى والنهر الزجر كما قال الله تعالى ﴿ واما السائل فلا تنهر ﴾ (وقال) بعد الزجر باسكت ونحوه موبخا لى (كنت فى عينى) كناية عن اعتقاده فيه النشأ

عن رؤيته (اجل من ان تسألني) فيه توسع معروف كا كثر من ان يحصى اى اعظم من السائلين (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وسأله) يعني الامام مالك رحمه الله تعالى (جرير بن عبد الحميد القاضي) الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة روى عنه البخاري وغيره من اصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفى سنة ثمان وثمانين ومائة (عن حديث وهو قائم) الضمير لجرير ويجوز ان يكون لمالك رحمه الله تعالى (فامر) مالك (بحبسه) قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره واجيب بان الولاه كانوا يمتثلون امره فالمعنى ارسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويقضي فان كان اذن له في القضاء في بعض الامور فهو على ظاهره (فقيل له انه قاض) لا يليق حبسه (فقال القاضي احق من ادب) بالهمزة المضمومة لا بواو وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلماء والاشراف اولى برعاية الادب فاذا تركوه كانوا احق بذلك من العوام (وذكر ان هشام بن الغازي) بغين وزاء معجمتين بزنة فاعل من الغزو قالوا وهذا ليس بصواب فان هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي مات قبل مالك ولم يرو عنه والحكاية المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها تصحفت على الناسخ وصوابها القارى بالقاف والراء المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي اسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت (سأل مالكا عن حديث وهو) اى هشام او مالك (واقف فضربه عشرين سوطا) وهذا دليل على انه كان مأذونا له في اجراء الاحكام على تلاميذه اوكان يعلم برضاهم بحكمه فهو محكم فيهم (ثم اشفق عليه) اى حصل عنده رقة قلب وشفقة اضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بناء على انه يجوز ان يزاد التعزير على عشره اسواط في غير الحدود كما هو مذهب ابي حنيفة والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه اشفاقه عليه (فحدثه) اى افاد مالك هشاما ماورى له (عشرين حديثا) تطييبا لخاطره (فقال هشام) بعد ذلك لاصحابه (وددت) اى احببت يقال وددت كذا اذا رغبت فيه واحببته (لو زادني سياطا) اى ضربا بها (ويزيدني حديثا) بعدد زيادة ضربه ولو مصدرية او شرطية جوابها مقدر (وقال عبد الله بن صالح) الجهني ويقال له الحربي العجلي وله ترجمة في الميزان مطولة توفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة واخرج له اصحاب السنن (كان مالك والليث) بن سعد بن عبد الرحمن الفهري المصري الفقيه البارع الذي قيل فيه انه كان افقه من مالك الا ان اصحابه اضاعوه وهو من تبع التابعين توفى سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك اخبرني من ارضى به

(٢) الحديث تحفه

من اهل العلم فهو الليث (لايكتمان العلم (٢) الا وهما طاهران) اى على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانهـا بالواو وتركها لاصفة واوها للالصـاق كما قيل وتحقيقه فى كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه لا الحديث (وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء) اى متوضأ تعظيما لحديثه صلى الله تعـالى عليه وسلم (ولا يحدث) بتشديد الدال اى ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول ان يسمع من غيره حديثـا (الا على طهارة) قيل المراد انه يغتسل بقرينة ماقبله (وكان الاعمش) سليمان بن مهران كما تقدم (اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة معترضة او حالية (تيمم) ان لم يحضر عنده الماء بسهولة لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث آداب اخر ذكرها المحدثون كافتتـاح اول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم وان لا يقوم من مجلسه لاحد من الناس ﴿ فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ اى تعظيمه وتجيله (وبره) اى صلته ورعاية جنابه وللبر معان اخر غير مرادة هنـا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (برآله) تقدم ان فى آله خلاف فقيل انهم ذووا القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء وان اصله اول وقيل اهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم (وذريتـه) الذرية النسل من الاولاد واولادهم وهو بضم الدال وكسرها وفى اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول احوالهم وقيل من ذرأ بالهمزة بمعنى خلق والتزم ابدالهـا ياء بعد النقل (وامهـات المؤمنين) فسره بقوله (ازواجه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى اوزوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف فى وجهه هل هو لتكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم او انه حى ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن امهات للمؤمنات ايضا فقيل لا والا حرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيـه جميع وجوه الشبه واسماء ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورة فى السير قدمناها ايضا (كما حض) اى حث وحرض بطلبه من كل احد (عليـه) اى على بر من ذكر (عليه الصلوة والسلام) بما روى عنه من الاحاديث وسيأتى بعضها (وسلكه السلف الصالح) من الصحـابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين والتقدير سلك طريقه اوشبه برهم بطريق مسلوك فهو استعارة مكنية تخيلية ثم ايده بدليل من القرآن فقال (قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اصل معناه القذر الحسى ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد (اهل البيت) نصب على النداء والمدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا ترشيح لاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية على ان اهل بيته ذريته وازواجه كما اختاره

ابن عطية فى تفسيره وهو احد الاقوال فيه وقيل لهم اهل الكساء الآتى بيانهم على وفاطمة وابناها لما روى فى الحديث انه خرج عليه الصلاه والسلام غداة وعليه مرط مرجل فادخلهم فيه ثم تلى الآية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير يأباه ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الآثام احبه الله ورسوله ومن احباه يلزمنا محبته وبره وصلته (وقال تعالى وازواجه امهاتهم) ان كانت شاهدا لتسمية امهات فهو ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها امر معلوم مركوز فى الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن والحصر يقتضى ان اكرامهن احق فى الامهات الحقيقية ثم اسند المصنف رحمه الله تعالى حديثا صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه فى غيره من السنن كمسلم والنسائى بسند اعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة ولانه اسلم من التدليس فقال (اخبرنا الشيخ ابو محمد) عبدالله (بن احمد) التيمى (العدل من كتابه وكتبت من اصله) اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التى قرأ منها قال (حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغانى) بفاء وغين معجمتين نسبة لفرغانة اسم بلدة قال (حدثتنى ام القاسم بنت الشيخ ابى بكر الخفاف قال حدثنى ابى قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحمانى قال حدثنا وكيع) هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عبدى الرواسى احد الاعلام المشهورين توفى سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن ابيه) الجراح (عن سعيد بن مسروق) الثورى الثقه توفى سنة ست وعشرين ومائة واخرج له الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمى الثقة (عن زيد بن ارقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله) اى اسألكم بالله واقسم عليكم به يقال انشدك الله وبالله اى اذكرك به ثم استعمل فى القسم وصار حقيقة فيه وليس السؤال مرادها بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام (واهل بيتى) معطوف على الله اى واذكركم اهل بيتى فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لى وقيل انه منصوب بنزع الخافض اى فى اهل بيتى كما روى فى هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المرى ومن تبعه هنا الله فى اهل بيتى (ثلاثا) كرره للاهتمام به والتشديد فى رعايتهم (قلنا لزيد) بن ارقم راوى الحديث لما ذكره وما فى بعض النسخ ليزيد من غلط الكاتب (من اهل بيته) اى ما المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على) بن ابى طالب وهم اولاده واهل بيته من اقاربه الادنون (وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس) وهم من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم فى فضائل آل البيت فى خطبة خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع فى آخر عمره قال فيها اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان يأتى رسول ربى فاجيبه

وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به واهل بيتى وفيه ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذى فهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا لانه علم بالوحى مايكون بعده فى امر الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو احد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم واهل بيته كما تقدم لاوجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا (وقال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم) اشارة الى قرب اجله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه وصية لامته (ما ان اخذتم به) اى تمسكتم وعلمتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة اوموصولة وصلته (لن تضلوا) بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم (كتاب الله) بدل مفسر له (وعترتى) بمثناة فوقية ومعناه (اهل بيتى) السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروى لم تضلوا وما قيل ان قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلايبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الآية على دخول ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد منه هنا (فانظروا كيف تخلفونى فيهما) اى بعد وفاتى انظروا فى عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتى ورعايتهم وبرهم بعدى فان مايسرهم يسرنى وما يسؤهم يسؤنى (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث لم يخرجوه (معرفة آل محمد براءة من النار) اى معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية مايجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على خلوص محبته له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وحب آل محمد جواز على الصراط) اى مرور عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فان المرء مع من احب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا غريبا (والولاية) بفتح الواو ويجوز كسرها لانهما بمعناها وان اشتهرت فى الملك والحكومة اى الموالاة بالنصرة والمودة (لآل محمد امان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم) اى معرفة الآل المذكورة (هى معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم) والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهى قرب نسبهم ومراتبهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا علق به قوله منه (واذا عرفهم بذلك) اى بسبب علو مراتبهم لقربهم منه (عرف وجوب حقهم وحرمتهم) اى احترامهم واكرامهم (بسببه) صلى الله تعالى عليه وسلم لالغرض آخر وقد دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمن احبهم لحبه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد السمهودى الذى صنفه فى فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا (وعن عمر بن ابى سلمة) فى حديث رواه الترمذى وابن

ابي سلمة هو الصحابي المخزومي ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن اخيه من الرضاع وترجمته مشهورة (لما نزلت) آية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية) وقد قدمنا تفسيرها فكفيناه مؤنتهما (وذلك) اى نزولها كان (في بيت ام سلمة) ام المؤمنين رضي الله عنها (دعا) جواب لما اى طلب صلى الله عليه وسلم ونادى (فاطمة) الزهراء رضي الله عنها (وحسنا وحسينا) سبطاه وريحانتاه رضي الله تعالى عنهما (فجللهم) اى غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس (بكساء) وهو مرط من شعر كما ورد في رواية اخرى (وعلي) كرم الله وجهه (خلف ظهره) صلى الله تعالى عليه وسلم داخل الكساء ايضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء (ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي) ليس المراد الحصر او هو مراد لارادته اقرب الناس اليه نسبا (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) اى جنبهم الآثام والمعاصي ومايشينهم ولذا سموا اهل الكساء وادخالهم في الكساء اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم وان الله سترهم كما سترهم الكساء وانه صانهم واحرزهم تفاؤلا بذلك كما حول صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه في الاستسقاء اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هي فيه وذلك سبب الدعاء وانما دعالهم بما ذكر بعد ماذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لاتتخلف عن مراده اما تأكيدا او تنويها بقدرهم ليعلم الناس به او المراد دوام ذلك وثباته وزيادته (وعن سعد بن ابي وقاص) في حديث رواه مسلم في صحيحه (لما نزلت آية المباهلة) تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة اى الملاعنة وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والآية هي قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم) الى آخرها وذلك لما وفد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم نصارى نجران ودعاهم للاسلام لم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير (دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب لما اى احضر عنده (عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم) لانهم كانوا في المباهلة يحضرون اولادهم واهلهم ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب واهله جميعا ولذا قال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم هؤلاء اهلي) واقربائي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبي وانه ماباهل نبي قوما الا واهلكهم الله تعالى ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادي نارا وحكم المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك من باهله (وقال صلى الله عليه وسلم) في حديث تقدم (في علي) بن ابي طالب اى في حقه وشأنه وسبب قوله هذا ان اسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا في سفره وهو عند غديرهم وقد خطب الناس

فقال (من كنت مولاه) اى لى عليه ولاء وحكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والمعسر الى غير ذلك من المعانى وقال الشافعى رحمه الله تعالى المراد ولاء الاسلام وقوله (فعلى مولاه) اى سيده وناصره واستدل به على الولاء بعض الفقهاء وغيرهم يقول المراد بره وصلته وهو الموافق لسياق المصنف رحمه الله واستدل به بعض الشيعة على تقدم على كرم الله تعالى وجهه على غيره فى الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معانى المولى وانما المراد من احبنى يحبه لقوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) اى من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجاز او مشاكلة (وقال فيه) اى فى حق على كرم الله وجهه كما فى مسلم (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) لان من احب اصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك ففى قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة فى النهى عنه ولكون ظاهره الاسلام وارتكب مالا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله فى الخطابيات كثير (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للعباس) بن عبد المطلب عمه فى حديث صحيح رواه الترمذى وابن ماجة (والذى نفسى) اى روحى ومابه حياتى (بيده) اى فى قبضة تصرفه لانه المحيى والمميت وهو قسم للتأكيد والتحقيق (لا يدخل قلب رجل الايمان) اى لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا فى الدخول استعارة ظاهرة (حتى يحبكم) يعنى آله صلى الله تعالى عليه وسلم واقرباءه فجعل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم (لله ورسوله) اى محبة خالصة من الاعراض الدنيوية والرياء فانما هى لمحبة الله ورسوله ورضاها (ومن آذى عمى) بشئ يؤذيه (فقد آذانى) لان مايؤذى آل بيتى يؤذينى (وانما عم الرجل صنو ابيه) الصنو بكسر الصاد المهملة وضمها وهو هنا بمعنى المثل اى فى المعنى ابوه والرجل نظار لابيه ويؤذيه مايؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر يخرج من اصل واحد فاستعير للاخ وللاذكر اى كأنه ابى يجب على بره وكذا على غيرى وروى العباس صنوى اى مثلى فى النسب وسبب قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له ما اغضبك قال يارسول الله مالنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ماذكره المصنف رحمه الله تعالى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم للعباس) ايضا فى حديث رواه البيهقى (اغد على ياعم) اى ائت يقال غدا عليه اذا اتى واصل معناه المجئ فى وقت الغداة فاستعمل فى مطلق المجئ (مع ولدك) اى مع اولادك وكان له رضى الله تعالى عنه اذا ركب عدة اولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث واشهرهم عبد الله وهو الحبر وترجمان القرآن وابو الخلفاء

(فجمعهم) اى فجمع العباس رضى الله تعالى عنه اولاده عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوالمراد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزى فى الوفاء ان الذى جمعهم من اولاده سبعة (وجللهم) اى غطاهم وسترهم والبسهم (بملاءته) بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو رداء او ملحفة وقد يخص بما يكون من ثوبين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ماضمهم كما فعل مع على واهله فيما تقدم (هذا عمى وصنوابى وهؤلاء اهل بيتى) اى من اقربائى (فاسترهم من النار كسترى اياهم) اشارة الى وجه ادخاله فى ملاءته كما تقدم (فأمنت) بتشديد الميم اى قالت بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعائه هذا (اسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء بزنة طرطبة ويقال اسكوفة فابدل احد حرفى التضعيف واوا وتخفيف فاؤه ايضا وفسر بالعتبة التى فى اسفل الباب وتطلق على مايقابلها من اعلاه ايضا (وحوائطه) جمع حائط وهو معروف (آمين آمين) بالمد ويقصر ويشدد وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول امنت لانه تضمن معنى قالت او مقدر قبله وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة لاهل البيت (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث رواه البخارى (يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن) اى يمسكهما بيده وسقط لفظ بيد من بعض النسخ فالمعنى يضمهما اليه (ويقول) داعيا لهما (اللهم انى احبهما فاحبهما) بالادغام ويجوز فكه فيقال احببهما والامر للدعاء ودعا بذلك لعلمه بان من احبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه الله وعكسه والقول بان احبهما مشاكلة لاوجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايته ورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبه (وقال ابو بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه (ارقبوا محمدا) ارقب وراقب من المراقبة وهى ادامة الطرف مقابلة شئ ثم اريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا اى حقه عليكم (فى اهل بيته) اى فى رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تحقق بذلك بعد موته (وقال) ابو بكر رضى الله عنه (ايضا) اى كمالته المذكورة فيما رواه الشيخان عنه (و) الله (الذى نفسى) اى روحى وحيوتى (بيده) بقبضة تصرفه (لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهى مصدر صارت اسم جمع لقريب النسب (احب الى ان اصل) اى صلتهم بدل اشتمال من قرابة (من قرابتى) فيه مضاف مقدر اى من صلة قرابتى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لما ارسلت اليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها تطالب ميراثها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نورث ليس لآل محمد ان يزيدوا على المأكل لاغير شيئا كان فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه (احب الله من احب حسنا) دعاء او خبر لحب حسن حسن وبعضه قبيح وروى حسينا (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث تقدم (من احبنى واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما) عليا رضى الله عنهم وهو معطوف على هذين (وامهما) فاطمة الزهراء رضى الله عنها (كان معى فى درجتى) بدل من معى اى فى منزلتى ورتبتى فى الجنة (يوم القيمة) ان كان على ظاهره وانه معه فى المحشر فهو كناية عن سلامة من هو له فان اريد به الآخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه لايساويه صلى الله تعالى عليه وسلم فى درجته احد كقوله المرء مع من احب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من اهان قريشا اهانه الله) لانهم اكرم الناس فى الجاهلية وكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفى الاسلام لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب او التجمع لاجتماعهم فى الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة فى البحر لاتطاق كما قيل

وقريش هى التى تسكن البحر * ربها سميت قريش قريشا

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن على وابن ابى شيبة عن سهل (قدموا قريشا) فى كل امر من الامور لاسيما فى الامارة والخلافة واقتدوا بمآثرهم (ولا تقدموها) نهى عن تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة واصله تتقدموا بتائين حذفت احديهما تخفيفا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لام سلمة) فى حديث رواه البخارى (لاتؤذينى فى عائشة) رضى الله تعالى عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولى له صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر الناس بان يهدوا له حيث كان او حيث يرى فذكرت ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان فى الثالثة قال لها ياام سلمة لاتؤذينى فى عائشة فانه مانزل على الوحى وانا فى لحاف امرأة منكن غيرها فبين صلى الله تعالى عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة رضى الله تعالى عنها على سائر امهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكى الذى ندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الرأى فى هذا التوقف لتقابل احاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحى بلحافها وجه بانها كانت تبالغ فى التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وحفظها لاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشيء واحد رضي الله عنها (وعن عقبة بن الحارث) في حديث رواه البخاري عنه (رأيت ابابكر) الصديق رضي الله عنه (و) قد (حمل الحسن على عنقه) اى حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز (وهو يقول) الجملتان حاليتان اى حاملا و قائلا شعرا من مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مخزوم (بابي شبيه بالنبي) اى افدى بابي من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده (ليس شبيها بعلي) اى ليس شبيها بابيه رضي الله تعالى عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والباء متعلقة بافدى فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهي عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم واجيب بانه قبل النهي عنه وهو بعيد والظاهر ان النهي عن القسم الحقيقي لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله في غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما ارادا ويقال تأبى وابي بي و با ألرجل اذا قال بابي (وعلي يضحك) من فعل ابي بكر رضي الله تعالى عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل احد يشابه اباه * ومن يشابه ابه فما ظلم * ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا سماه صلى الله تعالى عليه وسلم ابنا له وجعل نسبه منه وهي خاصية لحكم ربانية وقد روى ان فاطمة رضي الله تعالى عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابي شبيه بالنبي الخ فيحتمل التوارد او ان ابابكر تمثل به بعدما سمعه ووقع في البخاري ليس شبيه بعلي بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف اى ليس الشبيه غيره وقد يؤول بغير ذلك وهذا لا ينافي ما في الشمائل لم ارقبله ولا بعده مثله لان المنفي المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل اخص من الشبيه ولا ينتفي الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان اعلاه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين اسفله وجعفر بن ابي طالب وقثم بن عباس والسائب بن يزيد احد اجداد الشافعي وابو سفيان بن الحارث وكابس ابن ربيعة الآتي في كلام المصنف مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وابنه القاسم رضي الله تعالى عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

بخمسة شبه المختار من مضر * يا حسن ما حولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وابي سفيان والحسن

وقال ابو محمد الآمدي وزاد اثنين وقيل انه للعراقي رحمه الله تعالى

وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما * لهم بذلك قدر قد زكى ونما
سبطا النبي ابوسفيان سائبهم * وجعفر وابنه ذوالجود معْ قثما

﴿ وقال ﴾

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

قد اشبه المصطفى الهادى ثمانية * من صحبه فملا فى الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدى الحسن فقال * قد اشبه المصطفى المختار من مضر * جماعة عدهم يربو على العشرة * سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه هم سادة خيرة
وسائب مسلم وكابس قثم * وسبط نجد عقيل وابنه البررة

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن ونظموها نظما متكلفا ولذا لم اتعرض له فتابعهم ابن الشحنة فى نظم له خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثانى وزيد بن عبد الله ابن الحارث الملقب مية وقدمات فى حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم وزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال انه اشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل ايضا وشبه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم على بن بجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوى ومنهم كما قيل المهدى الذى يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم تسمحوا فى وجه الشبه فى الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد اعطى صلى الله عليه وسلم الحسن كله واعطى يوسف عليه الصلوة والسلام شطره فهو كما قيل

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(و) روى (عن عبد الله بن حسن بن حسين) بن على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو من ثقاة آل البيت وفضلائهم وله ترجمة واخرج له اصحاب السنن (قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل الىّ او اكتب لى) كتابا تعلمنى فيه بحاجتك (فانى استحيى من الله تعالى ان يراك) واقفا (على بابى) كما هو المعتاد لمن اتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآله (وعن الشعبى) عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقى وصححه (قال صلى زيد بن ثابت) بن قيس بن شماس الانصارى الصحابى المشهور رضى الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكلبى (على جنازة امه) اى ام زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت او التابوت وامه هى النوار بنت مالك بن معاوية ابن عدى بن عامر الانصارية (ثم قربت له بغلته ليركبها) فلما ركبها (جاء ابن عباس رضى الله عنهما فاخذ بركابه) اى امسكه ليركب او مشى معه ماسكا ركابه (فقال زيد) لابن عباس (خل عنه) اى دع الركاب وتباعد عنه (يا ابن عم رسول الله) يعنى انه لا يليق مثله بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل احد (فقال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مجيباله (هكذا نفعل بالعلماء) اى مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا (فقبل زيد يد ابن عباس) تعظيماله وجزاء لاكرامه

(فقال هكذا امرنا بان نفعل بآل بيت نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الصحابي امرنا
كما بين في مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبتهم (ورأى) عبدالله (ابن عمر) بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما احد العبادلة المشهور (محمد بن اسامة بن زيد) بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وهذا الحديث في صحيح البخاري (فقال ليت هذا عندي) بكسر العين وسكون
النون او فتحها والباء الموحدة الساكنة وروى بالوجهين والذي رجحوه الاول وهكذا
ضبطه الحافظ العراقي وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن عرفه حين رآه (فقيل له هو محمد
بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) اي خفضها واطرق حياء لما عرفه (ونقر بيده الارض) وهو
يتفكر فيما قاله ندما عليه (وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) كما كان يحب اباه
اسامة وانما فعل ذلك وقال ذلك تعظيما لموالي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاوزاعي)
الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان عليه اهل المغرب قبل اتباع مذهب
الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير او همدان او قرية وقد
تقدم (دخلت بنت اسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمها فاطمة
وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبدالبر (صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
بالجر صفة اسامة او زيد فان كلا منهما صحابي مشهور (على عمر بن عبدالعزيز) وهو خليفة
وقيل انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة قبل خلافته في خلافة الوليد بن عبدالملك بن مروان
والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر في تاريخه وان اسامة توفي بقرية
يقال له بوادي القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى ان ولي عمر بن عبدالعزيز
(فاتته ومعها مولى لها) اي عبد (يمسك بيدها) لكبرها وضعف بصرها (ف) لما رآها عمر
(قام لها ومشى اليها) تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالي رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم (حتى جعل يدها بين يديه) بان امسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها (ويداه في ثيابه)
اي مغشاه ٢ بكمه حتى لا يمس بدنه بدن اجنبية لتقواه (ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه) اي (٢) مغطاة نسخه
على فراشه الذي كان جالسا عليه (وجلس بين يديها) كما يفعله الصغير مع الكبير تأدبا منه واكراما
وتعظيما (وما ترك لها حاجة) ذكرتها له (الا قضاها) ونجزها وكان قال لها ما حاجتك يا فاطمة
قالت تحملني الى اخي فجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله تعالى الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم
الخلافة عن قضاء الحوائج للناس والتواضع لهم (ولما فرض عمر) بن الخطاب رضى الله عنه
في ديوانه الذي رتب فيه الوظائف للناس وهذا مما رواه الترمذي وحسنه فلما عين
من بيت المال لهم فرض (لابنه عبدالله) وظيفة (في ثلاثة آلاف) اي في الطبقة التي
واحد منها ثلاثة آلاف في السنة (و) فرض (لاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف
وخمسمائة) فجعل وظيفته من بيت المال في رتبة اعلى من ابنه عبدالله (قال) جواب لما

(عبدالله)

(عبد الله) ابنه (لابيه) عمر رضي الله تعالى عنهما (لم فضلته) على بزيادة عطائه (فوالله ماسبقني الى مشهد) اى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها (فقال) عمر (له) اى لابنه مجيباله (لان زيدا) اباه (كان احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابيك) يعني نفسه (واسامة احب اليه منك) فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لالسبقه لك وهي امر يقتضي التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لخدمته لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يارسول الله اى الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولك ان تقول الاحبية تختلف فاسامة رضي الله تعالى عنه احبيته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر احب اليه من غير ذلك الوجه فآثر القرب منه على غيره ثم ان ماذكره من الفرض المذكور يخالفه مافي الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة آلاف ولابنه ثلاثة آلاف لكنه لاينافي المقصود من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه (فآثرت) اى اجزت وقدمت (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حبي) بضم الحاء فيهما اى محبته او بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي (وبلغ معاوية) ابن ابي سفيان رضي الله تعالى عنهما فيما رواه ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) بن مالك ابن لوى السامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لوى وكابس بكاف وباء موحدة بعد الف وسين مهملة وماقيل من انه بمثناة تحتية وانه صحيح في نسخة العز في تلميذ المصنف تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه (يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنوع من الشبه وان الثرى والثريا (فلما دخل عليه من باب الدار) الفاء دالة على مقدر اى وجه له من احضره فلما دخل باب داره (قام عن سريره فمشى له (وتلقاه وقبل بين عينيه) تكريما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انس بن مالك اذا رآه بكى لتذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واقطعه المرغاب) اسم ارض بمرو الشاهجان اوقرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة والف وباء موحدة قبلها راء مهملة والاقطاع ان يفوض اليه ارضا بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو اهل له وفي شرح احكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابي عبيد في معجمة والظاهر انه لاوجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله (لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بماقبله جميعه اى كل مافعله معاوية رضي الله تعالى عنه من تعظيمه لمشابهته له والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لمابعده مفعول او منصوب منون تميز للنسبة (وروى ان مالكا) هو ابن انس الامام المعروف (لما ضربه جعفر بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله

عنهما وجعفر هذا كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور (ونال منه مانال) من تجريده من ثيابه واهانته وسببه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه مالاخير فيه (وحمل) لمنزله (مغشيا عليه) من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) من غشيته (فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي) اي الآمر بضربي ومن باشره (في حل) بكسر الحاء يقال هو في حل من كذا اذا ابرأ ذمته من عهدته (فسئل بعد ذلك) عن وجه ماقاله واسقاط حقه (فقال اني خفت ان اموت) مما فعله بي (فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في الدار الآخرة (فاستحيي منه) لما يلحقني من الخجل منه خوفا (ان يدخل بعض آله) من اقربائه (النار بسببي) جزاء له على مافعله لان حق العبد لايسقط الا برضاه واذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا قال حذرا من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضاء الله له وغيره امر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل ولله در الامام النووي في قوله

مانال مني او علقت بدمه * ابرأته لله شاكر منته
والله ماطالبت عبدا بعده * ولئن طلبت رجوت واسع رحمه
ءاري معوقا مؤمن يوم الجزا * او ان اسوء محمدا في امته

(وقيل ان المنصور) الخليفة العباسي المشهور (اقاده من جعفر) اي امر ان يقتص لمالك من جعفر فيضرب كما ضربه وسيأتي كلام في قصاص الضرب (فقال اعوذ بالله) والتجيء اليه في الاعانة على عدم مااريد وهو عبارة في العرف عن عدم الرضاء (والله ماارتفع سوط عن جسمي) في حال الضرب (الا وقد جعلته في حل) وابرأت ذمته منه (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) تكريما له لتعظيمه ومحبته (وقال ابو بكر بن عياش) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة ابن سالم الازدي المقرى احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادي الاولى وعمره ستة وتسعون سنة (لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي) في حاجة اقدرعليها (لبدأت بحاجة علي قبلهما) وقدمته عليهما وهما اماهما ايثارا عليهما (لقرابته) وفي نسخة لقرباه (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لشدة قربه وصهاره به فتقدمه ذاتي وعرضي وقربهما منه لا يمنعه (ولان اخر من السماء الى الارض) هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده اشد عنده من انه يرفع الى السماء ويرمى به منها الى الارض فتتقطع وتتكسر جميع اعضائه ويخر بمعنى سقط (احب الي من ان اقدمه عليهما) يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ماقدمته عليهما مع علمي بافضليتهما عليه وانما قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم * ولا حل عين الف عين تكرم * في الكلام تقدم كما اشرنا اليه

(وقيل لابن عباس) كما رواه ابو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة) كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله (لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم) ولم يبينوها وقيل هي ميمونة وقيل هي زينب (فسجد فقيل له اتسجد في هذه الساعة) اى فى مثل هذه الساعة التى اخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود يكون لشكر ونحوه (فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا) اى امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهى آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفى انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله على اهلها وفى السجود والصلوة تذلل برفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلوة للخسوف والزلزلة (واى آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم) وغاق بابه فانه امر عظيم يورث حزنا واسفا (وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها) فاقتديا به واحبا ما احب واسمها بركة بنت حصن بن ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمان بن عمرو بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب زوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت الحاضنة من ابيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هي امي بعد امي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وآمنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثه لان امه ذهبت به لاخواله بنى النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم وكان اليهود يتعاهدون وينظرون فسمعتهم ام ايمن يقولون هذا نبي هذه الامة فوقر ذلك فى قلبها فهى اول من آمن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعت به فماتت امه بالابواء وقبرها هنالك فحضنته ام ايمن (ولما وردت حليمة السعدية) من بنى سعد وهى امه من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد هجرته (بسط لها رداءه) لتجلس عليه اكراما لها ولحق امومة الرضاع (وقضى حاجتها) التى سألته قضاءها (فلما توفى) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفدت) اى جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد (على ابى بكر وعمر) فى خلافتهما لحاجة لها (فصنعا بها مثل ذلك) اى بسطا رداءها واكرماها وقضيا حاجتها أسوة به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن احب واعترض عليه البرهان وقال ان التى قدمت عليه بنت حليمة المسماة بالشيماء وهى التى اسلمت لا حليمة كما ذكره الا مباطى وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاى فى مؤلف له سماه التحفة الجسيمة فى اسلام حليمة والحاصل كما تقدم انهم اختلفوا فى اسلامها وانها صحابية وانكره بعضهم وقال انه ملتبس ببنتها الشيماء فانها اسلمت وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روى عنها حديث ورد بانه لم يصح والتى اتته بنتها الشيماء بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي

فاتته صلى الله عليه وسلم زمن خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا وانصرفت الى اهلها ولم يذكر اسلامها الا ابن عبد البر انيته وعدها في الصحابة وقال هي اخته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر وذكر في الوفاء انها اسلمت هي وزوجها وبنتها وكفي بهذا مستندا للمصنف فالمخطئ له يخطئ والشاهد فيما ذكره لما نحن فيه ان ابا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن احبه وهي في حكم آل بيته لانها امه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره لم يفهمه من قال معترضا على المصنف رحمه الله تعالى ان هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل لانه معقود لتوقير آله واصحابه تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه لا غيره وهذه غفلة منه عجيبة ﴿ فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره ﴾ توقيره بتعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته (توقير اصحابه وبرهم) اى تعظيمهم والاحسان اليهم بموالاتهم ونصرتهم وكل مايليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من رآه صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصوليين (ومعرفة حقهم) اى مايلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم في منزلته اللائقة به وليس المراد به مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف عليه قوله (والاقتداء بهم) اى اتباع اقوالهم وافعالهم فانهم على هدى اضاءت في مشكاتهم الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم افضل من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم افضل من كل فرد من غيرهم فصرحوا بانه لايلزم فقد يكون بعض التابعين افضل من بعض الصحابة واستدل لحديث (امتي كالمطر لايدرى الخير في اوله ام آخره) والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم (وحسن الثناء عليهم) اذا ذكروا مدحوا (والاستغفار لهم) اى الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضي عنهم (والامساك) اى السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه (عما) اى عن كل امر (شجر بينهم) اى وقع فيه خلاف ونزاع مأخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي (ومعاداة من عاداهم) كالخوارج والرافضة (والاضراب) اى الترك والاعراض (عن اخبار المورخين) التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه (وجهلة الرواة) الذين رووا قصصا باطلة تؤدي لسوء ظن بهم (وضلال الشيعة) بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها

اى الشيعة والصفة كاشفة مرفة لامقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة وهى مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه اعنى قوله (والمبتدعين) فان البدعة على اقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقائد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله (القادحة) صفة اخيار والقدح الذم والتنقيص بذكر مايؤدى اليه (فى احد منهم) اى من الصحابة (وان يلتمس لهم) اى يطلب لهم واصله ادراك ظاهر البشرة كالمس فعبر به عن مطلق الطلب (فيما نقل عنهم من مثل ذلك) الامر المنقول عنهم فى الاخبار المروية (فيما كان بينهم من الفتن) كما وقع بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (احسن التأويلات والمحامل) لانها امور وقعت باجتهاد منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة (ويخرج) بضم اوله مجهول كقوله يلتمس المتقدم ايضا (اصوب المخارج) بان يحمله على امر محمود ويأوله بما يخرجه عن عده من المعايب الى الحاقه بالمحاسن (اذهم اهل ذلك) اى مستحقون بان يحمل ماصدر منهم على امور حسنة محمودة (ولا يذكر) مبنى للمجهول (احد منهم بسوء) اى بامر قبيح (ولا يغمص عليه امر) بضم الياء التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبنى للمجهول اى لا يعاب ولا ينقص فى امر من اموره يقال غمصه اذا احتقره وتهاون به وجوز فيه ايضا اعجام ضاده من اغمض الجفن اذا اطبق بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال الله تعالى (الا ان تغمضوا فيه) فالمعنى لا يحتقر والاول اولى رواية ودراية (بل يذكر حسناتهم) المروية من عبادتهم وزهدهم (وفضائلهم) الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم (وحميد سيرهم) من انصافهم وعدلهم واصابة رأيهم وعلو هممهم (ويسكت) مبنى للمجهول (عما وراء ذلك) اى عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود (اذا ذكر اصحابى) بذكر احوالهم (فامسكوا) عن الطعن فيهم وذكرهم بمايوهم نقصا فيهم (قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء الى آخره) فتضمن خاتمة سورة الفتح الثناء عليهم كلهم وان الله تعالى وعدهم بمغفرته واجر عظيم منه وانهم من ابتداء امرهم الى آخره نفع وخير كزرع تكامل شيئا فشيئا حتى نمت (٢) سنابله وعم نفعه والآية ومافيها من التفاسير قد كفينا مؤنته هنا والذى يراد منها هنا ان من مدحه الله وبالغ فى مدحه فى كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه قادح (٣) لكنى اقول لله اعمى البصائر بالتكحل بذهب (وقال) الله تعالى عز وجل فى حقهم ايضا (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية) وفى هذه الآية مدح عظيم ايضا لهم ووعد عظيم بما لهم فى العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار اصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين

(٢) نمت نسخه

(٣) يقدح قادح نسخه

اتبعوا هؤلاء باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من اهل القبلتين وشمل هؤلاء كلهم الثناء والوعد وقد قسموا اقساما اخر ليس هذا محل تفصيله (وقال الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وهذه قصة الحديبية وماوقع فيها مماتغني شهرته عن ذكره (وقال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الآية) هذه الآية قدمنا انها نزلت في ناس من الصحابة منهم انس بن النضر عم انس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال اول مشهد لرسول الله غبت عنه والله لئن اراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع فلما كانت وقعة احد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبدالله (حدثنا القاضي ابو علي) هو ابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا ابو الحسين) تقدم ايضا (وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى) احمد بن عبدالواحد البغدادي وقد تقدم (قال حدثنا ابو علي السنجي) قال (حدثنا محمد بن محبوب) المعروف بالمحبوبي كما تقدم قال (حدثنا الترمذي) الحافظ ابو عيسى صاحب السنن قال (حدثنا الحسن بن الصباح) هو البزار براء مهملة في آخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح ابو علي الزعفراني قال (حدثنا سفيان بن عيينة) كما تقدم ايضا (عن زائدة) بن قدامة ابو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا بالروم سنة ستين او احدى وستين ومائة واخرج له الستة (عن عبدالملك بن عمير) الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة (عن ربعي) بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة (ابن حراش) بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وآخره شين معجمة وماعداه خراش بخاء معجمة وهو ابو مريم العبسي (عن حذيفة) ابن اليماني باثبات الياء وهو الافصح وتحذف وهو الصحابي المشهور (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي وابن ماجة (اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر) اراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم ابو بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وبهذا الحديث اخرجه الحاكم وابن حبان ايضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها واوله قال حذيفة كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني لاادري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر واخرجه القصار بلفظ اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر فانهما حبل الله تعالى الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لاانفصام لها والمراد الاقتداء بهما اذا قاما مقامه في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر رواه الدار قطني وابن عبدالبر في العلم من طرق اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي للمصنف رحمه الله ان لا يورده بصيغة الجزم وماقيل من انه ليس بوارد لان المصنف رحمه الله

ساقه في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال فضلا عن فضائل الرجال لا وجه له لان قوله (اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضائل التي يجوز العمل فيها بالضعيف فلو قال انه يعني الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه بعده كالمتابعة له ولذا جزم به كان اقوى واحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما * آراهم في الحادثات نجوم

منها مصابيح الدجى ومعالم * فيها الهدى والاخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر مع العلو والشرف (وعن انس) بن مالك فيما رواه البزار وابو يعلى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي) زاد في المصابيح في امتي (كمثل الملح في الطعام) اى فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح واصلح قليله ولدفع توهم ضرر كثرتهم قال (لا يصلح الطعام) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا (الا به) اى بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن ابي حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري قد ذهب ملحنا فكيف نصلح واصلاحهم بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافتهم وبيان الشريعة وامور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشراط الساعة فساد العلماء كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم امة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان اظهر فتأمل (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم (الله الله في اصحابي) اى اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتأكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام المكرر مقامه ولولاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع قبحه (لا تتخذوهم غرضا بعدي) الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى به السهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد امور قبيحة لهم (فمن احبهم) وصان اعراضهم (فبحبي احبهم) اى فانما يحبهم لاجل محبتي لهم فمحبتهم عين محبتي وبرهم برى (ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) اذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقي لا يتصور في حقه فهو مشاكلة (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع (ان يأخذه) اى يهلكه ويستأصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية اوموصولة ورواه في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ او هو مستأنف دليل على الجواب

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا) وفي بعض الروايات من طريق ابي بكر بن عياش زيادة كل يوم واحد اسم جبل معروف اي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا (ما بلغ) اي ماوصل وساوى ثوابه ثواب (مد احدهم ولا نصيفه) الذي يتصدق به من تمر او شعير او قمح ونحوه ففيه من المبالغة مالا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو اقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وروى مد بفتح الميم اي مداه وغايته كمد البصر ومداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيفه بزيادة تحتية لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد اي اعلى صدقتكم وانفاقكم لله لا يبلغ اجره وموقعه عند الله اقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم وقد انفقوا رضى الله تعالى عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما انفقوه في اول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع بذلهم مع مالهم اهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

رأيت عبيد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد

اولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جادذا والدهر غير مساعد

ولمهيار

جدت وقارا والزمان هازلي * وجاد عفوا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل اوالمراد باصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال الله (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الآية) فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله او كفر فيقتل وسيأتي تفصيله آخر الكتاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي وابو نعيم في الحلية عن جابر (من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى لا يجترأ عليه احد من الناس (لا يقبل الله منه) اي ممن سبهم (صرفا ولا عدلا) في تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما تصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل المكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيمة من يفتدي به فان بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا) اي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه (وقال في حديث جابر) رضى الله عنه الذي رواه

البزار والديلمى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين) اى فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا اتقياء كلهم (سوى الانبياء والمرسلين) فانهم افضل منهم (واختارلى منهم) اى من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة (اربعة ابابكر وعمر وعثمان وعليا) وقد روى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم رأى ابابكر وعمر فقال هذان السمع والبصر ثم فسر اختيارهم له بقوله (فجعلهم خير اصحابى) وافضلهم (وفى اصحابى كلهم خير) اى فضل وتقوى فكلهم علماء عدول كما فى حديث خير القرون قرنى ثم وثم وهذا سبب ماحكاه امام الحرمين رحمه الله تعالى من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الاهل والاوطان وبذل النفوس والاموال فى نصرة الدين وقتل الآباء والابناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الآلهية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى فى اوسطه بسند حسن (من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على امور الدين التى قد تورث حزازة فى بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على ابى بكر رضى الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه وقدمه وارتضاه فعدم ارتضائه يفضى الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل * عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * نكتة من خصائص ابى بكر وعمر انهما جليساه وضجيعاه فى حيوته ومماته وقد ورد فى حديث ان كل احد يدفن بتربته التى خلق منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف اعظم منها (وقال مالك بن انس) شيخ السنة وامام دار الهجرة (وغيره) من الائمة اشارة الى انه لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية فى كتاب رد الروافض (من ابغض الصحابة وسبهم فليس له فى فئ المسلمين حق) الفئ ما اخذ من غنيمة الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على ما فعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب والفئ هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الآخر وان فرق بينهما الفقهاء واهل اللغة وقد قال مشايخنا فى هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادى (ونزع) بنون وزاء معجمة وعين مهملة مبنى للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر او ضمير مالك وغيره وعلى الثانى نائب فاعله قوله (باية) سورة (الحشر) وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل

واستخرج من الآية وسياق في آخر الكتاب قال مالك من انتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية الى آخره فمن انتقصهم فلا حق له في الاسلام وعطف سبهم على ابغض عطف تفسيرى لان البغض امر قلبي لا يطلع عليه وهذا قوى اماراته فلا يرد عليه ان تعليق الحكم بهما يقتضى انه لا يكفى احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد عن الايمان بشهادة حديث الله الله في اصحابي الى آخره لم يصب واصل معنى النزع القلع والخروج فيجوز به عما ليس من النزوع عن الاوطان والتقرب كما توهمه هذا القائل والآية المذكورة قوله تعالى ما افاء الله على رسوله الى قوله (والذين جاؤا من بعدهم) يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * ووجه الاستدلال بالآية انه جعل ما افاء الله على رسوله حقا للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوؤا الدار والفقراء الذين جاؤا من بعدهم مهاجرين بعد ما قوى الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن آمن بعد المهاجرين والانصار الى آخر الزمان وجملة يقولون الى آخره حال اى القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهى حال مقيدة تجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى في آخر الكتاب ثم انه بين ان هذه يقتضى كفرهم والكفار لا حق لهم في الفيء فلهذا قال (وقال) مالك بن انس (من غاظ) بظاء مشالة قيل وبالضاد المعجمة ايضا وهو لغة فيه لا ابدال واختلف في الغيظ والغضب هل هما بمعنى او الغيظ اشد الغضب او الكمين في النفس او الغضب للقادر والغيظ للعاجز اى من اغتاظ واحتد اذا ذكر (اصحاب محمد) عنده (فهو كافر) لان من ابغضهم فقد ابغضه صلى الله تعالى عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادى عن عروة الزبيرى قال كنا عند مالك بن انس فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار) الى آخره وقال من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد فقد اصابته هذه الآية لانها صدرت بلام التعليل وهى اما علة لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم (قال تعالى ليغيظ بهم الكفار) فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم او علة لقوله بعده وعد الله الذين آمنوا منهم فانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم والحاصل انه لا يغيظ باصحابه مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما اداه اليه اجتهاده (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا) من كل امر يشينه وينقصه عند الله (الصدق) بان يتحرى في الصدق في جميع اقواله حتى يكون

عندالله صديقا (وحب اصحاب محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عندالله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عندالله كذابا وقدروى من طريق آخر بمعناه وترتب النجاة على ماذكر سر من اسرار الله يطلع عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به (وقال ايوب السختياني) التابعي المشهور (من احب ابابكر فقداقام الدين) لان الدين استقام به فى صحبته لرسول الله فى اول الاسلام وفى اول الهجرة وفى قيامه مقامه بعد وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وفاض النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم مالو نزل بالجبال هاضها فحمل اعباء الخلافة حتى قر الدين وفاء من فاء ومن احب احدا كان معه وتخلق باخلاقه (ومن احب عمر فقد اوضح السبيل) اى بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق المستقيم لانه بعده صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر الدين واتم به على الاقطار وقضى لاهله الاوطار ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام اقصى الارض كما فى حديث الشيخين هنا بينا انا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت فيها ماشاء الله ثم اخذها ابن ابى قحافة فنزع بها ذنوبا وذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا اى دلوا كبيرا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع عمر وفى رواية فلم ار عبقريا من الناس يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته فى الاسلام (ومن احب عثمان فقداستضاء بنور الله) الذى اظهره الله فيه ولذا لقب بذى النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقى الله وهو عنه راض وكان اشد الناس حياء (ومن احب عليا فقداخذ بالعروة الوثقى) اى تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقائما بالذب عن حوزة الدين لا يلحقه فى الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم فمن احبه فهو مستمسك بالعروة الوثقى اى بالحق والرأى القويم الذى هو عروة لا تنفصم وهو استعارة مصرحة من عروة الكلام وهو ماله اصل ثابت واطراف لا تنقص اذا سقطت الاوراق (ومن احسن الثناء) بمدح ناش عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن (على اصحاب محمد) تعميم بعد التخصيص (فقد برئ) اى سلم وخلص (من النفاق) المراد به معناه العرفى وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا واصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة (ومن انتقص) اى ابغض (احدامنهم) بذمه وذكر مايشينه (فهو مبتدع) لمخالفته السنة واتيانه مانهى الله تعالى عنه ورسوله وفى نسخة ابغض ثم فسر المبتدع بقوله (مخالف للسنة) اى لهديه وطريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع اقواله

واقواله (والسلف الصالح) من الصحابة والتابعين (والخاف) اى اظن او اعلم (ان لا يصعد له عمل) من اعماله الصالحة اى لا يقبله الله تعالى منه ولا يثيبه عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف بمعناه الحقيقى وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف يوقع فى مكروه عن امارة مظنونة او معلومة وفسر قوله تعالى (ان خفتم شقاق بينهما) بعرفتم انتهى (الى السماء) لعدم تمسكه بالكتاب والسنة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سالما) من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح (وفى حديث خالد بن سعيد) بن العاص بن امية بن عبد شمس الصحابى وهو ثالث او رابع او خامس من اسلم وسبق غيره ويقال اسلم قبل الصديق ويقال اسلم قبل على وليس فى الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرو عنه حديث فى الكتب الستة ولا فى مسند احمد ولا فى مسند بقى بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبرانى وابن مندة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى نقله البرهان الحلبى وقال غيره انه خالد بن عمر بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب وذكر سبب اسلامه فى واقعة رآها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم يشتهر عنه الرواية فالحديث مرسل والافضل والظاهر هو المقدم واول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس الخ (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايها الناس انى راض عن ابى بكر فاعرفوا له ذلك) اى رضاى عنه فى صحبته له وانه لم يال جهدا فى خدمته ولم يفارقه فى حيوته ومماته ولم ير منه الا ما يسره وفى تقديمه وافراده له بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله على سمعه وقلبه وسيأتى الكلام ان من انكر خلافة ابى بكر يبدع ولا يكفر ومن سب احدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر (ايها الناس انى راض عن عمر وعن عثمان وعن على وعن طلحة والزبير) بن العوام رضى الله عنهم (وسعد) بن ابى وقاص (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) الزهرى (فاعرفوا لهم ذلك) اى كونى راضيا عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو لا تدل على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم ابى بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا فى عثمان وعلى ايهما افضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف فى ايهما الافضل وان هذه المسئلة غير قطعية عندهم لكن الذى عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ما ذكر وبقية الصحابة لم ينصوا على شئ فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو ابو عبيدة بن الجراح لدخوله فى الصحابة وشهرته (ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر) كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم اول مشهد اعز الله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بئرها كما تقدم (و) اهل (الحديبية) بتشديد الياء وتخفيفها وهى اسم مكان قريب من مكة من الحرم او خارج جدا او بعضه منه اقوال وفيها الشجرة التى كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة فى السير وقد تقدم ذكرها (ايها

الناس احفظونى) اى احفظوا حقى وقدرى برعاية مايجب منه كما تقدم تفصيله (فى اصحابى) اى وحفظ حقى ثم وبحقق بحفظ اصحابى ومحبتهم وتوقيرهم وان من ابغضهم يبغضنى ولم يحفظنى ثم خص بعد التعميم احتياطا وحثا بقوله (واصهارى واختانى) الاصهار جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهرى هم اهل المرأة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شئ من قبل الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة سببية بتزوجه او التزوج منه (لا يطالبنكم) معاشر الناس اجمعين (احد منهم) اى من المذكورين من اصحابى واتباعى اى لا يكون لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله (بمظلمة) بكسر اللام وفتحها وهى ما يؤخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكى ممن اخذه والكسر فيها اكثر واشهر (فانها مظلمة) اى حق للعبد اخذه منه ظلما (لا توهب فى القيمة غدا) اى لا يهبها الله لانها حق العبد ما لم يرض صاحبها الا ترك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذى يؤاخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء والقصر (ابن عمران) ابو مسعود الازدى الموصلى احد الاعلام المحدثين كان يقال له ياقوتة العلماء توفى سنة خمس وثمانين ومائة واخرج له البخارى وغيره والقائل له لا يعرف (ابن عمر بن عبد العزيز) الخليفة العابد الزاهد العادل (من معاوية) بن ابى سفيان رضى الله عنه اى ايهما افضل وخصهما بالسؤال لانهما امويان فاين تذهب انت فى الفرق بينهما (فغضب) على السائل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز نظرا لظاهر الحال (وقال لا يقاس) اى لا يستوى فضلا عن التفضيل (باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم احد) وفى نسخة على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقاس يتعدى بالباء وعلى وقد يعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبى

يمن تضرب الامثال ام من اقيسه * اليك واهل الدهر دونك والدهر

ثم اشار لفضل معاوية على غيره لقوله (معاوية صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وصهره) لانه اخو زوجته ام حبيبة بنت ابى سفيان ام المؤمنين (وكاتبه) لما ثبت انه من احد كتابه صلى الله عليه وسلم (وامينه على وحيه) لانه بعد ان استكتبه كان يكتب ما ينزل عليه من الوحى ولو لم يستأمنه ما استكتبه الوحى وكفاك بهذه مرتبة لم يصل اليها عمر بن عبد العزيز واضرابه وابن المعافى رجل منصف ما صح عنه يرد ما قيل ان معاوية لم يكتب له شيئا من الوحى وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز شاركه فى ذلك وروى ان عمر سمع مثله فقال لغبار بغزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وآل عمر وفى الطاعن فى معاوية ما قيل * ومن يكن يطعن فى معاوية * فذاك كلب من كلاب الهاوية (و) روى الترمذى عن جابر

فالآل واحد والخلاف لفظي وهذه الآية مدنية اخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده وان الله وملائكته يثنون عليه في الملأ الاعلى ثم امر اهل العالم السفلى بان يفعلوا كفعلهم وفي الكشاف لما نزلت هذه الآية قال جبريل ما خصك الله بشرف الا اشركنا فيه فنزل هو الذي يصلي عليكم وملائكته قال الحافظ السخاوي لم اقف على اصله الى الآن وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي هو موافق لما اخرجه ابو نعيم في الدلائل في ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبياء فقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال لنبيه وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم اى سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهو الانبياء مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلوة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يدخل في شيء الا دخل فيه امته ثم تلى ان الله وملائكته الآية وقال هو الذي يصلي عليكم الخ واشار الى مزيد خصوصية على امته باسناد الصلوة عليهم اليه والى ملائكته وصلوة الملائكة على الامة لا تكون الا بتبعيته وجمهور القراء على نصب الملائكة عطفا على اسم ان ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلوتين ورجح الاول ابو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملائكة استمرت صلوتهم عليه وهذه منقبة لم يوجد لغيره اعظم من سجود الملائكة لآدم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد او الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة اشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمؤمنين قيل لان الصلوة مؤكدة معنى بصدورها من الله وملائكته فكيف لا تصلي عليه امته اولانها مؤكدة بان والجملة اسمية والسلام سواء كان بمعنى الانقياد او بمعنى السلامة من الايذاء لا يليق اسناده الى الله والملائكة ولذا استحق التأكيد لصدور خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى (سلام على ابراهيم) وقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم) كما اورده السخاوي لانه تحية واكرام وبقي هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في بيان معنى الصلوة فقال (قال ابن عباس معناه) اى معنى الصلوة وذكره لتأويله بالدعاء او لان تأنيث المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم (ان الله وملائكته يباركون على النبي صلى الله عليه وسلم) اى يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره وسيأتي فيه كلام واصل معنى البركة النمو وزيادة الخير اللازم (وقيل) في معناه انه بمعنى (ان الله يترحم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يدعوله بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني ورد بانه ورد في الحديث وتأتي الاشارة اليه ايضا (وملائكته يدعون له) ولم يبين الدعاء لتفسيره

بقوله (قال المبرد واصل) معنى (الصلوة الترحم) اى الانعام او الدعاء بالرحمة ومعنى الدعاء من الله ارادته او التبشير به لان معناه الحقيقى لا يتصور فى حق الله تعالى فاريد به لازمه وغايته ولذا فسره بقوله (فهى من الله رحمة) اى انعامه او ارادته (ومن الملائكة رقة) اى شفقة عليه ومحبة (واستدعاء للرحمة من الله) له اى طلبها والدعاء بها (وقد ورد فى الحديث) الذى رواه الشيخان عن ابى هريرة (صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة) فى المسجد (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء) لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا فى حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وفى قوله تعالى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض) وقد بينا وجه الدعاء بخصوص الاستغفار فيما يأتى فى فصل المواطن ولفظ الحديث فى مسلم لا يزال العبد فى صلوة ما كان فى مصلاه ينتظر الصلوة والملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف او يحدث (وقال) الامام (ابو بكر القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى) اى لمن منزلته دون منزلته من الامة (رحمة) اى طلب ان يرحمه الله واما النبى فمرحوم باعلاء انواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفى فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت او ترحمت على ابراهيم قال الصفار انه مكروه فى حق الانبياء والرسل وحكى عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة الا من اتى بما يلام عليه وقد امرنا بتعظيم الانبياء وتوقيرهم فاذا ذكر النبى لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل لا يقال للصحابة رحمه الله بل رضى الله عنهم وكذا قال خواهرزاده وصاحب المحيط والظهيرية وانا اقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد جائز متوارث وكان الشيخ الزاهد الرستمى يقول معنى ارحم محمدا ارحم امة محمد والترحم لامة لاجله كما يقال لمن يراد عقابه ولهاب جانبه تو حم لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجن ولم يؤاخذ كما فى جامع المضمرات وقال الربانى الصحيح انه لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من اشوق الناس الى رحمة ربه تعالى (ولا نبى صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة) بميم فى اوله وراء مضمومة وفى نسخة تكرمة بتاء بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان معنى الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانها فى حقه بمعنى التشريف والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعاء له بالرحمة ولكن استحبوا الدعاء له بلفظ الصلوة تأدبا وفرقا بينه وبين غيره (وقال ابو العالية صلوة الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته عنده (عند الملائكة) اى بحيث يطلعون على ذلك (وصلوة الملائكة الدعاء له) كما مر (قال القاضى ابو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (وقد فرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة) فى (فدل) على انهما

بينهما بعطف احدهما على الآخر على (انهما بمعنيين) متغايرين وحديث تعليمهم الصلوة سيأتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلوة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلوة كما تقدم معناها الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير اذا القى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمي محبس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك مافيه ذلك الشيء ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل مايشاهد منه زيادة غير محسوسة مباركة وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وادم خيراتك التي لا تحصى عليه ثم ان اطلاق الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره فهي على انبيائه ثناء وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شيء وقال الغزالي امط الصلوة مشترك في الاعتناء بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلوة وذكر الاقوال فيها ذكر تفسير السلام الذي هو قرينها فقال (واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده) في قوله وسلموا تسليما (فقال القاضي ابو بكر بن بكير) بالتصغير وهو ابو بكر محمد بن احمد بن عبدالله بن بكير التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة صاحب التآليف الجليلة التي منها احكام القرآن وهو عراقي من اقران بن الجهم وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لاغير فبكير ابوه او جده (نزلت هذه الآية) يعني قوله ان الله وملائكته يصلون الخ (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان يسلموا عليه) امتثالا لامر الله لهم (وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره) في سائر مجالسهم كما سيأتي بيانه وهذا مبني على ان الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين او يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل اوقياس جلي على شموله لمن بعدهم يعمل به ومانحن فيه من هذا القبيل (وفي معنى السلام عليه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة اوجه) وفي نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جائز شائع في كلامهم (احدها) انه بمعنى (السلامة) من النقائص والآفات ثابتة (لك ومعك) اي مصاحبة وملازمة لك (ويكون) على هذا التفسير (السلام مصدرا) بمعنى السلامة (كاللذاذ واللذاذة) بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بناء ودونها ومثله كثير كالملام والملامة والمقال والمقالة ولما في السلام من الثناء عدي بعلى لا لانه بمعنى القضاء والمعنى قضى الله عليك السلام كما قيل لان القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لانه وجه آخر ذكره بقوله (الثاني اي السلام مداوم على حفظك ورعايتك) اي اكرامك وعنايتك ومراقبتك (ومتول له) اي قائم به بحيث لايكل امرك لغيره (وكفيل به) اي متكفل ملتزم له (ويكون هنا) اي في هذا الوجه (السلام اسم الله تعالى)

ومعناه ذو السلامة وليس في اسماء الله مصدر غيره (الثالث) من الاوجه (ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد) عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال الله تعالى (فلا وربك) قسم جوابه (لا يؤمنون) اى لا يظهر ايمانهم ولا يكمل (حتى يحكموك) اى يفوضون الحكم اليك (فيما شجر بينهم) اى وقع بينهم من المنازعات والدعاوى (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا لعدم رضاهم (مما قضيت) حكمت به عليهم (ويسلموا تسليما) اى يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من اسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الخطاب صيغته خبر معناها الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ للنية انتهى ومعناه من الله فى صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور فى حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتبارى ومثله يكفى فى هذا المقام وقد افرد السلام بتاليف نفيس السيد السمهودى وقفت عليه وفيه امور يضيق المقام عنها وفى الشرح الجديد هنا كلام غير محرر رأينا ترك التعرض له اولى وفى الاذكار للنووى انه يكره افراد الصلوة عن السلام فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى فيه كلام وهذه الآية الاخيرة نزلت فى حق من خاصم الزبير فى سقاية الماء وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى ﴿ فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض فى الجملة ﴾ اى اجمالا من غير تعيين زمان او محل (غير محدد) بحاء ودال مشددة مهملتين اى غير معين واصله ماله حدود فاستعمل فى لازم معناه (بوقت) من الاوقات المعلومة واستدل على ما فى الوجوب بقوله (لامر الله) واصل الامر الوجوب (بالصلوة عليه) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وحمل الائمة) من السلف (والعلماء) من اهل التفسير (له على الوجوب) اى على انه امر ايجاب لا ندب اى فسروه بان المراد منه ذلك يقال حمل كلامه على كذا اذا فسره به (واجمعوا عليه) اى على انه للوجوب من غير تعيين محل او زمان والآية تدل على ذلك عند الجمهور لانه الاصل فى الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره فى كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضد من الاحاديث لا الآية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله (وحكى ابو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه (ان محمل الآية) اى المراد منها وما فيها من الامر (عنده) اى عند ابى جعفر (على الندب) وفيه تقدير اى بما لغيره والا فلا معنى لحكايته ما عنده ويدل على المقدر قوله (وادعى فيه) اى فى ان الامر فيها للندب (الاجماع) وفى قوله ادعى اشارة الى ان ما قاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه وبين

ماذكره قبله فقال (ولعله) اى ماادعاه (فيمازاد على مرة) واحدة فى العمر فانه لاخلاف فى عدم وجوبه على كل احد (والواجب منه) مبتدأ خبره مرة الآتى (الذى يسقط به الحرج) اى التضييق على الناس لو وجب دائما اوكلما ذكر او الاثم فان الحرج ورد بهذين المعنيين كما صرحوا به (ومأثم ترك الفرض) اى يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والمأثم بالمثلثة مصدر ميمى بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب (مرة) مرفوع على الخبرية (كالشهادة له بالنبوة) والرسالة فانها واجبة فى العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة يتحقق فى ضمنها ماهية المأمور به فالصلوة بالطريق الاولى وهو احد المذاهب والصلوة كما يأتى بيانه (وماعدا ذلك) اى المرة الواحدة فى الصلوة والشهادة (فمندوب مرغب فيه) بكثرة ثوابه وفوائده (من سنن الاسلام وشعائر اهله) اى دأبهم الذى هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان اخر وهو جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذى حكاه المصنف رحمه الله وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما نقله المصنف صرح به ابن عبد البر من غير عزو له لمذهب وهو ظاهر (وقال القاضى ابو الحسن بن القصار) بقاف وصاد مشددة وراء مهملتين وهو على بن عمر بن احمد الفقيه الثقة له كتاب فى الخلاف كثير الفوائد لم يصنف فى بابه احسن منه وفى بعض النسخ الصفار بصاد مهملة بعدها فاء مشددة والف وراء قال التلمسانى والاول هو المعتمد وهو من ائمة المالكية منسوب لصنعة قصار الثياب وهى تبييضها والثانى لبيع الصفر وهو النحاس (المشهور عن اصحابنا) يعنى المالكية (ان ذلك) اى الصلوة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واجب فى الجملة) اى اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له (على الانسان وفرض عليه) اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية خلافا للحنفية (ان يأتى به مرة من دهره) اى فى مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته (مع القدرة على ذلك) اى شرط فى وجوبه مرة فى عمره ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنده كسائر الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لاينافى ماتقدم من الاجماع لانه لامفهوم له وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الائمة ايضا او هو اشارة لما نقله عن الطبرى وان كان عنده لاينافى الاجماع لكونه واهيا او مؤولا كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده وما نقله عن الحطاب من متأخرى المالكية عن الرصاع ان الذى يظهر ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجب مرة مثل الصلوة عليه والزائد مستحب لقول ابن عباس رضى الله عنهما فريضة من الله علينا ان نصلى على نبينا ونسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة من التوقف فى وجوبه لااصل له والحق ان حكمه حكم الصلوة انتهى (وقال القاضى ابو بكر بن بكير) وتقدمت ترجمته (افترض الله تعالى عز وجل) افترض وفرض بمعنى وفيه زيادة تأكيد لزيادة بنيته (على خلقه) جميعا (ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما) كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلوة والسلام وينبغى ذكره مع مصدره المؤكد

امتثالا للمأمور (ولم يجعل ذلك) الافتراض (لوقت معلوم) واللام فيه للتوقيت والظرفية كما يقال كتبته لستة عشر مثلا (فالواجب) على الخلق (ان يكثر المرء) اى الرجل والمراد به الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) اى من الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم (ولا يغفل عنها) اى يتركها و يشتغل عنها بغيرها وفى كلامه شئ لانه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف له لاقتضائه مرات كثيرة فان اراد انه ان فعلها فى وقت ما يكررها مرارا فى ذلك الوقت فايجاب مثله غير ظاهر مما نقله قبله فان كان قولا آخر فسياقه لا يساعده واما الاعتراض عليه بانه امر مطلق لا تعرض فيه لعدم تعين وقتها فلا معنى له وفى بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار منها مطلقا من غير تعيين مقدار و وقت وهو كلام حسن (وقال القاضى ابو محمد بن نصر المالكى) وهو القاضى عبد الوهاب بن نصر بن احمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن احمد بن هارون بن مالك ادركه الشيرازى وسمع منه فى النظر وكان فقيها شاعرا اديبا له شعر كثير وكتب كثيرة فى كل فن وارتحل فى آخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفى سنة احدى وعشرين واربعمائة (الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة) اى من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره (قال القاضى ابو عبد الله محمد بن سعيد) قيل هو محمد بن سعيد بن بشر بن شرحبيل الفقيه كتب فى حداثته للقاضى مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقى مالكا رضى الله تعالى عنه فقرأ عليه ثم انصرف للاندلس والتزم ضيعة بباجة الى ان توفى سنة ثمان وتسعين ومائة كما قاله القاضى فى المدارك (ذهب مالك واصحابه وغيرهم واهل العلم الى ان الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة) اى اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت (بعقد الايمان) اصل معنى العقد ربط اطراف الشئ كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها يقينا فقوله بعقد الايمان وهو بكسر الهمزة والباء سببية او بمعنى بعد اى هى اول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله (لا يتعين فى الصلوة) اى ليس وجوبا مخصوصا وموقتا بها (وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره) ومدة حياته الى موته (سقط الفرض عنه) لخروجه عن عهدته قيل حاصل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى عنه غير ما نقله عن الطبرى ولم يرتضه قولان الاول انها فرض فى الجملة تسقط بمرة الثانى انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول بانها تجب مرة والقول بانها تجب فى الجملة مطلقا انما زاد على المرة فى القول الاول يقع نفلا وعلى الثانى يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق و نظيره ما قاله الشافعى رحمه الله فى مسح الرأس انه يجب مسحها مطلقا فلو مسح شعرة حصل الفرض ولو مسح الجميع وقع فرضا وبقى اقوال غير ما ذكره المصنف منها انها تجب فى كل مجلس مرة فى جلسته وهل هى فرض كفاية على اهل المجلس فلو صلى واحد كفى على الجميع

(او فرض)

او فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر وقيل كلما ذكر اوسمع ونقلا عن الطحاوى وبعض الحنفية والشافعية للحديث الآتى رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقيل انه مبنى على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضى وجوب ذلك على المصلى وقارئ القرآن والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن احد من الصحابة والتابعين ولو كان كذلك وجب الثناء على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله احد واجيب بانه منقول عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن فى الصلوة ونحوها والحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على الله ايضا او نقول بالفرق بينهما بانه تعالى غنى مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبنى على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله ايضا لامريه ناش من عدم فهم المراد بحق الله (وقال اصحاب الشافعى الفرض منها الذى امر الله به) فى الآية المذكورة اولا (و) امر به (رسوله عليه الصلوة والسلام) كما سيأتى بيانه (هو فى الصلوة) اى هو عقب التشهد قبل التحلل وسيأتى تفصيله وذكر الاحاديث التى استدل بها الشافعى واصحابه كما صرح به فى الام وقول القرافى فى الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها (وقالوا) اى اصحاب الشافعى (واما فى غيرها) اى غير الصلوة وهو خارجها (فلا خلاف) فى (انها غير واجبة) المراد انه لا خلاف عند الشافعى واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقدير الامرة واحدة كامر لايجدى نفعا الان نفى الخلاف بناء على المشهورة عندهم وفى الشرح الجديد مانقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلوة واجبة فى الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها فيهما ووافقه احمد وهما اماما السنة وقال الشافعى ايضا بوجوبها فى صلوة الجنازة بعد التكبيرة الثانية كما سيأتى ووافقه احمد واتباعه ايضا ورووا فيه احاديث صححوها (واما فى الصلوة) اى حكمها فيها (فحكى الامامان ابو جعفر) يعنى محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته (الطبرى والطحاوى) احمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها فى الصلوة (وغيرهما) من الائمة (اجماع) جميع (المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد) الاول والاخير منها (غير واجبة وشذ الشافعى) اى اتى بقول شاذ انفرد به عن جميع الائمة الذين لم يقل به احد قبله ولم يوافقه عليه احد (فى ذلك) اى فى قوله بوجوبها فى تشهد الصلوة الاخير (فقال من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير قبل السلام فصلوته فاسدة) لانها ركن من اركان الصلوة فتفسد بتركها فى التشهد الاخير فقط (وان صلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ذلك) اى قبل التشهد الاخير وقوله فيه اشهد ان محمدا رسول الله (لم تجزه) صلوته اى لم تصح ولم يسقط عنه الفرض فتجب

عليه اعادة صلوته (ولا سلف له فى هذا القول) بوجوبها فى التشهد الاخير اى لم يقل به
احد من السلف (ولا سنة يتبعها) اى لم يثبت فى السنة والاحاديث النبوية مايكون
دليلا على ماقاله الامام الشافعى (وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه)
من الائمة والسلف (جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها) مفعول شنعوا بمعنى قبحوا
اى عدوا ماقاله امرا قبيحا وقولا مبتدعا منه (منهم) محمد بن جرير (الطبرى و)
الامام (القشيرى) قيل المراد به ابو نصر بن صاحب الرسالة او ابو بكر بن العلاء القشيرى
المالكى واما الامام القشيرى صاحب الرسالة فهو شافعى لم ينكر عليه شيئا مما ذكر (وغير واحد)
اى ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء (وقال ابو بكر بن المنذر) بصيغة اسم الفاعل وهو
الامام الاوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابورى الثقة الحجة امام عصره وشيخ
الحرم توفى بمكة سنة تسع اوعشرة وثلاثمائة (يستحب ان لا يصلى احد صلوة) مافرضا
كانت او نفلا او جنازة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد التشهد
وبعد التكبيرة الثانية (فان ترك ذلك تارك) اى واحد كان فى اى صلوة كانت (فصلاته
مجزئة) اى صحيحة وان كان الافضل عدم الترك (فى مذهب مالك واهل المدينة) اى
علمائها وهو من عطف العام على الخاص (وسفيان الثورى) صرح به لانه مجتهد صاحب
مذهب (واهل الكوفة) اى علمائها (من اصحاب الرأى) المراد بالرأى القياس فى عرف
الفقهاء والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع ابى حنيفة ومقابلهم اهل الحديث
لاقتصارهم فى العمل عليه (وغيرهم) من العلماء (وهو قول جل اهل العلم) الجل بضم
الجيم المعظم والاكثر من كل شئ (وحكى عن مالك وسفيان) الثورى (انها فى التشهد الاخير
مستحبة) لا واجبة وخص الاخير لانه محل الخلاف (وان تاركها فى التشهد) الاخير (مسئ)
غير محسن لارتكابه امرا مكروها [illegible] (وشذ الشافعى) اى انفرد بهذه المقالة المخالفة عن
غيره من الائمة (فاوجب على تاركها فى الصلوة الاعادة) لتركه [illegible] سواء تركها عمدا
او سهوا (واوجب اسحق) بن ابراهيم بن مخلد هو الامام الجليل ابو يعقوب بن راهويه
عالم خراسان ومحدثها توفى وله سبع وتسعون سنة فى شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين
(الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى) الشيخ (ابو محمد بن ابى زيد) هو صاحب الرسالة
المشهورة وهو من ائمة المالكية (عن محمد بن المواز) بفتح الميم والواو المشددة وآخره
زاء معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن اجل الائمة فى مذهب مالك وعليه المعول
فيه وهو اسكندرانى تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الآتى واعتمد على اصبغ
وتوفى ببعض حصون الشام اختفى به وهو هارب فى فتنة وكانت سنة احدى وثمانين ومائتين
(ان الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) ولم يبين او جوبها وقتا ولا غيره
(قال ابو محمد) هو ابن ابى زيد المار ذكره قريبا فى تفسير كلام ابن المواز (يريد
ليست من فرائض الصلوة) بل انها فرض فى الجملة كما تقدم وسيأتى مايخالفه

(وقاله)

(وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصرى صاحب الامام الشافعى لم يكن فى عصره اجل منه ولا اعرف باقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومائة وتوفى لليلة خلت من ذى القعدة سنة ثمان او تسع وستين ومائتين واخرج له النسائى (وحكى ابن القصار وعبد الوهاب) من ائمة المالكية (ان محمد بن المواز براها فريضة فى الصلوة كقول الشافعى) وقد نقل الاسنوى ايضا ان للشافعى قولا آخر غير ما اشتهر عنه انها سنة فى الصلوة لاركنا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكى هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب فى مختصره القرعى وابن العربى فى سراج المريدين (وقد حكى ابو يعلى العبدى المالكى عن المذهب) اى مذهب الامام مالك رحمه الله (فيها) اى فى الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم (ثلثة اقوال فى الصلوة) الاول (الوجوب و) الثانى (السنة و) الثالث (الندب) جريا على اصطلاحهم فى التفرد بين السنة والندب (وقد خالف) الامام (الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره الشافعى فى هذه المسألة قال الخطابى وليست بواجبة فى الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى) فانه ذهب لوجوبها فيها (ولا اعلم له فيها قدوة) اى ما يقتدى به من الائمة والسلف وسيأتى رد هذا (والدليل على انها ليست من فروض الصلوة) كما قاله الشافعى (عمل السلف الصالح قبل الامام الشافعى) من الصحابة والتابعين وهذا او جه له كما سيأتى بيانه (واجماعهم عليه) سيأتى ايضا انه لا اجماع فيه (وقد شنع الناس عليه فى هذه المسئلة جدا) اى قبحوه وانكروه اى تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله (وهذا تشهد ابن مسعود) جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه (الذى اختاره الشافعى) رحمه الله تعالى اى رجحه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة (وهو الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وما قاله مردود ايضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذى فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته لقوله تعالى تحية من عند الله تعالى مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله البيهقى رحمه الله تعالى (وكذلك) اى مثله فى عدم ذكر الصلوة عليه فيه (كل من روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم) من الصحابة الذين علمهم التشهد (كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير) كلهم (لم يذكروا فيه) اى فى تشهدهم الذى تعلموه (صلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا اعظم ما تمسك به المصنف فى رده لما ذكر لما يلزم من عدم ذكرهم انه لم يأمرهم به وهو مردود ايضا لان تعليمهم ذلك كان فى ابتداء الهجرة قبل نزول الآية والامر بها فى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه) الآية فلذا لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت امرهم وهذا مصرح به فى الحديث وسيأتى نقله مفصلا بطرقه (وقد قال ابن عباس وجابر) فى حديث رواه مسلم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن)

فيقرؤه عليهم ويأمرهم بتلقنه بالفاظه وحفظه فكيف يترك ماهو مذكور فيه وقد عرفت جوابه (ونحوه) اى مثل ماذكر (عن ابى سعيد) الخدرى كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) وهو يخطب عليه فى خلافته (كما تعلمون الصبيان فى الكتاب) بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقيه وهو اسم للمحل الذى فيه الصبيان منقول من جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى فى كلامهم كما ذكره الزمخشرى فى الاساس وغيره ولاعبرة بمن انكره او قال انه مولد والصواب المكتب (وعلمه) اى التشهد (ايضا على المنبر عمر بن الخطاب) كما علمه عليه ابو بكر فى خلافته يعنى بذلك شهرته بحيث لايخفى على احد ولايترك ولادليل له فيه لان ماعلم على المنبر لم ينقل ولم يذكر بدون ذكر الصلوة حتى يتم له ما ادعاه ثم اشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال (وفى الحديث) الذى رواه ابن ماجة والحاكم فى مستدركه والطبرانى والدارقطنى والبيهقى وفى بعض الفاظه اختلاف ما (لاصلوة لمن لم يصل على) بالتشديد وروى لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعى على ان الصلوة لاتصح بدونها (قال ابن القصار معناه) المراد منه (كاملة) الاجر وهو صرف للنفى عن المتبادر منه من نفى الصحة الى نفى الكمال فتصح وان لم تكمل وهذا مبنى على قاعدة اصولية وهى ان النفى اذا دخل على شئ ليس بمنفى هل يقدر الصحه او الكمال فقال الشافعى الارجح تقدير الصحة لانه اقرب الى نفى ذات الشئ وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوى فى شرح المصابيح فى حديث انما الاعمال بالنيات (اولمن لم يصل على مرة فى عمره) وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسيأتى تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية بقوله (وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) لانه كما قاله الامام الخيضرى فى كتاب اللواء المعلم من حديث عبدالمهيمن بن عباس عن ابيه عن جده وعبدالمهيمن ليس بحجة وروى من طريق اخرى لم يثبت انتهى (وفى حديث ابى جعفر) محمد الباقر بن زين العابدين (عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل على فيها وعلى اهل بيتى لم تقبل منه) وهذا يفيد ان الصلوة على الآل فى التشهد الاخير واجبة كالصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وفيها قولان للشافعى والصحيح فى المذهب انها غير واجبة واما فى التشهد الاول فمن قال انها واجبة فى الاخير قال باستحبابها وبما ينسب للشافعى رضى الله عنه فى ذلك

يا اهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن انزله

كفاكم من عظيم القدر انكم * من لم يصل عليكم لاصلوة له

فيحتمل لاصلوة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلوة على الآل ويحتمل لاصلوة له كاملة فيوافق اظهر قوليه (قال الدارقطنى الصواب انه من قول ابى جعفر بن محمد)

الباقر بن زين العابدين (بن علي بن الحسين) بن علي بن ابي طالب (لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم) وهذا يوافق ماقاله الامام الشافعي ففيه تأييد له دون ماقاله المصنف *واعلم ان الامام الخيضرى صنف فى هذه المسئلة كتابا سماه زهر الرياض فى ردماشنعه القاضي عياض طالعته بتمامه وقدقال فيه ماقصدت به تنقيص مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال فى الام فرض الله تعالى عز وجل الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الآية فلم يكن فرض الصلوة عليه فى موضع اولى منه فى الصلوة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ساق باسناده الى ابى هريرة انهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك يعني فى الصلوة قال تقولون اللهم صل على محمد الى آخره وساق بسنده ايضا الى كعب بن عجرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى الصلوة اللهم صل على محمد الى آخره فلما روى انه كان يعلمهم التشهد فى الصلوة وانه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول التشهد واجب والصلوة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرائض ان يتعلم التشهد والصلوة عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ما قاله المصنف رحمه الله وقال هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف اقدم على هذه المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهي قولة غير صحيحة ينادى مدعيها على نفسه بفضيحة واى فضيحة وسترى حججا بالغة وسننا متنوعة وثمار براهين لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها فى التشهد الاخير الآية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر المطلق يقتضي الوجوب مالم يقم الدليل على خلافه والله قد امر عباده بالصلوة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلوة المأمور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره والسلام الذى علموه هو السلام فى الصلوة والتشهد فمخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلوة عليك المأمور بها فقال اللهم صل الى آخره وهما فى الصلوة فى ظاهر الحال ويؤيده انه لوكان خارج الصلوة كان كل من دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلوة عليه بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون فى تحية الصلوة السلام عليك يارسول الله او نبي الله صلى الله تعالى عليك وسلم ونحوه مما تعلموه زائد على التحية فى الصلوة فيخرج هذا مخرج البيان لما فى القرآن وظهر وجه دلالة الآية عليه واورد

عليه ان يقول الصحابة قد عرفنا السلام عليك وكيف الصلوة يحتمل انه يراد به السلام في الخروج من الصلوة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا تطرق اليه الاحتمال بطل به الاستدلال وان غاية ما ذكرتم دلالة اقتران الصلوة بالسلام على الوجوب في الصلوة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا لم [illegible] وجوب السلام وهو غير [illegible] بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام فقط حتى يكون المراد السلام من الصلوة والقائل لم يستدل باقترانه وانما استدل بالامر بها في الآية وبهذا سقط ما بعده والدليل الثاني من السنة ما في البخاري [illegible] قال عبد الرحمن ابن ابي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمنا كيف [illegible] عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد [illegible] ورواه مسلم وغيره من طرق ساقها واخذ بظاهرها [illegible] لكنها مطلقة لم تقيد بالصلوة [illegible] هذا من ادلة العلماء [illegible] على ان المراد بها في الصلوة [illegible] الادعية ولا [illegible] بهذا القول [illegible] احمد في مسنده من طريقين عن ابن اسحق [illegible] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه [illegible] من المصنف رحمه الله تعالى انه قال في [illegible] في غير الصلوة وفي الصلوة والاذان [illegible] ان الله كيف [illegible] هذا على الشافعي [illegible] الشافعي في مسنده [illegible] ما يدل على الوجوب [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي [illegible] على عدم وجوبها ثم ذكر احاديث [illegible] صلى الله تعالى عليه [illegible] ما تقدم اي ما سبق ومن الادلة الا [illegible] رحمه الله تعالى [illegible] صلى الله تعالى عليه [illegible] الله تعالى في [illegible] صلى عليه [illegible] اولغيره اذا [illegible] صلى الله تعالى عليه [illegible] والحاكم وابن حبان وقال انه على [illegible]

لانه لم يأمره باعادة الصلوة وقد قال ايضا ان هذا الدعاء كان خارج الصلوة لان الترمذى روى هذا الحديث فى جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفرلى وارحمنى فقال له عجلت ايها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله تعالى بما هو اهله وصل على ثم ادع وفى رواية عما تحب قال انه كان غير عالم بوجوبها فلم يأمره بالاعادة ويحتمل انه اعادها او انها نفل لا تجب اعادتها وما ذكر من الحديث رواية غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الآخر مع قوته ورواته على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعده فى الصلوة ثم اورد على قول المصنف انه اى الشافعى لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود روى حديث التشهد وروى عنه انه كان يراها واجبة فى الصلوة وابو مسعود البدرى روى عنه مرفوعا وموقوفا ومنهم ابنه عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن على بن الحسين والشعبى كما قاله البيهقى ومقاتل بن حيان ومحمد بن كعب القرظى كما نقله الماوردى واسحق بن راهويه كما نقله المذهب واحمد بن حنبل فى رواية عنه ومن العجائب ان المصنف انكر على الشافعى ما ذكر وقال فى شرح مسلم ما نصه حكى ابن العربى عن مذهب مالك فى المسئلة ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والفضيلة فحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب فى الصلوة كمذهب الشافعى وكلامه يحتمل الوجوب على الجملة ونقله ايضا فى كتابه هذا وعبارة ابن القصار فى كتابه عيون الادلة وهو من اجلة كبرائهم بعد ما نقل ما يأتى من ادلة المخالفين فى فرضيتها فى الصلوة وجدنا ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القائلون بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة لم تتم الا به وان الصلوة لا تتم الا بذكر الله وتحميده كما فى فاتحة الكتاب ووجب ان يذكر الله ورسوله الا عليه الصلوة والسلام على الرسول لانه لا تخلو الصلوة عن ذكره مع الله كما فى الاذان والاقامة فهذا كله يدل على انه قال بالسنة وقال ابن العربى فى احكام القرآن ان الصحيح ما قاله ابن المواز ... كيفية ووقتا كما بيناه فى مسائل الخلاف ... امام مشهور من ائمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب فى منهاجه وشارحه ابن عبد السلام ... قول راجح فى مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من ... الى ... مع ما ... فى كلامه هنا واذا نقل هذا عن ... ولم ... غيره ... تصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل فى الاصول وعمل الناس على الصلوة عليه بعد التشهد وتعلمها للصبيان فكيف يدعى خلافه واما ... الشافعى فان حرملة واتباعه ومالك فى احد قوليه واليه ذهب بعض ... والقشيرى والطبرى كما قاله ... رحمه الله تعالى

ولهم ادلة وحديث التشهد المروى عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس في رواية منه ذكر الصلوة ثم سردها وروايتها وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه ثم قال والجواب عنه من وجوه منها انه لم يقل انه جميع الواجب في الجلسة الاخيرة فايجاب الصلوة فيها بدليل آخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام ولم أمرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد اوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل آخر وايضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا الصلوة فاى فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلوة كالسلام ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافي مستصحب للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه وأما ورد ايضا بان التشهد فرض حين فرضت الصلوة وفرضت الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت آية الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان بعامه قبل فرضها فلا يسر عدم ذكره في تلك الرواية فلذا قالوا له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا السلام فكيف نصلي عليك * فان قلت فما تقول في الحديث الصحيح المروى الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا فقد قضيت صلوتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه يدل على الصلوة عليه فيها [illegible] بواجبة [illegible] قال [illegible] في [illegible] * قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطني في العلل انه من [illegible] في الحديث وصله بكلام النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الحديث [illegible] واتصاله يحتمل ايضا انه قبل ايجاب الصلوة عليه [illegible] وقولهم السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام [illegible] وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه [illegible] القائلين بان التشهد ليس بواجب واعلم [illegible] عليهم لانهم لا يقولون [illegible] تمام الصلوة على التشهد [illegible] ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها [illegible] ما ذكره الامام الجزري بما هو هنا وقد بالغ الشافعي في الرد على [illegible] رحمه الله تعالى وتحمله فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم [illegible] على [illegible] لا على الشافعي اذ لم يخالف [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] بل تمسك بادلة [illegible] قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان [illegible] وقال شيخنا ابن قاسم قلت واى محذور في تفرد ابن ادريس واى [illegible] موافقة [illegible] ولكن اذا [illegible] وما على

(الاولى)

الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ هما قالوه ايضا تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا من لباب الالباب الذى لاتجده فى غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوى فى التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستيذان او بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند ابى حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلوة عليه بقوله قولوا اللهم صل الى آخره بعد قولهم كيف نصلى عليك الا ان يقال استفيد الوجوب من امر خارجى فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية بيان واجب انتهى وفيه نظر ﴿ فصل فى المواطن ﴾ اى الاماكن وهو من قبيل المستقر لان معناه مكان الوطن والاقامة (التى يستحب) ويسن (فيها الصلوة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بالبناء للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوائد والثواب (من ذلك) المستحب المرغب فيه (فى تشهد الصلوة) وهو الثناء على الله فى الجلسة فيها وسمى تشهدا باسم جزئه وهو قوله تعالى (فيها اشهد ان لا اله الا الله الخ) واطلقه ليشمل الاول والاخير فانه مستحب فى الاول واجب فى الاخير كما تقدم تفصيله (كما قدمناه) فى الفصل الذى قبله (وذلك) اى موطنه ومحله المعلوم مما قبله (بعد التشهد) اى قوله اشهد ان محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) المأثور فى كتب الفقه او بما شاء (حدثنا القاضى ابو على) هو ابن سكرة شيخه كما تقدم (قراءتى عليه) لا بغيره من طرق الاجازة قال (حدثنا الامام ابو القاسم البلخى) نسبة لبلخ مدينة معروفة قال (حدثنا الفارسى) تقدمت ترجمته (عن ابى القاسم الخزاعى عن ابى الهيثم ابن كليب عن ابى عيسى الحافظ) هو الترمذى صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم قال (حدثنا محمود بن غيلان) ابو احمد الحافظ المروزى اخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى) وفى نسخة زيد بلا نون ياء والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصرى نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن ابى حنيفة وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن حيوة بن شريح) تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس فى الاعلام وفيه (؟) قال (حدثنى ابو هانئ الخولانى) اسمه حميد بن هانئ وهانئ بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ياء وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفى سنة اثنين واربعين ومائتين (ان عمر بن مالك الجنبى) وفى نسخة عمرو بواو وهى الصواب وهو ابو على الجنبى بفتح الجيم ثم نون ساكنة وباء موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصرى ثقة وذكره فى الميزان توفى سنة اثنين او ثلاث ومائة (اخبره انه سمع فضالة) بضم الفاء وفتح الصاد المعجمة ولام وهاء تأنيث (ابن عبيد) بالتصغير بن نافذ بن قيس الانصارى الاوسى ابو محمد الصحابى ولى قضاء دمشق وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج له احمد وغيره (يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلوته) بعد التشهد

فى الجلسة الاخيرة (لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد تشهده (فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا) بفتح العين وكسر الجيم اى اسرع بدعاءه واتى به فى غير محله قبل ان يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الدعاء معلق حتى يصلى عليه كما يأتى فان من سأل حاجة لابد له ان يقدم وسيلة توصل لقضاء حاجة (ثم دعاه) اى طلب ذلك الرجل وقربه اليه (فقال له اولغيره) اووجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفى نسخة ولغيره بالواو (اذا صلى احدكم فليبدأ) بالهمز اى يقدم على دعاءه ليقبل (بتحميد الله والثناء عليه) عطف تفسير لبيان ان المراد مايفيد المدح والثناء لاخصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفى كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل فى محله (ثم ليصل على ثم ليدع) بلام مكسورة اوساكنة اللام (بعد بماشاء) من الخير والدعاء بالمأثور افضل (وروى من غير هذا السند) الذى رواه المصنف عن الترمذى ورواه ابوداود (بتمجيد الله) بميم وجيم ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجة بسند آخر (وهو اصح) رواية لقوة سنده لامن حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر والاتم استدلال المصنف رحمه الله به ان كان فى الصلوة وقد استدل به الشافعى على وجوبها فيها كمامر وقد نوزع فيه فانه ورد من طريق آخر تقدمت قريبا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم له عجلت ايها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلوة فلايدل على مدعاه * اقول قد اجاب الخيضرى عنه باجوبة حاصله انه ليس نصا فيما ذكرت لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة فى التشهد وقد ورد التصريح به فى رواية اخرى فاندفع الايراد (وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) كما رواه الترمذى (قال الدعاء والصلوة) عطف تفسير والمراد به العبادة المخصوصة الاانه قيل ان هذا اللفظ اى الصلوة ليس مذكورا فى الترمذى وهو المشهور (معلق) كل منهما اى موقوف قبوله فهو استعارة او حقيقة لان الملائكة لاتصعد به (بين السماء والارض لايصعد الى الله منه شئ) لعدم رضاه برفعه اليه (حتى يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم) لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السماء اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلوة عليه لانه هو الذى هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا اليه وقد فسر قوله تعالى ﴿لاتفتح لهم ابواب السماء﴾ بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولامانع منه (وعن على) بن ابى طالب رواه عنه البيهقى وابن عساكر وغيره (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) اى بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه عن عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال وعلى آل محمد) فلابد من الصلوة على الآل مع الصلوة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام عليه (وروى) رواه عبد الرزاق

(والطبرانى)

والطبراني بسند صحيح (عن ابن مسعود ان الدعاء محجوب) عن السماء فلا تفتح له ويلزمه انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول (حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلوة اذا القبول ليس من شرائط الصحة ومن ادعاه فقد تبرع بالا علة ولا يقبل ولو عد المصنف هذا موطنا مستقلا كان اولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل الدعاء ايضا (وعن ابن مسعود) في حديث صحيح مسند (اذا اراد احدكم ان يسئل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه) كما ارشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل لك ان احدا احيي ميتا بقراءة الفاتحة فلا ينكره وليقرأها ملاحظا للثناء عليه وحمده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والاخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض اموره اليه لقوله اياك نستعين ثم يسأله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعاء (بما هو اهله) اي بما يستحقه ويليق به (ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليستشفع باقرب مخلوقاته واحبهم اليه فانه الوسيلة العظمى (فانه) اي دعاءه بهذه الكيفية (اجدر) اي احق واليق (ان ينجح) بضم اوله مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبراني وابن ابي الدنيا بسند صحيح فيقدم صلوته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويختم بها ويوسطها في دعائه كما قال الخيضري ويدل له ما يأتي فكلما اكثر من صلوته عليه صلى الله عليه وسلم تحقق الاجابة (وعن جابر) بن عبد الله فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب) قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب) اي من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه (يملؤ قدحه) وهو اناء صغير من خشب يشرب به ونحوه (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) الذي يريد حمله على راحلته (فان احتاج الى شراب) اي شرب ماء (شربه) اي شرب ماء قدحه الذي وضعه فيه (او الوضوء) من ماء قدحه (توضأ) بالهمزة ويجوز ابدالها الفا (والا) اي وان لم يكن محتاجا لشرب او وضوء (هراقه) بتقدير مضاف اي هراق ماءه اي صبه على الارض لاستغنائه عنه واصل هراقه اراقه فابدلت همزته هاء وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله في كتب العربية قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخروني اذا صليتم علي في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به كما اشار اليه بقوله (ولكن اجعلوني) اي اجعلوا ذكري في الصلوة علي (في اول الدعاء واوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتأخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لراحلته يبدأ بمتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر اقدحه فيأخذ

مافيه او يرقه وهذا كقول حسان رضي الله عنه في هجائه * فانت هجين نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد * والراكب يحمل القدح خلفه وفي هذا الحديث رغبة على ماقبله بجملة او لا و سطا و آخرا (وقال ابن عطاء) ابو العباس احمد بن محمد بن سهل الآدمي وهو من اجل مشايخ الصوفية توفي سنة تسع وثلاثمائة (للدعاء اركان) اي امور مهمة لابد منها شبهت باركان البناء ومنه اركان الصلوة عند الفقهاء (واجنحة) جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة للطائر (واسباب) اي وسائل للوصول للمطلوب والفوز به (واوقات) مخصوصة يكون فيها اسرع اجابة كاوقات الصلوة (فان وافق اركانه) اي قام بها وكانت تامة (قوي) اي كمل وتم كاستقوى البناء والبدن باركانه (وان وافق اجنحته) بان كان له اجنحة كاملة (طار في السماء) اي صعد اليها وقبل كما مر (وان وافق مواقيته) جمع ميقات بمعنى الوقت اي ان وقع في اوقاته (فاز) اي بالاجابة وحصلها (وان وافق اسبابه انجح) اي تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك فقال (فاركانه حضور القلب) اي توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه (والرقة) اي رقة القلب وغيرها بقوله (والاستكانة) اي الخضوع والانقياد (والخشوع) بالمذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر (وتعلق القلب بالله) بقطع النظر عما سواه (وقطعه الاسباب) بان لا يرجو غيره كما في الدعاء المأثور اللهم اقطع رجائي وحاجتي عمن سواك (واجنحته الصدق) بان يؤمن بانه لا معطي ولا مانع غيره وفي الحديث الصدق يهدي الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية (ومواقيته الاسحار) اي اواخر الليل لانها محل الاجابة ومحل الرحمن وقرب عباده منه وهو اقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة واسباب الخير كما قال الله تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) وقال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) (واسبابه) المسرعة لحصول المراد (الصلوة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) كما تقدم وقال اسبابه والمراد اسباب اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في الصحيحين وقد اختلفوا هل الدعاء افضل لما فيه من التذلل والافتقار او السكوت لما فيه من التسليم والرضاء فذهب الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله (وفي الحديث) لم يذكروا من رواه (الدعاء) الواقع (بين الصلوتين علي) بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده (لا يرد) اي فيستجاب ذلك الدعاء فان الصلوة عليه مقبولة ومن كرم الله اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسئل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو قطع بها للمؤمن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذا دعى بها مع الصلوة وبين الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل احد

واجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فهي مقبوله بلاريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لاوثوق بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الآخرة بوجه ما ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر (وفي حديث كل دعاء محجوب دون السماء) كامر في حديث الترمذي عن عمر (فاذا جاءت الصلوة علي) اى ذكرت معه (صعد الدعاء) الى السماء اى قبل واستجيب وقد اخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد واهل بيته (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن مهد ابو راشد التابعي الصنعاني احد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن عباس وغيرهما الا ان هذا الحديث لم يروعنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطه (فقال في آخره) اى آخر الدعاء (واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قبل ما تدعو به وتقول اسئلك (ان تصلي على محمد عبدك ورسولك) صلوة من (افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين) اى استجب وهو اسم فعل له * فان قلت هل يحسن ان يقال صلى على سيدنا محمد؛ قلت نعم ويجوز اتباع المأثور فيه ولكن اختلف في انهما الافضل رعاية الادب او امتثال الامر فذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب وهو الظاهر ولماعوده الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله (ومن مواطن الصلوه عليه) واماكنها (عند ذكره وسماع اسمه او كتابته) وتقدم القول بان ذلك واجب كلما ذكر او سمع وذكره اعم من ان يكون في الصلوة او عند قراءة القرآن كاذكره الجيضري في كتاب الاوراء المعلم ورواه عن السلف قوله اوكتابته اى وعند كتابة اسمه وهل يكتفي بكتابة الصلوة عليه او الافضل ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتبه ويتلفظ به ليحصل له الثواب الآتي في حديث من صلى علي في كتاب آه على ما يأتي فيه وقال بعض الحفاظ كنت اكتب الحديث فاكتب الصلوة فقط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي اماتتم الصلوه في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت عليه وسلمت (او عند الاذان) ى بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم انه عليه السلام قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلوة صلى الله عليه بها عشرا الحديث وهل يقتصر على الصلوة ويذكر معها السلام لما ذكروه من كراهة الاقتصار عليها مطلقا للآية السابقة كما صرح به النووي وقال غيره نقتصر عليها لظاهر حديث مسلم قال الجيضري ويستحب الصلوة عليه بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن ابي الدرداء انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استمع

المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمدا سؤله يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب ان يقولوا مثله وهذا انما سكتوا عنه انتهى وفيه ان الذي فيه انما هو استحباب الدعاء عندها الا الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه مسلم عن ابي هريرة (رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكناية ذكر معنى وهذا دعاء عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم يرغم كسأل يسأل رغما وارغمه الله اذله وهو من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذي من انف رفعه ويقال رفع انفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم ايضا وقال هو صحيح الاسناد وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى برمته (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث توفي سنة ثمان او تسع وثمانين ومائتين (ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما ذكره لئلا يكون مما اهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي فقال في الام وسن التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا اكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل احبه وقال المزني انها لا تستحب ولا تكره فهي مباحة وقال الاوزاعي تختص ذلك بما اذا كان قربة كالاضحية وقال الرافعي لا يجوز ان يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب بعضهم الى ان ما ذبح باسم غير الله لا يحل اكله وهذا ما ذبح للكعبة او عند قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل نفيه الا ان الاصل انه لا يستحب عند العطاس كما يأتي وقيل انما يكره اذا لم يقصد بها الحمد الصلوة على من سنه وقال الحطاب الذي تحصل من كلام المالكية ان في الصلوة على النبي عند الذبح والعطاس قولين ويكره عند الجماع والحاجة انتهى (وكره سحنون) الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام ابن عبد السلام بن سعد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلا وزهدا وسماحة ولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة وتوفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وعمره ثمانون سنة كما في الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه ايضا كما سيأتي (الصلوة عليه) صلى الله عليه وسلم (عند التعجب) لرؤية امر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلوة عليه لانه اعظم

المخلوفات واعجبها والشيء بالشيء يذكر وقال قاضيخان لو رأى شيئا جيدا فقال اللهم صل على محمد لان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرفلة * اقيل بهتز في غلالته * من ليس يشفي لعاشق عمله * فقال كل امرء تأمله * الف صلوة على رسول الله * وقات في مطلع قصيدة * طبي على الصب حين سلم * صلى على المصطفى وسلم * (وقال) سحنون (لايصلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الا على طريق الاحتساب) اى من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبة (وطلب الثواب) لا للتعجب وغيره كما امر نا الله به تعظيما له واما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العيني لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووى في اذكاره عن بعض الشافعية واقره عليه (وقال اصبغ) هو ابو عبد الله بن اصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموى مولى عمر بن عبد العزيز المصرى الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخارى وغيره وتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين في قول (عن ابن القاسم) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصرى امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفى سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثنى عشر مرة انفق في كل مرة الف دينار (موطنان لايذكر فيهما الا اسم الله الذبح والعطاس فلا تقل فيهما محمد رسول الله) اى لا تقول فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله لئلا يكون الاهلال في الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة لاذى البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال اصبغ (ولو قال بعد ذكر الله) فيهما وصلى الله على محمد (لم يكن) ذلك (تسمية له مع الله) ولكنه صلوة عليه بنية التقرب الى الله بالصلوة عليه فلا يكره وعن ابى سعيد الخدرى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل بيته اخرج الله عز وجل من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها اخرجه الديلمى في الفردوس بسند لا بأس به وعطس رجل عند ابن عمر فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه ولذا رجح البيهقى استحباب الصلوة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال الآخرون لا يستحب في كل موطن ذكر بخصه واستدلوا بحديث لا تذكروني في ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب وروى عند تسمية الطعام بدل التعجب اخرجه الديلمى في مسنده وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضرى يستحب لمن تعجب ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره شيحا وقال اخذته من نص الشافعى رحمه الله تعالى في قوله احب ان نكثر الصلوة عليه في كل الحالات فدخل ذلك في عمومه وفيه نظر (وقاله اشهب) اى كما قال اصبغ واشهب هو ابو عمر لقب بمسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم

العبسي ولد سنة اربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث او اربع ومائتين بعد الشافعي بثمانية عشر يوما وسنه اربع وستون واخرج له اصحاب السنن وهو احد فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم (قال) اشهب (ولا ينبغي ان يجعل الصلوة فيه) اى فيما ذكر من الذبيحة والعطاس (استنانا) اى سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى في غير طريق وهو خلاف الظاهر والذى عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل في الفروع (وروى النسائي) وابوداود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه (عن اوس بن اوس) الثقفي الصحابي ويقال اوس بن ابي اويس كما في الاستيعاب (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة) وليلتها لانه افضل الاوقات ولما ورد ان الصلوة عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور طرف من حديث افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة واكثروا من الصلوة فيه على فان صلوتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء وفيه احاديث اخر بمعناه وهذا احد مواطن الصلوة عليه (ومن مواطن) استحباب (الصلوة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخول المسجد) اى عند ارادة دخوله والخروج منه كما سيصرح به لورود الامر به في الحديث (وقال ابو اسحق بن شعبان) هو محمد قاسم المصري وقد تقدم بيانه (وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له كما امر (وان يترحم عليه وعلى آله) اى فيقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد وقد تقدم الكلام في الدعاء له بالرحمة ومافيه (ويبارك عليه وعلى آله) اى يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد اى زد البركة وادمها لهم كما تقدم شرحه (ويسلم تسليما) اى يقول صلى عليه وسلم تسليما فيأتي بالسلام مؤكدا كما ورد الامر به في الآية الكريمة وتقدم ان النووي كره افراد الصلوة عن السلام (ويقول) بعد الصلوة والسلام وفي الاذكار تقول اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك) وروى النسائي وابن ماجة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم اني اسئلك من فضلك وروى اجرني من الشيطان وماقي معناه وفيما ذكره النووي زيادة وسيأتي للمص ذكرها في آداب المسجد النبوي قيل وينبغي ذكر السلام ايضا وسيأتي مايصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة انواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح وابوابها لمناسبته

للدخول فيه من اللطف مالايخفى وكذا فى قوله (واذاخرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) اى يقول ماقاله بعينه (وجعل موضع رحمتك فضلك) لان من خرج من المسجد يخرج بكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال الله تعالى (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) وسيأتى بسط الكلام على ذلك والحديث فى مسلم الاقوله وترحم وبارك (وقال عمرو بن دينـار) هو ابو محمد مولى قيس الامام المكى التابعى توفى سنة ست وعشرين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الآية) فهذا احد المواطن التى تستحب فيها الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله وفى هذه الآية اقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد كما يأتى وفى قوله على انفسكم وجهان ايضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها بجعله كنفسه لاتحـاد جنسه واهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عنده انه امربها وكونها مباركة لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبها لذلك واطيب الانفس بها ﴿فائدة﴾ قال الامام الخيضرى فى اللواء المعلم روى ابو موسى المدينى عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش اوالمعاش فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه احد اولم يكن ثم سلم على ثم اقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادرالله عليه الرزق حتى افاض عليه خيراته (قال) اى ابن دينار (ان لم يكن فى البيت احد) يسلم عليه (فقل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) من الملائكة وغيرهم (السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته) كلام المصنف هنا فى استحباب الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لايوافقه لانه لم يذكر فيه صلوة وهو مبنى على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا او تتميما لكلام المفسرين فيها او يقال انه اذا شرع التسليم على اهل كل بيت فبيت الله واهله اولى ولكن حمل التحية على هذا على الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت على اهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى اهل بيتك كذا قيل وهو تكلف لاداعى له (قال ابن عباس) رضى الله عنهما فيما رواه عنه ابن ابى حاتم (المراد بالبيوت هنا) اى فى هذه الآية (المساجد) لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن له الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله (وقال النخعى) بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفى سنة خمس اوست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفى كما قيل لان الاول هو المتبادر لشهرته (اذا لم يكن فى المسجد احد) ودخلته يارجل

(فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحية من عند الله مباركة عليه (واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهذا يقتضي استحباب السلام عليه ولم يذكر معه الصلوة عليه وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلوة عليه دخول المنزل والمسجد كما علم (وعن علقمة) بن قيس ابو شبل الفقيه كما تقدم (اذا دخلت انا (المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) كما تقدم من انه يسن لداخل المسجد والخارج منه ان يصلي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي هذا زيادة السلام عليه على الصلوة وتقديمه عليها (ونحوه) مروي (عن كعب) الاحبار وقد تقدم بيانه (اذا دخل) المسجد (واذا خرج) منه (ولم يذكر الصلوة) على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي مستحبة ايضا (واحتج ابن شعبان لما ذكره) فيما تقدم من استحباب ان يصلي عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما (بحديث فاطمة) الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله) اي مثل حديث فاطمة وبمعناه روي (عن ابي بكر بن عمرو بن حزم) هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة واميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فسماه صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وابوه عامل عليها من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه ابو سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامره ان يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل وتوفي سنة عشرين ومائة واخرج له الستة (وذكر) اي ابن حزم (السلام والرحمة) اي الدعاء بهما (وقد ذكرنا هذا الحديث) يعني حديث فاطمة الزهراء (في آخر القسم) الثاني من هذا الكتاب (و) ذكرنا (الاختلاف في) بعض (الفاظه) لتعدد طرقه وتغاير بعض الفاظه (ومن مواطنها ايضا) اي الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم التي تستحب فيها (الصلوة على الجنائز) وهي عند الشافعي من اركانها بعد التكبيرة الثانية ويقرؤ بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجري الفاتحة بعد غير الاولى (وعن ابي امامة) هو اسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري ولد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فكناه وبرك عليه ولم يسمع منه وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة واخرج له الستة (انها من السنة) فتستحب في صلوة الجنازة عنده وليست من اركانها وذهب الشافعي في احد قوليه انها واجبة واستدل بقول ابي امامة لان مراده بالسنة طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فتشمل الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا في الصلوة على الآل هنا ايضا فقيل واجبة وقيل سنة وروى المزني انه يحمد الله ثم يصلي على

النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات وقيل ان التحميد لا يعرف هنا ويصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ادخال الميت قبره ايضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وابو داود وهذا الحديث رواه الشافعى فى الام الا ان فى سنده ضعفا كما قاله الخيضرى ورواه الحاكم والبيهقى وغيرهما وهذا وجه عند ابى حنيفة واحمد ومالك (ومن مواطنها) مواطن الصلوة التى يستحب فيها (الصلوة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (التى عليها عمل الامة ولم تنكرها) الامة (الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له (فى الرسائل) جمع رسالة كعصائب وعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذى يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الاخوان كما قيل (وما يكتب بعد البسملة) اى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة البسملة سنة فى الكتب المقررة فى القرآن والسنة لقوله تعالى (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان للكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون (ولم يكن هذا) اى ابتداء الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصدر الاول) اى فى ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة ومفسرة له (واحدث عند ولاية بنى هاشم) يعنى بنى العباس واختلف فى اول من كتبه فقيل السفاح عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس وقيل هارون الرشيد واورد عليه ان الكلاعى قال فى كتاب الاكتفاء عن الواقدى بسنده ان ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كتب فى ردة بنى سليم الى طريفة بن حاجز عامله ما صورته (بسم الله الرحمن الرحيم من ابى بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى طريفة بن حاجز سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واسأله ان يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد الى آخره) فهذا يدل على ان اول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك فى زمن بنى امية وفى الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفله بموردة عن قوله بعد البسملة فانهم احدثوا ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم فتصديره بذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم احمله واى الصلوة هل تعطف او لا على قولين فمن عطف فظاهر ومن قطعه رآه انشاء وفى عطفه على الخبر كلام طويل فى كتب النحو والمعانى (فمضى عليه عمل الناس فى اقطار الارض) اى استمر فصار سنة او بدعة حسنة مستحبة (ومنهم من يختم به ايضا الكتب) اى كما بدأها به فيجعل فى الاول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه (وقال عليه الصلوة والسلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة

تستغفر الله له مادام اسمي) مكتوبا (في ذلك الكتاب) اي المكتوب مطلقا واي ن المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب حدث بعد العصر الاول هو من المغيبات التي اخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق في معنى ذلك يحتمل ان المراد كتب الصلوة وهو اظهر اوقرأ الصلوة المكتوبة وهواوسع وارجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ بالصلوة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلماء وقال السخاوي في كتابه القول البديع في الصلوة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والمستغفري وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروى من كتب في كتابه صلى الله تعالى على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له مادام في كتابه انتهى والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبني آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء عليهم الصلوة والسلام بالاستغفار قال الله تعالى ﴿ يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب في طبيعة النوع الانساني من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية تقتضي الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يفعلون الا ما يؤمرون واشفقوا عليه وراموا ان الله لا يؤاخذه بشيء من تبعاته فاعرفه فاني لم ار من نبه عليه وذكروا في ذلك آثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي روئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني واكرمني لصلوة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في اول الرسالة وهي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه في الاولين والآخرين افضل واكثر وازكى ما صلى عليه احد من خلقه وقد روى هذا من طرق بالفاظ مختلفة (ومن مواطن السلام عليه صلى الله عليه وسلم) اي الاماكن التي يستحب فيها السلام عليه (تشهد الصلوة) الذي يذكر في آخرها واطلاقه يشمل الاول والثاني كما مر واورد في ذلك حديثا رواه البخاري وهو (حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقري الحلبي وغيره قال حدثني كريمة بنت محمد) وتقدمت ترجمتها (قالت حدثنا ابو الهيثم) تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري كما تقدم قال (حدثنا ابو نعيم) الفضل بن دكين عمرو بن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة ثمان عشرة ومائتين اخرج له الستة وترجمه في الميزان قال (حدثنا الاعمش) سليمان بن مهران وقد تقدم (عن شقيق بن سلمة) الاسدي المخضرم توفي سنة احدى وثمانين كما تقدم (عن عبد الله بن مسعود قال) اي ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع وفي نسخة (عن النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم فهو صريح (قال اذا صلى احدكم) الاصلاة

فرضا اونفلا (فليقل التحيات) الى آخره والتحية تفعلة من الحيوة ومعناها الاحياء والابقاء والملك والبقاء وكل منها صحيح هنا اى كل تحية يحي بها الملوك والعظماء ثابتة (لله) لا تليق بغيره (والصلوات) اى انواع الدعاء الذى يراد به الثناء وقيل الصلوة المعتادة يعنى العبادة (والطيبات) اى جميع كلمات الثناء الطيب لله لا لغيره (السلام عليك ايها النبى) حكاية لما علمه لهم حال حيوته ثم استمروا على ذلك تعبدا وعن ابن مسعود كنا نقوله وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبى (ورحمة الله وبركاته) اى كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له فى كل زمان (السلام علينا) معاشر الامة (وعلى عباد الله الصالحين) من جميع الامم السالفة وملائكة الدنياء والارضين والجن المؤمنين كما قال (فانكم اذا قلتموها) اى قلتم هذه الكلمات وهى السلام علينا الخ (اصابت) اى نالت رحمتها وبركتها (كل عبد) لله (صالح فى السماء والارض) لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا علم ان المصلى محسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلوة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله قيل الفصل المعقود لمواطن الصلوة عليه وهو وان لم يقل بوجوبها لاينكر كونها سنة واجيب بانه لما ذكر الصلوة شرع فى مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلوة لعلمها مما تقدم (هذا) اى التشهد فى الصلوة (احد مواطن التسليم عليه) اشارة الى ان له مواطن اخر (وسنه) اى استحبابه وفى نسخة سنيته بياء النسبة وهى اولى (اول التشهد) اى قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفى التشهد وفى كيفيته روايات مفصلة فى كتب الفقه (وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك) اى السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم) سلام التحليل اى الخروج من الصلوة (واستحب مالك فى المبسوط) اسم كتاب له وفى نسخة المبسوطة (ان يسلم بمثل ذلك) المذكور من السلام على النبى الى آخره (قبل السلام) من صلوته وهو فيما قيل خلاف المشهور من مذهبه (قال محمد بن مسلمة) بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام بن الوليد بن المغيرة توفى سنة ست عشرة ومائتين (اراد ما جاء) مرويا (عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما) اى قبل سلام الخروج (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) وهو خاتمة الصلوة (واستحب اهل العلم ان ينوى الانسان) المصلى اماما اومقتديا اومنفردا (حين سلامه) اى قوله السلام فى صلوته (كل عبد صالح فى السماء والارض من الملائكة) ونوع (بنى آدم) ومؤمنى (الجن) وقيل الامام ينوى السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره ينوى به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوى

من حضر اوغاب (قال مالك فى المجموعة) قيل اراد بها المدونة (واجب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول) قبل ان يسلم هو (السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) واعلم ان عقد الفصل الذى قبل هذا لوجوب الصلوة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التى يستحب فيها الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم وقد افرد له الخيضرى كتابا مستقلا سماه اللواء المعلم فى المواطن التى يستحب فيها الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما اتم المصنف رحمه الله تعالى ما قصده شرع فى بيان كيفيتها فقال ﴿فصل فى كيفية﴾ اى بيان الفاظ (الصلوة عليه) وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لانها من شانها ان يسأل بها عن مثله (والتسليم) عليه اى كيف يذكر السلام عليه والمراد بيان الهيئة الفاضلة اذا صلها معلوم وبدأ بحديث رواه فى الموطأ وهو قوله (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) وقد تقدم وقوله (بقرأتى عليه) هو احد طرق الرواية قال (حدثنا القاضى ابو الاصبغ) عيسى بن سهل صاحب كتاب الاعلام فى نوازل الاحكام قال (حدثنا ابو عبد الله بن عتاب) تقدم بيانه قال (حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره) بالقاف وهو معروف قال (حدثنا ابو عيسى) هو عم يحيى بن كثير الذى تقدم بيانه قال (حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى) الذى احد رواة الموطأ عن مالك كما تقدم قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه) تقدم ترجمته (عن عمرو بن سليم الزرقى) سليم بضم السين وفتح اللام والزرقى بضم الزاء المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف وهو الانصارى وترجمته فى الميزان (قال اخبرنى ابو حميد الساعدى) اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجى مدنى له صحبة اخرج له الستة واحمد فى مسنده وتوفى فى حدود الستين (انهم) اى الصحابة (قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك) سألوه عنه بعد ورود الامر به فى الآية ان الله وملائكته الى آخره فقال صلى الله عليه وسلم (قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته) ازواجه امهات المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيلة من ذرأ بمعنى خلق ترك الهمزة فى الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل اولاد البنات كما ذكروه مفصلا فى كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التى يعبر بها وباى كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه فى التشهد وامروا بالصلوة سألوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى فانه امرهم ان يطلبوا من الله ان يصلى هو عليه فكانهم قالوا لا نقدر على اداء الصلوة حق الاداء فافعل انت ما يليق به (كما صليت على آل ابراهيم) اى ازواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقررهم وفى الرواية الآتية المسلسلة اللهم صل على محمد

وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الخ وآله فيهم انبياء ورسل فشبه المجموع بالمجموع او الآل بالآل فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف شبه صلوة نبينا بصلوة ابراهيم وهو افضل منه في السؤال المشهور وقد اجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدواني رسالة فيه مشهورة شهرتها تغني عن ذكرها ويأتي الكلام عليه ايضا قريبا * فان قلت الذي في الآية الامر بالصلوة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم وآله * قلت لما كان معنى الصلوة الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه في الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلوة عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة اهل ملته كما يقال لمن يراد عقوبة ولده ارحم هذا الشيخ كما اشار اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا (وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم) اى ادم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما ادمت ذلك لابراهيم وآله (في العالمين انك حميد مجيد) اى رحمة وبركة منتشرة في جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل او مفعول اى انت فاعل الجميل وواهبه او انت المحمود المعظم فكل حمد واكرام لرسلك واتباعهم عائد اليك فانه لاجلك وامتثال امرك وهو تذييل في موقع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله على آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق (وفي رواية مالك) في الموطأ (عن ابي مسعود الانصاري) الصحابي البدري (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد) ذكره اشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطأ لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لا فائدة في ذكره وهو بعينه ما قبله (والسلام) اى كيفيته ولفظه (كما قد علمتم) في التشهد كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى سابقا وسيأتي ايضا شرحه في كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبني للفاعل او بضمها وتشديد اللام مبني للمجهول من العلم او التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووي وقيل الاول اصح ولفظ الموطأ عن ابي مسعود قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يارسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (وفي رواية كعب بن عجرة) في الترمذي بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو ابو محمد او ابو عبد الله او ابو اسحق من بني سالم بن عوف او من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي سنة اثنتين او احدى وخمسين واخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يارسول الله هذا السلام عليك

قد علمناه وكيف الصلوة عليك قال قولوا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) قال الترمذي حديث كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث ايضا رواه الشيخان عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال قلت يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل الى آخره وهو متفق عليه الا ان لفظ البخاري على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الموضعين وسقط منه آل في الموضعين ورواية المصنف رحمه الله تعالى تخالفه (وعن عقبة بن عمرو) عبد الله الانصاري الصحابي توفي بالمدينة سنة احدى واربعين في ايام علي او معاوية رضي الله عنهما وكان علي كرم الله وجهه استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين (في حديثه) الذي رواه (اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد) هم المؤمنون من ازواجه وذريته ومن يحرم عليه الصدقة من اقربائه على الراجح وفسر بجميع امته ايضا كما يأتي في كلام المصنف وهذا الحديث اخرجه احمد وابن حبان والدارقطني والبيهقي ومسلم بدون لفظ النبي الامي (وفي رواية ابي سعيد الخدري) وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك) اخرجه الحاكم بسند في بعض رجاله كلام (وذكر معناه) اي معنى الحديث السابق من قوله كما صليت الى آخره ورواه البخاري ايضا ثم اورده من طريق آخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل ماوقع معه امر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قول او فعل ونحوه ووقع مثله قصدا من جميع رواته تبركا بمحاكاته في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله (حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي) تقدم بيانه (بها ما عليه) بقراءة غيره عليه (وابو علي الحسن بن طريف النحوي) طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفاء احد شيوخ المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكره في كتابه الا في هذا الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة احدى وعشرين وخمس مائة وفيها توفي ابن رشد (بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه) امر به كما تقدم في ذكر الشوفي اليه قال (حدثنا ابو بكر المطوعي) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الواو المشددتين وعين مهملة تليها ياء نسبة غلب على المجاهد تطوعا بلا اجرة وهو محمد بن علي الغازي النيسابوري قال (حدثنا ابو عبد الله الحاكم) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ المحدثين في عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلث مائة وتوفي في صفر سنة خمس واربع مائة وله ترجمة في الميزان وفي مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه (عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ) المنذر البجي

الحاكم احمد بن محمد بن السرى بن يحيى بن السرى التيمى الكوفى محدث الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفى فى المحرم سنه اثنتين او ست وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان (عن على بن احمد العجلى) هو ممن يروى عنه ابو بكر المذكور ولم يعرف (عن حرب بن الحسن) وفى نسخة ابن الحسين وهو الطحان قال فى الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان فى الثقات (عن يحيى بن المساور) بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب (عن عمرو بن خالد) ابو خالد القرشى مولى بنى هاشم الكوفى روى عنه خلق الا انه كذاب له قبائح مذكورة فى الميزان (عن زيد بن على بن الحسين) بن على بن ابى طالب وهو ابو الحسين العلوى المدنى اخو محمد الباقر النسيب الامام الثقة رأى جماعة من الصحابة واستشهد رضى الله عنه سنة اثنتين وعشرين ومائة (عن ابيه) على بن الحسين بن على بن ابى طالب قال الزهرى ما رأيت قرشيا افضل منه توفى سنة اربع وتسعين وهو امام ثقة جليل اخرج له الستة (عن ابيه الحسين عن ابيه على بن ابى طالب قال) على رضى الله تعالى عنه (عدهن فى يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة لمقدر اى كلمات تذكر فى التشهد او صلوات ذكرها الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان فى حال ذكرها بعدها الى فى يدى باشكا لها يشير الى انه حديث مسلسل بالعد فى اليد الى جبرائيل تنبيها على حفظها وان لا يترك واحدة منها (وقال عدهن فى يدى جبريل وقال هكذا) اى بهذا العدد (نزلت من عند رب العزة) سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب حال يقتضى الامتناع من القهر والغلبة من الارض العزاز وهى الصلبة فرب العزة اما بمعنى من له العزة وهو مالكها كما قال الله تعالى (ولله العزة ولرسوله) او من يعطيها من يشاء كما قال الله تعالى (تعز من تشاء وتذل من تشاء) وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسوله (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) اى افض عليه وعلى آله رحمتك وانعامك (كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) جعله مشبها به لشهرته لا لانه افضل واعلى كما مر (انك حميد مجيد) اى محمود ممجد او المستحق للثناء والشرف من اثنيت عليه وشرفه (اللهم بارك على محمد) اى انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى (وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وفيه انه يدل على جواز الدعاء للانبياء بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم (اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) تحنن تفعل من الحنين صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من اسماء الله بمعنى الرؤف المنعم (اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال السيوطى

فى الجامع الكبير قال الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف واخرجه الديلمى وابن مندة والترمذى وقال العراقى ضعيف جدا وعمرو ابن خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن اورده الازدى فى الضعفاء وقال حديثه ليس بذلك وقال ابن حجر فى اماليه اعتقادى انه موضوع وفى سنده ثلاثة ضعفاء وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب * قلت وجدت له متابعات تجبره وان لم يخل من الضعف ووجدت له طريقا آخر عن انس فى مسنده انتهى * قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا ايضا فتعدد هذه الطرق يقتضى انه غير موضوع غاية مايقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد علمت ان الحديث مسلسل وتقدم ان المسلسل ماتوارد رواته على حالة واحدة او صفة فى اسناده او صيغ ادائه ومن قوله وترحم يرد قول ابن العربى ان زيادة الترحم فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة وقال الصيدلانى انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لايقال رحمت عليه بل رحمته وفى الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله ويأتى رده وفى الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لااصل لها وقال ابن ابى زيد المالكى وبعض المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا فى التشهد ويأتى نقله عنه فى كلام المصنف مع رده وفى شرح مسلم الاختيار تركه ان لم يأت فى خبر صحيح وقال السخاوى من زاده راه من فضائل الاعمال ويكفى فيه الحديث الضعيف وقال ابو جعفر والسرخسى من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمة الله لايستغنى احد عنها وذهب كثير الى انه لايدعى للانبياء عليهم الصلوة والسلام بالرحمة وفى شرح البخارى لابن حجر انه غير مسلم لوروده فى احاديث كثيرة فى التشهد السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابى له صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحمنى وارحم محمدا وتقريره وفى حديث ابن عباس اسئلك رحمة من عندك وفى الحديث عنه استغفرك لذنبى واسئلك رحمتك ويا حى ياقيوم برحمتك استغيث وفى الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالى بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه لغيره يدعى له بالرحمة اقول هذا كلام مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه لنفسه بالرحمة لامنع منه اصلا واما دعاء غيره له فمالم يؤثر فعلى الافراد مكروه وبالتبع للصلوة ونحوها لاكراهة فيه وهذا هو الحق عندى ثم ان الصاغانى نقل فى العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت ترحما وفى الحديث مايرده وخص ابرهيم عليه السلام بالتشبيه قال البغوى عن مقاتل لانه افضل الانبياء بعد نبينا ومكافاة له على دعائه لامة محمد بقوله رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين او لمشاركته على دعائه لامة محمد فى التأذين للحج والايمان او امره بذلك اجابة لدعائه بقوله اجعل لى لسان صدق فى الآخرين ولانه امر بالاقتداء واما التشبيه له والمشبه دون المشبه به فقد اجيب عنه بانه قاله قبل ان يعلم انه افضل منه او لسبق زمانه واشتهاره

لا لعلو مرتبته وقيل المشبه آل محمد وفيه تحقيقات في رسالة الجلال الدواني وفي الدر المنضود لشيخ مشايخنا ابن حجر ان التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبياء من آل ابراهيم كثيرون فاذا قبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة التي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول ابن عساكر وابن عبد السلام ماحاصله ان الصلوة على النبي وآله شبهت بالصلوة على ابراهيم وآله فيحصل لنبينا وآله من آثار الرضوان مايقارب الحاصلة لابراهيم وآله الذين هم معظم الانبياء ثم تقسم الجملة فلايحصل لآله منها ماحصل لآل ابراهيم اذ غير الانبياء لايساويهم فيتوفر مابقى من آثار الرضوان الشاملة لمحمد وآله على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يشعر بانه افضل من ابراهيم انتهى واعترض بانه جاء في رواية مقابلة الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى (وعن ابي هريرة) في حديث رواه ابوداود وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت) اى من احب ان يأتى باحسن صلوة واعظمها او من اراد ان ينال اجرا لايساويه فيه غيره فالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة او شبه الاجر بمايشترى من الحبوب والتمر وشبه ذكره اومثله له ما كتياله له لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية والاجر لظهور ارادته في ضمن المذكور ووجه الشبه انه به البقاء والمكيال بكسر الميم آلة الكيل والاوفى افعل التفضيل من الوفاء وهو استيفاء الشيء وحيازته والمراد الترغيب في الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة (فليقل) اذا صلى عليهم (اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) ففضل هذه الصلوة لمافيها من شمول آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بمايحبه وذكر الصلوة على ابيه ابراهيم والايمان به وبغيره من الانبياء وهذا الحديث صحيح اخرجه ابو داود والطبراني وغيرهما كما علمت (وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعدموته وهذا اخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابو نعيم والنسائي والطحاوي والبغوي (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك) هذه الجملة معمولة لسألت لتضمنه القول اولقول مقدر (فقال صلوا على واجتهدوا في الدعاء) المراد به الصلوة وعبر به تفننا اوالمراد الدعاء لانفسهم بمايريدون واجتهدوا بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم (ثم قولوا) بعد الصلوة عليه وعلى آله وازواجه وذريته (اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم مايغني عن اعادته (وعن سلامة الكندي) هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان

في الثقات وانه يروى عن علي كرم الله وجهه (كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم) وفي رواية يعلم الناس ويقول قولوا وفي الدر المنضود ان ذلك جاء عن علي بسند ضعيف وله طرق اخر رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها لم يدرك عليا (اللهم داحي المدحوات) وروى المدحيات ودحى بمعنى بسط قال الله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) اى مدها وبسطها لانها خلقت اولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضي السبع وفيه اطلاق الداحي على الله تعالى واستدل به من قال الاسماء ليست توقيفية وانه يكفي ورود مادتها كدحى (وبارئ) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال اى ميز وابرز و(المسموكات) بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات وروى سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعد ولازم (اجعل شرائف صلواتك) اى افضل صلواتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف واصله ما علا من الارض على غيره (ونوامي بركاتك) اى ما زاد الى غير النهاية من خيراتك اى بركاتك النامية فهي من اضافة الصفة لموصوفها (ورأفة تحننك) اى لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها بدلالتها على القرب (ورسولك) الذي ارسلته لجميع خلقك (الفاتح لما اغلق) بضم الهمزة وكسر اللام مبنى لما لم يسم فاعله من اغلق الباب والقفل ونحوه اذا اقفله وهو ضد الفتح هذا حقيقته ويستعار للمصعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لارساله بعد الفترة الجاهلية او انه فتح الله به على عباده انواع الخيرات وابواب السعادات الدنيوية والاخروية او بين لامته ما اوحى اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك قيد اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسيره بانه اول الناس خلقا وآخرهم بعثا كما فسر به جعلتك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله عليه السلام اوتيت مفاتح الكلام لما اوتيه من اعجازه وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى امته من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله اوتيت مفاتح خزائن السموات والارض (والخاتم لما سبق) من النبوة والرسالة فانه لانبي ولارسول يرسل بعده ولا في عهده وعيسى اذا نزل كان على شريعته ومن امته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من امته ايضا ولا حاجة لتفسير ما سبق بالانبياء والرسل وجعل ما بمعنى من (والمعلن) اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو الجهر (الحق) بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع الخافض اى (بالحق) اى بالامر الحق لا بالقهر والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير او الحق الثاني المراد به الله عز وجل

فانه من اسمائه اى بمعونة الله وتأييده (والدامغ) اى الدافع والمزيل ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف القياس اوجمع مفرد مقدر اى الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا والقى عليه صخرة رضته والصقته تراب المذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لاينبغى وقيل الاباطيل جمع ابطولة اوابطيلة او ابطالة ولم يسمع (كما حمل) بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة مبنى للمجهول (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوى على حمله ونهض به لشدة تحمله عليه وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهى القوة واصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه وجوز ان يكون للتعليل وان تكون بمعنى على والاول اولى واظهر فهو متعلق بما قبله او خبر مبتدأ مقدر اى هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت له تحمله اثقال الرسالة واعباءها فقام بها اتم قيام اوصلى وسلم عليه لقيامه بذلك اوفعل به هذا جزاء له على ذلك (بامرك) اى قام بها بسبب امرك امتثالا له لالغرض آخرا والمراد بامره تيسيره واعانته وقوله (بطاعتك) بدل مما قبله او متعلق به لا مره بطاعتك فامتثله وادى ما كلفته به وفى نسخة لطاعتك باللام (مستوفزا) حال من الضمير فى حمل او اضطلع والاستيفاز الوثوب والانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال اى مسرعا مستعجلا فى الاتيان بما امرته به جادا غيرمتوان ومنه قولهم الفيته على اوفازاى على عجلة جمع وفز ومن العجيب ماقيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام وتأخر عنه جبريل وفيه خبط لايخفى على عادته (فى مرضاتك) مصدر ميمى بمعنى الرضى وفى ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما فى حديث دخلت امرأة النار فى هرة وفى بعض النسخ (بغير نكل فى قدم ولا وهى فى عزم) اى لاجبن يطرو عليه فى اقدامه ولاضعف فى عزيمته ويروى واهيا بالمثناة التحتية (واعيا) اى حافظا ضابطا (لوحيك) الذى اوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما لقيه من المشاق فى تبليغه الرسالة ومنه اذن واعية واصل الوعى جعل الشيء فى وعاء قال * والشر خبث ما اوعيت من زاد * وحفظه شامل للعمل به (حافظا لعهدك) اى متمسك ومداوم على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص فى طاعتك وامتثال امرك ونهيك كما قال صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت (ماضيا) اى مجتهدا مستمرا على امضاء ماعهدته وازلته مداوما (على نفاذ امرك) بذال معجمة من انفذ كذا اذا امضاه وبلغ اقصاه (حتى اورى قبسا القابس)

الا يراه قدح الزناد لخروج النار شررا توقد منه والقبس مايتناول من الشعلة قال الله تعالى (او آتيكم بشهاب قبس) والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفي المثل ماكل قادح زنده يورى اى لم يزل صلى الله عليه وسلم مجاهدا قائما على الحق حتى اظهره ابلج نيرا فاهتدى بنوره من كان فى ظلمات الجهالة وقوله لقابس اى لقابل وطالب نور الحق والهداية التى هى من (آلاء الله) بالمد جمع الى وفيه لغات بكسر الهمزة وبفتحها وبالتنوين فيهما والخامسة الى بكسر فسكون فتنوين ومعناها النعم الالهية والسعادة الابدية فى الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم (تصل باهله اسبابه) الجملة صفة قبس اى ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من اهله الذين اهلهم الله تعالى له ووفقهم لقبوله ونور بصائرهم بانواره والسبب تقدم ان معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة (به) اى بذلك القبس الذى اوراه فرأه من رأه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم (هديت) بالبناء للفاعل والمفعول (القلوب) الضالة عن طريق الحق فى ظلمة الجهل (بعد خوضات الفتن والاثم) جمع خوضة بمعجمتين وهى المرة من الخوض وهو الدخول فى الماء ويستعار للشروع والدخول فى كل امر يذم والاثم الذنب والفتن جمع فتنة وهى ما يفتتن به المرء ويطلق على الكفر وبه فسر قوله تعالى (والفتنة اشد من القتل) وهو المراد هنا بعد كفرهم وارتكابهم الآثام (وانهج موضحات الاعلام) وقع فى النسخ هنا اختلاف فسقط من اكثرها لفظ انهج فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول مفعول لهديت بنزع الخافض اى الى موضحات الاعلام وهو حال من القلوب والاعلام جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وهو ضمير القلوب اى هى ظاهرة ادلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف والبيان اى صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام او ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر ومن اثبت انهج ماض فهو بالنون من النهج بمعنى اوضح وبين وسهل وقوم كما ذكره ابن القوطية كما فى بعض الشروح وفى بعضها ابهج بالباء الموحدة من البهجة اى انار واشرق وهذا ساقط من خط المصنف كما قاله التلمسانى * فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ انهج فالمعنى ظاهر لان مآله الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ماهداهم الله له من احكام الشريعة الظاهرة ولما يظهر الاسلام ويؤيده من نصره الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التى فيها انهج بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان مآلها اظهار الظاهر والمظهر * قلت على هذه الرواية انه ظاهر فى نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسيه واظهاره بالنسبة لغيرهم واظهاره اشاعته وانتشاره الى ان يصل الى اقصى الارض فدين

له الجبابرة والملوك (ونائرات الاحكام) جمع نائرة اسم فاعل من النور والضياء من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام احكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرها وفي القاموس نار نورا وانار واستنار ونور وتنور انتهى (ومنيرات الاسلام) من انار المتعدى والاسلام بمعنى الدين اوالاستسلام والانقياد لامر الله تعالى (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (امينك) على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التي اطلعته عليها (المأمون) الذي ارتضيته لحفظ اسرارك اوخلقته حفيظا عليها كما اشار اليه بقوله (وخازن علمك المخزون) في خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى انزلته له وأتمنته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق له الاطلاع عليه (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه للشهادة على الانبياء واممهم اى تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) كما تقدم (يوم الدين) اى القيمة والجزاء بما يعلمه الله (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول اى مبعوثك ورسولك الذي بعثته وارسلته لتبليغ اوامرك ونواهيك (نعمة) مفعول لاجله اى بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين (ورسولك) الذي ارسلته الناس كافة خاتما للنبوة والرسالة (بالحق) متعلق برسول اى ارسلته بالدين الحق الثابت في نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا فهو رحمة في الدنيا والآخرة لمن آمن به وفي الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة في الآخرة بتخفيف عذابه ايضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ماحصل به من الخير والبركة لبيته والرحمة هدايتهم بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال لئلا يكون تكرارا (وافسح له [2] في عدنك) الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار للاقامة والخلود من عدن بمعنى اقام وهو اسم للجنة مطلقا ولها اسماء اخر ويكون اسما لجنة مخصوصة ايضا عرفها لهم والمراد بالدعاء له بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل امر مستحسن ولذا قالوا حسن المنازل ماسافر فيه النظر والافسحة الجنة معلومة قيل روى عدلك باللام اى معدلتك وجزائك له بما يليق به (واجزه مضاعفات الخير من فضلك) المعنى اعطه من انعامك وفضلك ماتضاعفه له من الخيرات الاخروية مما لاعين رأت ولا اذن سمعت وهو ظاهر الا انه اختلف في ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاء معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزاء فانه ثلاثي وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاء ساكنة من الجائزة وهي العطية وقال السخاوي في القول البديع في الصلوة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاء مكسورة

(٢) اللهم افسح له نسخه

من الجزاء كما ضبط فى بعض نسخ الشفاء والصواب كما وجد فى بعض الاصول المعتمد بها وصل الهمزة لان فعله ثلاثى كما قال الله تعالى ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾ انتهى اقول ان صحت الرواية بما ذكره اولا فتوجيهه انه من الاجزاء بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كادم والمعنى اكفه عن سوالك لما كافئته به من القيام باعباء رسالتك والضعف المثل فما زاد وليس بمحصور كما حققه اهل اللغة وقوله من فضلك اشارة الى ان الثواب تفضل من الله تعالى لانه لا يجب عليه شئ خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون (مهنئات له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع مهنأة بتشديد النون والهمزة اسم مفعول من الهنئ وهو السائغ وكل ما اتى من غير تنغيص وتعب وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) اى منغصات وهو حال ايضا او صفة لمهنآت مؤكدة (من فوز) بفاء وزاء معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنؤ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (ثوابك) الثواب العطاء فى مقابلة عمل (الحلول) بحاء مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا نزل اى الكائن فى الجنة او الذى اوصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم اى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفى رواية المضنون بدل الحلول اى الذى يضن به لنفاسته (وجزيل) اى كثير عظيم (عطائك) اى احسانك وانعامك (المعلول) اى المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى ويقابله النهل وهو الشرب مرة قال كعب * كانه منهل بالراح معلول * فشبه عطاءه بمنهل عذب يرده العطاش كما يريد مرارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع (اللهم اعل) بقطع الهمزة (على بناء الناس) بموحدة ونون وروى بدل الناس البانين جمع بان (بناءه) بموحدة ونون اى اجعله عاليا رفيعا اى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام او اجعل مقداره ارفع من كل مقدار او ذاته اشرف من جميع الذوات لان الذوات بناء الله كما ورد فى الحديث ووقع فى بعض النسخ ثناء الناس وثناءه بمثلثة اى اجعل مدحه والثناء عليه فوق ما يأتى به الناس عليه فانهم لا يقدرون على ادائه حق الاداء (واكرم مثواه لديك) اى اجعل مقامه عندك كريما اى حسنا مرضيا من ثوى بالمكان اذا اقام به (ونزله) بضم النون وسكون الزاء المعجمة ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه واجره وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم (واتمم له نوره) اى اجعل النور الذى اودعته فيه تاما كاملا فيكون فى سائر جهاته وحواسه وعليه كما ورد فى دعائه عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى سائر جهاتى نورا (واجزه)

فيه ما تقدم من الضبط قريبا (من ابتعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة اى بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله (له) متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل اى كافئه على ما قام به من امور الرسالة (مقبول الشهادة) اى شهادته فى المحشر للانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلى الامم (ومرضى المقالة) اى ما يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول (ذا منطق عدل) مصدر ميمى بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال ايضا والمراد به ما يقول بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لاتضاهى (وخطة فصل) بتقدير مضاف اى وذا خطة وهى بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وهى الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيمة (وبرهان عظيم) اى دليل نبوته ورسالته القوى القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس فى كتابه المسمى بالصلات والبشر * فى الصلوة على خير البشر * مع مافيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما احاط بالجيد وزاد ابو بكر بن ابى شيبة فى رواية فيها مجهول اللهم اجعلنا سامعين مطيعين واولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد عليه منا السلام (وعنه) اى عن على كرم الله وجهه (ايضا فى) كيفية (الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لكن قال الحافظ السخاوى انه لم يقف على اصله انه صلى عليه وسلم قال (ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) اى وتلا الآية الآمرة بذلك الى آخرها لتقع صلوته بعدها امتثالا لامر الله فى قوله عقبها (لبيك اللهم ربى وسعديك) اى اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد فى طاعتك وامتثال اوامرك والتثنية فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل فى كتب النحو (صلوات الله البر الرحيم) اى المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو من اسمائه تعالى ولم يسمع بار لان البر ابلغ منه وصلوات (والملائكة المقربين) كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم (والنبيين والصديقين) المبالغين فى الصدق والاخلاص من اشراف المؤمنين الصالحين (والشهداء والصالحين) لكل خير القائمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل او مفعول وهو من قتل مجاهدا فى سبيل الله لاعلاء كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوها سمى به لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة او لانه حى فكانه شاهد حاضرا ولان ملائكة الرحمة تشهده اولقيامه بشهادة الحق اولشهود ما اعدله من الكرامة حين قتل (ما سبح لك من شئ) ما مصدرية ومن زائدة وهو للتأبيد اى صلوات هؤلاء دائمة مستمرة مدة تسبيح الاشياء لك وان من شئ الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو فى قوله تعالى ما سبح الى آخره وفى نسخة وما سبح فما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية اى وصلوات الله وصلوات

كل شئ سبحانك (يارب العالمين) اى جميع المخلوقات فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا كما حقق فى كتب التفسير (على محمد بن عبد الله) متعلق بمقدر خبر لصلوات الله (خاتم النبيين) اى آخرهم بعثة (وسيد المرسلين) اى افضلهم واشرفهم واضاف خاتم للنبيين متابعة لما فى القرآن وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر واما قوله لا تسمونى سيدا فأول بلا تصفونى بسيادة كسيادتكم او هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله ايضا بمعنى المالك كما فصلناه فى غير هذا المحل (وامام المتقين) الذين يقتدون به فى العلم والعمل (ورسول رب العالمين) الى الخلق اجمعين (الشاهد) على الانبياء بانهم بلغوا اممهم وعلى اممهم بما بلغوهم يوم القيمة كما قال تعالى (وجئنابك على هؤلاء شهيدا) كما تقدم تحقيقه (البشير) للمؤمنين بسعادة الدارين (الداعى اليك) اى الذى دعا الخلق الى طاعة الله تعالى وتوحيده (باذنك) اى بامرك له بدعوتهم او بتيسيرك وتسهيلك (السراج المنير) شبهه بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المؤمنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل كامر (وعليه السلام) اى السلامة من كل وصمة ونقص (وعن ابن مسعود) كما رواه ابن ماجة والبيهقى فى كيفية اخرى للصلوة عليه (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك) المراد بجعلها انزالها ولذا عداه بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك) قدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها (امام الخير) اى امام الاخيار او المقتدى به فى كل خير (ورسول الرحمة) اى الذى ارسل رحمة للعالمين وقد ورد فى حديث مسلم انا نبى الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الانبياء وسائر الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى اقمه وفسر بعضهم البعث بالاحياء والتنكير للتعظيم (يغبطه فيه الاولون والآخرون) اى يتمنون نيل مثله من غير زوال له وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور بما راوه فقط وهو اللائق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذى خصه الله تعالى به كانه يقول هلا ساويته فى مقامه وفيه اعتراض خفى ولذا لما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فاشار الى انه فيه ضررا ليس كضرر تمنى الزوال فان الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم بيانه (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من اراد ان يشرب بالكأس الاوفى) اراد به اناء

فيه مايرويه ويزيد من الوفاء وهو الكثرة وفي القاموس وفي واوفي نمى وكثر فهو وفي وواف وهو المراد ورده الزبيدي في لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان يزيد في وزنه وقال ابو بكر الوافي الذي لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذي وفي بزنته انتهى (من حوض المصطفى) الذي يسقى منه العطاش يوم القيمة وهل هو الكوثر اوغيره فيه مافيه (فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته) بضم المعجمة وقد تكسر كما مر نسل الانسان من ذكر وانثى وقد يخص بالنساء والاطفال ومنه ذراري المشركين من الذرء وهو الخلق ولكثرتها اسقط الهمزة وقيل من ذر فرق اومن الذر لانهم خلقوا اولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا اصل له في الهمز ويدخل فيهم اولاد البنات اتفاقا على ماقاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب ابي حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن احمد ثم اجمعوا على دخول اولاد بنات فاطمة في ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمجد الكريم وبين الازواج والآل عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والآل عموم وخصوص مطلق (واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه) اي اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد المذكر وغيره وغلب بعد ذلك على طائفة ادعت تفضيل علي كرم الله وجهه على غيره كما سيأتي بيانهم في محله (ومحبيه) المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون احب اليه من نفسه واهله وماله (وامته) من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة (وعلينا) يعني المتكلم ومن يختص به (معهم اجمعين ياارحم الراحمين) ولتعميمه في هذا الدعاء وتفصيله تفصيلا تاما كان جزاء من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعاله بهذا الدعاء من جنس عمله بان يكون مشربه اوفى (وعن طاوس) هو الامام ابي عبدالرحمن بن كيسان كما تقدم (عن ابن عباس انه كان يقول) اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) يوم القيمة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم شفاعات ثمة بلغها النووي خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضاء لا لاخراج عصاة المؤمنين من النار كما قيل * فان قلت شفاعته مقبولة فما فائدة الدعاء له بهذا * قلت هذا امر نابه تعبدا لنيل الثواب وان كان امرا محققا كما في قوله (وارفع درجته العليا) ومرتبته في جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه (وآته) اي اعطه وانعم عليه (سؤله) فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اي مسؤله ومطلوبه وما يحبه ويبتغيه (في الآخرة والاولى) اي الدنيا سميت اولى لتقدمها على الآخرة ومطلوبه في الآخرة درجات قربه ونجاة امته وفي الدعاء اعلاء كلمة الله ونصره ونصر امته وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم اعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد في الحديث (كما آتيت

ابراهيم وموسى) فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلوة وليس فى هذا ذكرها قلت المراد بالصلوة الدعاء له وهو دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به (وعن وهيب بالتصغير (ابن الورد) ويقال ابن ابى الورد المخزومى المكى الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبدالوهاب ووهيب لقبه وكنيته ابوعثمان روى عن عطاء مرسلا وغيره وروى عنه كثير واخرج له مسلم واصحاب السنن وله احاديث ومواعظ توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وفى بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول (انه كان يقول فى دعائه) له صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اعط محمدا افضل ماسألك لنفسه) اى اجب دعاءه بما احبه لنفسه (واعط محمدا افضل ماسألك له) اى لاجله (احد من خلقك) واستجب دعاءهم له (واعط محمدا افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة) تعميم بعد تعميم (وعن ابن مسعود) رواه عنه ابن ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده (انه كان يقول اذا صليتم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه) اى اقصدوا احسنها وقوله (فانكم لاتدرون) انها تبلغه ام لا (لعل ذلك) الدعاء والصلوة (يعرض عليه) وتبلغه صلاتكم عليه فينبغى ان يتحرى الاحسن حتى يسره صلى الله عليه وسلم مايبلغه منه قيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وسيأتى وسئل ابن حجر هل الافضل والاحسن فى الصلوة عليه ان يقول صلى الله على محمد او على سيدنا محمد بصفة السيادة فاجاب بان اتباع الآثار الواردة ارجح لايقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جاء عن الصحابة والتابعين ولم يروعنهم الا فى حديث ضعيف فى الشفاء عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف احد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افضل صلاة فبره بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووى رحمه الله افضلها مافى التشهد والحاصل انه لم يرد ذكر سيدنا عن احد من الصحابة ولو كان مندوبا ماخفى عليهم والخير كله فى الاتباع انتهى وهذا يقرب من مسئلة اصولية وهى ان سلوك الادب احسن او الاتباع والامتثال ورجح الثانى وقيل انه هو الادب كاسى(٢) وقوله (وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك) الى قوله (انك حميد مجيد) تقدم بيانه بما يغنى عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذى ذكره ابن مسعود وارشاد للامر به من الاحسان فى الصلوة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ماهو احسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر (ومايؤثر) بالبناء للمجهول اى ينقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدأ خبره كثير الآتى (من تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم) من الصحابة وتفضيلهم كما مر (كثير) فى الآثار المروية عن السلف حتى افرد بتأليف من احسنها القول البديع للسخاوى المتقدم ذكره

(٢) وقيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه وسيأتى نسخه

(وقوله) فى الحديث المتقدم فى التشهد (والسلام كما علمتم) يعنى فى تشهد الصلوة فى قوله السلام عليك ايها النبى الخ وهو اشارة الى تفسير ماسبق فى رواية مالك عن ابن مسعود لما سألوه كيف نصلى عليك اخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وقوله علمتم بالبناء للمجهول وبتشديد اللام او بالبناء للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا علموا لكن مابعده يقتضى الاول اعنى قوله (هو ماعلمهم فى التشهد من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) تقدم تفسيره (وفى تشهد على) رضى الله عنه وتقدم ان التشهد روى عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا لم نر من رواه عن على (السلام على نبى الله السلام على انبياء الله ورسله) قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم (السلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم قيل اخر وصفه بالرسالة اشارة الى تأخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام (السلام على محمد بن عبد الله) كرر السلام عليه باسمه ونسبه تأكيدا (السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد) اى حضر (اللهم اغفر لمحمد) سيأتى بيان الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لى ولوالدى) بالتشديد مضاف لياء المتكلم (وما ولدا) زاده ليشمل اقرباءه المسلمين وحواشى نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا هو الذى قاله فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهى اول هاشمية ولدت هاشميا اسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قميصه واضطجع فى قبرها وقال جزاك الله من ام خيرا لانها ربته صلى الله عليه وسلم واحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبرى فى الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به فى الحديث وابو طالب مات كافرا وادعاء بعض الشيعة انه اسلم لا اصل له وقد نهى عن الاستغفار للمشركين كما فى الآية الكريمة انتهى واجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه آدم وحوى ولا يخفى بعده وقيل المراد تعليم من يدعو من المؤمنين ان يقوله وهو اقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه الفا وانما هو ولدى يعنى الحسن والحسين واولادهما ليس بشئ وكذا ان كان من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم او هو بناء على اسلام ابويه على ما ارتضاه السهيلى وسيأتى بيانه (وارحمهما) فيه ماتقدم (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) تقدم بيانها (جاء فى هذا الحديث عن على الدعاء للنبى صلى الله عليه وسلم بالغفران) وهى المغفرة وهى كما قال الراغب الباس الشئ مايصونه فهى من الله صون عبده عن مس العذاب والدعاء بهاله صلى الله تعالى

عليه وسلم من امته لاينبغى لايهامه القصور من المدعوله كالدعاء له بالرحمة واما قول الله له ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ودعاؤه لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه (وفى حديث الصلوة عليه) صلى الله عليه وسلم (عنه ايضا) اى عن على مثله (قيل) بالبناء على الضم اى قبل هذا تقدم من طريق الحاكم (الدعاء له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالرحمة) وانما يدعى له بالصلوة والبركة اقتصارا على ماورد فى حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم (ولم يأت فى غيره) اى فى غير هذا الحديث (من الاحاديث المرفوعة المعروفة) المسنونة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره (وقد ذهب ابو عمرو بن عبد البر) الامام الجليل القدر ... (وغيره) من علماء المالكية والحديث (الى انه لا يدعى للنبى صلى الله عليه وسلم بالرحمة) فهو مكروه عندهم لايهامه التقصير (وانما يدعى له بالصلوة) اى بهذا اللفظ المأمور به فى القرآن (والبركة التى تختص به) اى بمعنى الدوام والثبوت على المنصب ... وفيض المواهب اللدنية (ويدعى لغيره) من المؤمنين (بالرحمة والمغفرة) لانه غير معصوم ولا يخاف من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته ... المعصوم الذى غفر الله له ماتقدم وما أخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم من امته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك ايضا وكذلك الصحابة ينبغى ان يقال فيهم رضى الله تعالى عنهم ولا يرد على هذا ان الصلوة معناها الرحمة فانه لا يلزم من ... فى محله مع انه غير مسلم فان الصلوة فيها معنى التعظيم ولو كانت ... الرحمة لزم ... استعمالها فى حق غيره وليس كذلك (وقد ذكر) الامام (ابو محمد بن ابى زيد) فى مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم (فى الصلوة على النبى) صلى الله عليه وسلم فى تشهد الصلوة (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على ابراهيم وآل ابراهيم) ورده المصنف بقوله (ولم يأت هذا فى حديث صحيح وحجته) فى جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة الذى منعه غيره (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم ... (فى السلام) الذى فى التشهد (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) ... على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما وقال ... من الناس من ... وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم ورعا يقولون وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد فى خبر صحيح وانه لا يقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته ... الا بالتاء على الله وقال الاسنوى فيه اقوال وقد ... النووى فى الروضة وقول الرافعى انه لا يقال رحمت عليه غير مستقيم فان الصغانى قال يقال ترحمت عليه وقال العراقى لا يجوز ترحم بالتاء وهو مراد الرافعى بقوله انه لا يحسن وقال النووى انه بدعة وتابع ابن العربى فى انكاره وخطئه ابن ابى زيد وفى الاذكار ما قاله بعض ... ابو ابن ابى زيد

من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد بدعة لا اصل لها وقد جهل ابن العربي
في شرح الترمذي فأتاه لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله الصحابة فالزيادة استدراك
عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود
وكذا رواه الذهبي وقد قاله الشافعي في رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه كما قاله البرهان
الحلبي في حواشيه * اقول تحصل ماقالوه باسرهم انهم اختلفوا في جواز الدعاء له
صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث والذي صححه اكثر
الفقهاء والحفاظ ثبوته وجوازه ومنشؤ الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا
وذنبا حاشاه الله تعالى منه واعطاه براءة منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ﴿ ليغفر لك الله
ماتقدم من ذنبك وماتأخر ﴾ وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتأخر في عدم الوقوع
ولذا قيل المراد بذنبه ذنب امته كما تقدم فينبغي ان يقال بجوازه مقرونا بغيره غير
منفرد بعيدا وطلبا للثواب والمغفور له ليس ذنبا كذنوبنا بل امور تقتضيها الجبلة البشرية
وبأباه العادة الملكية من الاشتغال الدنيوية وان كانت مباحة او لازمة لمقامه صلى الله عليه
وسلم ولذا قال ﴿ انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ﴾ وسيأتي تحقيقه
ان شاء الله تعالى ﴿ فصل في فضل الصلوة عليه ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم
اي ثوابها وفوائدها لمن قالها (والتسليم عليه) اي قوله السلام عليك ايها النبي
ونحوه (والدعاء له) المأثور نحو اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة
والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم واظهار محبته بطلب بهيته فليس من تحصيل
الحاصل ولا الاحتياج له صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم حديثا مسندا بروايته تبركا به
رواه النسائي ومسلم عن ابن عمر (حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه)
قالوا من روى عنه المصنف رحمه الله تعالى من مشايخه واسمه احمد بن محمد عدة
ناس منهم احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولاني
واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو ابن الرخى ابو جعفر واحمد بن محمد بن
عبد الله التارني والمراد الاول لانه اشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر مايعينه
فكانه اعتمد على شهرته قال (حدثنا القاضي يونس بن مغيث) تقدمت ترجمته
قال (حدثنا ابو بكر بن معاوية) بن الاحمر الاندلسي وهو محمد بن معاوية بن
عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن عبد الله بن هشام بن عبد الملك بن مروان
ابو بكر القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومائتين
وسمع من النسائي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة
قال (حدثنا النسائي) امام الحديث صاحب السنن المشهور واسمه احمد بن شعيب
كما تقدم بيانه قال (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا من هنا الخ (سويد بن نصر)

ابو الفضل المروزى المعروف بالشاه الامام الثقة روى عن ابن المبارك وغيره واخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة اربعين ومائتين قال (اخبرنا عبدالله عن حيوة بن شريح) هو ابو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى مولاهم المروزى شيخ خراسان وابوه تركى تاجر وامه خوارزمية ولد سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وقبره يهيت يزار واخرج له السنة كما تقدم وحيوة بن شريح تقدمت ترجمته ومناقبه (قال اخبرنى كعب بن علقمة) بن كعب بن عدى التنوخى المصرى التابعى الثقة توفى سنة ثلاثين ومائة واخرج له اصحاب السنن وفى بعض النسخ كعب عن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث (انه سمع عبدالرحمن بن جبير مولى نافع) الامام الجليل الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة سبع وتسعين (انه سمع عبدالله بن عمرو) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) وهو المؤذن للصلوة او محلها كما يأتى (فقولوا مثل ماقول) من تكبير وتشهد وصلوة وحيعلة وتقدم الكلام فيه مبسوطا وقوله (وصلوا على) وفى مسلم ثم صلوا على والمعنى واحد وقد علمت ان هذا احد المواطن التى تستحب فيها الصلوة عليه كما تقدم وانه يقرن فيه الصلوة بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا تخرج الكراهة الا بالسلام كما يتم الصلوة السابقة لان السلام ... فيها فى التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلوة مقرونا بالسلام فى مواطن ... ما عقب ... وراه الا ارفعلى فى الدعاء مرفوعا وكذا فى غيره وانما حذف فى بعض المواضع اختصارا وكذا تستحب الصلوه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاقامة كما ... فيما تقدم (فانه من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه ...) فان الحسنة بعشر امثالها وكون الله عز وجل يصلى عليه ... من الرحمة له واعلاء قدره ... قال يقول بالمضارع اشارة الى انه يقوله ... بعد الاذان ... فى الحيعلتين وهو قول ... وفى قول ... لا حول ولا قوة الا بالله اى لا قدرة للعبد على طاعته الى ... الا ... وكان ابن ... يقول سمعنا واطعنا ويسن انه لا يرفع المؤذن صوته فى الاجابة لان ... (ثم سلوا الله لى الوسيلة) بان تقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتى يوم القيمة والوسيلة لغة مايتقرب به الى الغير ... فى الحديث بقوله (فانها منزلة فى الجنة) من اعلى منازلها ... هذا لمعناها اللغوى فانها تقربه الى الله (لا تنبغى لاحد من عباد الله الا لعبد) اى لا تليق ... الا على ... فلا ...

الا باقرب البشر وقد فسرت الوسيلة ايضا بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى ايضا (وارجو ان اكون اناهو) عبر بالرجاء وان كان الله تعالى اعطاه ذلك لوعد من لايخلف الميعاد تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا لامره فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادالهم لان يكونوا بين الخوف والرجاء دائما لاسيما في امور الآخره وانا تأكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدأ وخبر والجملة خبر اكون وما قيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة اى ان اكون ذلك العبد كما في قول روبة

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

لاوجه له فان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد موضع غيره لا في وضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة (فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) اى استحقت ووجبت له بفضل الله تعالى عن وحل من حل بمعنى نزل وفي البخارى حلت له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خاصته شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم من العذاب والاشمع له باعلاء درجته او بادخاله الجنة من غير حساب وفي شرح مسلم للمصنف ان هذا مختص بمن قال مخلصا قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم لامجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضى ولو اخرج الغافل كان اشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفيه الحث على الدعاء في اوقات الصلوة لانه محل الاجابة كما قالوه (وروى انس بن مالك) كما في شعب الايمان للبيهقى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلوة) واحدة في وقت ما (صلى الله عليه عشر صلوات) اى رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لاتشابه غيرها لان اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جاء بحسنة له عشر امثالها (وحط عنه عشر خطيئات) ان كان ارتكب خطيئة (ورفع له عشر درجات) باعلاء مقاماته في جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله (وفى رواية) اخرى رواها ابو يعلى (وكتب له عشر حسنات) فان الصلوة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوكله للملائكة الكتبة فيدل على انها اعظم من سائر الحسنات وصلوة الله كما علمت رحمة رحمة خاصة به فهى على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل (وعن انس) بن مالك انه روى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه ابن ابى شيبة في مسنده انه قال (ان جبريل) عليه الصلوة والسلام (ناداني) اى قال لى ويحتمل انه رآه في الافق فناداه بصوت عال قال فيه له من صلى الى آخره ويؤيد الاول قوله في بعض النسخ (فقال من صلى عليك صلوة) باخلاص بقصدها تعظيمك كما مر (صلى الله تعالى عليه عشرا ورفعه عشر درجات) فوق مقامه الذى يستحقه

وصلوة الله على من صلى عليه ثابتة في احاديث كثيرة مستندة صحيحة وفي بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لاينفى الاكثر (وفي رواية عبد الرحمن بن عوف) التي رواها الحاكم والبيهقي وصححها (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقيت جبريل فقال لي ابشرك) اي اخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر في وجهك وبشرتك وهو اصل معناه (ان الله) اي بان الله (يقول من سلم عليك) اي قال السلام عليك ايها النبي داعيا لك بالسلامة من كل نقص وسوء وملقيا اليك عنان تسليمه (سلمت عليه) اي سلمته من كل سوء وحفته عنايتي وعبر بهذا مشاكلة (ومن صلى عليك صليت عليه) ليس في هذه الرواية عدد ولا غيره فهو محمولة على مامر والحديث صحيح روى من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك فاخبره بما خطر ببالك فقال له جاءني جبريل واخبرني بان الله يقول لي من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لاتحصى (ونحوه) اي مثل هذا الحديث لفظا ومعنى (من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان) بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازني مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام واخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابي رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة او تابعي روايته مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي سنة اثنين وتسعين وهو ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بمطهرة فوجده ساجدا في شربة فتنحى عنه حتى رفع رأسه فقال له احسنت ياعمر لتنحيته عنه تأدبا ثم قال لي ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات اخرجه البخاري في الادب وغيره (وعبيد الله بن ابي طلحة) الانصاري وعبيد الله بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن ابي طلحة زيد بن سهل الانصاري اخو انس لامه ووالد اسحق واخوته وهو صحابي له رواية توفي في زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم وابن حبان والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءني جبريل فقال لي اما يرضيك يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك واحدة الاصليت

عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الاسلمت عليه عشرا واخرجه ابن الجوزى في الوفاء بزيادة ولا يكون لصلوته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الاقال صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم (وعن زيد بن الحباب) بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف (قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) الظاهر من السياق انه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر النسخ وهو كما قالوه وهم او بيض له او سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي ولا تابعي واين هو واين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به بأس ورحل في طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف رحمه الله تعالى لما اراد كتابة الحديث سقط اول سنده ولذا قال يحيى بن على القرشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعي ولا من اتباعه وانما روى عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه واسم ابيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن بن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمى عن رويفع بن ثابت الصحابي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معضل لامرسل كما قيل وابن الحباب توفى سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار اعظم من الذنب فانه ليس بمعضل ايضا لان المعضل اذا قيل سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب الشمنى عنه بان المصنف رحمه الله تعالى اسقط ماعدا زيد لانه لاغرض له في ذكر رواته لاوجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد هذا هو ابو الحسين الحافظ الخراسانى والذى يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول ابى هريرة وهو المقصود بالرواية ومابعده متابعة له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية مايمكن في توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد الاان نظر لزيادة قوله وعن (من قال) في صلوته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم صل على محمد وانزله) اى اعطه (المنزل المقرب) بصيغة المفعول ويجوز كسر رائه (يوم القيمة) هو على ظاهره او المراد في الآخرة والقرب منه رفعة معنوية المرادمنه تعظيم الثواب وفيض المواهب الربانية لاقرب مكانى لان الله تعالى منزه عنه (وجبت له شفاعتى) اى تعينت وتحققت بلاتردد لان الله تعالى لايجب عليه شيء عندنا (وروى ابن مسعود) في حديث صحيح رواه الترمذى وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود (اولى الناس بي يوم القيمة) اى احقهم بشفاعتى وعنايتى اواقربهم منى منزلة (اكثرهم صلوة على) فان ذلك يدل على محبته والمرء مع من احب (وعن ابى هريرة عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (من صلى على في كتاب) كتبه من تأليف ورسالة وغيره كما مر بيانه (لم تزل الملائكة تستغفر له) اى تدعو له بالمغفرة (ما بقى اسمى) اى مدة بقائه مكتوبا (في ذلك الكتاب)

والمراد التأبيد كقوله تعالى (مادامت السموات والارض) قال الطبرانى فى الاوسط رواه ابو الشيخ فى الثواب والمستغفرى وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء رووه بسند فيه ضعف ومثله يعمل به فى فضائل الاعمال وقال خاتمة العلماء المالكية الحطاب فى معنى ذلك يحتمل ان المراد انه كتب الصلوة عليه فى كتابه ويحتمل انه قرأ الصلوة عليه المكتوبة وهو اوسع وارجى والاول اظهر واقوى انتهى وتقدم نقله عن شيخ زروق * قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا القراءته فله اجره واجر من قرأه اجرا غير مقطوع ولا ممنون (وعن عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلوة صلت عليه الملائكة ماصلى على فليقلل من ذلك عبد او ليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة اى اذا عرفت بقاء هذا ودوامه ونفعه لك فان شئت اكثرت من كتابته كما استفيد من الاول او التلفظ به كما استفيد من هذا الترجى ربما كثيرا دائما وان لم تشأ فاقتصر على قليل منه نافع لك وهذا فى الحقيقة حث له على الاكثار فى الحقيقة فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير اكثر تحذيرا من التفريط فى تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة مالا يخفى (وعن ابى بن كعب) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاذهب ربع الليل) اى الاول وكان فعل ماض لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو (كان الله غفورا رحيما) كما ذكره ابن جنى فى الخصائص (قام) من نومه وانتبه بعد استراحته (فقال) لمن عنده من زوجاته واهل بيته (يا ايها الناس اذكروا الله) بتمجيده وتحميده باسمائه الحسنى ثم ذكرهم ووعظهم وقيامه ليتهجد وخص هذا الوقت بما ذكر لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) والراجفة من الرجفة وهى الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصرى فى قوله فى وصف من حدثت له رعشة فى كفه

ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من اسمائه الرجاف

والمراد بالراجفة مايكون بين يدى الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة او الصيحة او النفخة او زلزلة اخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها (جاء الموت بمافيه) من سكراته واهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نوم الغفلة (فقال ابن ابى بن كعب) لما سمع ماقاله صلى الله عليه وسلم (يارسول الله انى اكثر الصلوة عليك) واشغل بها اوقاتى بعد اداء الفرض ونحوها (فكم اجعل لك من صلوتى) اى مامقدار الوقت الذى اصلى عليك فيه (قال ماشئت) اى اى قدر تريده ويتيسر لك (قال الربع) اى اصرف ربع اوقاتى لها (قال ماشئت وان زدت) على الربع (فهو خير لك) نافع

فى الدنيا والآخرة (قال الثلث) اى اصرف لها ثلث وقتى (قال ماشئت) اى يكفى هذا (وان زدت فهو خير) واحسن لك (قال النصف قال ماشئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ماشئت وان زدت فهو خير قال يارسول الله اجعل صلوتى كلها لك قال اذن تكفى) اى تغنيك مما عداها لان فيها خير الدنيا والآخرة وزيادة الرزق ببركتها (ويغفر ذنبك) لانها مكفرة لسائر الذنوب * اقول الصلوة فى هذا الحديث بمعنى الدعاء كما ذكره فى كتاب الصلوة والبشر ومعناه انه فى مواطن الدعاء كعقب الصلوة ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يزيد فى دعائه لنفسه على الصلوة عليه او يسوى بينهما او يزيد فى الصلوة عليه او يجعل دعاءه كله له ويترك دعاءه لنفسه فانه اذا فعل ذلك كفاه عن الدعاء لنفسه فان الله يصلى عليه اضعاف صلوته فينال كل خير من الله تعالى من غير طلب وهذا اولى واحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فاقيل هنا من ان هذا الحديث يقتضى ان الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من سائر العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه افضل من غيرها كاذكار الركوع والسجود فانها افضل من غيرها وان كان غيرها فى نفسه افضل فالصلوة عليه لمن يريد الدعاء افضل من قول لا اله الا الله وان ورد فى الحديث افضل ماقلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وقد سئل شيخ الاسلام السراج البلقينى عن قراءة القرآن وذكر الله والصلوة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايها افضل فاجاب بان كلا منها افضل فى محله فالصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى وقت الدعاء وهى فى الصلوة واجبة فهى افضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاءه كله صلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه يكفى عمانمة وهى افضل من الاستغفار وغيره من الدعاء وهذا هو الاوجه له ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلوته على رسول الله صلى الله عليه وسلم تغنى عن دعائه لنفسه ولا يقتضى انها افضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القائل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لامساس له بهذا المقام وهذا الحديث فى المعنى كالحديث القدسى من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين (وعن ابى طلحة) زيد بن سهل الصحابى وفى الصحابة ابو طلحة آخر وهو الذى نزل فيه قوله تعالى (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف فى الصحابة من اسمه ابو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا اخرجه النسائى (دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت) فى وجهه (من) آثار (بشره) اى مسرته وانشراحه (وطلاقته) الطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب

يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا نتهى وهو فى الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور (مالم اره قط) فيه لان دأبه الخشوع والسكون (فسألته) عن سبب ذلك (فقال ومايمنعنى) من المسرة وانشراح الصدر (وقد خرج جبريل) من عندى (آنفا) اى قريبا من مجيئك (فاتانى ببشارة من ربى) الظاهر ان فيه قلبا اى اتانى ببشارة ثم خرج ومثله فى كلامهم والحديث صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن (ان الله) بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهى الخبر السار (بعثنى) اى ارسلنى (اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) اى بصلوته التى صلاها (عشرا) وقد تقدم هذا وتفسيره (وعن جابر بن عبدالله) فى حديث رواه البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء) اى الاذان فتعريفه للعهد (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة) اى الدائمة اوالتى تقوم لها الناس فهو كعيشة راضية (آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى) اى تحققت (يوم القيمة) وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان من غير اجابة وبه استدل الطحاوى على انه لايتعين الاجابة اوالمراد انه يقوله حين يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة والرواية تنكير مقاما حكاية لما فى القرآن وهو منصوب مفعول آت والذى بدل اوعطف بيان اوهو منصوب على الظرفية والذى مفعول وروى المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووى ولاوجه لانكاره وقد تقدم بيانه (وعن سعد بن ابى وقاص) فى حديث صحيح رواه مسلم (من قال حين يسمع المؤذن) اى اذانه (وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له) اى جميع ذنوبه وذكره استطرادا لمناسبته لماقبله لانه ليس فيه شئ مما نحن فيه من فضيلة الصلوة عليه وماقيل انه يعلم منه التزاما لان مجرد الرضاء به اذا كان سببا للمغفرة فكيف اذا قرن به الصلوة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس فى الكلام مايدل عليه بوجه من الوجوه (وروى ابن وهب) هو الامام ابو محمد عبدالله الفهرى كما تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على عشرا) اى قال السلام عليك يارسول الله عشر مرات (فكأنما اعتق رقبة) اى عبدا وعبر بالجزء عن الكل اى كان ثوابه مثل ثواب ذلك (وفى بعض الآثار) جمع اثر بمعنى الخبر الذى يؤثر اى ينقل والمراد به هنا الحديث (ليردن على اقوام) اى يأتون على الحوض (لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم على) وفى نسخة مايدل لا يعنى انه صلى الله عليه وسلم يرى فى وجوههم نورا وعلامة من آثار الصلوة عليه (وفى) حديث (آخر ان انجاكم) اى اسرعكم نجاة وخلاصا (يوم القيمة من اهوالها) اى شدائدها وخوفها (ومواطنها) الضمير للاول اوللقيمة

التي تخافونها (اكثركم على صلوة) يعني ان بركتها تسهل عليه شدائدها وهذا الحديث رواه الاصفهاني في ترغيبه عن انس رضي الله عنه وفيه ايضا (وعن ابي بكر الصديق الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امحق للذنوب) اى اشد ابطالا واذهابا من محق الشيء اذا ابطله (من الماء البارد للنار) فانه اذا صب عليها اطفأها واذهب ضررها ففيه تشبيه للصلوة بذلك (والسلام عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (افضل من عتق الرقاب) انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من سائر النقائص ومن اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منهـا عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه في الآخرة فلذا جعل السلام عليه واجره كالاعتاق واجره وشبهه به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لاتنافي مامر لان وجه الشبه قد يكون اقوى في المشبه وفي الدر المنضود بعد كلام الصديق هنـا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من مهج الانفس او قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وله حكم المرفوع اذ مثله لايقـال من قبل الرأى واخرجه التيمي وعنه ابو القاسم بن عسـاكر ومن طريقه اليمن بن عساكر بلفظ الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب او قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وسنده ضعيف قيل وانما كان السـلام عليه افضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق انما علم من جهته ولان العتق يقابله العتق من النـار لما في الحديث الصحيح من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على المصلي عشرا وسلام الله عز وجل افضل من مائة الف الف الف جنة فناهيك به من منحة انتهى وفي بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه ﴿فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه﴾ لتركه الواجب عليه وذمه بترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا اخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه الترمذي كما هو دأبه في كتابه هذا فقال (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله) هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا قال (حدثنا ابو الفضل بن خيرون) هو احمد بن الحسن بن خيرون البغدادي الحافظ الناقد وقد تقدم ايضا (وابو الحسن الصيرفي) كذا في النسخ والصواب ابو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته ايضا (قالا حدثنا ابو يعلى) هو احمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا السنجي) تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها قال (حدثنا محمد بن محبوب) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو عيسى) محمد بن عيسى بن سورة الامام الترمذي المشهور وقد تقدم بيانه قال (حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي) هو احمد بن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي بفتح الدال والراء المهملتين بينهما واو يليها قاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم اناء للماء كالجرة ولنوع من القلانس شبهت بالاواني لطولها وهم من غلط المزي في قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم في كتاب الكنى

(٢) كلام الرشاطي نسخه

والمعترض اعتمد على كتاب ٢ الرشاطي وقد رده البرهان الحلبي في المقتفي والدور في كان امام الحديث في عصره اخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة ست واربعين ومائتين قال (حدثنا ربعي بن ابراهيم) هو ربعي بن مقسم الاسدي الثقة الحافظ توفي سنة سبع وتسعين ومائة (عن عبدالرحمن بن اسحق) بن عبدالله بن الحارث بن كنانة القرشي العامري المدني ويقال له عباد بن اسحق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان (عن سعيد بن ابي سعيد) هو المقبري وقد تقدم (عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم انف رجل) اي اذله الله واخزاه وحقيقته الصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكنى به عما ذكر واضيف للانف لقدمه (ذكرت عنده فلم يصل علي) لان الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقائلها وعدم له باستزازنه فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث اخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه (ورغم انف رجل دخل رمضان) اي جاء زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقته عرفا اي في عرف اللغة (ثم انسلخ) اي تم ومضى واصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه اي نزعته ومنه سلخ الشهر لآخره قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ومما قلته * ادهم الليل حين كان حرونا * ساحت بدى الاهله سالخا (قبل ان يغفر له) اي ولم يغفر له وفي التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكون تحقق المغفرة كانت كالموجودة فذهب قبلها (ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر) اي ادرك الشيخوخة وعمرا وهو معهما الا انه لم يبرهما ولم يطعهما ولم يرضهما (فلم يدخلاه الجنة) لانه لو فعل ذلك اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة تحت اقدام الوالدين كما ورد في الحديث (قال عبد الرحمن) بن اسحق الذي تقدم ذكره (واظنه) اي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (او احدهما) اي احد ابويه ونحو عود الضمير لابي هريرة فيه شك من الراوي وسيأتي تمام الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذين ان في صوم رمضان رضى ربه وخالقه وفي رضى الوالدين رضى من هو سبب لوجوده وفي الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رضى من هو سبب لهدايته في العمل الحال والصوم رضى للرب فامر ليس عليه فيه كلفة كالصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبر الوالدين فقد احرم نفسه من فائدة عظيمة بترك امر لامشقة فيه ورواه مسلم ثم بدل الماء لاستبعاده ممن له عقل والقاء نظرا لكون ذلك واقعا عقبه لان الماء يعني ... وهم وقيد برالوالدين بحال الكبر لانها حالة العجز ورحمهما والاسناد في قوله يدخلاه اسناد مجازي للسبب (وفي حديث آخر) رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق اطول من هذا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) صعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل كما قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب

عليه (فقال آمين) اذ صعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله آمين يقتضى انه سمع داعيا يدعو ولم يكن معه احد فلذا سألوه عن سبب قوله هذا كما سيأتى (ثم صعد) درجة اخرى من درجات المنبر (فقال آمين ثم صعد) درجة (فقال آمين فسأله معاذ)، اوى الحديث (عن ذلك) اى عن قوله آمين ثلثا وماسببه (فقال) مجيبا للسائل عن سؤاله (ان جبريل اتانى) لما صعدت المنبر وروى انه اتاه قبله (فقال يامحمد) وروى انه قال له لبيك وسعديك (من سميت) بالبناء للمجهول وتاء الخطاب المفتوحة نائب الفاعل اى ذكر اسمك (بين يديه) اى عنده وهو حاضر يسمع (فلم يصل عليك فمات) تاركا للصلوة عليك والتعقيب عرفى كتزوج فولد له (فدخل النار) عقوبة له على تركه الصلوة وقد قدمنا انه يقتضى وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه (فابعده الله) عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل (قل آمين) طلب منه التأمين على دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له لايخفى (فقلت آمين) امتثالا لامره الذى بلغه عن ربه قال ابن حجر فى الزواجر ولهذا الوعيد بتكرير الدعاء عليه بالبعد والسحق وعده البخل الناس عدوا ترك الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكبائر بناء على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب اليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلوة عليه لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلاملاءمة بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا امر مهم لم ار من نبه عليه انتهى (وقال فمن ادرك رمضان) وصومه (فلم يقبل منه) مبنى للمجهول اى لم يقبله الله منه بان ابطله واحبط عمله (فمات مثل ذلك) اى فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين (ومن ادرك ابويه اواحدهما فلم يبرهما) اى لم يقم بواجب حقوقهما وماستحقانه يقال بره بفتح عين الماضى يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا افعالا قليلة جاء فيها الضم والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل فى كتب التصريف (فمات مثله) بالنصب اى وذكر مثله اى فدخل النار فابعده الله الخ وعدم قبول رمضان اما لانه لم يأت به على وفق امر الله به بان اخل به او اما لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح روى من طرق كثيرة باسانيد متعددة (وعن على) ابن ابى طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذى وصححه والبيهقى والنسائى رحمهم الله (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) كل البخيل (الذى اذا ذكرت عنده فلم يصل على) وتعريف الطرفين يدل على الحصر اى لابخيل الا هذا والبخل الامساك عن بذل مايلزم شرعا اومروة والشرع يقتضى ذلك لانه امرنا به وكذا المروة لانها تقتضى الثناء على ما انعم واحسن واى منعم مثله صلى الله عليه وسلم فانه واسطة لكل احد فى جميع النعم التى وصل اليها والبخل بكلمة

تنفع فى الدنيا والآخرة بخل لايضاهيه بخل وفى الحديث روايات مختلفة فروى البخيل كل البخيل ومؤكدا كما يأتى وفيه مبالغة لاتخفى وهوهنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلوة بترك الانفاق اومكنية وتخييلية بتشبيه الصلوة بالمال الذى ينبغى انفاقه (وعن جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر (عن ابيه) محمد الباقر وهو تابعى فالحديث مرسل كما فى شعب الايمان للبيهقى ورواه الطبرانى فى الكبير متصلا عن الحسين بن على جده رضى الله عنهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطئ به طريق الجنة) رضى الله عنهم اخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء فى اكثر النسخ مبنى لما لم يسم فاعله وجوز بناؤه للفاعل ايضا اى دخل النار لانه اخطأ عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد اضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفى بعضها خطئ (وعن على بن ابى طالب قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على) وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها وتجب حينئذ اضافته لظاهر مماثل لموصوفه لفظا ومعنى كما هنا وكقوله * وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم ياام خالد * وقد يضاف لمماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه النسائى والبيهقى والبخارى فى تاريخه (وعن ابى هريرة) رواه ابوداود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه (قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم) اى هنا للعموم وما مزيدة اى كل قوم (جلسوا مجلسا) اى فى مجلس ما (ثم تفرقوا) اى قاموا من مجلسهم (قبل ان يذكروا الله) اى من غير ذكر له تعالى فى مجلسهم او عند قيامهم منه (و) قبل ان (يصلوا على كانت عليهم من الله ترة) وترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء المهملة وهاء تأنيث عوض من الفاء المحذوفة كعدة وزنة وهى مرفوعة اسم كان وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة وهو اقربها لانه ورد كذلك فى رواية كما سيأتى وقوله (ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم) يقتضى انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعانى كلها متقاربة وما قيل من انها بمعنى الحجة القائمة عليهم فهم فى مشية الله ان شاء عذبهم بترك الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد علم ان الترة هى فى الاصل النقص قال تعالى ﴿ ولن يتركم اعمالكم ﴾ ومعناها هنا التبعة كما فى شرح السنة وفى غريب المدونة ان بعض الفقهاء حرفه وقرأه بالثاء المثلثة من الثأر بالهمزة اى طلب الدم من القاتل واين هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فيسن لمن اراد القيام من مجلس ان يقول لا اله الا الله وصلى الله عليه وسلم على رسوله ليكون مكفرا لما فى ذلك المجلس (وعن ابى هريرة) رضى الله

عنه في حديث رواه البيهقي في الشعب (من نسي الصلوة على نسي) بضم اوله وتشديد ثانيه مبني للمجهول وفي نسخة نسي مخفف مبني للفاعل (طريق الجنة) ففيه جعل الصلوة كأنها دليل يرشده لطريق الجنة اومذكر يذكره بها ففيه استعارة اوالنسيان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقول الله تعالى (نسوا الله فنسيهم) وقوله (وكذلك اليوم تنسى) (وعن قتادة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به في الفضائل دون الاحكام كما علم مما مر (من الجفاء) الجفاء ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب اهل الجفاء والجفاء يمد ويقصر وهو ضد الصلة (ان اذكر عند الرجل) وفي نسخة رجل وفي اخرى احد (فلا يصلي علي) المراد بالرجل الجنس كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني (وعن جابر) رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ماجلس قوم مجلسا ثم تفرقوا منه على غير صلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا تفرقوا على) رائحة تفوح منهم (انتن) افعل من النتن وهي الرائحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع وتكون كاللحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر والضم عند ابن قوطية فافعل من الثلاثي على القياس اومن انتن على مذهب سيبويه فما قيل ان صوابه اشد نتنا لاوجه له مع انه يكفي لصحته وروده في كلام افصح الناس صلى الله عليه وسلم (من ريح الجيفة) الريح اما على ظاهره او بمعنى الرائحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم اتوا بامر مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا من غير مكفر له وهو تقييد من غير دليل وقيل انه ريحهم في الملأ الاعلى او يوم القيمة يشمه اهل الموقف وهو بعيد لايلائمه السياق فالظاهر انه على التشبيه او المراد انه كذلك في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من اهل الغيبة رائحة خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضياء في المختارة بسند صحيح الا انه فيه ذكر الله مع الصلوة كما مر والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة اوشيء غيرها اشد نتنا منها (وعن ابي سعيد) الخدري في حديث رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق صحيحة (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايجلس قوم مجلسا) اى في مجلس يتحدثون فيه و (لايصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم) في اثنائه او في آخره (الا كان) ذلك المجلس (حسرة عليهم) اى ندامة وتأسفا على مافاتهم فيه (وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب) لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله * اقوم آل حصن ام نساء * ويطلق على مايشملهم تغليبا وقيل انه عام لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى الحسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع

من حسرت الناقة اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز في كان ان تكون تامة و ناقصة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله تعالى (وانه لحسرة على الكافرين) او اسناده مجازى (وحكى ابو عيسى الترمذى) امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغنى عن ذكره (عن بعض اهل العلم) انه (قال اذا صلى الرجل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة فى المجلس اجزأ) بالهمزة (عنه ما كان فى ذلك المجلس) اى كفت المرة عن تكريرها بقدر ما ذكر اسمه فى ذلك المجلس فهو سنة كفاية او فرض كفاية بناء على الخلاف السابق وفى بعض الحواشى اختلفت الرواية فيه فعن صاحب الهدى من الحنفية انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لا يتكرر كما لو تكررت ايات سجدة فى مجلس فانه يكفى فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان فى ذلك المجلس اللغط ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ما ورد فى الحديث من صلى على مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ما ذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك فاذا ضم الى ذلك الصلوة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما وكفر عنه ما صدر منه ومن اهل مجلسه * واعلم انه قال فى الخزانة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجب عليه ان يصلى على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه ذلك فهل كانت صلوته صلى الله عليه وسلم على نفسه فى صلوته بطريق الاستحباب او لم يكن يصلى على نفسه فيها ولم يصرح به احد وفى فتاوى السبكى الحلبيات الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة بالاجماع و كونها ركنا من الصلوة مذهب الشافعى والظاهر ان النبى صلى الله عليه وسلم مشارك لامته فى هذا الحكم من كونها واجبة عليه فى صلوته ركنا فيها فان نقل اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على انبيائهم فينبغى ان يعد من الخصائص واما غيره الانبياء فاقل من ان يتوهم مشاركتهم فى الوجوب حتى ينبغى خصوصه وما نقله الجرجانى من انها لا تجب على غيره استقلالا بالاجماع ان اريد فى غير هذه الملة ان صح ثبتت الخصوصية وان اريد انه لا يجب علينا فى ملتنا ان نصلى على غيره استقلالا فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى ❁ فصل فى تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام ❁ كسحاب مطلق او كل ذى روح او الجن او الانس جامعه ويقال آنام بالمد كساباط وانيم كامير وبدأ بحديث رواه احمد وابو داود والبيهقى بسند حسن وهو قوله (حدثنا القاضى ابو عبد الله التميمى) قال (حدثنا الحسين بن محمد) ابو على الغسانى وقد تقدما قال (حدثنا ابو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا ابن داسة) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو داود) امام الحديث وصاحب

السنن كما تقدم قال (حدثنا ابن عوف) محمد بن عوف الطائى الحمصى راوى سنن
ابى داود عنه توفى سنة اثنين وسبعين ومائتين قال (حدثنا المقرى) ابو عبد الرحمن
بن عبدالله بن يزيد القصير المقرى مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة اخرج له الستة
وتوفى سنة ثلاث عشر ومائتين كما تقدم قال (حدثنا حيوة) بن شريح كما تقدم قريبا
(عن ابى صخر حميد بن زياد) الخراط قال احمد لا بأس به وله ترجمة فى الميزان (عن يزيد
بن عبد الله بن قسيط) بالتصغير الليى التابعى الثقة توفى سنة اثنين وعشرين ومائة
واخرج له الستة وترجمه فى الميزان (عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه السلام) اى اجيبه
وكلام المصنف فى تبليغ الصلوة له وهذا فى تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت
الزيارة وان نوزع فيه كما يأتى فاما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة اوفهم منه ان المراد
بالسلام قولهم الصلوة والسلام عليك يارسول الله وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم
حى حياة مستمرة لان الكون لايخلو من مسلم يسلم عليه فى كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث
الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء احياء حياة حقيقية كالشهداء وان كان
حال البرزخ لايقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضى
الموت وهو خلاف المقصود وقد اجيب عنه باجوبة منها ماقاله صاحب القاموس
فى كتاب الصلوة والبشر ان البيهقى قال معناه ان الله تعالى رد روحه الشريفة لاجل
رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت فى جسده وقال عبد الكافى السبكى شيخه انه
يحتمل انه رد معنوى بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى
عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوى فى كتابه
القول البديع رد روحه الشريفة يلزمه تعدد حياته ووفاته فى اقل من ساعة اذ الكون
لايخلو من مسلم يسلم عليه بل قد يتعدد فى آن واحد كثيرا واجاب الفاكهانى وبعضهم
بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال يرد الله على نطقى والنطق من لوازم وجود
الروح بالفعل او بالقوة فعبر باحد المتلازمين عن الآخر ويؤيده ان الحياة مرتين
لاغير لقوله تعالى (امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) وقيل انه على ظاهره بلا مشقة
وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفى رواية كما قاله
السبكى ما من احد يسلم على عند قبرى فان ثبتت فهو مخصوص ولايرد بالرأى قل
فى الدر وزاره عند قبرى بعد على قال السخاوى لم اقف عليها فيما رأيته من طرق
الحديث * اقول هذا حاصله مافى الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما اولا
فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة وغير معروفة ولا مألوفة وليس لها رونق يليق
بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا لان قوله حتى ارد عليه السلام يأباه ولو قيل

انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت له روحه ولضده راحت روحه ولولا خوف الاطالة اوردت له شواهد وهذا يكون جوابا سادسا وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لايخفى وكون المراد بالروح الملك تأباه الاضافة لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد في بعض الاحاديث وقال ابوداود بلغني ان ملكا مؤكلا يكل من صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يبلغه سلامه ويأتي الكلام عليه وقد ورد ايضا اطلاق الروح على الملك في القرآن واذا خص هذا بالزوار هان امره وجملة رد الله على روحي حالية ولا تلازمها قد اذ اوقعت بعد الا كما ذكره السهيلي وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث لايخلو من الاشكال * اقول الذي اظهر في تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبياء والشهداء احياء وحيوة الانبياء اقوى واذا لم تسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لايسمع ولاينطق حتى يتنبه كما قال الله تعالى (والتي لم تمت في منامها) الآية فالمراد بالرد الارسال الذي في الآية وحينئذ فمعناه انه اذا سمع الصلوة والسلام بواسطة او بدونها تيقظ ورد لا ان روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحيوتها لان روحه صلى الله عليه وسلم مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعده فلا اشكال اصلا الا لمن يتدبر وماقيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص بسلام زائره مردود لعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده ايضا الخبر الصحيح مامن احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن له خصوصية به لما علمت ان غيره تشاركه في ذلك قال ابو اليمن ابن عساكر واذا جاز رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم عليه من جميع الآفاق من امته على بعد مسافة (وذكر ابو بكر ابن ابي شيبة) هو عبد الله بن محمد العبسي الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان (عن ابي هريرة رضي الله عنه) كما رواه البيهقي وابو الشيخ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا) اي بعيدا عني والنأي بالهمز البعد (بلغته) بالبناء للمفعول اي بلغني الملائكة سلامه وصلوته كما ورد مصرحا به في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله (وعن ابي مسعود) عقبة بن عمرو الانصاري وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط (ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام) وفي اخرى ان لله ملائكة يسبحون في الارض يبلغوني صلوة من صلى علي من امتي وهذا يقتضي انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح

(صيغة)

صيغة مبالغة من السياحة وهى الطواف فى الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لاسياحة فى الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء اذا جرى على وجه الارض اما الملائكة اذا امروا بذلك لهذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لايفعلون الا مايؤمرون وقوله يبلغونى الى آخره صفة للملائكة او جملة مستأنفة استينافا بيانيا وليس هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه احمد والنسائى والبيهقى والدارمى وابن حبان وابو نعيم والخلعى بسند صحيح (ونحوه عن ابى هريرة) اى بمعناه مارواه فى الترغيب عن ابى هريرة وفى الحلية لابى نعيم واللفظ الذى فى الترغيب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعائهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فانهم مغفور لهم وفى الحلية انه تبلغ صلوتهم ويكفوا امر دنياهم وآخرتهم (وعن ابن عمر) رضى الله عنهما لم يخرجوا هذا الحديث (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة) المراد به الصلوة والسلام عليه فى يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد السلام وحده (فانه) اى السلام (يؤتى به منكم فى كل جمعة) لانه يوم يعرض فيه الاعمال وللصلوة فيه فضل على غيره وذكر فى الدر المنضود ان فى رواية ليس احد يصلى على يوم الجمعة الا عرضت على صلوته صححها الحاكم والبيهقى وفى سندها راو وثقه البخارى وضعفه غيره (وفى رواية) اخرى (فان احدا لايصلى على) فى ذلك اليوم وليلته (الا عرضت على صلوته حين يفرغ منها) قال السخاوى رحمه الله هذا الحديث لم اقف عليه وفى الدر المنضود وفى رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة اكثروا من الصلوة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على الا عرضت على صلوته حين يفرغ منها قال راويه ابو الدرداء وبعد الموت قال وبعد الموت وروى البيهقى عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اقربكم منى يوم القيمة اكثركم على صلوة فى الدنيا ومن صلى على يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد فى الاحاديث الحث عليه فى يوم الجمعة فانه يوم مشهود والانبياء احياء فى قبورهم كما تقرر * فان قلت ورد تبليغ الصلوة عليه له صلى الله عليه وسلم مطلقا فى احاديث تأتى وفى بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما مر ويأتى فما وجهه * قلت وجهه يجوز ان يكون عرضها وتبليغها فى كل يوم من بعض الملائكة وما فى يوم الجمعة من آخرين او ذلك عرض لها فرادى وهذا جملة على وجه خاص او لكتب فى صحف عنده كما وقع فى بعض الروايات (وعن الحسن) بن على بن ابى طالب

فى حديث رواه ابن ابى شيبة والطبرانى وابو يعلى بسند صحيح (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا على فان صلوتكم تبلغنى) اى تبلغهما له الملائكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما فهى شرطية وهى ظرف مكان وتأتى للزمان كما فى قوله

حيثما تستقم يقدر لك الله * نجاحا فى غابر الازمان

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث موقوف رواه البيهقى وابن راهويه (ليس احد من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم او يصلى عليه الا بلغه) بضم الباء وكسر اللام المشددة مبنى للمفعول اى بلغته الملائكة سلامه وصلوته وهذا يحتمل تعيين المصلى وعدمه فلذا اردفه بقوله (وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى) او سلم (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم صلوته وسلامه و(اسمه) واسم ابيه وعشيرته فيثبت عنده فى صحيفة كما ورد فى حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميرى عن حماد ويأتى قريبا مايؤيد صحة ما قاله (وعن الحسن بن على اذا دخلت) بتاء الخطاب لغير معين (المسجد) تعريفه للجنس فان كل من دخل مسجدا اى مسجد كان يستحب له ان يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكر الخيضرى فى كتابه اللواء المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذى حمله على هذا قوله (فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتتخذوا بيتى عيدا) فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد بيته قبره فانه فى بيته دفن ويأتى فى رواية اخرى ولاتجعلوا قبرى عيدا مع الكلام عليهما والعيد الموسم الذى يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمى به لعوده فى كل عام وجمع على اعياد وقياسه الجمع على اعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور انبيائهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهى عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى لاتتخذ وثنا يعبد وقيل المراد لاتتخذوها كالعيد تزورونها فى العام مرة بل اكثروا من زيارتها (ولاتتخذوا بيوتكم قبورا) اى لاتتركوا الصلوة والعبادة فيها فتكونوا فيها كانكم اموات وكذا قيل

فيا نائم الليل هنيئته * فقبل الممات سكنت القبورا

وقيل المراد لاتدفنوا فى البيوت بل فى الجبانة ولايرد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم دفن فى بيته لانه اتبع فيه سنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبله كما ورد ماقبض نبى الادفن حيث يقبض فهو مخصوص بهم (وصلوا على حيث كنتم) اى فى اى مكان فلايحتاج للاتيان لمسجده ولالقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد فى اول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم (فان صلوتكم

بما فى حيث كنتم) اعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلوة انما تبلغه ممن كان عنده فى مسجده الشريف اوعند قبره الشريف وليس تأكيدا لماقبله لافادته تعميما آخر لم يعلم مماقبله وهذا الحديث اخرجه الطبرانى وابو يعلى (وفى حديث اوس) ابن اوس الصحابى الثقفى (اكثروا من الصلوة على يوم الجمعة) خصها لمافيها من الفضل وهى يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلوة من صلى عليه والصلوة عليه فيه فضل على غيرها ولمافيه من الصلة ولانه يوم يزاد فيه وهذا الحديث رواه ابوداود والنسائى واحمد فى مسنده والبيهقى وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة لانه كاورد فى الحديث افضل الايام الجمعة وفيه خلق آدم عليه السلام وقبضت روحه وفيه النفخة والصعقة قيل وحد اقل الكثرة من الصلوة ثلاثمائة وبضع عشرة كما فى قوت القلوب وقال السخاوى لم اقف له على مستند فلعله تلقاه عن احد من الصالحين عرفه بتجارب اوغيره اورآه اقل مايحصل به الكثرة (فان صلوتكم معروضة على) تقدم بيانه قريبا (وعن سليمان بن سحيم) بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى آل العباس وقيل آل الحسين وهو من علماء الحجاز المشهورين وحيث اطلق فى النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو الثقة توفى فى خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن ابى الدنيا والبيهقى فى حيوة الانبياء (رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام) ومن رآه فى المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لايتمثل فى صورته (فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك) اذازاروا مقامك بعدالانتقال (اتفقه سلامهم) اى اتسمعه وتفهمه (قال نعم وارد عليهم) وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعته من داخل القبر يقول وعليك السلام ووقع للسيد نورالدين بن العفيف الايجى انه سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف وعليك السلام ياولدى وفى مسند الدارمى ان الاذان والاقامة تركا ايام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما فى المسجد فكان لايعرف وقت الصلوة الابهمهمة يسمعها من قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله وارد عطف على قول السائل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل فى شروح الكشاف فى قوله تعالى (قال ومن كفر فامتعه قليلا) ويكون فى الجمل والمفردات كما تقدم ونعم وقع فى الجواب عما سئل عنه وهوظاهر ﴿تنبيه﴾ اذا رأى احد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه وامره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه تفصيل فان وافق الشرع فله نفسه العمل به ولايلزمه امر غيره به وماعداه لايلزمه العمل به لان الرؤيا لايضبطها النائم ويحتمل التأويل وهذا هو الصحيح وفيه كلام

ليس هذا محله (وعن ابن شهاب) هو الزهري كما تقدم وهذا رواه عنه النميري (بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) وفي نسخة بلغنا ان رسول الله قال (اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر) يعني ليلة الجمعة ويومها ويعني بالازهر الابيض المستنير ولذا كان الازهر لايطلق في وضع اللغة على اللون الابيض واشاع بعد ذلك مطلقه ونورها لبركتهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي خص بها ومافيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر في فضائله وهو عيد المؤمنين وتنزل فيه الملائكة كثيرا (فانهما) اي يوم الجمعة وليلتها (يؤديان عنكم) بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة اي يوصلان صلواتكم علي ويبلغانها الي والاسناد الى الزمان اسناد مجازي اي يؤدي الملائكة فيهما ذلك وكونهما يخلق لهما نطق بذلك الاداء خلاف الظاهر وان جاز الان التصريح بعده يحمل الملك لذلك يأباه وبما تقرر في هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلوة والسلام عليه اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة سواء ليلة الجمعة وغيرها وافتى النووي فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلوة عليه هل يحنث بانه لايحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم الحنث (وان الارض لاتأكل اجساد الانبياء) لانهم عليهم الصلوة والسلام احياء في قبورهم لاتبلى اجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات واكلته الارض كما ورد مصرحا به في حديث آخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية او بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الى آخره وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول اولى ولاينافي ماتقرر من حيوتهم ما في صحيح ابن حبان في قصة عجوز بني اسرائيل انها دلت موسى عليه السلام على الصندوق الذي فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما لانها ارادت بالعظام كل البدن اولان الجسد لما لم تشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شأنه عدم البلى اوان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان الانبياء كابدان غيرهم في البلى (وما من مسلم) من مزيدة للتعميم اي كل مسلم (يصلي علي) وهو بعيد (الا حملها) اي صلوته وسلامه (ملك حتى يؤديها) اي يوصلها (الي ويسميه حتى انه) بكسر الهمزة (ليقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا) فيذكر ماقاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانه وشهرته واخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا اعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت فليس احد يصلي علي صلوة الا قال يامحمد صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وفي رواية فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة ليس احد من امتي يصلي علي صلوة الا قال يا احمد

فلان ابن فلان باسمه واسم ابيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب ان من صلى على صلوة صلى الله عليه وسلم عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف ايضا ان يرسلوا السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الزوار ايضا كل عام كما قيل

الا ايها الغادي الى يثرب مهلا * لتحمل شوقا ما اطيق له حملا

تحمل رعاك الله مني تحية * وبلغ سلامي روح من طيبة حلا

﴿ فصل في الاختلاف ﴾ الواقع بين العلماء (في الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى في جواز الصلوة على غيره من المؤمنين غير الانبياء كالصحابة ونحوهم (وسائر الانبياء) اى بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما وسائر بمعنى باقي كما تقدم والخلاف في جواز الصلوة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلوة على آله وازواجه (قال القاضي) عياض المؤلف وفقه الله (عامة اهل العلم) اى جميعهم (متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) من الانبياء والملائكة والمؤمنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليست بمسلمة وقد قال النووي في الاذكار اجمعوا على طلب الصلوة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من يعتد به على استحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا واما على غيرهم ابتداء فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض اصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي عليه الاكثر كراهة تنزيها لانه شعار اهل البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجويني ان السلام مثل الصلوة فلا يقال علي عليه السلام اللهم الا ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبياء الا انه تخصيص من غير دليل (وروى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن ابي شيبة وعبد الرازاق ومراده بغيره بقية امته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله (وروى عنه) اى عن ابن عباس رواه القاضي اسمعيل في احكام القرآن (لا تنبغي الصلوة) من احد (على احد الا النبيين) وهذا مفسر لما قبله (وقال سفيان) الثوري (يكره ان يصلى الا على نبي) وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة من معنى النفي عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد بها البيهقي يكره ان يصلى على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبياء استقلالا وهو احدى الروايتين

عن الثوري كما تقدم (وهذا غير معروف من مذهبه) اي مذهب الامام مالك وايد
كونه غير معروف من مذهبه بقوله (وقد قال) الامام (مالك في المبسوط) اسم كتاب
كالمدونة (ليحيى بن اسحق) الذي روى المبسوط عن مالك وهو يحيى بن اسحق
ابن عبدالله بن اسحق بن المهلب بن حفص ويكنى ابا بكر وله باب شرب بقرطبة
(اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به) فلا يجاوزه لانه
امر تعبدي لا يعقل معناه بالرأي ويقتصر فيه على ما روي عنهم (وقال يحيى بن يحيى)
الليثي عالم الاندلس وراوي الموطأ عن مالك رحمه الله تعالى (لست آخذ بقوله)
اي لا اتمسك بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلوة عليه صلى الله
عليه وسلم فقط بمعنى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) الآية
ومن عزا لمالك عدم الجواز حمل قوله ما ينبغي على عدم الجواز فعزاه له وهي تستعمل
لهذا المعنى وورد ت لغيره ايضا (ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم)
من الملائكة والمؤمنين (واحتج) يحيى بن يحيى لما قاله (بحديث ابن عمر) الآتي
انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ما (وبما جاء
في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة الصلوة عليه) كما مر (ومنه)
اي في حديث تعليمه ايضا (وعلى ازواجه وعلى آله) فهذا ونحوه يدل على ان الصلوة
على غير الانبياء جائزة الا ان هذا يدل على السنية والخلاف في الصلوة على غيرهم استقلالا
كما مر وحينئذ فاذكر لا ينافي ما قاله مالك ولا يرد ما قاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفي بعض
النسخ زيادة وهي (وقد وجدت معلقا) اي مذكورا في بعض الكتب وقول المعلق
هنا بالاصطلاح عليه المحدثون من ذكر حديث يطوى سنده او بعضه وقوله وجدت
من الوجادة وهي في اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره
ام لا فيرويه (عن ابي عمران الماضي) هو موسى بن عيسى المشهور بفتح العين المعجمة
وسكون الثالثة وجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر والماضي نسبة لفاس بلدة
بالمغرب وقوله في القاموس انه بهمزة لا اصل له وابو عمران فقيه المغرب توفي سنة
ثلاثين واربعمائة في ثالث شهر رمضان (روي عن ابن عباس كراهة الصلوة على
غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تبعا او غيره (قال) ابو عمران (وبه نقول) اي
نعتقده ونعمل به (ولم يكن) الصلوة على غير الانبياء استقلالا (يستعمل فيما مضى)
من عصر الصحابة ومن بعدهم وهو عند مسلم كالصلوة (وقد روى عبد الرزاق) وهو
امام الحديث ابو بكر بن همام بن نافع الحميري وله تصانيف جليلة وروى عنه احمد وغيره
وتوفي سنة احدى عشر ومائتين (عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني) فيه دليل للصلوة عليهم بانهم ساووه

صلى الله عليه وسلم في اصل البعثة وينبغي ان يصلي عليهم كما صلى عليه وهذا الحديث رواه الطبراني والقاضي اسمعيل والتيمي في الترغيب وغيرهم بسند صحيح (قالوا والاسانيد عن ابن عباس) الواردة في منع الصلوة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (لينة) اى ليست بقوية فلا تعارض ماروى عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه تقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين فتأمله ثم رده بوجه آخر مقبول فقال (والصلوة) معناها التي وضعت له (في لسان العرب) اى في لغتهم واللسان اسم للجارحة التي هي آلة النطق تجوز بها عما ذكر كما قال الله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) (بمعنى الترحم والدعاء) بالرحمة (وذلك) اى الدعاء بالرحمة (على الاطلاق) اى يجوز مطلقا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيي لا بأس بها على الانبياء وغيرهم كما قيل (حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم لانه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه اورد دليلا اقوى من هذا فقال (وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته) وفي هذه الآية دليل على انه تجوز الصلوة على كل مؤمن فضلا عن الانبياء لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه ان الله وملائكته يصلون على النبي قال الصحابة هذا لك يارسول الله خاصة وليس لنا فيه شيء فانزل الله هذه الآية وتقدم ان صلوة الله رحمته وصلوة الملائكة الدعاء والاستغفار لسائر المؤمنين (وقال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم فامره بالدعاء لهم بلفظ الصلوة لمن ادى الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على آل ابي اوفى كما يأتي وفي دعائه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمئنان قلوبهم (وقال الله تعالى اولئك) الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المؤمنين (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلوة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الشيخان (اللهم صل على آل ابي اوفى) وهذا الحديث روى عن عبدالله بن ابي اوفى وتتمته (وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) فاتاه بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى والصدقة المراد بها هنا الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك اموالهم التي بذلوا زكاتها وآله اهله واتباعه وقيل المراد نفسه

وذاته كما فى قوله لقداوتى مزمارا من مزامير آل داود اى من مزامير داود عليه الصلوة والسلام نظير ماذكره المصنف فى تفسير آله صلى الله عليه وسلم كابا اوفى وابو اوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابى ايضا شهد مع ابيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من اقوى مااستدل به على جواز الصلوة على غير الانبياء استقلالا (وفى حديث الصلوة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده وطرقه مفصلا (اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته) وهم نسله واولاده كما تقدم (وفى حديث آخر) روى فى صلوة التشهد (وعلى آل محمد) وفسر الاول بقوله (قيل) آله (اتباعه) جمع تابع او تبيع وهو من يقفو اثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخصه من الاهل والخدم (وقيل) آله (امته) والمراد امة الاجابة وهم كل من آمن به وامة الدعوة اعم منهم (وقيل) هم (الاتباع والرهط والعشيرة) الرهط القبيلة مطلقا وهو فى الاصل مادون العشيرة ثم عم والعشيرة بنوابيه الادنون وقبائله (وقيل آل الرجل ولده) اى نسله مطلقا (وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة) لانها اوساخ الناس فلاتليق بهم وقد طهرهم الله تعالى وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس يكفيهم (وفى رواية انس سئل النبى صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) وهذا حديث صحيح روى من طرق رواه الطبرانى والديلمى وشيبان وغيرهم وهذا معنى مجازى كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا آل البيت لان الله طهر اهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقى اكرمه الله تعالى وغفر سيئاته وهذا معروف فى لسانهم كما قيل رباخ لى لم تلده امى (ويجيء على مذهب الحسن) البصرى رضى الله عنه والضمير المستتر فى يجيء للآل (ان المراد بآل محمد) الوارد فى الصلوة عليه (محمد نفسه) اى فعنده ان الآل معناه الذات والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله فى مثله زائدا مقحما والزيادة فى الاسماء خلاف ماعهد من كلامهم وان امكن حمل كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك ﴿ فائدة ﴾ روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تكون ارض يقال لها البصرة اقوم الارضين قبلة قارئها اقرأ الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم الناس صدقة وتجارها اعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة اربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها تسعون الف شهيد من افضل الشهداء فات وعلماؤها واقوالهم فى العربية مقدمة على غيرهم لمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم لها (فانه كان يقول فى صلوته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى التشهد (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لايخل) بضم الياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام

اى لايترك والحال يأتى بمعنى الترك والنقص (بالفرض) يعنى به الصلوة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويأتى بالنفل) يعنى به الصلوة على آل النبى صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم من ان الصلوة عليه فى التشهد ليست بفرض الا عند الشافعى وعند المصنف انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر (لان الفرض الذى امر الله به) فى آية صلوا عليه وسلموا تسليما (هو الصلوة على محمد نفسه) لا على آله كما ذهب اليه الشافعى فموافقة الحسن له تنافى الشذوذ الذى ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض مالا بد منه لمن اراد الصلاة فانه يلزمه ان يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره اويقول انه مذهب الحسن وموافقة واحد لاتنافى الشذوذ عنده (وهذا) اى ذكر الآل وارادة الذات منه (مثل قوله صلى الله عليه وسلم) فى حق ابى موسى الاشعرى لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه (لقد اوتى) اى والله لقد اتى الله ابا موسى (مزمارا من مزامير آل داود يريد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مزامير داود) نبى الله صلى الله عليه وسلم فآله بمعنى نفسه كما فى صلوة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور ايضا والزمر النفخ فى المزمار والصوت الحسن بغير آلة لان اصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

رنان حنان بينهما * رجل احس عناؤه زمر

اى حسن كما قاله ابن الانبارى فزاميره بمعنى ترنماته لانه كان له الآلة المعروفة والمنقول انه اله نفسه لا لآلة وكان لحسن صوته اذا قرأ ينلاحينه الزبور وادعيته تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء الجارى يقف له وهو مبالغة فى نهاية حسنه واول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر هو وعايشة رضى الله تعالى عنها على بيت ابى موسى وهو يقرأ القرآن ليلة فوقفا يستمعان له وكان من احسن الناس صوتا فلما اصبح اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بانصاته له وقال له لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا اى لزدت فى تحسين صوتى لاستماعك لى (وفى حديث ابى حميد) بالتصغير (الساعدى) وهو ابو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجى كما تقدم الذى رواه (فى الصلوة) عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد (اللهم صل على محمد وازواجه وذريته) وهو يدل على جواز الصلوة على غير الانبياء لكن تبعا لهم (وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه) اى ابن عمر (كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) عن مالك وانما قيده بالاندلسى لان الموطأ رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى احدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى الليثى مات سنة اربع وثلاثين ومائتين والآخر ابو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمى النيسابورى توفى سنة ست وعشرين

وماثنين وله رواية في الصحيحين كما قاله السيوطي في مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسي بفتح الهمزة والدال وضمهما (والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر) رضي الله عنهما (وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب) حال اي في حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا (فنقول) في دعائنا لهم (اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) للتهجد والعبادة (ويصومون بالنهار) ففي هذا دليل على جواز الصلوة على غير الانبياء استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مع سر له (قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه) اي ارجحه واعتقد صحته والميل في الاجسام معروف وتابع في المحبة والمصنف رحمه الله تعالى تجوز به عما قاله (ما قاله مالك) بن انس امام اهل المدينة (وسفيان) الثوري رحمهما الله تعالى (وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد) اي كثير (من الفقهاء والمتكلمين) اي اهل علم الكلام لان منهم من يذكرها في السمعيات كمسائل الامامة (انه) بفتح الهمزة بدل من ما (لا يصلى على غير الانبياء) بانفراده ولا (عند ذكرهم) اي ذكر الانبياء والصلوة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وتوحيد ضمير ذكر لغير واحد باعتبار قوله (بل هو) اي المذكور وهو الصلوة او ذكر رعاية للخبر (شيء يختص به الانبياء عليهم الصلوة والسلام) لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم في الانفراد به وفيه نظر (كما يوقرون ويعزرون) اي تعظيما وتبجيلا تحقيقا اعتبارا لهم (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه) اراد به قوله سبحانه وتعالى فان معناه انزهه والانبياء عليهم الصلوة والسلام منزهون عن النقائص ولكن لا يجوز ان يقال في حقهم ذلك (والتقديس) بالاطلاق فانه قدوس وقدوس ونحوه وهو بمعنى المطهر (والتعظيم) المنصوص بنحو [illegible] جل جلاله وعز وجل فمرجعه للعهد ولا بد من المراد بهذه الثلاثة [illegible] (ولا يشاركه) اي لا يشارك الله (فيه) اي فيما ذكر من التنزيه وما بعده (غيره) من نبي وغيره (كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم) اي بهما معا (ولا يشارك) مبني للفاعل او المفعول هنا (فيه) اي في ذكر الصلوة والتسليم (سواهم) من غير الانبياء وفي نسخة ولا يشاركهم (كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما) وقوله المذكور بيان الامر لا دليل المذكور لانه ليس فيه جواز الصلوة على غيره ولا منعها عن عداهم لان التخصيص بالذكر لا يقتضيه ثم بين كيفية الدعاء لغيرهم فقال (ويذكر من سواهم) اي من سوى الانبياء والرسل في الدعاء لهم (من الائمة) اي ائمة الدين او الخلفاء (وغيرهم) من سائر العلماء والمؤمنين (بالغفران والرضى) فيقال غفر الله تعالى لهم ورضي عنهم (كما قال الله تعالى [illegible] اغفر لنا

ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الله تعالى) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم) فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة والترضى لسائر المؤمنين والصحابة وقيل فى الاستدلال بما ذكر نظر فان قوله رضى الله عنهم ليس دعاء لهم بل اخبار بان الله رضى عنهم واعد لهم جنات النعيم ولا يلزمه جواز الدعاء به كما ان اخبار الله بالصلوة على المؤمنين بمعنى رحمتهم لا يدل على جواز الصلوة عليهم وهو مردود بان من رضى الله عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلوة قياس مع الفارق واما ما قيل من انه لا يدعى للصحابة الا برضى الله تعالى عنهم فهو امر حسن للادب وليس بلازم فلو قال للصحابى رحمه الله تعالى او غفر له كان حسنا الا اذا اوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووى لا بأس به والارجح ان يقال رضى الله تعالى عنهم وقول امام الحرمين فى الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم لنبوتها ورجحه ابن السيد (وايضا فهو) اى الصلوة عليهم (امر لم يكن معروفا فى الصدر الاول) اى عصر الصحابة ومن قرب منهم والفاء فى فهو جواب شرط مقدر اى فان اردت دليلا اوضح مما ذكر فهو الى آخره وفيه بحث سيأتى فى آخر هذا الفصل (كما قال ابو عمران) موسى بن عيسى الفاسى فقيه القيروان كما تقدم قريبا (وانما احدثته الرافضة والمتشيعة) هما طائفتان من اهل البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على تفضيل على كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن على بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت لابى بكر لمصلحة رأوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة ... كما توهم واصل ... الشيعة الجماعة ... هؤلاء والذى احدثه هؤلاء اعنى الصلاة على على وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه فى سائر الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام فى الصلاة على غير الانبياء مطلقا والشيعة انما يصلون على على فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضى والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفى نسخة الشيعة بدل المتشيعة (فى بعض الائمة) المراد على واولاده وفى نسخة فى بعض ائمتهم (فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة عليهم) بالمراد هم وان لم يكونوا انبياء له صلى الله عليه وسلم (وساووهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك) اى فى قولهم فى الدعاء لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبى صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم

استقلالا كما صلوا عليه (وايضا) مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبياء (فان التشبه باهل البدع) المراد بهم اصحاب المذاهب الباطلة (منهى عنه) شرعا (فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) اى الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتأمله ثم اجاب عما ورد عليه بقوله (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) والكلام فى ذكره مستقلا فلا يرد هذا نقضا عليه (والاضافة اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى انما ذكر الصلاة عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له فى الحقيقة (لا على التخصيص) لهم بذلك (قالوا) اى جمهور العلماء الذاهبين لمنع الصلوة على غيره بانفراده مجيبين عما استدل به من خالفهم (وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه) بانفراده كقوله اللهم صل على آل ابى اوفى كما تقدم (مجراها مجرى الدعاء) بضم الميم وفتحها فيهما والجرى المشى السريع والمجرى محل الجرى او الاجراء وجريه فى مجراه جعله مثله ومن نوعه اى المقصود بها الدعاء بالرحمة لهم (والمواجهة) لهم بالدعاء لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهى كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه فى المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقى وفى ذكره فى الغيبة زيادة توقير لا يليق لكل احد كما قال (وليس فيها) اى فى المواجهة (معنى التعظيم والتوقير) الذى فى الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف (وقالوا) تأييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها تمسك بقوله (وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بالدعاء وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادوه باسمه كما ينادى بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم شأن يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعاء له بغير مواجهة ينبغى ان يكون بغاية التعظيم والتوقير اللائق به دون غيره فسقط ما قيل من انه ليس فى هذه الآية مناسبة لما نحو فيه وما هو بصدده (فكذلك) اى مثل ما يجب له فى الدعاء مواجهة (يجب ان يكون الدعاء له) فى غير حال المواجهة (مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) فلذا خص بالصلوة عليه التى قصد بها التوقير وغاية التعظيم (وهذا) اى اختصاصه بالصلاة استقلالا وفى نسخة وهو (اختيار الامام ابى المظفر الاسفرائنى من شيوخنا) اى من كبار علماء اهل السنة بقرينة مقابلة الرافضة واسفرائن بلدة بخراسان معروفة وابو المظفر كنية طاهر بن احمد وهو الملقب بشساه كما تقدم (وبه قال) الامام (ابو عمر بن عبد البر) رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان التصلية والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة امرنا بالتعبد بهما فهى واجبة له على اختلاف

محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ايضا استقلالا مستحبة وما نقل عن مالك انها منهي عنها مخالف للقول الصحيح وقال القرطبي انه مجمع عليه والصلوة على غير الانبياء تبعا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مستحبة ايضا كما في التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه ايضا فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الانبياء بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلوة مخصوص بالانبياء ايضا فلا يقال في غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقهاء فهو مكروه تنزيها ﴿فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم﴾ اى ذكر مايتعلق به من سننه وآدابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا فالمزار مصدر واسم مكان ايضا والزيارة تختص بمجيء بعض الاحياء لبعض مودة ومحبة هذا اصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات لاعطائهم حكم الاحياء وصار حقيقة عرفية فيه لشيوعه فيها (وفضيلة من زاره) بالجر عطفا على الحكم او على ما اضيف اليه والضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم او للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثناء والثواب (وسلم عليه وكيف يسلم) من زاره صلى الله تعالى عليه وسلم اى مايقوله ويفعله عند الزيارة (ويدعو له) اى وكيف يدعو له صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه (وزيارة قبره سنة) مأثورة مستحبة (مجمع عليها) اى على كونها سنة ولا عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سيأتي بيانه (وفضيلة مرغب فيها) بصيغة المفعول مشددة الغين المعجمة اى رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما للتذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجرى في جميعها او للدعاء لاهلها المسلمين كما زار صلى الله تعالى عليه وسلم البقيع وهذا مستحب او للتبرك بمن فيها من الانبياء والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبياء وانه في غيرهم بدعة واما في الانبياء فهي مشروعة وتوقف فيه السبكي وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحي وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته وهو مستحب ايضا لما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الميت آنس مايكون اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعاء وماعدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام (روى عن ابن عمر) رواه ابن خزيمة والبزار والطبراني والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن في رواته مردود كما بينه السبكي واطال فيه وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله احمد في حديث دعاء الاستخارة

مع انه في الصحيحين وقول الذهبي طرقه كلها لينة يقوي بعضها بعضا لا ... لان
غايته انه تسليم ذلك حسن اوهو يطلق عليه الصحة كما بين في محله وفي نسخة
هنا (حدثنا القاضي ابو علي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو الفضل بن خيرون)
تقدم ايضا قال (حدثنا الحسن) بن جعفر قال (حدثنا ابو الحسن علي بن
عمر الدارقطني) المشهور كتاب علي عمر قال (حدثنا القاضي المحاملي) قال (حدثنا محمد بن
عبد الرزاق) قال (حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله) بن عمر عن نافع (عن ابن عمر)
رضي الله تعالى عنهما فقد ذكره (انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له
شفاعتي) اي سؤالي الله له ان ... مكافاة له ... بالوعد الصادق لابد منها وليس المراد به الوجوب ... حلت له شفاعتي
والمراد انه يخصه بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ
والدي الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي ... ولا له مع عموم شفاعته له
ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما ... الاهوال
عنه في ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات
في الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغير ذلك مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان اريد انه خص بشفاعة لا تحصل لغيره
ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما تحصل لغيره والافراد للتشريف وا ...
بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها تجب دخوله في ... الله الشفاعة فهو ... ي
كونه مسلما فيجري على عمومه ولا يضمن ... على الاسلام والاتمام لكن
لذكر الزيادة معنى لان الاسلام وحده كاف في نيل مثل هذه الشفاعة بخلاف على
الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها ... له ... الذي
تعظيم تعظيم الشافع ولا اعظم منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان ... الى
ان هذا الثواب العظيم وهو المورث لتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يحصل الا للمخلص وجه فيها بان لا يقصد بها او معها امرا اخر ... او بها يقول
(وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زار
قبري في المدينة محتسبا) اي ناويا بزيارته وجه الله تعالى ... غرض ... في ...
وقصد اكرامه لا ... والاحتساب ... من الحساب ... الاجر
منه الحسبة وعن عمر رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب
عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته والمراد ان يقصد الزيارة ... صلى الله عليه وسلم
وتفويض اجره فيه الى الله تعالى (كان في جواري) اي ... في الاخرة
اوالمراد انه يكون في امانه وعهده فلا ... السلام والامان ...

الجيم وضمها والكسر افصح (ولكنت له شفيعا يوم القيمة) المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة فان له شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم يموت بالمدينة ويدفن بها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان كان لاتدرى نفس باى ارض تموت (وفى حديث آخر) رواه البيهقي والدارقطني والطبراني وسعيد بن منصور عن ابن عمر (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يدرى بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروى هذا بلفظه من طرق كثيرة (وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) هكذا روى عنه (وقد اختلف في معنى ذلك) ومااراده مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس (فقيل كراهة الاسم) اى اسم الزيارة واطلاقها (لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله زوارات القبور) فالنهى من حيث انهن زوارات يقتضى ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذى وابن حبان عن ابى هريرة (وهذا يرده قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (نهيتم) بالبناء للمجهول والرواية نهيتكم (عن زيارة القبور فزوروها ولاتقولوا هجرا) فهذا ناسخ له لانه امر بعد نهى وهذا الدليل وجوابه اوهن (٢) من بيت العنكبوت لان الاول في حق النساء المكثرين (٣) للزيارة وهذا لمطلق زيارة الرجال ودخول النساء فيها بالاشارة المعروف والايراد يعتمد على قائله لاعلى المصنف رحمه الله فانه ناقل غير مرتض لما نقله ولو قيل ان الحديث الاول فيمن يزور القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه ابوداود والترمذى وحسنه فليس بمنسوخ والحديث الثاني مروى في الصحيحين من طرق صحيحة ولما كان هذا في غيرما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله عليه وسلم اورد مايدل عليه ايضا فقال (وقوله) صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى تقدم روايته عن ابن عمر (من زار قبرى فقد اطلق اسم الزيارة) ودل على ان الكراهة التى رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم (وقيل) وجه كراهته (لان ذلك لماقيل ان الزائر افضل من المزور) هو من يزار ولايقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة الزائر في وصف المزار خطأ قبيح (وهذا ايضا) كالذى قبله (ليس بشئ) يعتد به بل عكسه اقرب الى الصواب (اذليس كل زائر بهذه الصفة) وهى الافضلية بعد كون ماذكر افضل من المزور (وليس عموما) في كل زائر (وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم) في الجنة وهم عبيده لامناسبة بينهم وبينه في العظمة وكيف يتوهم هذا (ولم يمنع) اطلاق (هذا اللفظ في حقه تعالى) ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة روى على وجوه منها مارواه ابو نعيم عن على كرم الله وجهه اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك يقول ان الله تعالى يامركم ان تزوروه فيجتمعون ثم توضع لهم مائدة الحديث وقال

(٢) اوهى نسبة من الوهى وهو الضعف مصحح

(٣) قوله المكثرين الصواب المكثرات مصحح

فان الز
هنا وس
نسخة
الزيارة
١١ ٣

(٣) لا وجوب فرض
نسخة

قبري عيدا فقيل كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد
لاتزوروه في العام مرة فقط بل اكثروا الزيارة (٢) له كما مر واما احتماله للنهي عنها
فهو يفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة اى لاتتخذوه كالعيد في العكوف عليه
واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الاعياد بل لايؤتى الاللزيارة والسلام
والدعاء ثم ينصرف (فحمى) اى صان مالك رحمه الله (اضافة هذا اللفظ) اى لفظ
الزيارة اضافة معنوية (الى القبر) يعني قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم (والتشبه بفعل
اولئك) الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود (قطعا للذريعة وحسما)
اى قطعا وسدا (للباب) اى باب الذريعة وهذا مبني على سد الذرائع التي هي من قواعد
مذهب مالك وقد قدمنا تحقيقه (والله تعالى اعلم) بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل
مما يتعجب منه فانه لاتشبيه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اولئك فالظاهر انه
لم يصح عنه وانما المروى عنه كما وقع هنا في بعض النسخ (وهو كما قال ابو عمران)
موسى بن عيسى الفاسي فقيه القير وان وقد تقدمت ترجمته (انما كره ان يقول
طواف الزيارة) الذي يكون بعد رمي الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة
وطواف الصدر لانه لامعنى للزيارة هنا عنده وان خالفه في اطلاقه غيره فالتبس
عليهم كراهة اطلاق الزيارة في كلام مالك وفي نسخة بدل هذه النسخة قبل
قوله والذي عندي الى آخره وقال ابو عمران انما كره مالك الى آخر ماتقدم
﴿تنبيه﴾ ما ادعى المصنف رحمه الله تعالى انه الاولى لاوجه له رواية ودراية فقد ورد
اطلاق الزيارة لقبره في احاديث كثيرة منها مارواه ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني الاان قوله وصحبني
تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيارة منكرة ورد بان له
متابعات وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافي خبر لوانفق احدكم مثل احد ذهبا
الحديث وروى ايضا في معناه احاديث كثيرة قال السبكي كانها لم تبلغ مالكا رحمه الله مع
انه روى عنه ايضا كراهة ان يقال زرنا النبي لانه اعظم من ان يزار ولانه اشتهر في الموتى
وهو صلى الله عليه وسلم حي في قبره وقيل كرهه لان الذهاب ليس لصلته ونفعه
وانما هو رغبة في الثواب قال السبكي وهو الاقرب في توجيه كلام مالك وان كان المختار
الصحيح انه لايكره شيء من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها
وهي كالواجب عنده واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حي
(قال اسحق بن ابرهيم الفقيه وممالم يزل من شان من حج) اى انه استمر من عادة السلف
اذا حجوا ان يأتوا (المزور) قيل انه بكسر الميم وسكون الزاء المعجمة وفتح الواو مصدر

(٢) من الزيارة نسخه

ميمى يعنى الزيارة وقوله (بالمدينة) متعلق به وهو تكلف لايخفى ولارواية تدعواليه والظاهر كما فى بعض النسخ انه بضم الميم و رائين مهملتين مصدر مراى من حج مر بالمدينة ويقصدها و يدل عليه قوله (والقصد الى الصلوة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه (والتبرك برؤية روضته) وهى ما بين قبره الشريف (ومنبره) سميت روضة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها انها روضة من رياض الجنة (وقبره) وكيفية التبرك به ستأتى (ومجلسه) اى موضع جلوسه فى الروضة المأثور (وملامس يديه) اى المحال التى لمسها بيده الشريفة فى سجوده فيها (ومواطئ قدميه والعمود الذى استند اليه) باسناد ظهره الشريف اليه فى جلوسه (ومنزل جبريل بالوحى فيه عليه) وكان مراده انه يقصد التبرك بمسجده الشريف لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك مبنيا الآن فان نقل تعيين شئ من ذلك فعل به ذلك رزقنا الله تعالى عز وجل الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد تجاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وبمن عمره) بتخفيف الميم اى سكنه واما بتشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم اى مدة الحياة كما اعتمده اهل اللغة (وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله) اى الاعتناء به تعظيما وتكريما والتفكر فيهم وفى مآثرهم (وقال ابن ابى فديك) محمد بن اسمعيل بن مسلم بن ابى فديك بضم الفاء ودال مهملة وياء تصغير وكاف الامام الثقة روى عنه الستة واحمد وتوفى سنة مائتين وله ترجمة فى الميزان وحديثه هذا رواه البيهقى (سمعت بعض من ادركت) يقال ادرك فلانا اذا ادرك زمانه ورآه والمراد من ادركه من العلماء والصلحاء (يقول انه من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) متوجها له (وقال) تاليا (هذه الآية ان الله وملائكته الخ ثم قال) بعد تلاوتها (صلى الله عليك يا محمد) (سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة) وفى رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة اى لاترد ولاتخيب شبه عدم قبولها بسقوط شئ ويضيع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال الله تعالى (ان تستغفر لهم سبعين مرة) وقد قيل على هذا انه ينافى ماقالوه كما مر من انه لايجوز نداؤه باسمه يا احمد يا محمد فى حياته وبعد مماته لقوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يارسول الله ونحوه تعظيما وكذا لاينادى بكنيته كابى القاسم وقد تقدم فان كان هذا مأثورا عنه فيغتفر اتباعا للمأثور والتقديم تعظيمه هنا بقوله صلى الله عليك فليتأمل هذا وفى الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقى لما ذكر عن ابن ابى فديك مانصه

ولادليل فيه لجواز ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقد صرح ائمتنا بحرمة ذلك وظاهره انه لا فرق بين ان يتقدمه له تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا لمن بحث تخصيصه بالثانى وذلك لما فى النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو جلى من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لانظر اليه لانقضائه قال ائمتنا وانما ينادى بنحو يا نبى الله يارسول الله فقول الزين المراغى رحمه الله تعالى الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يارسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لااولى انتهى (وعن يزيد ابن ابى سعيد المهرى) بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له مسلم رحمه الله تعالى وغيره قال (قدمت على عمر بن عبدالعزيز) اى اتاه قاصدا له واجتمع به (فلما ودعته) اى لما اردت الانصراف من عنده (قال لى اليك حاجة) اسئلك قضاءها وهى انك (اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا زرته فاذا رأيته (فاقرء منى السلام) اى بلغه سلامى وانى مسلم عليه يقال قرأ عليه واقرأه السلام اذا بلغه سلاما من غائب عليه وقيل لا يقال اقرأه الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذى يناسب الحديث الذى نحن فيه (وقال غيره) اى غير يزيد المذكور والقائل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقى فى شعب الايمان (وكان) اى عمر بن عبدالعزيز الخليفة المشهور الجليل المقدار (يبرد) بضم اوله من ابرد بمعنى ارسل (اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (البريد من الشام) لانها كانت مقر الخلفاء اى يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه ويقرأه السلام لالقصد غير ذلك البتة وكان ذلك فى صدر زمن التابعين ولم ينكر ذلك احد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذى يكون مستعجلا لتبليغ امر الخلفاء ونحوهم وهو فى الاصل فارسى معرب من بريدة دم اى مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون فى المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون قطع اذنابها علامة لها ثم اطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمى الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار واحوال البلاد والولاة واصحاب البريد قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة فاذا وقع امر عظيم وجههم صاحب البريد للاخبار به وكان من دأب السلف انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلوة والسلام السلام ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن فى هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لى على فلان فانه

يجب عليه اداء امانته له اى ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا و فرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحياء التواصل و عدم التقاطع الذى يغلب وقوعه بين الاحياء وحينئذ فارسال السلام للغائب القصد به مواصلته وعدم مقاطعته واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله سببا او وسيلة الى المقاطعة المحرمة اى من شانه ذلك وللوسائل حكم المقاصد واما ارسال السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضائل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير ﴿ فائدة ﴾ قال صاحب القاموس فى رسالة الصلوة له ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند قبره الشريف افضل من الصلاة عليه اى الاخبار الكثيرة ومنها مامن احد يسلم على عند قبرى الحديث [illegible] فى الا [illegible] ما تقدم انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى بدل الصلاة الواحدة عشرا او مائة على ما مر وصلوة الله افضل من رده صلى الله تعالى عليه وسلم على انه [illegible] صلى الله عليه وسلم يرد الصلوة عليه كالسلام فالاولى ان يجمع [illegible] السلام [illegible] والتحية وحينئذ تخص [illegible] فاذا سلم [illegible] الصلوة بعده اولى من استمرار السلام وان كان [illegible] فى مقام الزيارة [illegible] العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه [illegible] الصلوة عليه (قال [illegible] انس بن مالك) الصحابى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ([illegible]) صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارته ([illegible]) [illegible] القبر الشريف ([illegible]) [illegible] زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو و [illegible] ([illegible]) لانه يس رفع الناس لافتتاح الصلاة [illegible] ([illegible] صلى الله عليه وسلم) بعد رفع يديه ودعائه ([illegible]) (قال [illegible] ابن وهب) عنه وهو عبدالله بن وهب عالم مصر [illegible] عن الامام مالك (اذا سلم) الزائر [illegible] (على النبى صلى الله عليه وسلم [illegible]) [illegible] (يقف) عنده ([illegible] الى القبر الشريف لا الى [illegible]) [illegible] فى [illegible] هذا الموطن لان استدباره خلاف الادب ([illegible]) [illegible] (وسلم) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يمس [illegible]) ويكره الصاق البطن او الظهر بجدار القبر المكرم و [illegible] جدار [illegible] عليه المستور [illegible] الآن

لما في ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ثم تعين على كل احد
ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما اذن الله فيه لامته صلى الله عليه وسلم في جنسه
مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد
من حيث هو ربما تؤدي الى محذور فليقتصر على الوارد ما امكن واستقبال وجهه
صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي والجمهور ونقل عن ابي حنيفة
وقال ابن الهمام ما نقل عن ابي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى عن ابن عمر
ان من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب
ابي حنيفة وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشيء لانه صلى الله عليه وسلم حي
في ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال الزيارة
كما نبه عليه المصنف بقوله يقف وهو افضل من الجلوس عند القبر الشريف عند الجمهور
ومن خير بينهما اراد الجواز دون المساواة فان جلس فالافضل ان يجثو على ركبتيه
ولا يفترش ولا يتربع لانه الاليق بالادب (وقال) مالك (في المبسوط) اسم كتاب له
كما تقدم (لا ارى) اي لا استحسنه واعده رأيا (ان يقف عند قبر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يدعو) اي في حال كونه داعيا لما اراد (ولكن يسلم) عليه (ويمضي) اي
ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف
مطلقا ونقل الشافعية عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها
لا للغرباء الزوار فانهم استحب لهم الوقوف للدعاء له صلى الله عليه وسلم ولابي بكر
وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد يأتيه في اكثر
ايامه للعبادة والمرتبة بناء على قاعدته في سد الذرائع وسيأتي ايضا بيان ذلك في كلام المصنف
عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني وغيره في استحباب الاكثار
من زيارته والوقوف عنده للدعاء وسيأتي ما يعلم منه ان في المسئلة ثلاثة مذاهب (وقال
ابن ابي مليكة) هو عبد الله بن عبد الله بن ابي مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين
وابوه ابو مليكة تابعي جليل واسمه توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له اصحاب
الكتب الستة (من احب ان يكون) وفي نسخة يقوم (وجاه النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم) اي في مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى تجاه وهو مثلث التاء ايضا
كما في مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان قابل وجهه وجهه وتاء تجاه مبدلة من الواو
كنخمة (فيجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر) الشريف (على رأسه) اي محاذيا لها
والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وفتح القاف معناه العظيم
الرأس ووزنه فعليل وقيل فعلل ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وان يكون
بينه وبين القبر فاصل فصل له ينبغي عنه بمقدار اربعة اذرع وقيل ثلاثة وهذا مبني

على ان البعد اولى واليق بالادب كما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى وقيل يعامله معاملته فى حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ماكان فى العصر الاول واما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك (وقال نافع) هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبى خراسان وهو تابعى جليل توفى بالمدينة سنة سبع عشرة وهو غير نافع بن عبدالرحمن المدنى المقرى وهذا رواه البيهقى وغيره (كان ابن عمر) الصحابى المشهور (يسلم على القبر) الشريف (رأيته مائة مرة واكثر يأتى الى القبر) بدل من قوله يسلم مفسر له (فيقول السلام على النبى السلام على ابى بكر السلام على ابى) وفى نسخة ابى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه (ثم ينصرف ٢) قيل وفيه اشارة الى انه لا ينبغى ان يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ماشاء فى الثناء والدعاء والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال ويأتى للزيارة من قبل رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما فيبدأ بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما كما يليق وقيل يأتى من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتأخر قليلا قليلا وفى كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور فى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى مفصل ليس هذا محله (وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) تقدم ان يحيى بن يحيى راوى الموطأ عن مالك اثنان (انه كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله عليه وسلم كما مر (فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر) تبعا له او يصلى بمعنى يدعو (وعند ابن القاسم) عبدالرحمن فقيه مصر كما تقدم (والقعنبى) بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها باء موحدة وياء نسبة وهو عبدالله بن مسلمة بن قعنب الحارثى ابو عبدالرحمن احد الاعلام روى عنه البخارى وابو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفى سنة عشرين او احدى وعشرين ومائتين اخرج له الشيخان وغيرهما كما علم فى روايتهما عن مالك بلفظ (ويدعو لابى بكر وعمر) لا بلفظ يصلى كما مر (قال مالك فى رواية ابن وهب) عنه (يقول المسلم) او الزائر (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) و (قال) مالك (فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر) بعد السلام عليه و (قال القاضى ابو الوليد الباجى) تقدمت ترجمته (وعندى) اى الراجح عندى (انه يدعو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلوة) لما فيها من التعظيم كما تقدم (و) يدعو (لابى بكر وعمر كما جاء فى حديث ابن عمر) الذى تقدم وقوله فيه السلام على ابى بكر السلام على ابى عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلى عليهما لما مر (من الخلاف) اى مخالفة الدعاء لهما للدعاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المقام هنا تفصيل طويل

(٢) وقد وقع فى نسخ المتن ومتن على القارى هنا عبارة وهى قوله (ورئى ابن عمر الى قوله وفى الموطأ فليراجع الى المتن مصحح

(فيها)

فيا يقوله الناس ليس هذا محله (وقال ابن حبيب) عبدالملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولايلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان (ويقول) الزائر (اذادخل مسجد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله وسلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم (السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك) اي يسر لي مايوصلني اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل لجنة روضة شوقه الى الجنان وقوى رجاءه فناسب دعاءه بما ذكر ولما سالك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقهما بقوله (واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد) بعد الدعاء (الى الروضة وهي مابين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين) تحية المسجد شكرا لهذه النعمة (قبل وقوفك بالقبر) اي عنده (تحمد الله تعالى فيها) اي في تلك الصلوة (وتسأله تمام ماخرجت اليه) من زيارتك وسفرك (والعون عليه) اي المساعدة بتيسيره له (وان كانت ركعتاك في غير الروضة) من المسجد النبوي (اجزاتاك) بالهمزة اي كفتاك في اداء السنة (وفي الروضة افضل) اي اكثر ثوابا اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال عليه السلام مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) ويأتي الكلام عليه ومابين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدي الى دخولها فكأنه منها فاطلق السبب واراد المسبب اوهو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفي حديث آخر يأتي وان اوهم كلامه هنا انه من تتمة الاول (ومنبري على ترعة من ترع الجنة) ترعة وترع بمثناة كغرفة وغرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع مطمئن وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا اوفي مكان مطمئن تجمع اشجارا ورياحين والترعة تكون ايضا محل الماء وبمعنى الدرجة كما ذكره اهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المصنف (ثم تقف بالقبر) اي عنده (متواضعا متوقرا) اي بتواضع ووقار اي سكون تأدبا بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف في الصلوة وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه (فتصلي) بالخطاب لكل زائر (عليه صلى الله عليه وسلم وتثني) عليه بثناء يليق به (بما يحضرك) اي يخطر ببالك من غير تكلف لامور تستعملها بسجعة ونحوها وقبح الانحناء وتقبيل الارض ومابطنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم ليس بشيء (وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما) بما يناسب مقامهما كما مر (واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار) والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله

صلوة في مسجدي هذا تعدل الف صلوة في غيره كما يأتي وهو ما كان مسجدا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله النووي وغيره والاشارة بقوله هذا تبينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث لو زيد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي ردبانه لا يقتضي مساواته من كل وجه ولا شك في ان الاول افضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة واخبار بالغيب ولا ينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله ابن عبد السلام (ولا تدع) بالخطاب والجزم اي تترك (ان تأتي مسجد قباء) بضم القاف ويمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بني فيه عمرو بن عوف الانصاري مسجدا اتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد اسس على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة اهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده واعطي اهل احد يوم الخمس لانهم افضل فبقي السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلوة ركعتين فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه يأتيه في كل اثنين وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلو كان في طرف الارض لضربنا اليه اكباد الابل وقال صلوة ركعتين فيه احب الي من ان تأتي بيت المقدس مرتين وكذا يستحب اتيان غيره من المساجد المأثورة صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين (وقبور الشهداء) المعهودين وهم شهداء احد رضي الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي ان لا تدع زيارتهم وان تبدأ منهم بحمزة سيد الشهداء في الدنيا والآخرة (وقال مالك في كتاب محمد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج) اي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه اي بالفعل لا عند ارادة ذلك (وفيما بين ذلك) اي في ايام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم كلما دخل وخرج (قال محمد واذا خرج) من المدينة من اتاها زائرا (جعل آخر عهده) بالمدينة (الوقوف بالقبر) اي عنده للوداع (وكذلك) كل (من خرج مسافرا) من المدينة يجعل آخر عهده زيارته صلى الله عليه وسلم عليه السلام عليه (روى ابن وهب عن فاطمة) الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) يعني مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم او الاعم منه (فصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك) وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة (واذا خرجت) من المسجد النبوي او الاعم منه (فصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي) ببركة العمل الصالح (وافتح لي ابواب فضلك) وذكر الفضل هنا انسب لان

الخارج من المسجد يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل اموره وتيسير مسالكه واسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصدهم وعبادته فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التي بها تحصل الارزاق والغناء عن الناس وهذا مظهر الفضائل التي تفضل بها على عباده فسئل عند التوجه ليفاض عليه منه مايتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى قالوا ويصلي ركعتين نفلا مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلوة اويؤخرها ليكون آخر عهده ملاقاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن ان يقول لاتجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم ويسره لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة ويتأسف على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره الخيضري في اللواء المعلم الا انه يكفي انه يدخل فيه دخولا اوليا وزاد بعضهم في المسجد النبوي رب وفقني وسددني واصلح لي واعني على ما يرضيك عني ومن علي بحسن الادب في هذه الحضرة الشريفة (وفي رواية اخرى) من طريق آخر وحديث فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذي وحسنه (فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي) رواية (اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم) وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفصلت ثمة (وعن محمد بن سيرين) التابعي المشهور (كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد) النبوي (صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا) اي ندخل ونخرج وعبر بالماضي مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هي للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف (وعلى الله توكلنا) اي فوضناله امورنا كلها لترك من دخل المسجد امور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله (وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك) وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب في كل مسجد كما تقدم واستحب الصلوة عليه عند دخولها والخروج منها لانه هو الذي بين لنا العبادة فيها وهدانا لطريق الخير فكان حقا علينا ان نذكره ثمة والدعاء له والمراد بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة مأثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا اردفه بما يوضحه من قوله (و) روى (عن فاطمة ايضا) اي كما روى عنها ماقبل هذا (كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله) الذي وفقه للعبادة (وسمى) الله تيمنا وتبركا ليتم ماشرع فيه (وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم) للناس (وذكر مثله) اي ماهو بمعناه

(وفي رواية) يقول اذا دخل المسجد (بسم الله والسلام على رسول الله) فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فهم مقتدون به (و) روى (عن غيرها) اى غير فاطمة رضى الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك) واسألك بنعم الدنيا والآخرة (ويسر لي ابواب رزقك) اى سهلها ويسر اسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه تقدم وفرغ منه (وعن ابي هريرة رضى الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي) يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد او خرج منه او مر به اى مسجد كان يستحب له ان يسمى الله ويصلى ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيرى الدنيا والآخرة والمأثور افضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه احاديث صحيحة مسندة في باب الدعوات (وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد) النبوى (وخرج منه من اهل المدينة) المقيمين بها (الوقوف بالقبر) اى عنده للزيارة (وانما) يلزم (ذلك) اى الوقوف لازم (للغرباء) الذين جاؤا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التأكيد في حقه (وقال) مالك (فيه) اى في كتاب المبسوط (ايضا) كالمنقول عنه اولا (لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر) من اهل المدينة (ان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يقوم عنده زائرا (فيصلى عليه) صلى الله عليه وسلم (ويدعو له ولابى بكر وعمر) بعد الصلوة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه) اى الخروج للسفر فهم مقيمون (يفعلون ذلك) اى الوقوف عند القبر والصلوة عليه والدعاء لصاحبيه (في اليوم) الواحد (مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون) عليه صلى الله عليه وسلم (ويدعون) لابى بكر وعمر (ساعة فقال) مالك لما ذكر له ذلك (لم يبلغنى هذا) اى وقوف المدنى من غير سفر عند القبر (عن احد من اهل الفقه ببلدنا) يعني المدينة لان عمل اهلها حجة عنده (وتركه) اى ترك هذا الفعل (واسع) اى اكثر واولى (ولا يصلح آخر هذه الامة) المحمدية وآخرها من بعد الصحابة والعصر الاول (الا ما اصلح اولها) اى لا يصلح لآخرهم الا ما صلح لاولهم ولا يستحب لهم الا ما استحبوه اولا (ولم يبلغنى) اى لم اسمع بنقل صحيح (عن اول هذه الامة وصدرها) من الصحابة ومن لحق بهم (انهم كانوا يفعلون ذلك) اى الوقوف للزيارة من غير

الغرباء بالارادة سفر (و يكره) ذلك (الا لمن جاء من سفراواراده) من اهل المدينة (قال ابن القاسم) من اتباع الامام مالك (ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها) للسفر (اودخلوها) قادمين من السفر (اتوا القبر فسلموا) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) ابن القاسم (وذلك رأى) اى قول لمالك وفى نسخة رأيى بالاضافة اى انه يقوله (قال الباجى) بباء موحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو ابوالوليد الحافظ من ائمة المالكيه وقدتقدم (ففرق) مالك اوابن القاسم رواية عنه (بين اهل المدينة والغرباء) فاستحب للغرباء الزيارة فى الدخول للمسجد فى كل حين ولم يستحبه للمدنى الا اذا خرج لسفر او قدم منه (لان الغرباء قصدوا) المدينة (لذلك) اى لاجل الزيارة فينبغى له فعل ذلك فى كل حين (واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها) من اوطانهم (من اجل) زيارة (القبر والتسليم) عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى فى كتابه شفاء السقام بعد نقل ماهنا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته فى سد الذرائع وغيره من اهل المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذى لا شبهة فيه والذريعة ليست بمسموعة من كل مقام كما تقدم عن القرافى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه عبدالرزاق ومالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار (اللهم لاتجعل قبرى وثنا) اى كالوثن وهو الصنم الذى (يعبد) اى يجعل معبودا وتقدم فيه زيادة بعدى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى يسجدون لها كما يسجدون لله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن ابى شيبه وغيره بسند متصل (لاتجعلوا قبرى عيدا) اى كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تأويل الحديث وانه لاحجة فيه لماقاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضى تفسيره بغير مافهموه فانه نزغة شيطانية وقوله وقال الخ يحتمل انه من كلام الباجى اومن كلام مالك وابن القاسم تأييدا لماقاله وهوالظاهر واحتمال انه من كلام المصنف رحمه الله تعالى غير مناسب لما عقد له هذا الفصل (و) نقل (من كتاب احمد بن سعيد الهندى) عالم الاندلس توفى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وعمره تسع وسبعون سنة وترجمه مبسوطه فى التواريخ وفى نسخة سعد الهندى والصحيح الاولى (فيمن وقف بالقبر) الشريف اى قال فى حقه وبيان حاله انه ينبغى له ان (لايلصق به) صدره (ولايمسه) بشئ من جسده فلا يمسه فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره لانه ترك ادب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا امر غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبرى لابأس بتقبيله والتزامه وروى ان ابا ايوب الانصارى كان يلزم القبر الشريف قيل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق

والمحبة وهو كلام حسن (ولا يقف عنده طويلا) بل بمقدار الصلوة والدعاء تأدبا منه فهذا مستحب عنده (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة اى مما سمع من مالك من مسائل المدونة وصاحبها يسمى العتبى نسبة لعتبة بن ابى سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبدالعزيز بن عتبة بن ابى سفيان القرطبى وتوفى منتصف ربيع سنة خمسين اوار بع وخمسين ومائتين واخذ عن يحيى بن يحيى الليثى وطبقته ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى المشرق وفى تاريخ الاندلس محمد العتبى هواحمد بن محمد بن عتبة الاموى من اهل قرطبة وقيل هو مولى لآل عتبة بن ابى سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون واصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة اكثر فيه من الشواذ والمسائل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها فى المستخرجة وقال ابن وضاح فى المستخرجة خطأ كثير (يبدأ بالركوع) المراد به الصلوة اى تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة (قبل السلام) على قبره عليه الصلوة والسلام وزيارته وهو احد القولين كما تقدم (فى مسجد النبى) صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم اولا ثم يصلى ويتحرى بصلاته محلا كان يصلى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وله علامة ذكروها وتبعهم المصنف وهو على يسار محراب الشافعية (و) شمل ذلك عموم قوله و (احب) افعل تفضيل من المحبة (مواضع التنفل فيه) اى افضلها للصلوة النافلة وتحية المسجد والزيارة (مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى محل صلوته المأثور وبين محله بقوله (حيث العمود المخلق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب اصفر فيه زعفران والعمود هو السارية والاسطوانة وسمى مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه مخلق بخاء مهملة اى له حلقة من حديد ونحوه قيل وهو محل جذعه الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر له وهذه الاماكن الشريفة واسمائها وفضائلها من اراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى (و) فضيلة هذا المحل والصلوة عنده انما هو للمتنفل الزائر (واما فى) صلاة (الفريضة فالتقدم الى الصفوف) اى التقدم فى الصف الاول افضل من غيره مطلقا (والتنفل) اى صلاة النافلة (فيه) اى فى المسجد النبوى (للغرباء) الذين قدموا للزيارة وليسوا من اهل المدينة المقيمين بها (احب الى) اى افضل عندى (من التنفل فى البيوت) اى مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقهاء والمتقون ان الافضل فى الفرض الصلوة فى المساجد والنافلة الافضل فيها ان يصلى فى المنازل ووجه المخالفة ان الصلوة

فی مسجد المدینة افضل من الف صلوة فی غیره علی ما یأتی وهذا مبنی علی ان المضاعفة تختص بمسجد المدینة وذهب بعضهم الی ان الصلوة فی المدینة مطلقا مضاعفة لافرق بین فرضها ونفلها ومسجدها وغیره فعلی هذا نافلتها کفرضها الا ان الغریب یستحب له الاکثار من المکث فی مسجدها والزیارة والتبرک بمواطن عبادته فله شأن یخصه وهو الظاهر ﴿ فصل فیما یلزم من دخل مسجد النبی صلی الله تعالی علیه وسلم من الادب ﴾ اللازم لمن حضر مجالسه فی حیوته (سوی ماقدمناه) فی الفصل الذی قبل هذا (وفضله) ای المسجد النبوی (وفضل الصلوة فیه) ای زیادة ثوابها علی ثواب غیرها (وفی مسجد مکة) وفضله وفضل الصلوة فیه (وذکر قبره ومنبره وفضل سکنی المدینة ومکة) والمجاورة فیهما لم یتکلم فی الشفاء علی المجاورة الا ان الشارح اشار الی ذلک فیما یأتی (قال الله تعالی لمسجد اسس علی التقوی من اول یوم) وضع اساسه فیه (احق ان تقوم فیه) للصلوة من غیره وقد اختلف فیه کما سیأتی (روی) عنه صلی الله تعالی علیه وسلم فی حدیث رواه مسلم وغیره (ان النبی صلی الله تعالی علیه وسلم سئل) عن المراد به فی هذه الآیة (ای مسجد هو قال مسجدی هذا) یعنی الذی هو داخل المدینة وهو معروف (وهو) ای کونه المراد فی الآیة (قول ابن المسیب وزید بن ثابت وابن عمر ومالک بن انس وغیرهم) من کبار الصحابة قیل کان ینبغی له تقدیم ابن عمر ثم زید ثم ابن المسیب ثم مالک هکذا لکنه قدم بالاسن والترتیب فی الذکر لیس بلازم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) الذی تقدم بیانه وهو المراد فی الآیة عنده لانه صلی الله تعالی علیه وسلم اسسه وصلی فیه ایام اقامته من الاثنین الی الاثنین (٢) وکلاهما مما اسسه علی التقوی الا ان تأسیس مسجد قباء کان فی ابتداء دخوله صلی الله علیه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه واسس الآخر فالاولیة ظاهرة فیه الا ان تجعل شاملة للحقیقیة والنسبیة والمراد بالتقوی الاخلاص فی رضی الله لا کمسجد الضرار وما ذکره ابن عباس هو الذی ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول ایضا مروی عن کبار الصحابة مسندا له صلی الله علیه وسلم وقد رواه مسلم واصحاب السنن ولذا قیل کان ینبغی للمصنف ان یقول صح عن رسول الله صلی الله علیه وسلم لا روی بصیغة المجهول التی یغلب استعمالها فی الضعیف فکانه ایماء الی ان الاقوی ماقاله ابن عباس وهو مشکل وغایة ما یقال فیه ان الاولیة اضافیة باعتبار ما بنی بعد الهجرة ومسجد مکة فیشمل مسجد قباء ومسجد المدینة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ینافیه ما بعده لانه اثنی علی اهل احد المسجدین بزیادة الطهارة وانما فسره صلی الله علیه وسلم بمسجده لاجل قوله احق ان تقوم فیه لانه انما کان اکثر قیامه به فلو فسر بمسجد قباء لکان صلی الله تعالی علیه وسلم تارکا الاحق ففسره بما یدل علی دخوله مع مسجد قباء

(٢) قوله الی الاثنین صوابه الی یوم الجمعة مصحح

في الحكم ونص على ماخرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاسيء فاء دوي حدا
(حدثنا هشام بن احمد الفقيه) هو احد شيوخ المصنف رحمه الله اموله (نقراءتي ءاءه)
قال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) هو الغساني وقد تقدم قال (حدثنا ابو عمر) هو
ابن عبدالبر كما تقدم (النمري) تقدم بيانه ايضا قال (حدثنا ابو محمد بن عبدالمؤمن)
تقدم بيانه قال (حدثنا ابوبكر بن داسة) تقدم ايضا قال (حدثنا ابوداود) صاحب
السنن تقدم ايضا قال (حدثنا مسدد) تقدم قال (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة
وقد تقدم (عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة) تراجمهم تقدمت كلها
(عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (لا تشد الرحال) لا نافية وتشد مضارع
مجهول وهو خبر اريد به النهي وهو ابلغ في النهي لانه يعمل كانه امر لا سمع في الخارج
اخبر عنه لتحققه والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للبعير كالسرج للفرس
لاجمع راحلة كما توهم وهو البعير ونحوه والمقصود منه المنع او النهي عنها كناية عن منع
السفر اي لا ينبغي السفر وقطع المسافة (الا الى ثلاثة مساجد) جمع مسجد
وهو المكان المعد للعبادة واصله موضع السجود (مسجد الحرام) بالحركات
الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما
جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة اي المسجد الذي جعله محرما
وهو مشهور غني عن البيان (ومسجدي هذا) اي مسجد المدينة المعروف
(والمسجد الاقصى) بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى اي الابعد
لانه ابعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا محله واختلف في هذا
النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مأول اي
لا تشد الرحال لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم يلزمه
فلا يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبرك بها اولزيارة من فيها من الصالحين او لطلب
العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه (وقد تقدمت الآثار) والاحاديث (في الصلاة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد) النبوي في الفصل الذي
قبل هذا كما سمعته آنفا والآثار جمع اثر اي مروي منقول للحديث ونحوه ويطلق
على مايقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر مشهور في مصطلح الحديث كما بينه
ابن الصلاح وغيره (وعن عبدالله بن عمرو بن العاص) في حديث رواه ابو داود
باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي (ان النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان
اذا دخل المسجد) اي مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا مستحب في دخول كل مسجد (قال
اعوذ بالله العظيم) اي التجئ في امورى اليه وفي الوفق لعبادته واسنادها الى
عظيم لا يخاف من التجأ اليه (وبوجهه الكريم) الوجه معروف واذا اسند الى الله

تعالى فالمراد به ذاته المكرمة المبجلة (وسلطانه القديم) سلطانه بمعنى قهره وغلبته والقديم صفة سلطان وذلك ثابت له في الازل والقدم (من الشيطان الرجيم) المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته وتمة الحديث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم (وقال مالك) ان انس رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البخاري والنسائي فيه (سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا) عاليا كالصياح (في المسجد) اى مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فدعا بصاحبه) اى امر بمجيئه اليه فجئ له به وسقط هذا من بعض النسخ فالفاء في قوله (فقال ممن انت) فصيحة اى من اى قبيلة وطائفة من الناس (قال من ثقيف) قبيلة من العرب مشهورة من هوازن (قال) عمر رضي الله عنه له (لو كنت من) اهل (هاتين القريتين) يعنى مكة والمدينة (لادبتك) كما في نسخة وفي اخرى لعلوتك بالدرة بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهى سوط عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه ضرب به على رأسه واعالى بدنه يقال علاه بالدرة وجلاه وقنعه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله تعالى (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال) ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من اهل الحرمين وهما مهبط الوحى ومقر الدين لا يعذر في الجهل بالشرع وآدابه ثم بين له وجه ما قاله بقوله (ان مسجدنا) يعنى مسجد المدينة او الاعم منه (لا يرفع فيه الصوت) فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من طريق آخر ومساجدنا وذهب اكثر من الفقهاء الى ان رفع الصوت في المساجد مطلقا مكروه ولحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها معدة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعذر وكلام عمر رضي الله عنه يدل على انه لو كان من اهل القريتين عذره لانه لا يعذر بجهله واجيب بانه علم منه عدم اكتراثه بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حرام يؤدى الى الكفر والعياذ بالله تعالى ليس كما قاله بل لانه يمنع رفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) اى عنده صلى الله عليه وسلم وهو في حياته كما تقدم الا ان قوله ان مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شئ فاعرفه ويستثنى من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة وكذا التلبية كما صرحوا به على ما يأتى (قال محمد بن مسلمة) بميمين مفتوحتين كما تقدم (لا ينبغى لاحد ان يعتمد المسجد) اى يقصده وفي نسخة يتعمد (برفع الصوت) فيه فيقال عمده واعتمده اذا قصده

فان فعله لاعن عمد الجهل او غيره جاز له ذلك (ولا بشئ من الاذى) هو كل مستقذر لان الطبع يتأذى به (وان ينزه) بالبناء للمجهول اى يبعد عنه فيبعد هو (عما يكره) مجهول ايضا والمكروه المراد به ايضا المستقذرات ولا ينبغى تحتمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء بمنع جعل النجاسة والمستقذرات فى المساجد حتى النخامة والروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم الى غير ذلك مما فصل فى احكام المساجد وقد افرده بالتأليف الامام الزركشى فلا حاجة لذكره هنا لانا لسنا بصدده (قال القاضى) عياض هو المصنف رحمه الله تعالى (حكى ذلك) المذكور (كله القاضى اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل الازدى البصرى العلامة الرحلة فى سائر الفنون والادب وكان عنده معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من اقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضاء اندرس ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين ومائتين ببغداد فجأة (فى مبسوطه) اسم كتاب له كما تقدم (فى باب فضل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) لان المقصود منها واحد وشرفها انما لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا تساوت فى ذلك كان حكمها واحدا (قال القاضى اسمعيل) ابن اسحق المتقدم (قال محمد بن مسلمة) المتقدم (يكره فى مسجد الرسول عليه الصلوة والسلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم) اى يشوش عليهم والخلط مزج شئ بشئ من المائعات ونحوها بحيث لا يتميز احدهما عن الآخر كالدقيق والشعير بالبر فالمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط (وليس) اى كراهة رفع الصوت (مما يختص بالمساجد) فثبت كراهة (رفع الصوت) رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله (فيكره (٢) رفع الصوت بالتلبية) اى قول الحاج لبيك اللهم لبيك (فى مساجد الجماعات) التى تجمع فيها الصلوة الجمعة ونحوها (الا المسجد الحرام) يعنى مسجد مكة (ومسجدنا) يعنى مسجد المدينة لان محمد بن مسلمة كان من [illegible] رفع الصوت فى التلبية مأمور به لحديث افضل الحج العج والثج والعج رفع الصوت والثج اراقة الدماء ورفع الصوت مستحب لغير المرأة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه فيه غيره فجعله مستحبا فى جميع المساجد وانما كرهه مالك فى المساجد لانها [illegible] (وقال ابو هريرة) فى حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (صلوة فى مسجدى هذا خير) اى افضل واكثر ثوابا (من الف صلوة فيما سواه) من جميع المساجد (الا المسجد الحرام) يعنى مسجد مكة المشرفة وسمى حراما لحرمة القتال فيه و[illegible] وقطع اشجاره وتتمة الحديث وصلوة فى المسجد الحرام افضل من مائة صلوة فى مسجدى هذا

(٢) قد ذكره نسخه

(قال)

(قال القاضي) ابو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله (اختلف) بالبناء للمجهول اي اختلف العلماء والفقهاء (في معنى هذا الاستثناء) يعني المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبني (على اختلافهم في المفاضلة) اي القول بايهما افضل من الآخر (بين مكة والمدينة فذهب) الامام (مالك في رواية اشهب) بن عبد العزيز ابو عمرو القيسي المصري تلميذ مالك في مروياته (عنه) اي عن مالك (وقال) عبد الله (ابن نافع صاحبه) اي صاحب امام مالك الذي يروي عنه (وجماعة اصحابه) اي اصحاب مالك (الى ان معنى الحديث) المذكور والاستثناء فيه لانه ان لم يكن خيرا من الف صلوة فيما سواه احتمل ان يكون الصلوة في المسجد الحرام اكثر ثوابا من الصلوة في المسجد النبوي وان الصلوة فيه تفضل صلوة المسجد الحرام باقل من الف وان الصلوة في المسجد النبوي لا تفضله بل يساويه والكل محتمل وهذه رواية اشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من اصحاب مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه (ان الصلوة في مسجد الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم (افضل من الصلوة في سائر المساجد) اي باقيها (بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلوة فيه) اي في المسجد الحرام (بدون الف) اي اقل منه وهو تأويل بعيد وممن استبعده من المالكية ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند احمد عن عبد الله بن الزبير انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلوة في المسجد الحرام افضل من مائة في مسجدي هذا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقي كيف لا وقد مدحه الله تعالى وامر بالحج اليه وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت كما رواه الترمذي والنسائي وقال انه حديث حسن (واحتجوا) لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة (بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه) اي غير المسجد الحرام لما علم مما تقدم (فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه) اي على المسجد الحرام (بتسعمائة وعلى غيره بالف) اي غيره من المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ صلوة في المسجد الحرام افضل من الف صلوة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه بمائة صلوة وقد روي من طرق (وهذا) اي ما ذكره من ان الصلوة في مسجد الرسول افضل من الصلوة في مسجد مكة بدون الالف (مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه) قريبا (وهو) اي تفضيلها

عليها (قول عمر بن الخطاب ومالك) في احدى الروايتين عنه (واكثر المدنيين) اي علمائها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين قبري ومنبري الخ ونحوه (ومذهب اهل مكة و) علماء (الكوفة الى تفضيل مكة) على المدينة (وهو قول ابن وهب وعطاء وابن حبيب من اصحاب مالك) في رواية عنه (وحكاه الساجي) بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو ابو يحيى زكريا بن يحيى البصري (عن الشافعي) رضي الله عنه لانه من ائمة الشافعية توفي بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة وله كتاب جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف الفقهاء وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان (وحملوا) اي المفضلون لمكة (الاستثناء في الحديث المقدم على ظاهره) من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه للمعرفة فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه (وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا) لما قالوه (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم) الذي اخرجه احمد وابن حبان (بمثل حديث ابي هريرة وفيه) اي في حديث ابن الزبير (وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله) اي مثل حديث ابن الزبير في افضلية مكة (فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا) الذي رواه ابن الزبير وقتادة (على الصلوة في سائر المساجد مائة الف) وفيما قاله شيء لانه جاوز [illegible] مضاف الى صلوة اي بمائة الف صلوة وهو كذلك في رواية احمد وابن ماجه باسناد [illegible] عن [illegible] وحديث ابن الزبير هذا روى سنده ابو [illegible] (ولا خلاف) بين العلماء والمحدثين في (ان موضع قبره) اي الموضع الذي [illegible] صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف (افضل من) سائر (بقاع الارض) [illegible] افضل من السموات والعرش والكعبة [illegible] تعالى [illegible] وعلو قدره وقال القرافي في القواعد [illegible] العلم وقد يكون بكثرة المبادلة او الموضع [illegible] المسجد وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله تعالى عليه وسلم على [illegible] ما في الشفاء ان الافضل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال والاعمال على [illegible] ويلزمه ان لا يكون [illegible] بالضرورة انتهى ووافقه الشيخ رحمه الله [illegible] صلى الله عليه وسلم افضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة بقوله

جزم الجميع بان خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكا مأواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الامكنة لتجلي الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ولا حاجة الى ما قيل انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا افضل له في ذاته فافضل كونه لاجل ماحل فيه وقول السروجي من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا في مذهبنا ليس لتوقف (٢) فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفي لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن في التربة التي خلق منها * قلت وفي هذا فضل لضجيعيه وفخر كفى شرفا لهما حتى قال في عوارف المعارف روى عن ابن عباس ان اصل طينته صلى الله تعالى عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما اجاب ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو اصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان اتى بطينته لمحل دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم ففي الحقيقة لم يدفن الا في اصل الكعبة الذي خلق منه صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو قول ثقة ويؤيده ما جاء في بعض الآثار ان سليمان عليه الصلوة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم اربعمائة من احبار بني اسرائيل ينتظرون بعثه وهجرته اليهم فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التي ضمت الجسد العظيم اذا كانت افضل من سائر البقاع يلزم ان يكون المدينة افضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هي تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلابد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفي كلام شيخنا ابن قاسم ما يقتضي ما تقدر ان افضل البقعة التي ضمت اعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت قبل دفنه فيها وقبل موته بل وقبل هجرته ثم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسي انما ثبت بعد دفنه فيها لتشرفها به لا قبله لانها حينئذ ليس فيها الا انها جزء من الكعبة مجرد فلا يزيد على بقية اجزائها الا ان يقال اعدادها لدفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها اوجب مزيتها على بقية الاجزاء قبل دفنه فيها ايضا وهل البقعة المذكورة افضل من منزله عليه الصلوة والسلام في الجنة او منزله فيها افضل كما يسبق الى الفهم وقد يقال هذه افضل مادام فيها فاذا صار في الجنة صار منزله افضل وقد يقال يجوز ان يكون هذه منقولة من منزله في الجنة او ينقل اليها فانها حكمة فليتأمل * واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساويان لا تفاضل بينهما ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر وفضل

(٢) بتوقيف فيه نسخه

الاعمال في المدينة على اعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها اعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهي تزيد بذلك فلذا قال مالك في المدينة ايضا ماليس في غيرها لمجاورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه والخلاف لفظي فتدبر (قال القاضي ابو الوليد الباجي) بموحدة وقد تقدمت ترجمته (الذي يقتضيه الحديث) المتقدم الذي في فضل مسجديهما (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) حتى مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلوة في المسجدين (ولا يعلم منه) اى من الحديث الذي استدلوا به (حكمها) اى حكم مكة في التفاضل (مع المدينة) اى بالقياس اليها بالتفاضل فايتهما افضل وهو الذي ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره (وذهب الطحاوى) هو الامام ابو جعفر احمد بن محمد الحنفي كما تقدم (الى ان هذا التفضيل) بالضاد المعجمة اى تضعيف اجر الصلوة باحد المسجدين مسجد مكة او المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المصنف في الاصول والظاهر الاول (انما هو في صلوة الفرض) وانه الذي يضاعف ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه اشار بقوله (وذهب مطرف) بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة المهملتين وفاء وهو ابو مصعب مطرف عبدالله بن مطرف النيسابورى المدني ابن اخت الامام مالك روى عنه البخاري وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه في الفقه توفى سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة (من اصحابنا) اى من المالكية وقيده به احترازا عن مطرف بن عبدالله بن الشخير البصري الزاهد توفى سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم (الى ان ذلك) اى مضاعفة ثواب الصلوة (في النافلة ايضا) اى كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعي اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما اشار اليه بقوله (قال) اى مطرف وقيل الضمير للطحاوى (وجمعة خير من جمعة) اى ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول اولى لقوله (ورمضان) فيه (خير من رمضان) في غيره وهو منون مصروف لتنكيره (وقد ذكر عبدالرزاق) بن همام المحدث الحافظ كما تقدم (في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) من البلاد (حديثا نحوه) اى مثل الحديث المذكور في فضل الصلوة وهو مارواه الطبراني وغيره عن بلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (مابين بيتي ومنبري روضة من رياض

الجنة)

الجنة) تقدم الكلا عليه وان الروضة ارض فى مكان مطمئن ذات اشجار ومياه (ومثله) فى معناه ولفظه (عن ابى هريرة وابو سعيد) الخدرى (وزاد) فيه ابوسعيد كما فى الموطأ (ومنبرى على حوضى) قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ يورث الرى من العطش فى هول القيامة (وفى حديث آخر) تقدم (منبرى على ترعة من ترع الجنة) تقدم بيانه وهو تمثيل ايضا وتقدم تفسير الترعة (قال الطبرى) محمد بن جرير لا الكيا كما قيل (فيه معنيان) اى وجهان واحتمالان (احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) الذى كان يسكنه وهذا مبنى (على الظاهر) المتبادر من لفظه (مع انه ورد) فى بعض الروايات (مابينه) ويبين المراد منه وهو (مابين حجرتى ومنبرى) لان الحجرة بضم الحاء محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق الاحتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة (والثانى ان البيت هنا) اى فى الحديث المذكور المراد به (القبر) فانه يطلق عليه بيت مجازا لان معناه مايبيت فيه الحى وقربه هنا انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره (وهو قول زيد بن اسلم) الفقيه العمرى كما تقدم (فى هذا الحديث) وفسره به (كما روى مابين قبرى ومنبرى) فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما (قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينهما خلاف) بحسب المعنى (لان قبره فى حجرته وهو بيته) واخباره صلى الله عليه وسلم به قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم (وقوله) فى هذا الحديث (ومنبرى على حوضى) فى تفسيره اقوال منها ما (قيل) انه (يحتمل انه منبره) المعروف (بعينه الذى كان فى الدنيا وهو الاظهر) المتبادر من غير داع لتأويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذى كان يخطب عنده غرس فى الجنة كما مر ويأتى (و) القول (الثانى ان يكون له هناك) اى فى الجنة او عند الحوض (منبر) آخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم فتقدم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته (و) القول (الثالث) انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر المسبب واراده السبب فالمراد (ان قصد منبره والحضور عنده) فى الدنيا (لملازمة الاعمال الصالحة) متعلق بقصد او حضور او هو علة مقدمة لقوله (يورد الحوض ويوجب الشرب منه) لاعماله الصالحة فى الدنيا (قاله الباجى) تقدم ان (وقوله) فى الحديث (روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين) وتفسيرين (احدهما انه موجب لذلك) اى مقتض له اقتضاء محققا فكانه موجب له اى لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله فى الدنيا (وان الدعاء والصلوة فيه) اى فيما بين المنبر والقبر (يستحق) بها (ذلك من الثواب) بيان لذلك او تعليل له ففيه تجوز (كما قيل) فى ... فى الترغيب فى الجهاد والشهادة (الجنة تحت ظلال السيوف)

كناية عن دنو المجاهدين من الجنة حتى كأنه اذا رفع سيفه للضرب به او علاه صيف
لمن يضربه وظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل او ظلال السيوف كناية عن القتال بها
لحمله سببا لدخول من اطاعه الجنة وهذا مراد القاضي هنا (والثاني) من مناسبة الجملة
(ان تلك البقعة) من بقاع المسجد التي بين القبر والمنبر (قد نقلها الله) من الدنيا
الى الآخرة (فتكون في الجنة بعينها) فهو على حقيقته (قاله الداودي) هو احمد بن نصر
شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسدي الشكري التلمساني توفي بتلمسان سنة اثنين
واربعمائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين وتنور تسكين لامها وفي نسخة
المأوردي وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الى آخره انه كروضة من رياض الجنة
في نزول الرحمة وحصول السعادة لمن ملازم حق ذكرها لاسيما في عهده صلى الله عليه
وسلم فهو تشبيه بلا حرف ومعناه ان العبادة فيه تؤدي الى الجنة او هو على ظاهره بان ينقل
من الدنيا للآخرة قال ابن حجر والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فان حمله الاخير
اصحها وقال بعضهم انه قواها لان الاصل الحقيقة ولا تنافي مادة ثم قال ابن حجر
المرجح والاظهر الجمع بين المعنيين بين الجنة على الجنة وتؤديه الى رياضها وتؤيده
ويقويه ان الصلوة فيه بالصف بالمرة في حرمه وان الجنة الا بعد ان صلى الله عليه وسلم
يحصل عنده بعرش في الجنة فهذا تقوى اثر ان الاجمع على الها انسا ولا تنافي ما بين
اول كلامه واخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح
رواه الشيخان عن عبد الله بن ابي اوفى واوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض
غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس لا تمنوا لقاء العدو
وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم
منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفي النهاية
انه كناية عن الضراب والجهاد والهوية والقتال والفيء منهم وفيه من حال القتال لما
قبل الزوال والفيء لما بعده كما فعله اهل الامة وما في ومنه

قلت له لما دنا طرفه ... الى اهلي الى الحتوف
او جنة من تحت اهدابها ... ام جنة تحت ظلال السيوف

(وروى ابن عمر) في حديث رواه مسلم (وجماعة من الصحابة انه صلى الله تعالى
عليه وسلم قال في) حق (المدينة) والمراد اهلها انه (لا يصبر على لأوائها) بفتح
اللام وسكون الهمزة وواو بعدها مد (وشدتها) عطف تفسير لان اللأواء هي الشدة
والشقة والضيق وجاءت بمعنى القحط وصحح الاحمر انه بالتأنيث (احد) فاعل
يصبر (الا كنت) عبر بالماضي لتحققه اي اكون (له شهيدا او شفيعا يوم القيمة)
قال المصنف رحمه الله تعالى والرواية او هنا للشك من الراوي لانه رواه نحو

عشرة من الصحابة لذا ولا ظاهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله تعالى عليه وسلم قاله هكذا فاو للتقسيم اى شهيدا لبعض وشفيعا لبعض اوشهيدا للمطيعين اولمن مات في حيوته وشفيعا للعاصين اولمن مات بعده وشهادته بانهم ماتوا على خير وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم او تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغي ان تكون هذه خصوصية زائدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال الله تعالى (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) واو بمعنى الواو فيه وقال بعضهم انهما للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا انها شفاعة خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم في جواره دنيا وآخرة وفي الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص بمن لا يامن حقوقهما انما هما الاعمال ثمة (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (ممن تحمل عن المدينة) اى رحل عنها وفارقها مختارا لسكنى غيرها عالما ومن تحمل رفع حاله وامتعته معها فكنى به عماذكر وفي نسخة يحتمل وهما بمعنى (والمدينة خير لهم) من غيرها من البلاد (لو كانوا يعلمون) فيه ايجاز اى لو كانوا يعلمون فضلها ما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شيء والمعنى لو كانوا من ذوي العلم والادراك وهو ابلغ في اداء المراد ولو شرطية او للتمني اى ليتهم علموا ذلك وهو ... ولو على معناه انه سيفتح بلاد اليمن والشام ويأتي منها قوم يسوقون ابلهم ودوابهم ثم يرحلون من المدينة وهي خير لهم والحديث في البخاري وشرحه وفي ... بما اخبر صلى الله عليه وسلم بالمغيبات لانها وقعت في عهد الخلفاء واختاروا سكناها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة الحداد معروفة ... نار لاعدادها على الحديد والكور البناء من طين ونحوه يوضع عليه ونار ... قلبه من الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفي النهاية الكير الطين الذي يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه ... وفي ... التشبيه انها (تنفي خبثها) بفتحتين وآخره مثلثة على المشهور اى تخرج ما خبث منها ولانه كما ينفي الكير خبث الحديد لان مادته من النار والاجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصه وكذلك المدينة لا تخرج عنها وتختار غيرها من غير ضرورة الا من خبثت طويته فهو لا ادراك فيها من ... على وعدم صدق تميزه عن غيره كما تميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه (وينصع طيبها) بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروى طيب ... وهو مرفوع فاعل ويصح بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد المهملة ... عين مهملة اى يخلص ويبقى خالصا فيها ماطاب

كما ينفى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفاء البياض ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروى تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط القزاز طيبها بكسر اوله واستشكله فان النصوع لا يعرف والمعروف فيه ينضوع بضاد معجمة وواو مشددة واغرب في الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من ابضع التاجر اعطى البضاعة اى تعطى طيبها من يسكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغانى انه خالف فيه جميع الرواة وكانه تصحيف وروى ينضخ بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات مختلفة احدها بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المصنف رحمه الله تعالى في شرح مسلم الاظهر ان هذا يختص بزمنه صلى الله تعالى عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابى الذى استقاله البيعة وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقلنى فقال هذا الحديث في حقه وقال النووى ايضا هذا اظهر لما في صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها يعنى في زمن الدجال وان المدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل ان يكون هذا في ازمنة متفرقة انتهى * قلت ان اراد المصنف انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة الاعرابى لا يرد عليه ماقاله النووى (وروى عنه) وفي نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما في مسلم رواية عن جابر (لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها) من غير داع له ولا ضرورة (الا ابدلها الله خيرا منه) فقال ان رغب عنه اذا كرهه فالنهى عنه ذلك فلا ينافى ان بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وابى موسى الاشعرى اوهو مخصوص بزمنه اذا كانت الهجرة اليها واجبة (وروى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال في حديث رواه البيهقى والدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها بسند ضعيف (من مات في احد الحرمين) حرم مكة والمدينة ([illegible]) اى قاصدا الاحرام بحج او عمرة وهو حال من الفاعل (بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب) واعا فسرناه بقاصدا [illegible] لان الاحرام من المدينة لا يجوز الا لمن احرم من دويرة اهله اولقرب ميقاتها والاحرام من الميقات افضل [illegible] وقيل انه بتقدير اوزائرا واكتفى بالاحد الحرمين [illegible] وهو [illegible] وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال [illegible] في هذا الحديث للبيهقى والطبرانى ([illegible]) اى احيى بعد موته (من الآمنين يوم القيمة) اى آمنا من مناقشة الحساب والعذاب (وعن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما في حديث رواه ابن ماجه وابن حبان والترمذى وصححه (من استطاع ان يموت

بالمدينة) اى يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس بقدرته واختياره (فليمت بها) اى فليقم بها حتى يأتيه الموت كما سمعته آنفا والامر للاستحباب (فانى اشفع لمن يموت بها) شفاعة خاصة كما مر لانه فى جواره وحمايته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم اوصى بالجار وروى فانها تشفع على الاسناد المجازى فان قيل قدجاء ما يعارض هذا وهو ماروا ه النسائى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ياليته مات بغير مولده قالوا لم ذاك يارسول الله قال ان الرجل اذامات بغير مولده يشق له من مولده الى منقطع اثره فى الجنة وذكره ابن طاهر فى الصفوة وبوب عليه ايثارهم الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص بمن لم يولد فى المدينة وقد احسن المصنف بختم مايتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين لذكره بعده مايتعلق بمكة كما اشار اليه فى الترجمة وقوله (وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس الى قوله آمنا) شروع فى بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله معبدا وقبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والباء تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال آخرون مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردى عن الزهرى وزيد بن اسلم وبكة من بكه اذادقه وهى تدق اعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء اوهو اشارة الى ازدحام الناس اذاطافوا وسئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان وضع المسجد فى زمن ابراهيم عليه الصلوة والسلام ووضع بيت المقدس فى زمن داود وسليمان عليهم السلام وبينهمازمان اطول من تلك الاربعين باضعاف مضاعفة واجيب بان داود عليه الصلوة والسلام لم يضعه وانما عمره كما بيناه فى حواشى البيضاوى وتفسير الآية ظاهر تكفلت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العمل فيه (قال بعض المفسرين) فى هذه الآية معنى قوله ومن دخله كان (آمنا) امنه (من النار) وعذابها فى الآخرة اذادخله مؤمنا به ووروده يدخل الجنة بغير حساب (وقيل) المراد بالامن امنه فى الدنيا وفى بعض النسخ بل اضراب عن التفسير الاول (كان يأمن من الطلب من احدث حدثا (٢)) اى فعل امرا يستحق به العقوبة كالقتل (ولجأ) بالهمزة بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه (اليه) اى المسجد الحرام بدخوله فيه هاربا (فى الجاهلية) هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم سمى بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى جناية ودخله لايمسكه احد حتى يخرج وقال ابو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لايتعرض له ولكنه لايؤوى ولايطعم ولايسقى ولايعامل حتى يضطر للخروج منه

(٢) خارجا عن الحرم نسخه

وغيره يقول ان الحدود تقام و يؤخذ من دخله فارا واليه اشار المصنف بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بمجيء الاسلام (وهذا) اى قوله من دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذجعلنا البيت) اى الكعبة وحرمها (مثابة للناس) اى ملجأ ومرجعا من ثاب يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بجرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لانه يأباه سياق المصنف لقوله (وامنا فى قول بعضهم) اشارة الى ان فى الآية اقوالا اخر منها انه محل الثواب (وحكى ان قوما اتوا سعدون الخولانى) بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه افكل بن احمد بن مالك وهو من اهل القيروان وعظماء علمائها وسعدون لقبه بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح انه منصرف ولا وجه لما وقع فى بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة منه (بالمنستر) الباء بمعنى فى والمنستر بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهذا لفظ رومى معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق لينزل فيه ابناء السبيل والذى سمعناه منهم فتح الميم والف مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد يخفف بحذف الالف والياء وهذا مما لا شبهة فيه عندهم فقوله فى القاموس منستير بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين وبلد آخر بافريقية اهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقى الاندلس انتهى مخالف للصحيح سماعا فان لم يكن عربيا فهو خطأ وان قال عربى وغيركان عليه ان ينبه عليه وقال التلمسانى انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر الشمنى وهى بلدة بساحل البحر او حصن رباط بافريقية له سور بناه هرثمة بن اعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين ومائة وهو الذى فى سور طرابلس الغرب (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية والف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر واسلامهم فيما قيل من خير (قتلوا رجلا واضرموا عليه النار) اى اوقدوها وقودا شديدا (طول الليل) منصوب على الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه ان الطول ابعد الامتدادين فاشغله شغل غيره بالطريق الاولى وقد سمع فى كلامهم كقول الوزير المهلبى

قال لى من احب والبين قدجد ＊ وفى مهجتى لهيب الحريق
ما الذى فى الطريق تصنع بعدى ＊ قلت ابكى عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى (فذو دعاء عريض) (فلم تعمل فيه) هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه (وبقى ابيض اللون) لم يتغير لونه ولو حرق اسود لونه

وفى نسخة ابيض البدن (فقال لعله) اى الرجل المقتول والفاء فصيحة اى وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذلاوجه للترجى هنا (حج ثلاث حجج) بكسر الحاء بمعنى حجة وهى المرة من الحج (قالوا نعم) اى الامر كذلك (قال حدثت) بالبناء للمجهول اى روى لى من سمعت منه الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان من حج حجة) اى مرة (ادى فرضه) لانه فرض على كل احد ان يحج فى عمره مرة لقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت) الآية (ومن حج ثانية) بعد اداء الفرض (دان ربه) اى اقرضه كقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) والدين والقرض دفع شئ الى غيره ليرد مثله او بدله قال الراغب قال ابو عبيدة يقال دنته اذا اقرضته فهو دائن وذاك مدين ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كانه اعطاه الله قرضا يرد عليه ثوابه الذى هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر دان هنا بمعنى اطاع وعبد لم يصب وفى نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث (فينادى غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم) (ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره) اى ظاهر جلده وبدنه (على النار) اى لم يعذبه ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادى الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيمة واصل معناه اليوم الذى قبل يومك فعبر به ايماء لقربه وهذا الحديث لا اعرف من رواه (ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) لما هاجر او فى حجة الوداع او يوم الفتح كما رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله تعالى عنه (قال مرحبا بك) بفتح الكاف وكسرها اصله دعاء للقادم بالرحب والسعة اريد به هنا اظهار شدة المحبة والقرب منها (من بيت) بيان للمدعو له (ما اعظمك) عند الله وعند الخلق (واعظم حرمتك) اى احترامك وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة فى تعظيمه واحترامه (وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامن احد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) المراد به الركن الذى فيه الحجر الاسود وهو معروف (الا استجاب الله له) دعاءه اى قبله واعطاه مادعا به او خيرا منه والحجر الاسود النازل من الجنة كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وابقى سواده ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط فى تاريخ مكة (وكذلك) يستجاب الدعاء (عند الميزاب) والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التى جاء فى الحديث الصحيح استجابة الدعاء عندها والميزاب هو المسمى الآن ميزاب الرحمة وهو مسيل ماء السطح وهو معروف من نقد الحجر وفى كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب يزب انتهى ووزب بمعنى سال ويقال انه فارسى معرب معناه بال الماء (٢) والمثال الماسانى هنا يذكر مساحة البيت والحرم وغيره مماليس

(٢) مسيل الماء

هذا محله (وعنه) اى روى عنه صلى الله عليه وسلم والراوى هو الحسن البصرى فى رسالته الى اهل مكة (من صلى خلف المقام) اى مقام ابراهيم الخليل المعروف الذى قام عليه لما بنى الكعبة (ركعتين) نافلة (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين) من العذاب وهول الحشر والمغفور الصغائر والكبائر وقيل الصغائر فقط والمقام معروف فى موضعه الذى كان فيه قد علا وتفصيله فى تاريخ مكة (٢ قرأت على القاضى الحافظ ابو على) هو ابن سكرة وقد تقدم (قال حدثك ابو العباس العذرى) قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية بقراءة التلميذ لشيخه وتصديقه عليه (قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد الهروى) قال (حدثنا الحسن بن رشيق) عبد الغنى بن سعيد العسكرى الحافظ المالى المسند وترجمه فى الميزان بطولها (سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد) فى الميزان محمد بن الحسن بن على بن راشد الانصارى وفيه كلام (سمعت ابابكر محمد بن ادريس) ذكر كنيته وقدمها لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعى رضى الله تعالى عنه فان كنيته ابو عبد الله لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمر وهو من اهل مكة (سمعت الحميدى) بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشى الاسدى المكى صاحب الشافعى ورفيقه فى رحلته لمصر وهو شيخ البخارى وهو لاهل الحجاز كاحمد بن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من اسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميديات وهى قبيلة توفى سنة تسع عشرة او عشرين ومائتين (قال سمعت سفيان بن عيينة) تقدم بيانه (قال سمعت عمرو بن دينار) تقدم ترجمته (قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مادعا احد بشئ فى هذا الملتزم) بزنة اسم المفعول من التزمه اذا امسكه سمى به لالتصاق الناس فى الدعاء عنده وهو مابين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشبار واربعة اذرع وتسميته بهذا قديمة وردت فى الحديث ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو احد المواضع التى ورد استجابة الدعاء فيها وقد جرب ذلك (الا استجيب له قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا) الحديث (من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى) الى آخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفاء فى قوله فما دعوت الله الخ اما زائدة بناء على انه يجوز زيادتها فى الخبر مطلقا والمشهور زيادتها فى الخبر اذا اتضمن المبتدأ معنى الشرط نحو (وما بكم من نعمة فمن الله) وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر امرا او نهيا كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * واما عاطفة على مقدر تقديره وانا جربت ذلك فما دعوت الخ واما جواب شرط مقدر اى ان سألت عما عندى فيه فما الى آخره

(٢) قال الفقيه ابو الفضل نفعنا

قوله منذ في الجامع روي مذ بدون نون ومنذ بضم اوله وكسره معناه اشهر من
ن يذكر (وقال عمرو بن دينار) الراوي عن ابن عباس (وانا ما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان) المتقدم ذكره
(وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) بن دينار
(الا استجيب لي (٢) وقال محمد بن ادريس) المكنى بابي بكر (وانا ما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن
الحسن وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس)
المتقدم (الا استجيب لي) وهذا الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقي وسعيد بن
منصور وغيرهما من طرق بنحوها (قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال
فيه شيئا) اي لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا ما دعوت الله بشيء الا استجيب لي
والتسلسل قد ينقطع بعض منه في اوله وآخره او وسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا
ليس بقطع في الواقع والاحاديث المسلسلة صحيحها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور
متغايرة من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل في مصطلح الحديث
(وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا
استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري
وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي
قال ابو علي وانا قد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة
فضله ان يستجيب لي بقيتها) اي ارجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها
بمعنى الاتساع (قال القاضي ابو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى
(ذكرنا نبذا) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة اي شيئا قليلا واصل معناه
المطرح والرمي لانه لقلته مما يطرح ويجوز ضم اوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة
كاخرى (من هذه النكت) جمع نكتة وتقدم بيانها (في هذا الفصل) الذي نحن فيه
(وان لم يكن من الباب) اي من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلوة على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه فذكر فضائل مكة وحرمها ليست منه
بل من موضع آخر (لالمامها) اي مناسبتها (بالفصل الذي قبل) من ذكر مسجده
صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق به (حرصا على تمام الفائدة) بافادة امور مهمة
يرغب فيها والشيء بالشيء يذكر (والله الموفق للصواب برحمته) اي بفضله وانعامه
لا بعملنا و [illegible] ﴿ القسم الثالث ﴾ من هذا الكتاب (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم) المراد به الوجوب الشرعي او العقلي لقوله (وما يستحيل في حقه) اي
يعد كالمحال عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم او عادة واصل معنى الاستحالة التغير

(٢) وقد سقط هنا في نسخ الشهاب قوله هذا او قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي

من حالة الى اخرى ومنه استحال الحجر خلا (او يجوز عليه) مما لا يخل بشريف مقامه (وما يمتنع) في حقه شرعا وعادة وعقلا (او يصح) وصفه به واطلاقه عليه كما سيأتي (من الاحوال البشرية) اى التى تطرؤ عليه باعتباراته وهو بيان لما (ان يضاف اليه) اى تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوى لا النحوى ثم صدر الكلام بآية دالة على ما سيأتي اجمالا فقال (قال الله تعالى) فى حقه صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل الآية) فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر افراد اى ليس بمخلد حتى يستبعد موته او قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت فاتسع بالجبان فقاتلوا على ما قاتل عليه و[illegible] ووقع لبعض الصحابة لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم ابو بكر رضى الله تعالى عنه وتلا هذه الآية كما هى والقصة مشهورة وقوله افان الى آخره انكار توبيخى لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين (وقال الله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام الآية) اى ليس المسيح الا رسول كغيره من الرسل له آيات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى وامه صديقة اى صادقة فى اقوالها وافعالها او مصدقة للرسل وهذا غاية امرهما دون ما يزعمون فيه ولذا اتى باثبات صفات بشرية تنافى الالوهية من الاكل ونحوه ولذا قال الله تعالى (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) (وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) فهو [illegible] من البشر يصح له ما يصح لهم (وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الآية) فلا [illegible] على البشر الا بما خصه الله من الوحى والرسالة والتوحيد فهذا تميز [illegible] ولذا قال (فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) اى باقيهم فهو من عطف المغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما قال [illegible] لو [illegible] ما تقدم (من البشر) اى من جنسهم عبر عنهم باسم (ارسلوا الى البشر) ليبلغ ما امرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير (ولولا ذلك) اى او [illegible] من جنس البشر بان كانوا ملائكة (لما اطاق الناس مقاومتهم) اى مقابلتهم فى الامور الدنيوية لقدرة الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم (والقبول عنهم) اى ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به (ومخاطبتهم) حتى بلغوهم عن الله ثم اثبت هذا

بقوله (قال الله تعالى ولو جعلناه) اى النبي صلى الله عليه وسلم المرسل اليهم (ملكا)
اى قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا (لجعلناه رجلا اى لما كان
الا فى صورة البشر) تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان الملك
يتصور باى صورة اراد ثم بين وجهه بقوله (الذين يمكنكم) بحسب الطاقة البشرية
(مخالطتهم) اى معاشرتهم والاختلاط معهم وفى نسخة مخاطبتهم وفى اخرى مخالتهم
اى اتخاذهم اخلاء وهى متقاربة معنى (اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته) الاصلية التى خلق عليها ابتداء (وقال) الله تعالى (قل لو كان
فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) هذا جواب
عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الآيات التى القمتهم الحجر فقالوا لم لم يرسل الله
ملكا يبلغ اوامره ونواهيه فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية
انما يرسل الله الملائكة لو كان اهل الارض ملائكة من جنسهم كما قال المصنف رحمه الله تعالى
(اى لا يمكن فى سنة الله) اى طريقته وعادته المستمرة (ارسال الملك الا لمن هو من جنسه)
حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملائكة
الى الانبياء بين وجهه بقوله (اومن خصه الله) معطوف على من هو من جنسه
اى خصه بنفس قدسية ملكية (واصطفاه) اى اختاره من نوع البشر الباقى وحيه
من الملك (وقواه على مقاومته) اى مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك
باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس (كالانبياء والرسل) صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وارواح ملكية فكانوا دون
غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال (فالانبياء
والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (وسائط بين الله وبين خلقه)
وتوسطهم لامر هو انهم (يبلغونهم) عن الله (اوامره ونواهيه) اى كل
امر ونهى لهم وفى كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص
يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشأن يجمع على امور ولم يوافقهم عليه احد
من النحاة واهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام فى تذكرته
انه صحيح بوجهين احدهما انه جمع آمر اسم فاعل لما لا يعقل وسمى القول امرا
مجازيا والاسناد لاية ل سابه والثانى انه جمع آمرة مصدر كالعافية اى صيغة آمرة الامر
بها ونقل ابن بابه وقيل انه جمع الجمع فجمع آمر على امر ككاتب ثم جمع على اوامر
ككالب فهو فواعل او افاعل وقال الاصفهانى فى شرح المحصول ان هذا الوجه
لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه
استعمل مفردا انتهى وقدتقدم ايضا ذكرنا لهذا (ووعده ووعيده) الوعد
يستعمل فى الخير والوعيد فى الشر كما فصلوه فى محله (ويعرفونهم مالم يعلموه من امره)

هو العمل والشان واحد الامور كاسر اى اقواله وافعاله فياسق تضاؤه فى كل شئ وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله (وخلقه) وعالم ماابدعه الله تعالى من غير مادة وتولد من اصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال الله تعالى (الا له الخلق والامر) وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد (وجلاله) اصل معناه العظمة وهو فى صفاته تعالى كما تقتضيه كلام العراقى والعشيرى الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضى انه الصفات السلبية او ما يعمهما وقال العراقى فى معنى ذى الجلال والاكرام ان الجلال كاله فى ذاته والاكرام ما كان منه لغيره (وسلطانه) اى قهره وغلبته او حجته الباهرة او مادته اى اسم يبيون للناس ذلك (وجبروته وملكوته) التاء فيه زائدة اى كونه جبارا قهارا ومالك الملك الذى لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله (فطواهرهم) اى ما ظهر من حال انبياء الله ورسله وصفاتهم (واجسادهم) اى دوامهم الظاهرة المشاهدة (وبنيتهم) بكسر الباء اى هيئته تركيب ابدانهم التى خلقهم الله تعالى عليها لانه سماه الله تعالى وهو فى الاصل مصدر ثم اطلق على الهيكل المخصوص والبدن المبنى (متصفة باوصاف البشر) من الخلق والتركيب ونحوه (طارئ) بهمزة فى آخره وابدالها ياء اى حادث متجدد (عليها ما طرأ على البشر) لان الاجسام كلها متساوية فى قبول ذلك (من الاعراض) جمع عرض والمراد به مطلق الآلام او ما لا يدوم قارا بها وبقابله عند الاطباء الامراض (والاسقام) جمع سقم وسقم كحزن وحزن (والموت والفناء) الموت ضد الحياة [illegible] عدمى او وجودى [illegible] على القوم والجهل [illegible] وثوبه [illegible] * واما الفناء فهو تفرق الاجزاء [illegible] وهذا لا يكون فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء [illegible] فى الحديث [illegible] رحمه الله تعالى ان يدل [illegible] المراد بالفناء هنا كالسن والهرم [illegible] (ونعوت الانسانية) جمع نعت [illegible] من فرق [illegible] انه لا [illegible] على الله تعالى [illegible] وطرؤ من العوارض وهذه [illegible] الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا [illegible] الامراض [illegible] والعمى واما ما اصاب ايوب [illegible] الصلاة والسلام [illegible] عنه [illegible] وقيل ان [illegible] عليهم [illegible] عند [illegible] الدعوة والحق انها لا [illegible] عليهم اصلا ([illegible]) كالمد

والدماغ ومالايدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر (متصفة بأعلى من اوصاف البشر) اى باوصاف اعلى منها من الفضائل الروحانية والتبرى من العلائق الجسمانية كحب المال والتنعم بالمأكل والمشارب فارواحهم وبواطنهم (متعلقة بالملأ الأعلى) هو كالرفيق الاعلى الملائكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب الملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء (متشبهة بصفات الملائكة) فى القوة والتجرد من العلائق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولايفعلون الا مايؤمرون حالكونها (سليمة من التغير) اى تبدل احوالهم الصالحة بغيرها (والآفات) وهى النقائص (لايلحقها) اى لاتطرق على ارواحهم وبواطنهم (غالبا عجز البشرية) كالجبن والخوف المفرط من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه قد يلحقهم شئ منه كما فى قوله تعالى (فاوجس فى نفسه خيفة) (ولاضعف الانسانية) فانه لايلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شئ من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولايخرجهم عن كمال القوة والهمة (اذ لوكانت بواطنهم) اى امورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا (الخالصة للبشرية كظواهرهم) وظواهر غيرهم وبواطنهم (لما اطاقوا الاخذ) اى قدروا على تلقى الوحى (عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم) اى مكالمتهم (ومخالتهم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم وهى اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز مخاللتهم بفك الادغام كامر والاول افصح (كما لايطيقه) اى ومايعده (غيرهم) اى غير الانبياء (من البشر) لضعف ارواحهم وبواطنهم (ولو كانت اجسامهم) اى الانبياء وفى نسخة اجسادهم (وظواهرهم متسمة) اى موصوفة مستعار من السمة وهى العلامة والوسم بمعنى الكى (بنعوت الملائكة) اى صفاتهم الذاتية وهذه هنا الحقيقية (وبخلاف صفات البشر) بما خلقت عليه الملائكة وصورهم التى صوروا عليها عظما ونورانية (لما اطاق البشر) غير الانبياء (ومن ارسلوا) اى الانبياء (اليهم) من اممهم (مخاطبتهم) ورؤيتهم ومخالتهم (كما تقدم من قول الله تعالى) يعنى قوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) وهو يدل على انهم لايطيقون رؤية الملك على حالته الاصلية بخلاف مالو تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رؤيته كما كان يأتى بصورة دحية ويراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا لايتم ان لوكان رؤيتهم ومخالطتهم وهم على حالتهم والوارد فى القرآن والحديث خلافه وقد رآهم بعض الصالحين واصحاب الرياضة خلط وخبط ناش من عدم الفهم (فجعلوا) اى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) اى موافقين لهم فى صورتها (ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) اى متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية

المشاكلة في الروحانية والقوى الباطنية حتى اطاقوا رؤيتهم ومخالطتهم ومحادثتهم
(كما قال صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لخالته الملائكة (لو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابابكر خليلا) فانه اقرب الناس اليه واصدقهم محبة له
واعظمهم مواساة له بماله ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذه خليلا لم يتخذ
احدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن مع البشر بمباطنه فهو لا يعتمد على غير الله
ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على مايتوهم من نفي خلة ابي بكر من انه لامناسبة
بينه وبينه فقال (ولكن) بيني وبين ابي بكر (اخوة الاسلام) اي ان لم يكن
خليلي فهو اخي في محبة الله وفي دين الاسلام لاشتراكه معي في محبة الله تعالى وطاعته
واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر اي كونه اخا لي ويقال
خوه بضم الخاء وحذف الهمزة وهي لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم
الروحانية ملكية ولذا يرى مشارق الارض ومغاربها ويسمع اطيط السماء ويشم
رائحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا اراد النزول اليه كما شم يعقوب عليه الصلوة
والسلام رائحة يوسف صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله تعالى عليه وسلم
الى السماء والقى الخلافة على ابي بكر رضي الله تعالى عنه استدراك توهم نفيها اثره
من الناس فقال (لكن صاحبكم خليل الرحمن) وقال صاحبكم ولم يقل ولكني وهو
اخصر واظهر اشارة الى انما به لهم بحسب الظاهر وانه مع الناس لا بحسب
الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى ان خلة الله رحمة وشاملة صفة
الرحمة فليس خليل الا الله لان الخليل تعالى في باطنه وظاهره مشغول به ثم قال الله تعالى
عما سواه وهذا لا ينافي ماورد في حديث آخر لم يكن نبي الا وقد اتخذ من امته خليلا
الا ان الله تعالى اتخذ خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان الاول في الخلة الحقيقية
لا يتمادى عليه ظاهرا وباطنا والثانية الخلة بحسب الظاهر [illegible] وكله
في امور الدنيا واما خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضي الله تعالى
عنه خليله بمعنى الفاعل وليس خليلا بمعنى المفعول او انه كان خليله اولا ثم نسخت
خلته بعد ذلك لله [illegible] الى [illegible] عن ابي سعيد
الخدري رضي الله تعالى عنه قال خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس
فقال ان الله تعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد
ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه [illegible] عن عبد خير وكان
اعلمنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من امن الناس علي في صحبته وماله
ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته
لا يبقين في المسجد باب الا سد الا باب ابي بكر [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم

(علي)

على خلافه كما يعرفه من له بصيرة (وكما قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي وظاهره بشري (تنام عيناي) بتغميض الاجفان والنوم ظاهر (ولا ينام قلبي) لبقاء احساسه وتعلقه بالملأ الاعلى وكذا سائر الانبياء تنام اعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به في حديث البخاري فليس ذلك من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه القضاعي ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله تعالى عليه وسلم بشري وباطنه ملكي ولذا قالوا ان نومه عليه الصلوة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرح به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه استحبابا او تعليما لغيره او لعروض ناقض به (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في النهي عن صوم الوصال في الصوم مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم له (اني لست كهيئتكم) اي لست في حالي واموري مثلكم فان لي خواص خصني الله تعالى بها اكراما منه واصل معنى الهيئة الصورة الظاهرة مجوز بها عن الكيفيات النفسانية بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله (اني اظل) بفتحتين اي اكون (عند ربي) خص الرب اشارة الى تربيته له باعطائه ما يقويه ولذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله ونحوه (يطعمني ويسقيني) اي يجعل في قوة على ذلك حتى اكون كأني اكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافي الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان قوله اظل يأباه بحسب الظاهر وان امكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما [illegible] لانه امر لم يقل به احد وهذه القوة تدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملكي الباطن [illegible] قول ابن حبان وغيره اذا اعطاه الله تعالى قوة الصوم [illegible] لم يكن فيه علم اخر فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روى [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجوع [illegible] يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما [illegible] تصحيف [illegible] لا معنى له في اذهاب الجوع غير ظاهر لا [illegible] [illegible] فشكوا له [illegible] لا وجه لانكاره وشد [illegible] لا ينافي هذا انه [illegible] لان في الجوع رياضة واتحادا بالملأ الاعلى واشتغال الروح عن البدن [illegible] المريض [illegible] ايام لا يأكل ولا يضره وقد بين [illegible] الاشارات [illegible] ملكة روحانية واستمد القرطبي ما قيل [illegible]

(فبواطنهم) اى بواطن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم (منزهة عن الآفات) اى ماينقص قوائم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) اى العلل المضعفة لهم (فهذه جملة) فيما يختص بالانبياء عليهم الصلوة والسلام اجمالا (لن يكتفى بمضمونها) اى ماتضمنته ودلت عليه (كل ذى همة) فى تحصيل الفضائل (بل الاكثر يحتاج الى بسط) اى تطويل (وتفصيل على ماناتى به) صفة لبسط وتفصيل اى تفصيل على نهج ماناتى به (بعد هذا فى البابين) المذكورين عقب هذا (بعون الله) اى اعانته على ما قصده (وهو حسبى ونعم الوكيل) الذى لايكل من توكل عليه لغيره

﴿ الباب الاول ﴾ فيما يجب للانبياء عليهم الصلوة والسلام ويمتنع عليهم (فيما يختص بالامور الدينية) اى ماهو من الدين والشرائع النبوية (والكلام فى عصمة نبينا) اى وفى الكلام فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى عصمة (سائر الانبياء) اى باقيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) والعصمة قالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية او خلق مانع فيه عن المعصية لكن لابحيث ان يلجئه ويسلب اختياره ويجبره على الطاعة بل هى لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف كما قاله الماتريدى ويأتى الكلام على ذلك مبسوطا (قال القاضى ابو الفضل) المصنف عياض رحمه الله تعالى تمهيد مقدمة لما سيأتى (اعلم ان الطوارى) اى مايحدث من غير ماقارن خلقه (من التغيرات) المغيرة لما خلق عليه (والآفات) جمع آفة وهى مايفسد مااصابه والمأوف مااصابته وانكره ابو حاتم وقال انما هو مئوف كما هو فى افعال السرقسطى (على آحاد البشر) بالمد جمع ابدلت واوه همزة ثم الفا لانه من الوحدة اى افرادهم واشخاصهم (لايخلوان تطرأ على جسمه) اى ظاهر بدنه وجسده (او على حواسه) جمع حاسة وهى مايدرك به من البصر والسمع والشم واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومنعها ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة (بغير قصد واختيار) بل بخلق الله الماؤه (كالامراض والاسقام) السقم بمعنى بمعنى المرض كما فى الصحاح وقيل السقم مسبب عن المرض فالجسم مريض وسقيم البدن وضعفه سقم ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى (او تطرء بقصد واختيار) كافعال العبد واعماله (وكله) اى كل مايطرؤ باختيار وغيره (فى الحقيقة) اى حقيقة الامر فى الواقع (عمل وفعل) قال فى القاموس الفعل بالكسر الاسم ... والكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال الساسانى بينهما فرق فالفعل احداث شئ من عمل او غيره فهو اعم وقال الحوفى الفعل مايكون فى زمان يسير من غير تكرر والعمل ماتكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص عن يعقل وورد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم

في الحديث يا ابا عمير مافعل النغير (ولكن جرى رسم المشايخ) اى استمرت عادتهم والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقهاء استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلماء (بتفصيله) اى تفصيل مايطرأ (الى ثلثة انواع) الاول (عقد بالقلب) اى نيته نيت جازمة وعزما مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد فى الحديث واصل معناه الربط المحكم (و) الثانى (قول باللسان و) الثالث (عمل بالجوارح) جمع جارحة وهى العضو من اعضاء البدن من الاجتراح وهو الاكتساب (وجميع البشر تطرؤ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار) اى لهم حالات مختلفة تنتقل منهـا من حال الى حال من نعيم وبؤس ونصر وقهر (٢) وهذا امر عام شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب كما قيل (فى هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم) اى جنس النبي او كل نبي فتعريفه جنسى او استغراقى وليس المراد نبيا مخصوصا لاستوائهم فيما ذكر (وان كان من) جنس (البشر ويجوز على جبلته) بكسر الجيم وكسر الباء الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة والخلقة التى خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة (مايجوز على البشر) سواء وماموصولة فى محل رفع فاعل يجوز الذى تقدم (فقد قامت) اى تحققت وظهرت (البراهين) جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم (القاطعة) اى القطعية دلالتها على ماثبت بها (وتمت كلمة الاجماع) اى انعقد اجماع من يعتد باجماعه واتفقوا عليه حتى كأن كلامهم كلمة واحدة تامة (على خروجه عنهم) اى خروج النبي عن جنس البشر غيره (وتنزيهه) اى تبرئته بنفى ذلك عنه وتبعيد ساحته (عن كثير من الآفات) اى العوارض التى تطرؤ على البشر فتنقص مقاماتهم العلية (التى تقع) اى تصدر وتحقق فى الواقع والخارج (على الاختيار وعلى غير الاختيار) لتكريم الله لهم بالعصمة من امثالها كالامور القبيحة والاخلاق الذميمة (كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتى به) من هذا الكتاب وهذا القسم (من التفاصيل) الموضح لها

(٢) وحرر وقهر نسخه

قد تم الجلد الثالث بعناية الله وكرمه من شرح الشفاء للقاضى عياض المسمى بنسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجى عليه رحمة البارى

ويليه الجلد الرابع